مجلّة دراسات أندلسية

عدد خاص

46-45

الحاج عبد اللّه بن الصّبّاح الأندلسي

نسبة الأخبار وتذكرة الأخيار

(رحلة حجازية)



تحقيق

د. جمعة شيخة

محرّم 1433

عددان 46-45

ديسمبر 2011

مجلّة دراسات أندلسيّة

مجلّة علميّة مُحكّمة في الدّراسات المتعلّقة بإسبانيا الإسلاميّة

***

مؤسسها ومديرها

د. جمعة شيخة

* تصدر المجلّة مرّتين كلّ سنة :
-العدد الأوّل : ما بين شهري جانفي وجوان.
-العدد الثّاني : ما بين شهري جويليا وديسمبر.
*تسدّد قيمة الاشتراك :
-باسم جمعة شيخة- مجلّة دراسات أندلسيّة :
معرّف الهويّة البريديّة :TN 59-17001000000543-94-63
-رمز المؤسسة LPTNTNTT
* الهويّة البنكيّة : بنك تونس العربي الدّولي رقم 7720077978 فرع باردو- تونس.

الهاتف : 0021671585616. الجوّال : 00216.98995396
الفاكس : 00216.71.224.007
البريد الإلكتروني : cheikha.andalous@yahoo.fr

مجلّة
دراسات أندلسيّة

عدد 45-46

محرّم 1433 – ديسمبر 2011

طبع بالمطبعة المغاربيّة للطّباعة والنّشر والإشهار
الشرقيّة- تونس

الهاتف : 70.832.475 / الفاكس : 70.837.263

تونس
2012

الفهـــرس

***

تصدير

إنّ النصّ الذي بين أيدينا هو نصّ فريد من نوعه وغريب في نفس الوقت: فخصائصه في عيوبه وقيمته في أخطائه. لذا فإنّ التصرّف في هذا النصّ عند تحقيقه – كما فعل د. بنشريفة – بالزّيادة والنّقصان دون إشارة في الهامش، وبإصلاح عيوبه، من حيث التّركيب وأخطائه من حيث اللّغة، وذلك بتحويل ألفاظه وعباراته من دارجة إلى فصحى دون تنصيص على ذلك في الهامش وفي كلّ مرّة، يُعدّ تجنّيا على النصّ وإفقاده لقيمته الأساسيّة التي هي هدف الباحثين في مجال تطوّر اللّغة، وفي مجال تطوّر العقليات لتحسّس المستوى الثقافي الذي مرّ به الفكر الأندلسي إلى أن أفلت شمسه نهائيا مع المدجّنين والموريسكيّين بعد سطوع نجمه لفترة قرون مع الأندلسيّين.

لذا رأينا أنّ إعادة تحقيق هذا النصّ حسب المنهج العلمي الصحيح واجب ومحتّم خدْمة لهذا الهدف النّبيل حتّى لا يحرم الباحثون في مجال انحدار اللّغة العربيّة **بالأندلس من فصحى راقية إلى دارجة ضحلة ، وفي مجال سقوط الفكر** الأندلسي، من نموذج فريد من نوعه وهو رحلة ابن الصبّاح الأندلسي.

د. جمعة شيخة
مدير المجلّة



المقدّمة

صدر في المغرب سنة 2008 عن دار أبي رقراق للطباعة والنّشر بالرّباط رحلة حجازيّة للأندلسي المدجّن الحاج عبد الله بن الصّبّاح عنوانها : «أنساب الأخبار وتذكرة الأخيار» من النصف الثاني من القرن الثامن للهجرة، بتحقيق الدّكتور محمّد بنشريفة.

ولئن حاز العلاّمة بنشريفة دائما قصب السّبق في التّأليف والتّحقيق فقد كبا به الجواد في هذا العمل وظهر – إن قام هو فعلا بتحقيق هذه الرّحلة – بمظهر المبتدئ ومن لا تجربة له في تحقيق النصوص التّراثيّة. والسّبب في ذلك هو التّسرّع في نشر الرّحلة قبل غيره ممّن اكتشفها وقضى مدّة في دراسة محتواها، والعجلة في البحث العلمي – وخاصّة في تحقيق النّصوص – مدعاة للوقوع في كثير من المطبّات والهفوات، كما سنبيّن ذلك فيما بعد.

لقد أشرنا منذ الثمانينات من القرن الماضي إلى هذه الرّحلة، وقمنا بتقديمها في مجلّة «دراسات أندلسيّة»[1]، واعترافا بالحقّ لأصحابه لم نكتشف هذه الرّحلة، بل اكتشفها الدّكتور أحمد الشتيوي في أطروحته وعنوانها «مظاهر الحضارة من خلال رحلات المغاربة والأندلسيّين (من القرن 6 /12 إلى القرن 12 /18)». وكان لنا شرف مناقشته مع ثلّة من الزّملاء في نطاق شهادة دكتوراه دولة في رحاب جامعة تونس سنة 1988[2].

(1) انظر بحث د. جمعة شيخة وعنوانه : «بعض المظاهر الدّينيّة في رحلة عبد الله بن الصّبّاح الأندلسي» في مجلّة دراسات أندلسيّة عدد 12 سنة 1994 ص ص 36 – 44.

(2) ذكر د. أحمد الشّتيوي رحلة ابن الصبّاح في الجزء الأوّل من أطروحته ص 45 (عمل مرقون في جزأين) بمكتبة كلّية العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة بتونس.

ولهذه الرّحلة نسخة وحيدة محفوظة في دار الكتب الوطنيّة بتونس تحت عدد 2295، المسطرة 18، المقاس 20x15، ورقاته 273 ورقة، الخطّ مغربي جميل وواضح في الغالب، مشكول بالأحمر، وفيه تصحيحات في النصّ وأحيانا في الطرّة بنفس اللّون. لم يُذكر الناسخ ولا تاريخ النسخ.

لقد قرأنا رحلة ابن الصبّاح الأندلسي بتحقيق الدّكتور محمّد بنشريفة بكلّ عناية وتدقيق وبكلّ أمانة وصدق حتّى نستطيع أن نقيّم ونقوّم في نفس الوقت هذا العمل، باعتبار أنّ النصّ المحقّق هو نصّ فريد، غريب ومفيد. وأوّل ملاحظة بدت لنا في هذا التّحقيق هو نسبته إلى الدّكتور بنشريفة لأنّ سمة هذا التّحقيق الأولى هي التسرّع[1]. وما عهدنا العلاّمة بنشريفة متسرّعا فيما ألّف أو حقّق، وهو مدرسة بحالها في المجالين[2]. وقد أوقعه هذا التسرّع في مطبّات منهجيّة وهفوات لغويّة واستنتاجات وهميّة وأخطاء مطبعيّة أردنا التّنصيص عليها لنبرّر وجوب إعادة تحقيق هذا النّصّ الهام. وهذا التسرّع ملاحظ في مقدّمة المحقّق وفي النصّ المحقّق معا. وقد اخترنا لمقدّمتنا العنوان التّالي.

التّسرّع المريع في التّحقيق الفظيع

وجعلناها في قسمين :

I – القول الصّريح في ضبابيّة التّأويل والتّرجيح : ركّزنا فيه على ما جاء في مقدّمة المحقّق من استنتاجات.

II- الخطر الجسيم في المنهج العقيم: تتبّعنا فيه منهج د. بنشريفة في تحقيق نصّ ابن الصبّاح.

(1) هل أراد د. بنشريفة قطع الطريق على د. الشتيوي مكتشف الرّحلة أو على د. شيخة الذي عرّف بها على صفحات مجلّة دراسات أندلسيّة (انظر ص ب، ت 1) ؟

(2) هل عهد د. بنشريفة بالتحقيق أو بقسم منه لمبتدئ غرّ، ولم يجد من الوقت لمراجعة العمل قبل طبعه؟

I – القول الصّريح في ضبابيّة التّأويل والتّرجيح :

1) **حياة المؤلّف** : لسنا في حاجة إلى إعادة القول في حياة المؤلّف فقد قمنا بذلك منذ أوائل التّسعينات في مجلّة دراسات أندلسيّة[1] أي قبل أن يكتب د. بنشريفة مقدّمة تحقيقيه لنص الرّحلة بحوالي عقدين من الزّمن.

وفي هذه المقدّمة عرّف المحقّق بابن الصباح وبعصره، واعتمد – وهو محقٌّ في ذلك – على ما جاء في رحلته من معلومات. ومع الأسف، ونظرا إلى التسرّع كانت السّمة الغالبة على هذه المعلومات الضبابيّة وعدم الدّقّة وأحيانا التّناقض :

أ- بالنسة إلى أصل المؤلّف، لم ينسب ابن الصّبّاح نفسه في رحلته إلى مدينة معيّنة من مدن الأندلس، بل ذكر في بداية رحلته عنوانا لفصل جاء فيه: «فصل في جزيرة الأندلس ووطن المؤلّف[2] وموضع مسقط رأسه وتربيته وقبر والديْه وأجداده[3]». والواضح من هذا العنوان أنّ المؤلّف يريد أن ينتسب إلى الأندلس عامّة، فهي وطنه ومدفن آبائه وأجداد، ومع هذا الوضوح، نسبهُ د. بنشريفة إلى شاطبة وقدّم دليلا على ذلك أنّه اشترى جبّة من شاطبة. وهذا المنطق غير المستصاغ يجعلنا نقول: إنّه بلنسي لو اشترى جبّة من بلنسيّة وجيّاني لو اشترى جبّة من جيّان. وكذلك من غير المقبول في هذا المنطق أن ننسبه إلى شاطبة لأنّه شبّه بعض مدن الشرق بهذه المدينة الأندلسيّة.

والمنهج العلمي الدّقيق يسمح لنا بالترجيح أنّ ابن الصبّاح من شرقي الأندلس دون تحديد لأنّه يتكلّم باللّغة الكتلانيّة وعادة ما يذكر هذه المنطقة ويشبّهها ببعض مدن الشرق. وتاريخيّا سقط شرقيّ الأندلس تحت نفوذ التّاج الأرغوني وبقي فيه أغلب سكّانه من المسلمين إلى سنة 1118/ 1607 وهو تاريخ

(1) انظر ص ب، ت1 – وكذلك أعمال المؤتمر العالمي الرّابع عشر للدّراسات الموريسكيّة الأندلسيّة، مهداة إلى الأستاذ ميكال دي بلزا. ط. تونس 2011، ص ص 67 – 81.

(2) النّصّ المحقّق ص 56 س 1.

(3) الإحالة ستكون في مقدّمتنا على طبعة د. بنشريفة حتّى يستطيع القارئ الرّجوع إلى نصّه والتّثبت في ملاحظاتنا.

صدور مرسوم الطّرد النّهائي لهم من إسبانيا. فابن الصبّاح حينئذ عندما خرج من وطنه الأندلسي كان مدجّنا.

ب- وبالنّسبة إلى وفاة المؤلّف بوهران نرى أنّ د. بنشريفة تسرّع عندما ذكر أنّ ابن الصبّاح قضى بقيّة حياته في وهران بعد الرّجوع من رحلته، وفيها أملى رحلته. وقد اعتمد المحقّق على ما جاء في الرّحلة من أنّ «مدينة وهران المذكورة هي وطن الحاج المذكور[1] حتى يأتي الله بالخروج منها إمّا بالموت وإمّا بالحياة»[2]. وهذا يصعب قبوله لأنّ ابن الصبّاح دخل إلى وهران وبقي فيها مريضا لمدّة سنتين وهو في طريق الذّهاب فاعتبرها الرّاوي بسبب طول الإقامة وطنا له عن طريق المجاز لا الحقيقة، ولا نجد في الرّحلة ما يشير إلى رجوعه إليها، فقد أنهى المؤلّف رحلته بوصف العراق عامّة ومدينة بغداد بصفة خاصّة، وأكّد في خاتمة تحريره لرحلته أنّه كتبها لإخوانه المدجّنين الذين بقوا في وطنهم الأندلس تحت الذمّة، وواجب الأخوّة الدّينيّة يفرض عليه أن يقدّم خدمات لهذه الأقليّة. وأكبر الأخطار التي كانت تهدّد هذه المجموعة هو الجهل بتعاليم الدّين الإسلامي، وما يتبع ذلك من خطر التنصير الاختياري أوّلا ثمّ الإجباري في مرحلة ثانية. لذا عمد صاحب الرّجلة إلى التّأكيد على بعض المظاهر الدّينيّة التي كانت الغاية منها التعريف ببعض الأركان الدّينيّة كالحجّ، وكذلك تمجيد الإسلام وتعزيزه في نفوس أهله من المدجّنين.

وما انفكّ صاحب الرّحلة طيلة رحلته من شرقيّ الأندلس[3] مرورًا بالمغارب الثلاثة (الأقصى والأوسط والأدنى) في العدوة الإفريقيّة ثمّ طرابلس بالقطر اللّيبي، فالإسكندريّة والقاهرة ببلاد مصر، فالحجاز بحرميه المكّي والنبوي

---

(1) كلمة «وطن» هنا ذكرها الرّاوي متحدّثا عن المؤلّف، بمعنى موضع الإقامة بسبب المرض وقد طالت نسبيّا. أمّا كلمة «وطن» بالمعنى الاصطلاحي فقد حدّدها المؤلّف نفسه وقصد بها الأندلس (الرّحلة، تحق ج. شيخة ص 4).

(2) الرّحلة، تحق ج. شيخة ص 57.

(3) ذكر عديد المدن في شرقي الأندلس ممّا يدلّ على أنّه يعرفها جيّدا. ثمّ مرّ بغرناطة عاصمة بني الأحمر التي سكنها مدّة لم يحدّدها وأعجب بجميع نواحي الحياة فيها، ثمّ انتقل إلى مدينة سبتة في العدوة الإفريقيّة. (انظر الرّحلة، ص 28، تحق ج. شيخة).

ثمّ بلاد الشّام بمدنه وقراه وخاصّة بيت المقدس ومدينة دمشق، فآسيا الصغرى وعاصمتها القسطنطينيّة (إسطنبول) فديار بكر من بلاد العثمانيّين الأتراك ثم إلى عراق العجم (بلاد فاس) وأخيرا عراق العرب ومدنه الكبرى الثلاث : بغداد والكوفة والبصرة، ما انفكّ يدعو لكلّ هذه البلدان بدوام العمران وقوّة السّلطان في ظلّ راية التّوحيد والإسلام. ولاشكّ أنّ حالته مع إخوانه المدجّنين وهم تحت النّفوذ النصراني تشبه حالة النّصارى واليهود وهم تحت الحكم الإسلامي بالشّرق، فنراه عن طريق التّعويض النّفسي يشير إلى عزّ الإسلام وعظمته وإلى رضوخ أصحاب الدّيانات الأخرى لحكام المسلمين بدفع الجزية لهم عن يد وهم صاغرون. وهو ما فتئ يذكّر إخوانه المدجّنين بأهمّ فترات التّاريخ الإسلامي الزّاهية من غزوات الرّسول (صلعم) إلى فتوحات بني عثمان الأتراك، وبأعظم رجالته من الحكام المجاهدين والعلماء المجتهدين وأولياء الله من الزّهاد والصّالحين، إنّ في ذلك تعزيزا للعقيدة الإسلاميّة في نفوس أقليّة أصبحت مهدّدة في عقيدتها بطرق شتّى.

لقد فتحنا هذا القوس للتّدليل على أنّ وهران وهي مدينة تحت نفوذ حاكم مسلم ليست في حاجة إلى مثل ما قام به ابن الصبّاح في رحلته من إظهار عظمة الإسلام. فالإسلام فيها محفوظ والمسلمون فيها آمنون في العهد الذي أملى فيه ابن الصبّاح رحلتَه، والمدجّنون في شرقيّ الأندلس هم من كانوا في حاجة إلى من يكتب لهم عن دينهم وعن عظمته وعزّه وهو بين ظهرانيهم ليزدادوا تمسّكا به، لا أن يكتب لهم وهو في وهران، خاصّة إذا كانت العلاقة بين العدوتين الإفريقيّة والأندلسيّة مقطوعة أو تكاد في تلك الفترة.

ج- وبالنّسبة إلى تعامل المحقّق مع غيره وخاصّة مع مؤلّف الرّحلة. نلاحظ ظاهرة غريبة ما كنّا نتوقعها من د. بنشريفة، وتتمثّل في التحامل على من سبقه من زملائه ممّن اكتشفوا الرّحلة وقاموا - عن حسن نيّة - بالتّعريف بها. ولولاهم لما سمع بهذه الرّحلة. ومع ذلك وسمهم بالجهل[1].

---

(1) انظر ص 68 ت 65 (الرّحلة تحق بنشريفة).

ويتحوّل التحامل إلى تجنّ على المؤلّف. فهذا المدجّن، رغم نبل غايته عندما أملى رحلته، ورغم اعترافه بمحدوديّة إمكانيّاته العلميّة[1] لأنّه لم يجد في موطنه الأندلسي من الشيوخ من يقدّم له تعليما رفيعًا وتكوينا متينا، ومن الكتب ما يسمح له باطلاع واسع ومعلومات دقيقة، رغم كلّ ذلك أصبح عرضة لكثير من النعوت عند د. بنشريفة : فهو تافه مرّة، وهو يخرّف مرّة أخرى[2] ويتعالم مرّة ثالثة[3]. وكان من المفروض أن يتثبّت د. بنشريفة ولا يتسرّع في أحكامه على المؤلّف. فاتّهامه له بأنّه جاهل لا يحسن قراءة بعض الكتب التاريخيّة لأنّه أورد في رحلته أنّ بني مرين وبني عبد الواد هم يمنيّون من حمير، فيه كثير من التجنّي على النصّ وعلى مؤلّفه، فابن الصبّاح في هذه المعلومة لا ينقل من كتاب وإنّما كان يروي ما راج في ذلك الوقت – ولأسباب سياسيّة – من أنّ البربر عامّة أصلهم من اليمن، وذلك لإضفاء الشرعيّة على بعض دولهم التي أنشؤوها في العدوة الإفريقيّة[4].

2- **عنوان الرّحلة** : جاء عنوان الرّحلة في أطروحة د. الشّتيوي كالآتي: «منشاب الأخبار وتذكرة الأخيار» وجعله د. بنشريفة في تحقيقه كالتّالي : «أنساب الأخبار وتذكرة الأخيار» وقال : «كلمة أنساب وردت في المخطوط كما يلي: نساب.. وهي إمّا صيغة عامّية أو سقط منها الألف. وقد قرأها الدّكتور جمعة شيخة (منشاب)، ولا معنى لها[5]». وفي هذه القولة تسرّع وتجنّ لأنّ قراءة «منشاب» هي قراءة د. الشتيوي وليست قراءة د. جمعة شيخة. ومن جهة أخرى يحرّم د. بنشريفة على غيره ما يحلّله لنفسه. فقد أضاف همزة لكلمة «نساب» بينما أضاف «الشّتيوي ميما وغيّر السّين شينا، وهو اجتهاد نراه أقرب إلى الصّواب

---

(1) لم يمنعه ذلك من أنْ يعلّم الأطفال في طرابلس (ليبيا) الرّحلة ص 68 س 11. تحق ج. شيخة).

(2) انظر ص 105 ت 216، ص 126 ت 287 ص 240 ت 9، ص 155 ت 406. (الرّحلة تحق بنشريفة).

(3) الرّحلة، ص 70 ت 64، (تحق بنشريفة).

(4) ومن هذا التّجنّي أن يتحدّث المؤلّف عن قرطبة فيضع المحقق تعليقا عن إشبيليّة ص 61 س 1 ت 16.

(5) الرّحلة تحق بنشريفة ص 68 ت 57..

ولو تأنّى د. بنشريفة ورجع إلى كتب اللّغة لوجد أن «أنساب» جمع نسب وهو القرابة. ولا معنى للعنوان بهذه القراءة. أمّا كلمة «مِنْشاب» فمِن نشب يَنشب نشبا ونشوبا الشيء في الشيء علق، والصيغة التي جاءت عليها الكلمة صيغة مبالغة «مِفْعَال». لقد قصد المؤلّف أن تكون رحلته كالآلة التي يعلق بها كلّ شيء، وبالتّالي تلتقط الأخبار، أمّا كلمة تذكرة فاستعملها ابن الصبّاح في معناها الدّيني لأنّه أشار في خاتمة كتابه (ص 272ظ) أنّه كتب رحلته ((«عبارًا»[1] وإخبارًا) أي عبرة وإخبارًا لإخوانه من المدجّنين أمثاله الذين بقُوا مثله في الأندلس بعد سقوطها بيد الإسبان. وغايته هو التّعريف بأرض الإسلام المترامية الأطراف لتعزيز الرّوح الدّينيّة في نفوس المدجّنين بالأندلس.

والغريب في هذه القراءة لعنوان المخطوط[2] أنّ المحقّق قام بالتلاعب بالعنوان، فقد أصبح في النصّ المحقق (ص 68 س 16) على النّحو التّالي : «أنساب الأخيار وتذكرة الأخبار». وبهذا يكون لهذه الرّحلة عنوان على الغلاف وعنوان ثان مختلف عن الأوّل في النصّ المحقّق. وهذا الاختلاف مردّه : إمّا التسرّع وإمّا أنّه قدّم كلمة الأخيار لتكون مناسبة لكلمة «أنساب» التي اقترحها لكلمة «نساب». ونحن نرجّح أنّ ابن الصبّاح جاء بعنوان مسجّع لرحلته كما يفعل كبار الكتّاب، لذا نميل إلى قراءة كلمة «نساب» نسبة، فيصبح العنوان :

«نِسْبَة الأخبار وتَذْكرة الأخيار»

والنّسبة كما جاء في لسان العرب[3] : مصدر الانتساب : لقد أراد الكاتب أن ينسب الأخبار في رحلته إلى أصحابها وأن يجعلها عبرة لإخوانه المدجّنين. زيادة على ذلك فإنّ وزن كلمة «نسبة» قريب جدًا من وزن كلمة «تِذكرة». وبذلك

---

(1) قام د. بنشريفة بحذف كلمة «عبارًا» رغم وجودها ووضوحها في المخطوط (انظر : الرّحلة تحق بنشريفة ص 230). كما قام بقراءتها «اعتبارًا» دون إشارة إلى ذلك في الهامش (انظر مقدّمته ص 18 س 3).

(2) انظر المخطوط ص 20 ظ.

(3) لسان العرب. ط 1988 ج 14 ص 118.

يكون في العنوان المقترح إيقاعًا وسجعا معا. وهذا ما يريده القدامى من وضع عناوين مؤلّفاتهم.

3-**مكان كتابة الرّحلة** : ذهب الدّكتور الشتيوي في أطروحته أنّ ابن الصّبّاح كتب رحلته في مدينة المريّة «معتمدًا في ذلك على قوله : « وكتبه بالأمريّة من ضعف بصره»». وقد قام د. بنشريفة – جازاه الله خيرا- بإصلاح هذا الخطأ، فالمقصود هو أنّه كتب رحلته مستعينا بالأمريّة، وهي تقريبا ما أصبح نطلق عليه اليوم بالنّظارات والكلمة من الدّارجة الأندلسيّة. وما زال البحّارة بتونس إلى اليوم يطلقون اسم «المرايا» على آلة ينظرون بها في أعماق البحر لاصطياد الإسفنج. وتسرّع د. بنشريفة كعادته ونسب هذه القراءة إلى جمعة شيخة[1] بينما الأمر هو من اجتهاد الدّكتور الشتيوي.

وذهب د. بنشريفة إلى أنّ ابن الصبّاح كتب رحلته بوهران مستنتجا ذلك من كلام ابن الصبّاح عندما تحدّث عن وهران قائلا : « مدينة وهران هي اليوم وطن الحاج المذكور (يقصد نفسه) حتّى يتأتّى الله بالخروج منها إمّا بالموت وإمّا بالحياة»[2]. وقول ابن الصباح هذا يجب ربطه بقوله : «اعلم أيّها القارئ والمستمع أنّني الحاج المذكور مرضت في هذه البلدة (أي وهران) عامين إثنين لم نخرج على بابي من الجرب وانكسار الدّم»[3]. وهكذا نلاحظ أنّ ابن الصّبّاح مرض بوهران أثناء رحلته ذهابا، وبقي فيها سنتين للمعالجة والنّقاهة ثمّ خرج منها وواصل رحلته لأنّه لا يمكن لابن الصّبّاح أن يكتب رحلته وهو مازال في بدايتها. هذا وقد قال متحدّثا عن نفسه «واعلم أيّها القارئ أنّ كاتب هذا الكتاب هو شيخ كبير من أعمار الستّين إلى السّبعين...وأعرف أنّ بلادنا المدجّلة

---

(1) انظر مقدّمة بنشريفة ص 17 س 13.

(2) إنّ نيّة البقاء في وهران غير واردة في ذهن ابن الصبّاح. فهو يعتبرها مرحلة من المراحل في طريقه إلى الحجّ. (انظر الرّحلة تحق بنشريفة ص 95 س 8-9).

(3) اعتاد ابن الصبّاح في رحلته ذكر المدن والبلدان التي مرض فيها وذكر المدّة التي بقيها فيها : فزيادة على مرضه في وهران ذكر أنّه مرض في مكّة وبقي فيها أكثر من سنة (الرّحلة، تحق ج. شيخة، ص 121 س 6)، ومرض بالحمّى بديار بكر في جبل الجودي (الرّحلة، تحق ج. شيخة، ص 217 س 11).

(المدجّنة) من عمائر الأندلس لا فيهم شيخ تعلّم من شيخ إلاّ من النسّاخ والكتب وهي صُمّ بُكْم...»[1]، «فلا يضرّك إن كان خلل في التّرتيب والكلام وهجاء (نطق) الحروف، فذلك من طول المدّة عن المشائخ وعدم النّسخ»[2]، هل هذا الكلام ينطبق على وهران التي أملى فيها - بحسب زعم المحقّق- رحلته؟ إنّه ينطبق على بلاد شرقيّ الأندلس «بلاد الدّجال» وهي بلاد أصبحت كلّها، بعد رجوع ابن الصبّاح من رحلته وقد بقي فيها سنوات طوالا، بيد الإسبان. فخلت من شيوخ العلم ومن كتبهم ومن نسّاخها نتيجة للتعصّب الدّيني المقيت من لدن محاكم التّفتيش بإسبانيا. إنّ ابن الصبّاح لو كتب رحلته في وهران لما اشتكى من انعدام الشيوخ والكتب ونسّاخها. ففي الفترة التي كَتب فيها رحلته كانت وهران كغيرها من مدن المغرب العربي مثل تلمسان وفاس وتونس تعجّ بالعلماء والمكتبات مِمّا يمكّنه من تدقيق بعض معلوماته وإصلاحها. أمّا هو فقد أكّد أنّه كتب رحلته معتمدًا فقط على ما علق بذاكرته منذ بدايتها إلى نهايتها. وفوق كلّ هذا من الصعب قبول القول: إنّ ابن الصبّاح كتب رحلته بوهران ليستفيد منها إخوانه المدجّنون في شرقيّ الأندلس. ومن المؤكّد أنّه كتبها وهو غريب مع قلّة المال وكثرة العيال وانعدام الكتب التي يودّ الرّجوع إليها في جميع الأحوال. ومن الصّعب حسب رحلته أن نحدّد المكان الذي كُتبت فيه هذه الرّحلة التي أراد أن تكون «دبوانا» من آدم إلى زمانه[3] ولكن بما أنّ الجزء الأكبر من الأندلس سقط، ولم يعد فيها من يستطيع أن يستفيد من رحلته «أوجز وأقصر في الخطاب» إيمانا منه أنّه وإن فقدت القدرة لدى الأغلبيّة، فإنّ هناك من الأقليّة من سيكون له ولو جزء يسير من الفطنه «ويحصل الثّواب للجميع»[4].

4- **زمن الرّحلة وتاريخ كتابتها ونسخها** : يبدو أنّ ابن الصبّاح كتب رحلته بعد رجوعه منها، وكتبها من «دماغه» - حسب عبارته - أيّ ممّا علق بذاكرته،

(1) الرّحلة، تحق ج. شيخة ص 249.
(2) الرّحلة، تحق ج. شيخة ص 30.
(3) الرّحلة، تحق ج. شيخة ص 31.
(4) الرّحلة، تحق ج. شيخة ص 32.

ولتحديد زمان قيامه بهذه الرّحلة، لابدّ من الاعتماد على إشارات عابرة نجدها مبثوثة في أماكن متعدّدة منها :

أ- أنّه رحل وهو في مقتبل العمر[1] حتّى أنّه كاد أن يقع في حبّ امرأة نصرانيّة تقطن في إحدى القرى المسيحيّة بجوار القدس. وساعده في رحلته ما ورثه - كما يقول - من مال حلال عن أبويه[2]. وليس غريب - بعد أن طالت رحلته - أنّه كان يستثمر تلك الأموال في بعض الأعمال التجاريّة ليتمكّن من مواصلة رحلته التي دامت مدّة لا تقلّ عن عقدين : فقد خرج وهو شاب ما بين العشرين والثّلاثين من عمره، وكتب رحلته وهو شيخ ضعيف البصر، وقال : إنّه كان ما بين السّتّين والسّبعين واشتكى من كثرة عياله. هذا وقد تعرّض في رحلته إلى عدّة وعكات صحّية في وهران ومكّة وديار بكر[3]، فكان يضطرّ إلى قضاء عدّة سنوات في المكان الواحد للعلاج والنّقاهة. وقد شجّعه على إطالة إقامته في بعض البلدان - وخاصّة في بلاد الأتراك - ما كان يجده في مدارسها من غذاء لجسمه وروحه وعقله[4].

ب- أنّه بدأ رحلته من شرقيّ الأندلس، ودخل مدينة غرناطة وهي مازالت حاضرة إمارة بني الأحمر، وتباهى بأنّها كانت غصّة في قلب العدوّ وشجى في حلقه، ولم ينس ذكر بعض المعارك التي انتهت بانتصار كاسح لجندها على جند الإسبان، وغايته تشجيع أهلها على الثّبات. ولم يبخل عليهم بالدّعاء لهم بدوام النّصر والتّمكين في وطنهم. وانتهى من رحلته ومدينة القسطنطينيّة ما زالت بيد الرّوم، وإن كان حاكمها يدفع الجزية للسلطان التّركي في ذلك الوقت. وكان كلّ ذلك مدعاة فخر واعتزاز أكّد عليهما صاحب الرّحلة ليتبيّن لإخوانه المدجّنين

(1) الرّحلة، تحق ج. شيخة ص 192.

(2) انظر، الرّحلة، تحق ج. شيخة ص 133 س 12.

(3) انظر، الرّحلة، تحق ج. شيخة ص 58 وص 131 وص 217.

(4) بقي سنتين في وهران وحوالي عام في طرابلس، وأكثر من سنة في مكّة، وأربع سنوات في بيت المقدس، وأربع سنوات بمدرسة السلطان مراد في بلاد بني عثمان أيْ في جنوب آسيا الصّغرى (انظر الرّحلة تحق ج. شيخة على التّوالي ص 58 س 11، ص 68 س 11، ص 131 س 6، ص 200 س 3، ص 218 س 11).

عظمة الإسلام وعزّته[1]. وبتلك البداية وهذه النّهاية يمكن القول : إنّ الرّحلة قد تمّت في النصف الثاني من القرن 8/ 14. وكانت نهايتها في النصف الأوّل من القرن 9/ 15.

ج- أنّه ذكر أثناء رحلته شخصيات سياسيّة وعلميّة كانوا على قيد الحياة عندما مرّ ببلدانهم، من بينهم :

* أبو زيّان الثّاني محمد بن موسى (حكم ما بين 797/ 1394 إلى 802/ 1399)[2]. وقد أشاد صاحب الرّحلة بهذا الحاكم ودعا له.

* القاضي سعيد العقباني : مفتي تلمسان (عاش ما بين 720/ 1320 - 811/ 1408). وقد دعا له ولذرّيته، والمرجّح أنّ الدّعاء لهاتين الشخصيتين السّياسيّة والعلميّة كان بعد رجوع ابن الصبّاح من رحلته.

* محمّد البُلْقيني : وهو بدر الدّين محمّد بن سراج الدّين عمر بن رسلان البُلْقيني (عاش ما بين 753/ 1356 - 791/ 1389) . وقد أعبطه الموت وهو شاب في الرّابعة والثلاثين من عمره. ورغم صغر سنّه كان يلقّب بقاضي العسكر ومفتي دار العمل، هذا وقد خلط د. بنشريفة بينه وبين أبيه شيخ الإسلام عمر بن رسلان (عاش بين 724/ 1324 - 805/ 1403) وبسبب التسرّع نسب المحقّق لقب الأب إلى الإبن. وليس غريبا أن يكون ابن الصبّاح قد درس على الإبن وأبيه ولمّا طال به العهد اختلط عليه الأمر فالإثنان عاشا في نفس الفترة التي مرّ فيها صاحب الرّحلة بمصر[3].

---

(1) لا يمكن أن يفهم من هذا الاعتزاز تعصّبا ضدّ الأديان الأخرى، فابن الصّبّاح قدّم في رحلته نموذجا عاليا من التّسامح : فهو يعذر المسيحيّين في عبادتهم لعيسى لِمَا وقع من التباس في أمره. وهو نفسه وسوس له الشيطان ولم ينقذه إلا ما جاء في القرآن من آيات تذكّرها في الوقت المناسب. وهو لا يعذر المسيحيّين فقط في عقيدتهم وإنما هو بتسامحه يجد عذرًا لمن يعبد الشمس والنّار والظّلمة والنّجوم (انظر ص 74، ص 229، الرّحلة تحق ج. شيخة)، انظر كذلك ص ب، ت 1.

(2) ذكر د. بنشريفة إنّه (حكم من 796/ 1393 – إلى 801) 1398. ولم يشر إلى المصدر الذي اعتمد عليه (انظر تحقيقه ص 94/ ت 165). هذا وقد قد رجعنا إلى دائرة المعارف الإسلاميّة (EI 2 ج I / ص 95) لإصلاح هذا الخطأ.

(3) انظر شجرة هذه العائلة في EI 2 ج I / ص 1349.

* السّلطان التّركي مراد الأوّل بن أورخان بن عثمان حكم (من 761/ 1359 - 792/ 1389). وفي عهده كان حاكم القسطنطينيّة يدفع له الجزية.

بهذه القرائن يمكن القول : إنّ الرّحلة تمّت خلال النصف الثاني من القرن 8/ 14 وأنّ صاحبها أملاها في بداية النّصف الثاني من القرن 9/ 15. أما النّسخة التي بين أيدينا المعتمدة في التّحقيق فهي نسخة كتبت بعد وفاة المؤلّف[1] وبعد سقوط غرناطة. وما الدّعاء بعودتها إلى حظيرة الإسلام في النصّ إلاّ إضافة من النّاسخ في زمن متأخّر أمّا المؤلّف فقد دعا لها وهو في طريق الذّهاب بالثّبات أمام العدوّ ودوام النّصر عليه.

II-الخطر الجسيم في المنهج العقيم :

المنهج هو أمر أساسي في التّحقيق لإخراج التّراث بعد تحقيقه في صورة تحبّذ قراءته وتعين الباحثين على الاستفادة منه آجلا أو عاجلا، أمّا محقّق رحلة ابن الصبّاح فقد أخفق منهجيّا في تحقيق الهدفين معا. وأكبر خطأ منهجي وقع فيه د. بنشريفة هو تدخّله - غير الشرعيّ - في النصّ.

1) **التدخّل غير الشّرعي في النصّ** : لم يفهم المحقّق الهدف من تحقيق هذا النّوع من النصوص، فليس المقصود منها تقديم معلومات تاريخيّة أو جغرافيّة صحيحة، وإنّما المقصود هو تقديم هذه المعلومات كما جاءت في المخطوط. وليس المقصود هو تقديمها في لغة سليمة وإنّما المقصود هو المحافظة على لغة المؤلّف. وفي نظرنا، المنهج الصحيح في التّعامل مع هذا النصّ يكون على النّحو التّالي :

أ- أمّا أن يُترك النصّ كما وضعه مؤلّفه وناسخه، ونصلح ما بدا لنا من أخطاء في الشكل والمحتوى في الهامش.

ب- وإمّا أن نصلح النصّ المحقّق لكن لابدّ من الإشارة إلى ذلك في الهامش وإيراد النصّ (حرفا أو كلمة أو عبارة أو جملة) في الهامش.

---

(1) لهذا السّبب تكرّرت عبارة : «قال المؤلّف رحمه الله» مرارًا عديدة في النصّ.

ح- وإمّا الجمع بين الطريقتين باستعمال إحداهما حسب ما يقتضيه السّياق، فنصلح الأخطاء البسيطة في النصّ ذاته. ونترك بقيّة الأخطاء فنصلحها في الهامش. لكن لابدّ من التّنصيص على ذلك في الحالتين حتّى يعرف القارئ ما هو للمؤلّف وما هو للمحقّق، وقد اتّبعنا في تحقيقنا هذه الطريقة الثّالثة.

ومع الأسف لم يتبع د. بنشريفة أيّة طريقة منها، بل قام :

أ- **بالإصلاح**، دون إشارة في الهوامش إلاّ في مواضع قليلة لا تتجاوز أصابع اليد[1]. والغريب أنّ المحقّق يعترف في أماكن مختلفة أنّه هذّب النّصّ وقوّمه[2]، ويتبجّح بأنّه فعل ذلك «دون أن يذكر ذلك»[3]، وهذا هو الخطر الجسيم لأنّ القارئ لم يعد يفرّق بين كلام المؤلّف وإضافات المحقّق أو إصلاحاته، وبذلك أُلغي الهدف الأكبر من تحقيق النصّ. وقد زاد الطين بلّة أنّ المحقّق - خلافا للمنهج السّليم - ألغى - عن قصد أو عن غير قصد - ذكر رقم صفحات المخطوط بين معكّفتين سواء داخل النصّ أو في الطرّة اليمنى منه حتّى يسهل للقارئ أو الباحث - إن أراد - الرّجوع إلى الأصل إذا لم تقنعه قراءة المحقّق، لكن. د. بنشريفة لم يفعل ذلك لتسرّعه في إخراج النصّ فانتفت كلّ فائدة علميّة من عمله.

ب- **بالحذف** : وضع د. بنشريفة في تحقيقه لرحلة ابن الصبّاح قاعدة جديدة في منهج تحقيق النصوص، وهي قاعدة **الحذف** لكلّ ما تعذّر عليه فهمه من النصّ. وأكيد أنّ هناك ما لا يمكن فهمه في نصّ ابن الصبّاح، لكن منهجيّا عدم الفهم لغموض النصّ لا يوجب الحذف. وما لم نفهمه عند التّحقيق قد يفهمه غيرنا عند القراءة. وإذا اضطررنا إلى الحذف وجب لزوما الإشارة إلى ذلك في الهامش، وهذا ما لم يفعله د. بنشريفة. ومع الأسف نجد هذا الحذف في غالب صفحات النصّ المحقّق إن لم نقل كلّها. هذا وقد قمنا باستقصاء كلّ

---

(1) الرّحلة، تحق بنشريفة ص 75 ت 90، ص 62 ت 19م.

(2) الرّحلة، تحق بنشريفة ص 75 ت 94، ص 22 ت 271 م ص 167 ت 434.

(3) « « ص 168 ت 436. وفي الغلاف يتبجّح المحقّق وبخطّ غليظ بأنّه «هذّب (نصّ الرّحلة) وأصلح خللها». وهذا من المضحكات المبكيات.

مواطن الحذف في النصّ وهي على أنواع، وخوفا من الإطالة اخترنا نماذج من كلّ نوع حسب الجداول التّالية :

الجدول الأول : حذف كلمة

الصفحة/ السّطر[1]	المحذوف	موقعه
64/ 2	خيوف	بعد «رأيت»
70/ 14	وضعه	بعد «الأرض»
123/ 3	متاع	بعد «منشار»
213/ 15	لا	بعد «هؤلاء»
222/ 10	جمار	بعد «الجير»

الجدول الثاني : حذف كلمتين

الصفحة/ السّطر	موقعه
122/ 7	بعد «المشهور»
124 / س 2	بعد كلمة «المصامدة»
126/ 3	يعد «سواء»
128/ 5	بعد «نخرج»[2]
130/ 14	بعد «المقدّسة»
137/ 1	بعد «رفيقًا»

الجدول الثالث : حذف كلمات

الصفحة/ السّطر	موقعه
90/ 1	بعد «فاس»

(1) الإحالة هنا على الرّحلة تحق بنشريفة.

(2) أشار المحقّق إلى هذا الحذف في التعليق ص 128 رقم 300.

6 /111	بعد «السّودان»
8 /112	بعد «طبلخنة»
8 /123	بعد «ابن العاص»
4 /124	بعد «ثمانية»
8 /138	بعد «المشهور»
8 /142	بعد «ذراع»
17 /191	بعد «الكبار» (1)
13 /180	بعد «عذب»

الجدول الرابع : حذف جمل

الصفحة/ السّطر	موقعه
10 /82	بعد «خوارج»(2)
15 /103	بعد «سبحانه»
14 /109	بعد «حكم» (3)
8 /118	بعد «عمر وزّ»
2 /124	بعد «الصّعيد»
3 /131	بعد «موسى»
9 /142	بعد «الحائط»
18 /156	بعد «قبره» (4)

(1) في النصّ (تحقيق بنشريفة) 8 مدن بينما في المخطوط 14 مدينة.
(2) أشار إلى الحذف في ص 82 ت 126.
(3) في المخطوط نجد «كلّ من حكم الشمال يسمى خاقان، وكلّ من حكم اليونان يسمى إسكندر» هذه الجملة تصبح في النصّ المحقّق «كلّ من حكم الشمال يسمّى إسكندر».
(4) في المخطوط نجد : قبره قبالة حضرموت اليمن وهو على سريره من ذهب. هذه الجملة تصبح في النصّ المحقّق : قبره على سرير مذهب.

172/8	بعد «خارج المدينة»

الجدول الخامس : حذف فقرة

الصفحة/ السّطر	مقداره	موقعه
3 /140	8 أسطر	بعد «الشّريفة»
5 /140	فقرة	بعد «ذراعًا»
20 /140	نصف صفحة	بعد «لا تنحصر»
7 / 43	فقرة	بعد «عظيم»
85 ما بين س 5 و 6	فقرة	بعد «الموت»

ج- **بالتّغيير** : وكما كان التدخّل في النصّ بالحذف كان بالتّغيير، وهو يأخذ تقريبا نفس المراحل التي أخذها الحذف، والأخطر أنّ التّغيير[1] لم يكن في صالح القراءة السّليمة. وقد وصل الأمر إلى أنّ النصّ في المخطوط هو الأصحّ والأصوب، وقد يكون التّغيير من دون موجب. والجدول التّالي يوضّح ذلك :

في المخطوط	في النصّ المحقق	الصفحة/ السّطر
يأخذ	يذهب	9 /120
المقصبة[2]	القصبة	17 /120
وصفنا من	وصفنا في	3 /118
ولذلك سمّيت الكعبة، شبّهما بكعب ابن آدم	ولذلك سمّيت الكعبة فلمثلها يكعب بني آدم	5 /141
لا تنحصر	لا تنتهي	5 /140

(1) أشار المحقّق إلى هذا التّغيير في صفحات قليلة هي : ص 66 ت 42 و ص 75 ت 90. ص 200/ ت 529 وت 530 - ص 201/ ت 533 - 536 - 538 .

(2) المقصبة : الأرض كثيرة القصب : شبّه النّاس في كثرتهم بالمقصبة لكثرة قصبها. غيّرها إلى قصبة لأنّه تسرّع في فهم «المقصبة».

المقايضة	المعاوضة	34/ 5
المقايضة	البضاعة	105/ 8
مدرّقين بدراقهم	مدّرّرون بدراتهم (لا معنى لها)	160/ 13
أشدّهم	أشهرهم	163/ 11
على حال واحد	على علوّ واحد	140/ 11
إحدى عشرة عمرة	إحدى عشر عمرة	149/ 17
قلّيل [1]	قلّيل المال	136/ 1
ما أعطى الله لهذا الحرم من الوفاء ولأهله من الكفاء	ما أعطى الله قاصدها من الجزاء	137/ 16
أربعة	ثلاثة	59/ 14
حرور	حرّ	134/ 14
الترفّه	التمتّع	134/ 8
ينوي الحجّ	ينوي بالحجّ	134/ 3
نرجّح	نرجع	68/ 8
العُولة[2]	العيلة	165/ 3
ملك شيراز	ملك شروان	213/ 4
ألف سلاح	ألف سلام	209/ 18

(1) القلّيل بالدّراجة هو الفقير : غيّر الكلمة دون إشارة إلى ذلك فحجب الغاية من تحقيق النصّ.
(2) العُولة بالدّارجة : هي ما يُهيّأ من قوت وتوابل طيلة العام. أما العِيلة «دارجة» بمعنى: العائلة.

فرجموها	فرحموها	209/ 7
الدّردار	الدّردر	202/ 7
السّامرة	السّاهرة	184/ 6
إذاية	مجادلة	169/ 4
ياسرة[1]	يسير	110/ 2
موشّدة	متوسّطة	114/ 13
بركاتهم	بركاتهما	137/ 10
الآن	آدم	244/ 2
فيها صلبوا عيسى	فيها غيسى	106/ 9
فأراه	فأراده	106/ 9
شبعانو القلب[2]	شبعان القلب	105/ 10
الجبل	الجيل	138/ 5
حلق شعر رأسه	حلق شهر رأسه	251/ 15

د- بالزّيادة : قام المحقّق بإضافة كلمة أو عبارة أو زيادة عناوين دون إشارة إلى ذلك[3]. والجدول التّالي ببعض النّماذج يوضّح ذلك :

في المخطوط	في النصّ المحقّق	الصفحة/ السّطر
والفطانة	والفطانة والحذق والحذر	93/ 12
عجائب هذا البيت	عجائب هذا البيت الشّريف	140/ 5

(1) التغيير أفسد المعنى لأنّ «ياسرة» و«ياسر» دارجة بمعنى كثير، و«يسير» بالفصحى بمعنى غير صعب.

(2) وصف لأهل البادية يجعله خطأ وصفا للمسافر.

(3) انظر على سبيل المثال ص 115/ س 6.

بلاد هاروت	بلاد هاروت وماروت	224/ 15
بدّلوا وغيّروا وكان	وبدّلوا وغيّروا واختلف ملوكهم وكان	60/ 4
وأي غيار! غيّروا	وأيّ تغيير أكثر من تغييرهم	60/ 11
وهي مدينة	وهي 516 مدينة	205/ 15
وتذهل	وتذهل الألباب	129 / 4
مصر	مصر وباختصار	112/ 9
الهدي	الهدي أي ०	134 / 7

هـ-**بالتّلخيص**[1] **أو تحرير النصّ ثانية** [2]: وتلك جرأة من المحقّق على النصّ لا يمكن أن تكون مقبولة في هذا المستوى من البحث، لأنّ القارئ يجد نفسه أمام نصّ ثان لا علاقة له بنصّ ابن الصبّاح والأمثلة على ذلك كثيرة[3].

هذا وقد بدا لنا أنّ العقم المنهجي في هذا التّحقيق لم يقتصر على هذا التدخّل غير الشرعي في النّص، وإنّما تمثّل في أوجه أخرى متعدّدة وهي :

1) **كيفيّة ذكر المصادر والمراجع** : من أبجديات التّحقيق أنّ يقوم المحقّق عند ذكر مصدر من المصادر أو مرجع من المراجع بالتّنصيص في الهامش - وخاصّة إذا ذكر لأوّل مرّة - على اسم المؤلّف وعنوان التأليف كاملا أو مختصرا، ومكان الطّبع وتاريخه. ورقم الجزء إذا كان الكتاب في أجزاء، وإذا كان الكتاب تحقيقا يذكر اسم المحقّق، وإذا كان معرّبا يذكر اسم المعرّب. وإذا كان الأمر يتعلّق بمجلّة فلابدّ من ذكر رقمها وسنة صدورها. وفي جميع الحالات لابدّ من التّنصيص على الصفحة أو الصفحات المستشهد بها. ومع الأسف أهمل محقق

(1) بالنّسبة إلى التّلخيص انظر ص: 137/ س 16، 138/ 13، 134/ 16، 139/ 18، 220/ 1، 221/ 13، 225/ 8، 223/ 4، 129/ 6، 228/ 19، 182/ 1، 168/ س3، 162/ 3.

(2) بالنّسبة إلى التّحرير انظر ص: 73، 219، 90، 219، 97، 177، 162.

(3) انظر ت 1 و ت 2.

رحلة ابن الصبّاح - وهو في عجلة من أمره- كلّ هذه التدقيقات الهامّة كلّيا أو جزئيا. والجدول التّالي يقدّم نماذج من هذا التسرّع سواء في مقدّمة المحقّق أو في النصّ المحقّق[1] :

الصفحة/ التعليق	المؤلّف	العنوان	المعرّب	المحقّق	الطبعة	المكان/ الزّمان	الجزء/ الصفحة
ص9/ ت1	−	+			−	−	+
ص9/ت2	−	+		+	−	−	−
ص9/ت3	−	+		+	−	−	−
ص9/ت4	−	+	+	+	−	−	+
ص10/ت7	+	+			−	−	+
ص11/ت8	−	+			−	−	−
ص28/ت77	−	+			−	−	+
ص28/ت78	+	+	+		−	−	+[2]
ص29/ت80	−	+					+
ص32/ت 91	+	+			−	−	+
ص35/ت101	+	+			−	−	−[3]
ص41/ت 117م	+	+	−	−	−	−	−
ص57/ت8	+	+			−	−	−
ص58/ت9	+	+			−	−	−[4]

(1) وضعنا علامة (+) لما هو موجود وعلامة (−) لما هو ناقص. أمّا الفراغ فيدلّ على أنّ المصدر المذكور ليس من الصنف المشار إليه في الجدول.

(2) رغم أنّ المحقّق يذكر بعض المعلومات إلاّ أنّه يذكرها بطريقة لا يستفيد منها الباحث، يقول في هذا التعليق (انظر كتاب : سليمان القانوني تأليف أ. كيلو ص 22، تعريب الرّزقي)، من هو الرّزقي؟ نُكمل النّقص فنقول هو الأستاذ الجليل التونسي محمّد الرّزقي.

(3) وفي هذا التّعليق يحيل على المخطوط ولكن لا يذكر الصفحة، لذا نتساءل عن الفائدة التي ستحصل للباحث إذا أراد أن يتثبّت من هذه المعلومة؟.

(4) يذكر رقم الجزء ويهمل رقم الصّفحة.

ص81/ت117	+	+			+	+	–
ص92/ت160	+	+			–	–	–[1]
ص109/ت228	+	+			–	–	–[2]
ص112/ت238	+	+			–	–	–[3]
ص124/ت281	–	+			–	–	–[4]
ص153/ت401	–	–	–	–	–	–	–
ص207/ت461	–	–	–	–	–	–	–
ص208/567	–	–	–	–	–	–	–
ص 96/ت174، 175	–	–	–	–	–	–	–

وممّا زاد الطين بلّة نتيجة للتسرّع :

-أنّ المحقّق لم يضع في الفهارس قائمة في مراجعه ومصادره حتّى يتلافى ما وجد في الهوامش من نقص.

-أنّه يخطئ في ذكر الصفحات التي يحيلك عليها في المصادر والمراجع سواء في مقدّمته[5] أو في النصّ المحقّق[6] .

(1) يقول : «ومقتطف من نظم الدّر والعقبان (بالباء) : 138: 139 (هكذا).

(2) يحيل على «المقامة النّخليّة» لأبي الحسن النباهي المالقي، يقول: إنّها مخطوطة مع أنّ هذه المقامة حقّقتها حسناء الطّرابلسي في حوليات الجامعة التّونسيّة 29/ 1988 ص 199 تحت عنوان : مقامة تفضيل النّخلة على الكرمة.

(3) نفس الملاحظة بالنّسبة إلى ص 108/ 226.

(4) عوض أن يذكر نماذج من الرّحلات الحجازيّة التي ذكرت المزارات يقول : «وهي مطبوعة ومعروفة».

(5) انظر على سبيل المثال لا الحصر ص 18/ ت 35 يحيل فيها على ص 226 وهذا خطأ والصحيح ص 230، وفي ص 39/ ت 109 يحيل على 292 والنصّ ينتهي ص 258، ويحيل في ص 42/ ت 118 على ص 225 وهذا خطأ والصّواب ص 229.

(6) انظر على سبيل المثال لا الحصر ص 162 ت 426: يحيلك على ص 168 من رحلة ابن جبير وهذا خطأ والصحيح ص 160.

وبصفة عامّة إن كلّ الهوامش المتعلّقة بالإحالات على المصادر والمراجع هي إحالات ناقصة[1] أو غير مفيدة[2] أو حاجبة للمعلومة[3] .

2- الهوامش : هي المعيار الحقيقي لنجاح المحقّق في عمله، فبدقّتها وضبطها تُمكّن الباحثين من فهم النصّ المحقّق والاستفادة منه، لكن مع الأسف ما وقع في رحلة ابن الصبّاح عكس ذلك تماما، فالاستفادة من الهوامش هي من الصعوبة بمكان بما فيها من تسرّع أدّى إلى أخطاء في الإحالات حرمت القارئ والباحث من تتبّع كثير من الإشارات العلميّة الهامّة[4]. وأهمّ خطإ يتكرّر في الهوامش هو أن يحيلك المحقّق على صفحة في النصّ بينما الأمر يتعلّق بصفحة أخرى. وفي الجدول التّالي نماذج من هذه الأخطاء.

الصفحة رقم التعليق	الملاحظة حسب التسلسل
122/ 171م	هذا الرقم هو 271م
111/ 234	نجد رقما لتعليق في الهامش ولا نجد ما يناسبه في النّصّ. ومن المفروض أن يُوضع هذا الرّقم في س13 بعد كلمة «يصيب».
42/ 118، 43 / 12	يحيل على صفحات في النصّ المحقّق فلا نجدها فيه.
240/ 9	هامش لا يفيد شيئا وفيه تجنٍّ على المؤلّف.
96/ 174، 175	» » » » » » .

(1) انظر ص 20/ ت 47.

(2) انظر ص 22/ ت 54، 55، ص 23/ ت 57، ص 124/ 278، ص 125/ ت 283. وعلى سبيل المثال: هل يستفيد الباحث من التعليق التالي: بعد أن يذكر المصدر يضيف : إشراف. عبد الحميد الهرّامة (ص 91/ ت 156)، أو يقول في ص 101/ ت 194 : «ورد ذكر المعلّقة عند البكري والزّهري والإدريسي والحميري»، دون أن يذكر الأجزاء والصفحات التي تشير إلى المعلومة.

(3) انظر ص 20/ ت 45.

(4) أكيد أنّ بعض هذه الملاحظات عليها بصمات د. بنشريفة بعلمه الغزير.

229/ س 15 بدون ذكر رقم ت	يضع في أسفل هذه الصفحة تعليقا بدون رقم ولا إشارة إلى رقمه في النصّ. والأغرب هو قوله في هذا التّعليق : «راجع ما كتبناه في الدّراسة أي المدجّنة».
108/ 226	ماذا يفيد الباحث قوله في هذا التّعليق : «راجع الدّرر الفرائد للجزيري».
49/ 161م	لا توجد إشارة إلى رقم 161م في ص 49 يقول في هذا الهامش : «الآية 29 من سورة «ص» إلى أوّل ص 50. هذا ولا توجد آية في هذه الصفحة.
50/ 161م	كرّر نفس الرّقم وقال فيه : «الآية الخ»
49/ 158	يقول فيه : «انظر ص...» وعلى القارئ أن يفتّش عن الصفحة بنفسه.
44/ 127	نجد رقما لإحالة في النصّ س 16 ولا تجد شيئا في الهامش.
44/ 123م	يقول فيه « يوجد فصل آخر ولكنّه يقع في خمسة أسطر» لا يذكر مكانه[1]
35/ 98، 99	المعلومة من رحلة ابن بطوطة ورحلة العبدري والإحالة على رحلة ابن الصبّاح.
96/ 173	رقم التعليق موجود في النصّ ولا أثر له في الهامش.
104/ 210	هامش لا يفيد قال فيه : «لاحظ صاحب الرّحلة مثل هذا في تلمسان وفاس، انظر ص...» ولا يذكر الصفحة.
47/ 142	يحيل على المخطوط دون ذكر الصفحة.
242/ 2	يقول في الهامش «ذكرهم في موضع آخر» ولا يذكر هذا الموضع من الرّحلة.

(1) يوجد الفصل المشار إليه في ص 56.

161/ 422	هامش لا يفيد قال فيه «انظر هجرة بني هلال في العبر» في أي جزء وصفحة؟
161/ 423	هامش لا يفيد قال فيه «وقد تقدّم لصاحب الرّحلة مدح هؤلاء الهلاليين» في أيّ صفحة؟
191/ 504	نجد هذا الرّقم في النصّ / س1 لكن لا علاقة له بالتّعليق 504 في الهامش. بينما نلاحظ أنّ هذا الهامش له علاقة برقم 505 في النص / س 16.
190/ 503	هامش لا علاقة له بالنصّ / س 17.
184/ 487	» » » » » / س 5.
173/ 453م	يتعلّق الهامش بالسّطر 3.من النّصّ ويشير فيه المحقّق إلى نقص في النصّ الأصلي، وبالرّجوع إلى المخطوط لا نجد نقصا فكلام المؤلف مسترسل.
211	نموذج لعدم تسلسل الأرقام في النّصّ وعدم تناسبها مع الأرقام الموجودة في الهامش.
210/ 575، 576	أعاد نفس التعليق في الهامشين رغم أنّ ت 575 يتعلّق بس 1 و 576 يتعلّق بس 6.
205/ 555	رقم التعليق موجود في النصّ وغير موجود في الهاشم.
125/ 282	ذكر فيه المحقّق أنّ المؤلّف أخطأ بأن كتب المسرّة بالصاد «المصرّة» وليس هذا خطأ وإنّما هو نطق الكلمة بالدّارجة. ومن عادة أهل الأندلس تفخيم بعض الحروف كقولهم «إصبانية». عوض «إسبانية». وقد تكرّر ذكر هذا الإسم بالتفخيم في النصّ.
263/ 118	هامش لا يفيد. قال فيه : « نتذكّر بالمناسبة حكاية الفلاّح الفرعوني الفصيح، ثم لا يذكر الحكاية ولو تلخيصا ولا يذكر المصدر للرّجوع إليه.

4 /239	هامش غريب قال فيه « ابن خلدون : المقدّم[1] 16 - 19 شبّوح» [2]
115/ ت252	يقول : «في المخطوط «الشّرمزة»، وسيسمّيها بعد قليل «زرمة». مع أنّ الكلمتين لا علاقة لإحداهما بالأخرى: فالأولى : خف للنساء، والثانية خرطوم الفيل (انظر ص 116 س 12).
113/ ت242	يشير فيه إلى أنّ شيخ الإسلام البُلقيني ت 805/ 1403. وهذا هطأ لأنّ المتوفى في هذه السّنة هو عمر البلقيني بينما النصّ ص 113 س 6 وس 11 يشير إلى محمد البلْقيني.
93 /33	في هذا الهامش قال : «انظر (بهمزة قطعيّة) ص... (دون ذكر للصفحة).
210 /104	يحيل على صفحة في الرّحلة لكن دون ذكر لرقم هذه الصفحة. فما الفائدة التي سيجنيها الباحث من هذا التعليق؟
63 /25	في هذا التّعليق تجنّ على النصّ في المخطوط ففي النص اسم لمعركة «وقعة وادي آش» قرأها المحقّق «وقعة اسّر» و«أشر»، وافترض أنّها «أشكر... ويمكن أن يتواصل التكهن والافتراض. والكلمة واضحة في المخطوط.
32	يذكر في مقدّمته استشهادًا من الرّحلة وينسى سبب التسرّع ذكر الصفحة.
43 /20 55 ،54 /22	يذكر في مقدّمته استشهادًا من الرّحلة وعوض أن يذكر في التعليق مكانه منها يقوم بذكر مصدر آخر.

(1) خطأ مطبعي ويقصد : المقدّمة.

(2) يقصد مُحقّق المقدّمة إبراهيمَ شبّوح (انظر تعليقنا على هذه الطبعة في كتابنا «التحقيقات المفضوحة في خلع الأبواب المفتوحة» ط. تونس 2007).

41 /19	عوض أن يحيل في هذا التعليق على المصدر الذي أُخذ منه الاستشهاد، يحيلنا على كتابه : تاريخ الأمثال.
74 /27	يستشهد بفقرة من الرّحلة ويذكر الصفحة، ولكن عند الرّجوع إليها لا نجد الاستشهاد وإنّما نجده في صفحة أخرى[1]
22/ ت 53م س2	لا نجد ما يقابل هذا الرّقم في الهامش. ونجد عوضه رقم 53.
22/ س5 و س 6	نجد التعليق داخل النصّ لا في الهامش.
102/ ت 202 س 9	لا تناسب في رقم التّعليق بين النّصّ والهامش.

-هناك لخبطة في ترقيم الهوامش من رقم 266 في ص 180 إلى الرّقم 746 في 181، ثمّ إلى رقم 438 في ص 181. وفي النصّ يمرّ المحقّق من رقم 461 ص 180 س 11 إلى رقم 476 في ص 181 س 7. ويتواصل الأمر بإضافة 10 أرقام فيتضخّم العدد بدون موجب. وفي ص 122 / ت 482 يصبح في ص 183 ت 431 ويتواصل 432 - 433 ويصبح الرّقم الموالي في ص 184 - 487.[2]

- في كثير من الهوامش نجد مقارنة بين ما قاله ابن الصبّاح وابن بطوطة وابن جبير والعبدري وغيرهم ممّا أثقل النصّ دون فائدة لأنّه كان من الممكن أن يحيل المحقّق على هذه النّصوص بدقة دون ذكر الاستشهاد إلاّ في حالات نادرة تستوجب ذلك. ومنهجيّا تكفي الإشارة إلى المصدر بدقّة للرّجوع إليه.

وهكذا نلاحظ أنّ التسرّع هو الذي أفسد كثيرًا من تعاليق د. بنشريفة رغم أهمّية بعضها. فإذا كان الهدف من الهوامش هو التّوضيح، فقد أخطأ المحقّق المرمى عدّة مرّات فكان الفشل في هذا التّحقيق، لأنّ التّوضيح أصبح غموضا في حاجة هو الآخر إلى توضيح.

(1) نفس الملاحظة بالنّسبة إلى ص 27/ ت 75، وص 28/ ت 76 و ص 29/ ت 81، 82، 83 وص 30/ ت 87.

(2) إنّ الخطأ المطبعي ممكن، لكن في حدود معقولة، أمّا إذا كثر فيصبح غير مقبول خاصّة إذا كان سببه التسرّع.

3- **الأخطاء** : جاءت الأخطاء متنوّعة في مقدّمة المحقّق وفي النصّ المحقَّق[1] وفي الهوامش. وأوّل ما يعترضنا منها هو عدم التّفريق بين الهمزة الوصليّة والهمزة القطعيّة. وهي من الكثرة في الهوامش ما يمكّننا من القول : إنّها موجودة في كلّ صفحة، ففعل الأمر من «نظر» يكون بهمزة وصليّة، لكن المحقّق جعلها همزة قطعيّة. وفي الجدول التّالي نماذج من ذلك[2].

الصفحة: السّطر أو التّعليق	الخطأ	التّصويب
ص 10/ ت 5	أنظر	انظر
ص 81/ ت 117	»	»
ص 50/ ت 163	»	»
ص 56/ ت 29	»	»
ص 81/ ت 117	»	»
ص 161/ س 9	»	»
ص 251/ ت 4	»	»

ونجد نفس هذا الخطأ في كلمات أخرى، وفي الجدول التّالي دليل على ذلك.

الصفحة: السّطر أو التّعليق	الخطأ	التّصويب
ص 106 س5	الاسكندرية	الإسكندرية
ص 240 س 9 وت 8	الاهليج	الإهليج
ص 247 س 3	اثعر	أثعر
ص 186/ ت 492	ايرلندى	إيرلندى
ص 187/ ت 494	الاسبانيّة	الإسبانيّة

(1) ولا نقصد بذلك أخطاء المؤلّف في المخطوط، وإنّما أخطاء المحقّق في النصّ المحقَّق.

(2) هذا النّوع من الخطأ موجود في كلّ صفحة تقريبا سواء في مقدّمة المَحقّق أو في النصّ المحقّق. وقد ذكرنا مثالا من أوّل المقدّمة وثانيا من آخرها وثالثا من أوّل النصّ المحقّق ورابعا من وسطه وخامسا من آخره.

ص 242/ س 10	ابرهة	أبرهة
ص 247/ س 4	الارمن	الأرمن

ومن الأخطاء التي نجدها في هذا التّحقيق فتح الهمزة بعد فعل القول ممّا يرجّح أنّنا نقرأ نصًّا حقّقه مبتدئ، وننزّه د. بنشريفة عن مثل هذه الأخطاء : من ذلك أنّا نجد في ص 158 س5 «يقولون أنّ» وفي ص 254 س 9 «قال أنّ» الخ... أمّا بقيّة الأخطاء فنشير إلى نماذج منها في الجدول التّالي :

الصفحة: السّطر أو التّعليق	الخطأ	التّصويب
62/ ت 22	وفاة ابن أدهم 140/ 757	وفاة ابن أدهم 161/ 778
161/ ت 422	الأعلام I / 62	الأعلام I / 64
94/ ت 165	حكم أبو زيان محمد من 796 إلى 801	حكم من 797 إلى 802
82/ ت 125	قاءما	قائما
82/ ت 127	تأثيرهم على	تأثيرهم في
84/ ت 130	لم نصححا	لم نصححْها
89/ س 15	فلا تسئل	فلا تسأل
89/ ت 151	أما تحديد	أما تجد
110 س 2	من أعلى رأسه	من أعلى رأس جبل
110 س 16	مسئلة	مسألة
113/ ت 240	موصعا	موضعا
126/ت 257	تهافت	تفاهة
109/ س 14	محتضرا	مختصرًا
125/ت 282	النّصر	النصّ
34/س 9	أم	أو

171/ س10	ذفني	ذقني
219/ س12	فوق أسماؤهم	فوق أسمائهم
214/ س11	تجلّى	نَجَا
95/ س5	المربا	المجبى
99/ س 15	العدّة	العدوة
149/ت 372	الرّحل	الرّحلة
251/ س15	حلق شهر	حلق شعر
190/ س1	فيمن	في من.
178/ ت 463	فإنّهي	فإنّها
243/ س8	بهابها	بها
106/ س 8	أمّة	أمّه
101/ س8	بخروجهة	بخروجهم
241/ س14	مشقه	مشقّة
84/ س9	بأسى	بأسا
63/ ت28	قشالة	قشتالة
236/ س8	تهوّدت	تهاوت
161/ت 422	كنت	كتب
161/ س8	راوية	راية
81/ س 10	سواقي	سواق
163/ س12	كسى	كسا
150/ س2	هوهو	هو
142/ س7	بجسّ	بجصّ
245/ س3	فيابا	فيأبى

201/ ت534	لأنّه بأس فيه	لأنّه لا بأس فيه
198/ س 4	غاية	غابة
178/ ت 462	التحلية	النّخلة
74/ س 13	التّاديخ	التّاريخ
137/ 13	دافة	آفة
239/ ت 4	المقدّم	المقدّمة
208/ ت 567	سقطت القسطنطينيّة 848/ 1444	سقطت 857/ 1453
154/ ت 405	حبال	جبال
125/ س 14	ماغود	مأخوذ
161/ ت 422	كنت	كتب

4- الرّسوم : من الأشياء الطريفة في رحلة ابن الصبّاح ونادرًا ما نجدها عند غيره وضعه لخمسة رسوم: الأول للكعبة وما حولها[1]، والثاني للحرم النّبوي[2] بالمدينة، والثالث للمسجد الأقصى[3] بالقدس، والرّابع للحرم الإبراهيمي[4]. والخامس لعرفة والمزدلفة[5] أفسد المحقّق هذه الرّسوم بانتزاعها من السّياق الطبيعي لها في المخطوط ووضعها كملحق في آخر الكتاب[6]، ولم يقدّم لذلك سببا مقنعًا واكتفى بالقول (ص 168/ ت 438) : «سنثبتها في الملاحق».

وفي الحقيقة إنّ هذه الرّسوم هي جزء لا يتجزّأ من النصّ فهي أداة توضيحيّة وضعها المؤلّف لإخوانه المدجّنين ممّن لا يستطيع القيام بفريضة الحجّ، فهم لئن عجزوا عن رؤية هذه الأماكن المقدّسة في دنيا الواقع على الأقلّ يرونها في دنيا

(1) وضعه في ص267 ومكانه في النص ص137. تحق. بنشريفة (انظر ص116، 116م تحق. ج. شيخة).
(2) « « 268 « « ص 168. تحق. بنشريفة (انظر ص160، 160م تحق. ج. شيخة).
(3) « « 269 « « ص 187. تحق. بنشريفة (انظر ص188، 188م تحق. ج. شيخة).
(4) « « 270 « « ص 181. تحق. بنشريفة (انظر ص183، 183م تحق. ج. شيخة).
(5) وضعه في ص 267 ومكانه في النصّ ص 136. تحق بنشريفة (انظر ص 115، 115م. تحق ج شيخة).
(6) وضعها بين صفحتي 267 و 270.

الرّسوم بريشة الفنّ، وفي نفس الوقت يقرؤون وصفها بقلم الكتابة، لذا وجب أن يكون الوصف والرّسم متلازمين. لكن المحقّق فكّ عرى النصّ بانتزاع هذه الرّسوم من مكانها. وهنا يبدو لنا أنّ المحقّق - زيادة على التسرّع - أراد أن يبذل المجهود الأدنى فقام بتصويرها . وتصوير صفحات من المخطوط ليس تحقيقا لها وإن كانت رسوما. وزاد الطين بلّة أن فيها كتابة ليس من السّهل قراءتها. فمَن أولى مِن المحقّق ليقوم بضبط أسماء الأماكن الموجودة في هذه الرّسوم، وضبط النصّ المصاحب لها؟

5- **النصوص المُلْحقة** : إنّ أغرب ما نجده في هذا التّحقيق هو عدّة فقرات طويلة نسبيا من النصّ جمعها المحقّق بعد أن انتزعها من سياقها ووضعها باعتبارها من الملحقات في آخر الكتاب من ص 233 إلى ص 258. وعددها أحد عشر ملحقا، وهذا الجدول يبيّن مكان كلّ واحد منها في الملحق، والمكان الذي من المفروض أن يكون فيه.

رقم الملحق	مكانه في آخر الكتاب	مكانه المفترض أن يكون فيه
1	ص 233	ص 68/ س6 (صفحة)
2	ص 234 - 238	ص154 (5 صفحات)
3[1]	ص 239 - 240	ص 80/ س 2 (صفحتان)
4[2]	ص 241	ص 83/ س 4 (صفحة)
5	ص 242 - 245	ص 105/ س 4 (4صفحات)
6	ص 242 - 247	ص 160/ س11 (صفحتان)
7	ص 248	ص 122/ س10 (صفحة)
8	ص 249	ص 124/ س 2 (صفحتان)

(1) في هذا الملحق اعتدى المحقّق على النصّ فحذف منه فقرة كاملة (انظر ص 240/ س 19 بعد كلمة «الجانبين»).

(2) أشار في ص 235 ت 4 أنّ فقرة معترضة نقلها إلى ص 48، لكن بالرّجوع إلى هذه الصفحة واعتمادًا على المخطوط لم نجد هذه الصفحة.

9[1]	ص 251	ص 125/ س 7 (5 صفحات)
10	ص 256	ص 158/س 15 (صفحة)
11	ص 257	ص 213/ س 15 (صفحتان)

وهكذا نرى أن 24 صفحة بُترت من سياقها في النصّ الأصلي بدون موجب أو مبرّر، وهي تمثّل مع الرّسوم (4 صفحات) حوالي 1 /10 من النصّ، أيّ منهج في التّحقيق يسمح للمحقّق أن يفكّك عرى النصّ بمثل هذه الطّريقة؟

لقد قضى د. بنشريفة بهذا التدخّل العنيف على الهدف من تحقيق مثل هذا النّوع من النصوص، وحرم القارئ / الباحث من أن يكون بين يديه نصّ أصليّ كامل ومتماسك كما صدر عن مؤلّفه لا كما أراد له المحقّق أن يكون. وممّا يدلّ على أنّ المحقِّق تَعامل مع هذه الملاحِق باختصِار إهمالُه لها عند وضع الفهارس للنصّ المحقِّق، وجعلها في آخر الكتاب تحت عنوان: (نصوص لم تثبت في صلب الرحلة لخروجها عن السّياق ولما فيها من خلط).

6-الآيات : إذا كان هناك جزء من النصّ المحقّق يجب أن يتعامل معه الباحث بكلّ دقّة وضبط فهو الآيات القرآنيّة، وذلك بشكل الآيات شكلا تامّا وكتابتها بخطّ غليظ[2] مبرزًا بدايتها ونهايتها بمزهرتين، حتّى تتميّز شكلا كما تميّزت معنى. أمّا محقّق رحلة ابن الصبّاح فهو في عجلة من أمره لا يعطى أهمّية لكلّ ذلك، ورغم أنّ المؤلّف يحسن الاستشهاد بالنصّ القرآني بعد أن حفظه خفظا جيّدا في مكّة، فإن المحقّق لم يحسن استغلال هذا الجانب الإيجابي في رحلة ابن الصبّاح فوضع نفسه في مواقف حرجة من ذلك أنّه :

- يهمل الإشارة في الهامش إلى مكان الآية من النصّ القرآني[3].

---

(1) في ص 125 ت 282 يحيلنا المحقّق على الملحق رقم 9 وهو موجود في ص 251، وفي هذا الملحق يحيلنا المحقّق في التعليق رقم 4 من ص 251 (وهو في الحقيقة رقم 1 لأنّه لا يوجد غيره في هذه الصفحة) إلى الصفحة 155 من النصّ متناسيا تعليقه رقم 282 من الصفحة 125، وبالرّجوع إلى الإحالتين لا نجد النصّ المشار إليه.

(2) فعل ذلك في بعض الآيات (ص 98 س 15) ، وأهمله في آيات أخرى (ص 98 س 14، ص 136 س 16، ص 60 س 18).

(3) انظر ص 215 س 7، وص 229 س 2 و س4.

-ويهمل شكل النصّ القرآني، وهذا يشمل كلّ الآيات المستشهد بها في الرّحلة[1].

- ويهمل في الهامش أو في النصّ ذكر رقم الآية المستشهد بها. أمّا السّور فقد أهمل كلّيا ذكر رقمها، ومن باب أولى وأحرى نوعها مكيّة أم مدنيّة.

- يسرع فنجد في الهامش مثل هذا التّعليق في ص 491 ت 315م : «الآية... من سورة...».

- لا يحترم رسم المصحف ولا القواعد النّحويّة، وعلى سبيل المثال (ص 246 س 16) نجد الآية التّالية ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾، تصبح في النصّ المحقّق «وَمَنْ يُهْدِي اللهُ فَهْوَ المُهْتَدِي».

- يخطئ في ذكر رقم الآية : ففي ص 246 س 12 الآية في المصحف رقمها 97 يجعلها المحقّق خطأ رقم 47.

-يخطئ فيعطى الآية في ص 189 س 17 ت 502 رقم 161 ويجعلها من سورة الأعراف وهي في المصحف رقم 58 من سورة البقرة. وهو لا يكتفي بالخلط بين آيتين من سورتين مختلفتين، فيزيد الطين بلّة فيحذف كلمة «الباب» الموجودة في الآيتين .

- يحيلنا في ص 168 ت 437م على سورة «11 ك هود» الآية 67 والآية 94، بينما المؤلّف يستشهد بالآية 78 والآية 9 من سورة «7ك الأعراف».

- يحرّف الآية في ص 176 س 9 وذلك بإضافة الجار والمجرور «فيه» إليها.

- يحرّف الآية في ص 257 س 2 وذلك بإضافة كلمة «إثنين».

- لا يتفطّن في ص 156 س 9 - 10 أنّ المؤلّف ضمّن الآية 263 من سورة «2ك البقرة».

- يحرّف في ص 255 س 12، الآية فينصب كلمة «خيْرَ» فيها وهي في المصحف مرفوعة.

---

(1) انظر على سبيل المثال ص 76 س 13.

- لا يحدّد في ص 252 س1 بداية ولا نهاية للآية فتصبح وكأنّها من النصّ المحقّق، ولتسرّعه لا يتفطّن أنّه أشار في ت 5 من نفس الصفحة إلى مكانها في النصّ القرآني. ونفس الملاحظة تنطبق على الآية ص 254 س7.

- يحرّف الآية 15 في ص 58 س 15، من سورة «34 ك. سبأ». فكلمة «مَسْكَنهِم» في الآية تصبح في النصّ «مساكنهم» ، كما ينقص منها كلمة «شمال».

- يحرّف الآية في ص 229 س 3 فهي في المصحف : « أوَلو كان أباؤهم لا يعقلون» تصبح في النصّ المحقّق «أوَ لَوْ كَانَ آباؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ».

- يشير في ص 204 س 11 ت 552 إلى آية واحدة هي الآية 50 من سورة 74 ك. المدثّر، بينما الاستشهاد بآيتين 50 - 51.

- يغيّر في رسم الآية في ص 196 س 4، ففي المصحف «أين ما» تصبح في النصّ المحقّق «أيْنَما».

- يدمج في ص 123 س 12 - 13 آيتين فتصيران في النصّ آية واحدة[1].

- يخطئ في ص 113 س 1 ففعل «تركوا» في الآية يصبح في النصّ «تركو» (44 ك. الدّخان، الآية 52).

- يغيّر في ص 136 س 16، الجار والمجرور «من» في بداية الآية المستشهد بها بـ «مع».

7- الفهارس : يضع المحقّق الفهارس أساسا لإعانة الباحث على الاستفادة من النصّ المحقّق بأسرع وقت وأقلّ جهد. أمّا فهارس د. بنشريفة -وقد كلّف مَن وضعها - فلا تفيد شيئا، وسمتها الأولى والأخيرة التسرّع، فما فائدة فهارس الأعلام والأماكن إذا كانت الصفحات في الفهارس غير منسجمة مع الصّفحات في النصّ، فعلى سبيل المثال وبالنّسبة إلى :

(1) نفس الملاحظة بالنّسبة إلى الآية في ص 113 س 2 ت 240 فهما آيتان لا آية واحدة (انظر 89 ك. الفجر. آية 10 - 11). وكذلك في 113 س 1 يشير في التّعليق 239 أنّ الاستشهاد كان بالآية 25 من سورة « 44 ك. الدّخان». بينما الاستشهاد كان بالآية 25 وبداية الآية 26.

أ- الآيات : فالآية التي حدّدها الفهرس ص 279 س 2 على أنّها في ص 171 غير موجودة. وكذلك الآية في س 3 والآية في س 4 (ص 279) لا يوجدان في النصّ ص 149، كما أشير إلى ذلك في الفهرس.

ب- الحديث : وعلى سبيل المثال لا الحصر الحديث المشار إليه في الفهرس ص 284 س 1 لا يوجد لا في الصفحة 152 ولا في ص 157. وكذلك الحديث الذي ذُكر في الفهرس ص 285 س 11 لا يوجد في ص 156.

ج- الأعلام : لا نجد «أحمد الحدّاد» في ص 161 كما ذكر في الفهرس ص 286 س 7، و «حمزة الكُوفي» لا يوجد في ص 225 كما ذُكر في الفهرس ص 287 س 13.

د- الأماكن : ذُكر اسم «الينبع» في الفهرس ص 310 س 11 على أنّه موجود ص 131 وهذا خطأ، وكذلك «قبر عزيز» ذكر في الفهرس ص 304 س 14 أنّه موجود في النصّ ص 193 وهذا خطأ. ونقرأ في ص 202 «قبر إبراهيم بن أدهم» فلا نجد له أثرا في الفهرس.

وما ذُكر من أسماء الأعلام والأماكن في هذين الفهرسين أقلّ بكثير ممّا هو موجود في النصّ (قارن بين الفهارس في تحق. بنشريفة وفي تحق. ج. شيخة)[1].

8- **النّقص**: وينقص هذا الفهرس فهرسا للمجموعات والقبائل وفهرسا للشعر وإن كان قليلا وفهرسا للكتب المذكورة في النصّ، بل لا نجد فيه فهرسا عامّا لمحتوى الكتاب: والأغرب هو أنّك تجد فهرسا لبعض الأخطاء التي وقع فيها المؤلّف باعتباره يكتب أحيانا باللّغة الدّارجة لكن لا تجد إحالة على الصفحات في النصّ المحقّق. هذا ولا يرى المحقّق مانعا من فتح قوس دون إغلاقه[2]، ومن كتابة الشعر كالنّثر دون ذكر للبحر[3]، ويهمل التّنقيط في النصّ

(1) يشير الفهرس أنّ «البلقاء» موجودة في الصّفحات 179، 193، 201. وبالرّجوع إلى النصّ لا نجد هذا الإسم فيها.

(2) ص 41 / ت 117 س 2 منه.

(3) ص 234 س 10.

المحقَّق فيصبح في تسلسله كالمخطوط. وقد يرجع إلى السّطر بدون موجب[1]، ويجمع بين مقدّمته والنصّ المحقّق والملاحق في التّرقيم[2]

وبصفة عامّة سِمة هذا التّحقيق الذي لم نعهده من د. بنشريفة هو التسرّع وبذل المجهود الأدنى في تعامله مع هذا النصّ الطريف والغريب في نفس الوقت. وقد أدّى به هذا التسرّع إلى :

- الاستشهاد بنصّ واحد من رحلة ابن الصبّاح فتجده بصيغة في مقدّمة المحقِّق وبصيغة ثانية في النصّ وبصيغة ثالثة في المخطوط (انظر مقدّمة المحقِق ص 18 س 2 والنصّ المحقَّق 230 س 1، وفي المخطوط 273و).

- الإسم الواحِد نجده بصيغ مختلفة : فمؤرّخ السّلطان برقوق ويعرف بمحمّد الصادي، يذكره في النصّ باسم محمّد الصلدي (ص 161 س 7)، وفي التعليق (ص 161 ت 422 باسم محمّد الصادي وفي الفهرس (ص 291 س 10) يعود فيذكره باسم محمّد الصّلدي.

-وبالنّسبة إلى التّاريخ الهجري لا يبذل جهدًا لتحويله إلى التّاريخ الميلادي. وقد جرت العادة في التحقيق المنهجي وضعهما معا[3].

- التّملك (أي انجرار ملكيّة المخطوط): ذكر المحقّق أنّه موجود في آخر الرّحلة بينما يوجد التّملك في الورقة الأولى من المخطوط قبل بداية نصّ الرّحلة حسب المخطوط الوحيد في دار الكتب الوطنيّة بتونس. ويكفي - عند المحقِق المتسرّع - أن يشترك إثنان في الإسم حتّى يصبح الأوّل له علاقة نسب بالثاني : فمالك المخطوط هو على بن الحاج محمّد، هذا كافٍ لدى المحقّق ليرجّح أنّ من ذرّيته محمّد الحاج علي بن الحاج محمد بن محمّد بن عبد السّلام الشّريف الزّغواني الطرابلسي، وهو صاحب رحلة حجازيّة عنوانها «النفحات القدسيّة في الرّحلة الحجازيّة»[4]، ثمّ يرجّح بدون قرينة أنّ الزّغواني هذا هو كاتب مصطفى

(1) آخر ص 118 والسّطر الأوّل من ص 119.

(2) المقدّمة من ص9 إلى ص52، والنّص المحقّق إلى ص230، والملاحق من ص233 إلى ص 258.

(3) انظر على سبيل المثال ص 25 / س 3، وص 22/ س 13.

(4) هذه الرّحلة حسب ما ذكره المحقّق ص 10 س 12 موجودة في الخزانة العامّة تحت رقم 1836 د.

الطّرابلسي. ولهذا الأخير - حسب المحقّق - ترجمة جيّدة في كتاب أعلام ليبيا للزّاوي . وهكذا نمرّ من ترجيح ثان إلى ترجيح ثالث دون حجّة أو دليل مريح[1].

لا يرى المحقّق مانعا من المقارنة في اللّغة بين ابن الصبّاح والفقيه محمد القيسي التّونسي مع أنّ الفارق الزّمني بينهما حوالي قرن ونصف (ص18 - 19 من مقدّمة بنشريفة).

- يبدو المحقّق في مقدّمته وفي الهوامش غير واثق مِمّا يقول، لذا نراه يكثر من استعمال :

* «لعلّ» (انظر ص 10 س9، ص 142 س 15، ص 94 ت 168، ص 101 ت 191، ص 96 ت 169، ص 119، ص 265، ص 70 ت 66، ص 87 ت 145.

* «كأنّ» (انظر على سبيل المثال ص 48 س 9).

* «يبدو» (« « « « ص 11 س 4، ص 123 ت 273).

* «الظّاهر» (« « « « ص 42 س 18).

- لم يتفطّن المحقّق لتسرّعه أنّه في ص 158 س 16 خرج من صفحة إلى أخرى : من كلمة «تهامة» رجع إلى «اليمن» وهو نصّ مرّ سابقا.

- يعود إلى السّطر بينما الكلام مسترسل (انظر نهاية ص 112 وبداية ص 113). والعكس أي يواصل النصّ والصّواب هو الرّجوع إلى السّطر (انظر ص 110 س 3: بعد كلمة «كوكو» هناك فقرة جديدة ولابدّ من الرّجوع إلى السّطر).

- يحذف جزء من النصّ من سياقه في ص 70 ويقوم بتلخيصه في ت 64 ثمّ يحيلك على الملحق رقم 2 بتلخيصه في ت 64 ثمّ يحيلك على الملحق رقم 2 ص 234. وهذا من النّاحية المنهجيّة محظور.

- يحيل في التعريف بابن الجزّار على معجم المؤلّفين وهو مرجع عام، ويترك دائرة المعارف الإسلاميّة وهي المختصّة (انظر ص 47 ت 143، الرّحلة تحق بنشريفة).

---

(1) انظر هذا التّرجيح وترجيح التّرجيح ص 10 من المقدّمة.

-كما يحيل على طبعة قديمة صعبة الاستعمال ويترك الطبعة الحديثة السّهلة الاستعمال (انظر ص 48 ت 152، الرّحلة، تحق بنشريفة).

الخاتمة :

إنّ هذا التحقيق يمثّل جرأة على مخطوط فريد من نوعه لم نعهدها من د. بنشريفة القيام بها في ما حقّق من نصوص وهي كثيرة. فلماذا فعلها مع هذا النصّ بالذّات؟ إن عدم فهم خصوصيّة النصّ والتسرّع لقطع الطريق عن الغير ممّن قضى زمنا ليس بالقصير في العناية بهذا المخطوط هما السّبب - في نظرنا - لما رأيناه من هفوات شوّهت نصّ ابن الصبّاح شكلا ومتحوى. ونرجّح أنّ د. بنشريفة عهد بهذا العمل لأحد مريديه ممّن لم يتمرّسوا بالمنهج العلمي الصحيح في تحقيق المخطوطات، ولم يجد هو من الوقت ما يمكّنه من مراجعة العمل.
إنّ كلّ ما رأيناه من مطبّات في هذا النّص يجبرنا على إعادة تحقيقه خدمة للتّراث الموريسكي الأندلسي، وبالله التوفيق.

تونس 29 / 11/ 2011

النصّ المحقّق

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد و...

الحمد لله الذي ابتدأنا بالنعم قبل استيهالها واوجدنا
من العدم وعرفنا عوارف فضله وسوابغ
منته فامعن بجمال نوالها وصورنا في الارحام
كيف شاء بقدرته وبديع حكمته احسن الصور
وابدعها على اختلاف اجناسها وتباين
اشكالها فاخرجنا من ظلمات الاحشاء الى
فسيح الفضاء ورايق نسيم الهواء وذلك
من عظيم فضله وانعامه الى ربوبية تعالى جلاله
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
ونشهد

وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
وَبَعْدُ فَهَذَا الكِتَابُ مُخْتَصَرٌ [illegible]
الأَنْدَلُسِ وَمَا فِيهَا مِنَ الخَصَائِصِ فِي
العَادَاتِ وَضَرْبِ السِّكَكِ مِنَ الذَّهَبِ
وَالفِضَّةِ وَالفُلُوسِ وَالأَكْيَالِ وَالمَوَازِينِ
وَالأَسْعَارِ وَصِفَاتِ مَعَايِشِهِمْ وَأَسْبَابِهِمْ
فِي التِّجَارَاتِ وَصِفَاتِ لِبَاسِ الرِّجَالِ
وَالنِّسَاءِ وَأَهْوَاءِ البُلْدَانِ وَلُغَةِ كُلٍّ مِنْهُمْ
وَأَمَّا الغَالِبُ عَلَى اللُّغَاتِ مِنَ الحُرُوفِ
المُعْجَمِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ لُغَةُ كُلِّ إِقْلِيمٍ وَمَا إِلَيْهِ
فَتَنْسُبُهُ إِلَى مَوْضِعِهِ بِحَاسَّةِ سَمْعِكَ
وَقُطَّانِهِ حَذْوَكَ حَتَّى لَا تَخْفَى مِنْهُمْ
خَافِيَةٌ وَاللهُ المُوَفِّقُ لِلصَّوَابِ وَالإِلْهَامِ

ص1 مخ

الفارق والمستمع ابن نغوار رحمه الله من قرا
كتابنا ووجد فيه خللا او اصلحه او وجد
نقصانا فليكمله فلا بد عن مخلوق في الكمال
الا جاهل بل المخلوق في جميع احواله الا من
هدى الله سبحانه واعلم ان كاتب هذا الكتاب
الحاج المذكور وهو شيخ كبير من اعمار
الستين او السبعين كتبته بلا مرية من
نقص البصر ولكن حملنا على كتبه
طلب الثواب ونرجوا ما عند الملك الوهاب
وان عرفت بلادنا المذكورة جملة من عجائب
الا انه اسر الا فيهم شيء نعلم من شيخ الا
من النساخ والكتب عليهم بما يكفيا
فلابد من شيخ بربه شخوصها. و الا

فنصف العلم عند ذ ضائع. تعلم ان
منهم مسافر في طلب العلم باختصارنا
هذه بما ارتحله في هذا الكتاب عجائبا واخبارا
اعلم بما في ارض الله من البلاد والعمائر
والاسلام من امة محمد صلى الله عليه وسلم
وعلى جميع النبيين والحمد لله رب العالمين

ص أخيرة مخ

[1ظ] بسم الله الرّحمان الرّحيم
وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله أجمعين

المقدّمة:

الحمد لله الذي ابتدأ بالنعم قبل سؤالها، فأوجدنا من العدم، وعرّفنا عوارف فضله وسوابغ منّته فأفعم(1) سِجال(2) نوالها، وصوّرنا في الأرحام بباهر قدرته وبديع حكمته في أحسن الصّور وأبدعها على اختلاف أجناسها، وتباين أشكالها، فأبرزنا(3) من ظلمات الأحشاء إلى متّسع الفضاء ورائق نسيم الهواء. وذلك من أعظم الشواهد(4) لمقام الرّبوبيّة بعلاء جلالها، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له(5) **[2و]** ونشهد(6) أنّ محمّدا عبده ورسوله.

وبعد فهذا كتاب مختصر من تاريخ الأندلس، وما فيها من الخصائص والعادات وصرف السّكوك(7) من الذّهب والفضّة والفلوس(8) والأكيال والموازين والأسعار(9)، وصفات معاشهم وأسبابهم(10) في التجارات(11)، وصفات لباسهم: الرّجال والنّساء، وأهواء البلاد، ولغة كلامهم. وأمّا الغالب على اللّغات من الحروف العجم(12) ، حتّى يتبيّن لك لحن كلّ إقليم ومُلك(13)، فتنسبه إلى وطنه بحاسّة سمعك وفطنة حذقك وحتى لا تخفى عليك منهم خافية. والله الموفق للصّواب.

---

(1) أفعم الإناء ماء : ملأه. (2) جمع سَجْلُ : وهو الدّلو العظيمه فيها ماء قلّ أو كثر.
(3) في الأصل : فأبرز .(4) في الأصل : شاهد.
(5) هذا القسم كُتب بخطّ مغاير لبقيّة المخطوط. ونلاحظ أنّ أسلوبه مغاير لأسلوب بقيّة النصّ، ولعلّه من حفظ المؤلّف .
(6) تغيّر الخط وتغيّر الضمير من «أشهد» إلى «نشهد».
(7) أي النقود.(8) نقود النّحاس.(9) في الأصل : السعار.(10) أسبابهم : وسائلهم.
(11) يَجمع ابن الصباح تجارة جمعَ مؤنّث سالم على عادة أهل الأندلس في لهجتهم.
(12)أي أغلبيّتهم يتكلّمون بلغات أعجميّة.(13) في الأصل : مالك. والمقصود كلّ إقليم ومملكة.

والأقاليم[2ظ] التي لم أدخلها نَصِفُها(1)على لسان أهلها وسكانها لأنّي(2) جاورتهم رجاورونا، ورصفوا لنا خصائص بلادهم ومواطنهم، وسيأتي ذكرها إن شاء الله كلّ واحد في مكانه على ما قدّرناه في أسفارنا ومجاورة البلاد بالتكرار والعَودة إن شاء الله.وأوّل ما أبتدئ به وبالله التّوفيق : **فصل في وصف جزيرة الأندلس** ووطن المؤلّف وموضع مسقط(3) رأسه وتربيته وقبور والديْه وأجداده من وقت فتح(4) الأندلس على خلافة بني أميّة. ولولا التّطويل لذكرنا القصّة كاملة في انتقال أجدادنا من بلاد اليمن وهي [3و] البلدة الطيّبة لقوله تعالى ﴿**بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وربٌّ غَفُورٌ**﴾(5). ولكن نختصر منها ما يكفي العاقل الفهيم في قصّة السّتمائة(6)ألف فارس من آل حمير الذين طلبوا الجهاد في(7) بلاد الشّرك(8)على خلافة [الوليد] (9) بن عبد الملك بن مروان فأرسلهم إلى جَبل الفتح(10)وكان فيه من رجال عبد الملك، موسى بن نصير، وطارق مولى(11) موسى بن نصير المشهور على خلافة(12) الأندريق(13)(Rodrigo) من ذرّية الملك هرقل المشهور. فكان من شأنهم أنهم خرجوا من اليمن لرسم الجهاد وابتغاء مرضاة(14) الجبّار من قبائل شتّى.

فأوّل ما فيهم من القبائل المختارين [3ظ] من قبائل حمير، هم أصحاب النّجدة والقوّة والحسب، الأخيار. فتحوا من جزيرة الأندلس إسبانيا(15)، من جبل الفتح إلى ترّقونة(16) : مدائن وقلاع(17) وحصون وأمصار. فتحوها بإذن الله وبالتّقوى والسّيوف الهنديات والبيضات العاديات والمزاريق اليمانيات الطّوال. وسكنوا عمرا طويلا حتى

---

(1) في الأصل نُوصفها. (2) في الأصل : لبن .(3) في الأصل : سقط.(4)في الأصل : فتوح.
(5) 34 ك. سَبا 15. (6) في الأصل السّتة مائة. نلاحظ لدى ابن الصبّاح ميلا إلى المبالغة.
(7) في الأصل : إلى .(8) في الأصل : الترك. (9) زيادة لإصلاح خطأ تاريخي.(10) في الأصل : جبَال .
(11) جبل الفتح هو جبل طارق.(11) في الأصل : مولا. (12) على خلافة : أي في عهد.
(13) يقصد رودريق آخر ملوك إسبانيا.(14) في الأصل : مرضات.(15) في الأصل : أصبانية.
(16) ترّقونة أو طرّكونة (Tarragona) : تقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسّط. جنوب غربيّ برشلونة وتبعد عنها بمائة كيلومتر (معجم البلدان : البلدان الأندلسية ص 274. (وصفة جزيرة الأندلس من الرّوض المعْطار ص 125).
(17) في الأصل : قلاعات.

انتشرت فيها الذريّة من الرّجال والأبطال. فكان الحاج عبد الله المؤلّف من هؤلاء الرّجال [و] هم الصّبايحيّون وغيرهم من القبائل رحمهم الله رحمة باتّصال إلى يوم الحشر والسّؤال . هم أهل الحسب والأدب **[4و]** والكرم والشجاعة والحياء والتّقوى والفصاحة والمقال. بهم تُضرب الأمثال في آخر الزّمان . هم الذين فتحوا البلاد وجعلوها مهادًا ومعايش وغلالا، وتركوا الرّعب في قلوب اليونانيّين الرّوم والهراقل وبني الأصفر والقياصرة والأكاسرة، ونشروا الدّين الشّريف، دين الإسلام وملّة نبيّنا محمّد عليه السّلام وبقوله عليه السّلام «يوم وُلدت زُويت ليَ الأرض كلّها حتّى ظهرت لي قصور الشام. وسيبلغ ملك أمّتي من بعدي ما زُوي لي منها»(1). وفي الخبر الصّحيح: مَلَك الأرض كلّها أربعة ملوك : كافران ومؤمنان(2) وسيملكها خامس من هذه**[4ظ]**الأمّة إن شاء الله.

قال الحاج رحمه الله: أتيتُ(3) من هذه الأقاليم السبعة خمسةَ أقاليم. فلم أر أطيب من بلاد هؤلاء وهم في صيغة وترتيب بعد الشّام أطيب من جزيرة إسبانيا(4) ولا أكثر أماكن مثل إشبيليّة وقرطبة وجيّان والكراس(Alcaraz) ومرسية ووادي رقوط ونولي (Nules) مع كرْبَيْلان (Crevillenté)، ومدينة بلنسيّة مع شاطبة، ونَظَر قنْدِيَة (Gandia) مع دانية ومِلْك سرقسطة وطرطوشة إلى ترْكونة.

جزيرة إسبانيا لها أربعون(5) نهرًا، كلّها جوازها بالدّستر والعيدان. جزيرة الأندلس كثيرة **[5و]**الفواكه والخضرة والأرزاق المَتِينة(6) والعمائر والاطمئنان.

نذكر جزيرة إسبانيا وهي جزيرة الأندلس. وبعد حمد الله نذكر إقليم الأندلس، وهو عند أصحاب التّواريخ مثل المسعودي والحضرمي(7)واصحاب الجعرفيات

---

(1) صحيح مسلم كتاب الفتن ص 2215، انظر المقري : 1/ 229. (2) في الأصل : مؤمن وكافر.

(3) في الأصل : أطئِتُ. ويمكن قراءتها «وطئتُ».

4) تركيب الجملة مختلّ ولكنّ المعنى واضح، فالمقصود هو أنّه لم ير في رحلته أطيب من إسبانيا بعد بلاد الشام.

(5) في الأصل : أربعين.(6) هكذا ولعلّه يقصد الكثيرة.

(7) قد يكون المقصود هو ابن خلدون. نطق أندلسي لعلم الجغرفيا.

لهارون الرّشيد، هو عندهم الصّقع الصّغير من الأقاليم . لكن لمّا كان فيه من الأنعام والأرزاق(1) الدّاخلة الدّارة (هكذا)، والمدائن العجيبة والحصون المانعة والعمارة الكاملة وجب علينا أن نبتدئ ببلد كان فتحها أجدادنا وسكنها الصبّاحون [من] قبائلنا، وآل قيس والفهريّون **[5ظ]** ولخم وجذام وربيعة ومُضر وذريّة كهلان، وهم الأنصار، ومن قبائل حمير الكبير من ولد سبأ بن يَحْشُب بن يعرب بن قحطان بن هود الرّسول عليه السّلام إلى قوم عاد بن عامر بن شالح بن أرْفخشد بن سام بن نوح عليه السّلام. هؤلاء قبائل أهل قحطان وآل عدنان، والعدنانيّون أهل الحجاز هم قريشيّون من ذرّية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السّلام، وهم العرب المستعربة (2). والعرب العاربة هم اليمانيّون آل قحطان ذريّة هود الرّسول. فكان في سابق علم الله تعالى أن تكون عمارة جزيرة الأندلس**[6و]** من هذه القبائل المذكورة. إذن(3)وجب علينا ذكرُهم ونشر فخرهم ومواطن(4) سكناهم إذْ(5) كان مسكنهم من اليمن أرض مأرب، وهي أرض سبأ. وقد ذكر الله في كتابه العزيز أخبارًا مفسّرة قوله تعالى ﴿**لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ**﴾(6)الآية. وكانوا يقتبسون النّار بعضهم من بعض وطغوا ستين(7) يوما، فلمّا تغيّروا(8) وعبدوا الشمس ومرجوا(9) وتمرّدوا، غيّر الله عليهم نِعمه وتمزّقوا في البلاد.

قال المؤلّف الحاج ابن الصبّاح : ولقد كان اليوْمَ في زماننا يُحصد الزّرع ويخلّف ثم **[6ظ]** يستوي حتّى يحصدوه مرّة أخرى، ثمّ يخلّف حتّى كانوا يحصدونه. هذا بقيّة من تلك البلدة الطيّبة. وكان اليوم، العرب القحطانيّون يصيّفون فيها لأنّ ما فيها ذباب ولا حيوانات ولا شيء مِمّا يضرُّهم. وهواؤها طيّب معتدل الماء والهواء في الصّيف والشّتاء سواء. وحدود هذه البلدة من مأرب اليمن إلى الطائف إلى مكّة شرّفها الله

---

(1) في الأصل : الأرثاق.

(2) جدّهم هو أبو الصبّاح اليحصبي أمير العرب الفاتحين الأوّل للأندلس. استعان به عبد الرّحمان الدّاخل لإقامة دولته ثمّ قتله (النّفح I / 207).

(3) في الأصل : إذا.(4) في الأصل : مَوَاطين.(5) في الأصل إذا. (6) 34 ك. سبأ، الآية 15..

(7) في الأصل : ستّون.(8) في الأصل : غيّروا.(9) في الأصل : مارجوا، ومرجوا : اختلطوا.

تعالى. قال ابن الصّبّاح رحمه الله. هذا من نسق الكلام في أجدادنا الذين خرجوا من هذه البلدة وتفرّقوا في البلاد، وسيأتي حديثها(1) في موضعه [7و] إن شاء الله وبالله التّوفيق. ثمّ نرجع(2) إلى ما صاروا إليه بعد ذلك. وقد ذكرنا سبب مسيرهم إلى بلاد الأندلس في قصّة الستة عشر مائة فارس على خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان. وفتحوا جبل الفتح(3) وتمكّنوا في البلاد خلال(4) القرون الثلاثة في خلافة بني أميّة(5) الذين ملكوا البلاد ألف شهر جملتها ثلاثة وثمانُون عاما وأربعة أشهر، تداولها(6) منهم أربعة ملوك أخيرهم وأصلحهم عمر بن عبد العزيز(7). وبعد ذلك ولّت إلى بني العبّاس، ملكوها خمسمائة سنة طيّبة(8)، وكانت دار ملكهم [7ظ] بغداد. المشهورة بناها لهم عبد الله بن الصبّاح العبّاسي(9)، وهو أوّل من أخذ(10) الخلافة من العبّاسيين.

قال ابن الصبّاح سيأتي حديثهم(11) في موضعه، إن شاء الله أشرح(12) من هذا. ثمّ نقول : لمّا سكنت العرب جزيرة الأندلس وتمكّنوا فيها، وصاروا فيها ملوكا من كثرة النّعمة والخصب والتّمكين المتين والأكل والشّرب والفرح(13) والسّرور والفرجات والبساتين وضرب العيدان والأوتار وكثرة الزّينة واللّهو والفسق والعصيان. وبدّلوا وغيّروا ملوكهم، وخان بعضهم بعضا(14)، ومنعوا [8و] الزّكاة وضيّعوا الصّلاة وفرّطوا فيها وارتكبوا المعاصي والفواحش ومالوا إلى الدّنيا ونسُوا الآخرة، وتعدّوا حدود الله، وضيّعوا الشّرع، وكنزوا الأموال، ولم يَجُد غنيّهم على فقيرهم، وقست قلوبهم وعميت أبصارهم وصمّت آذانهم، وقصرت أيديهم عن الصّدقات، وغلب على قلوبهم الشّحّ

(1) سيأتي حديثها أي سيأتي الحديث عنها.(2) في الأصل : نرجعوا.(3) جبل الفتح : جبل طارق.
(4) في الأصل : مِنَ القرون الثلاثة.(5) خطأ تاريخي : الخلافة الأمويّة لم تستمرّ ثلاثة قرون.
(6) تداولها أي تناوبوا عليها.(7) عدد خلفاء بني أميّة أربعة عشر وآخرهم مروان الثاني قتل 750/132.
(8) دامت الخلافة العبّاسيّة من 132 هـ إلى 656هـ.
(9) بناها المنصور العبّاسي وهو ثاني خلفاء بني العبّاس وعبد الله هذا تاريخيا هو عبد الله بن محمد المعروف بأبي العباس السّفاح وهو أوّل خليفة عبّاسي ت 745/137.
(10) أخذ بمعنى تولّى.(11) حديثهم أي الحديث عنهم.
(12) أشرح من هذا : أي أكثر تفصيلا من هذا.(13) في الأصل : الفرج.
(14) الإشارة إلى كثرة الفتن في الأندلس ممّا أدّى إلى سقوطها.

والبخل والحرص على الدّنيا، وطمع بعضهم فيما في أيدي بعض، ووقع الحسد بين ملوكهم وفتنوا بعضهم بعضا، وظلم بعضهم بعضا، فسلّط الله عليهم عدوّهم، وسلب عنهم بلادهم(1)**[8ظ]**، وعماهم بذنوبهم والله تعالى يقول ﴿ **ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾ (2). وأيّ غِيار: غيّروا نعمة الإسلام في تعدّيهم الحدود وتضييع الشرع، فمن غيّر شيئا في دين الإسلام ممّا يذكره الشّرعُ، فقد غيّر الله جميع النِّعَم(3)لأنّ كلّ نعمة أنعمها الله على عباده هي داخلة في نعمة الإسلام، أوَلا يعلمون أنّ كلّ نعمة في غير الإسلام ليست(4) بنعمة . قال رحمه الله(5): ولقد قرأت في تواريخ الأندلس أنّ في مدينة طليطلة المشهورة **[9و]** يقرؤون القرآن ويفسّرونه بالشّعر لكثرة فصاحتهم وكثرة لهوهم من ضرب العيدان والأوتار في المواسم(6)، والرّقص بالأقدام وفَتْل الأكمام(7) حتّى ﴿ **نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ** ﴾(8) . قال أصحاب التّأويل (9)في ﴿**أنساهم الله**﴾: أنّ المراد به التّواخذ عن الشّيء والتّبديل (هكذا) والدّليل على ذلك قوله تعالى ﴿**مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا**﴾(10). فلمّا بدّلوا بدّلهم الله بما هم مستحقّون، جزاؤه بأنّ كلّ نعمة منه فضل وكلّ نقمة منه عدل، وأنّه سبحانه لا يليق به الظلم في قوله وفعله **[9ظ]** وحكمه فيه.

قال ابن الصبّاح رحمه الله : ولقد قرأتُ في تواريخ الأندلس على الثقات والقصّة مشهورة: أنّ أهل قرطبة ضاعت عليهم يوم الجمعة من كثرة اللّهو والتّفريط في حدود الله حتّى أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، وسلّط عليهم العدوّ حتّى خرجوا

---

(1)سلب عنهم أي سلبهم.(2) 8م. الأنفال، آية 53.
(3)في الأصل : النّعائم، والنعمة تجمع على نِعم وأنعم، ولا تجمع على نعائم إلاّ في الدّارجة.
(4)في الأصل : ليس.(5)الضمير يعود على المؤلف.
(6)في الأصل : المواسيم على عادة أهل الأندلس في تطويل الحركات.
(7)فتَل الحبل : لواه، والكمُّ هو مخرج اليد من الثوب، وفتل الأكمام أي تعرية ما لا يجوز شرعا تعريته وخاصّة بالنّسبة إلى النّساء لأنّه كشف لجزء من محاسنهنّ. وبالنّسبة إلى الرّجال «فتل الأكمام» فيه إظهار لبعض عضلات الساعد، وفي ذلك إبراز لجمال الجسد وقوّته. (من عادات الأندلسيّين).
(8)59م، الحشر ، آية 19.(9)أي المفسّرون.(10)2م :البقرة ، الآية 106.

منها أذلّة وهم صاغرون. ثمّ بعد ذلك فتحها يعقوب المنصور(1)[جاءها](2) من مدينة مرّاكوش(3): مدينة ذرّية كوش بن كنعان بن حام بن نوح عليه السّلام وبه سمّيت مرّاكش في عمارتها وبنيانها . [وهي](4) من مدن ذرّية كوش [هاجروا](5) إليها وَقْت أن طَرَدَهُمْ **[10و]** حمير الملك ابن سبأ، طردهم إلى بلاد المغرب، وقصّتهم فيها يطول [ذكرها](6). لكن نرجع إلى فتوح(7) يعقوب المنصور : الفتوح الأوّل فتوح بني أميّة أخذوها من يد اليونانيّين استطاليس وذرّيته. قال المؤلّف : مكث عليها يعقوب المنصور من مرّاكش ما شاء الله حتى انقضى وبلغ الأجل المعلوم والقضاء المحتوم. وتمرّد(8) أيضا عمال المنصور، ودخلوا في اللّهو والفساد حتى وقعت بهم الأسباب وقربت منهم الأنكاب(9) ، وضعف عسكرهم وقلّ رجالهم وكثر فسادهم، رماهم **[10ظ]** الله تعالى بالعمى، وقلّت مشاورتهم، وافترق رأيهم، فكانوا مثل الشّيايع(10) حتّى بلغ نُكْسُهم(11) [الغاية](12)، وعَميت أبصارهم وانتكست أعلامهم(13). [عند ذلك](14)تركهم يعقوب إلى ابنه محمّد.

قال [المؤلّف](15) رحمه الله : ولقد حدّثني أبو سعيد عن أبيه أحمد أنّ أباه(16) أحمد كان مقدّما من مقدّمي(17) حصن مُنْتجة(18). قال : ترك يعقوب المنصور الملك

(1) المنصور الموحّدي. (2)زيادة يقتضيها التركيب.
(3) مرّاكوش هي مراكش، فيها إطالة لحركة الضمّة على الكاف على عادة أهل الأندلس في إطالة بعض الحركات.
(4)زيادة اقتضاها التّركيب.(5)زيادة اقتضاها التّركيب.(6)زيادة للتّوضيح.
(7)فتوح : جمع لفتح في اللّهجة الأندلسيّة. أمّا في الفصحى فتجمع على فتوحات.(8)في الأصل: وتمرّدوا.
(9)الأنكاب هي النكبات في اللّهجة الأندلسيّة.
(10)الشّيايع : لعلّها جمع شيعة في لهجة الأندلس، وشيعة تجمع في الفصحى على شِيع وأشياع. والمعنى أنّ أهل الأندلس أصبحوا شيعا متفرّقة متخاذلة بعد أن كانوا متوحّدين أقوياء.
(11) نُكْسهم : عودة المرض بعد النّقاهه.(12) زيادة اقتضاها التركيب.(13) في الأصل : انتكست علامهم.
(14)زيادة اقتضاها التّركيب.(15)زيادة اقتضاها التّوضيح.(16)في الأصل : أن أبوه.
(17)في الأصل : من مقدّمين.
(18) أقرب الأسماء إلى اسم هذا الحصن «مَنْتيشة Montesa: من الرّساتيق المحيطة بقرطبة (من معجم البلدان : البلدان الأندلسيّة، تحقيق عبد الإله نبهان ط دمشق 1983 ص 386).

في يد ابنه محمّد، اسمه بالتّصغير(1)، وخرج للسّياحة فالتقى(2) بإبراهيم بن أدهم ملك خراسان بالشام(3). قال الحاج ابن الصّباح : ولقد حدّثني أبو سعيد عن أبيه أحمد قال : خرَج يعقوب في السّياحة **[11و]** بسبب حديثه يكون من سبب الكمّية(4)، ولكن يجعل الله لكلّ شيء سببا. فلما علمت ملوك الهراقل أنّ المُلْكَ وَليه محمّدُ بنُ يعقوب المنصور(5)، طغت وتمرّدت وجمعت عساكرها وجاءت تأخذ البلاد. [اجتمع](6) جيش الملك ابن يعقوب المنصور وجاز إلى الأندلس فالتقى(7) بملوك بني الأصفر(8) وكان من قصّتهم عجائب في حديث يطول(9)، ولكن بالاختصار : [سبب الهزيمة كان](10) أوّلا من اجتماع(11) البلاء(12) [من كلّ](13) جهة [على](14) الإسلام . فلمّا كان في سابق العلم المكنون أن ينخذل المسلمون وتعود البلاد إلى دين النّصرانيّة انخذل(15) المسلمون **[11ظ]**، وظهر المشركون، وملكوا البلاد إلى زماننا هذا.

قال [المؤلّف](16) رحمه الله : لقد استفتيتُ على(17) خبر ترك يعقوب الملك لابنه محمّد، وذكرت القصّة فأفتى الفقهاء أنّ يعقوب المنصور [سـ]يسأل(18) يوم القيامة على تفريطه في جزيرة الأندلس. والله إنّ كلّ من حدّثته من العلماء والفقهاء كانوا(19) يقولون [بالتّحريم](20) ويتأسّفون عليها. وكيف لا يتأسّفون على بلادٍ ومدائن وحصون، وكانت دارَ علم قرطبةُ(21) وكرسيَّ العلم.

(1) أي تركه وهو صغير السنّ.(2) في الأصل : فتلاقا.
(3)لا يمكن أن يلتقي المنصور بابن أدهم هذا لأنّه توفّي 161 / 778، وكان من الزّهاد المشهورين. وكان أبوه من أهل الغنى ببلخ. وفي المكتبة الظّاهريّة بدمشق قصّة عاميّة بعنوان «سيرة السّلطان إبراهيم بن أدهم. (الأعلام 1/ 31). ومثل هذه الأسطورة كان رائجا في الوسط الموريسكي. وخراسان ليست بالشّام.
(4) في هذه الجملة غموض.(5)يلقب بالنّاصر وهو الذي هُزم في معركة العقاب.(6)زيادة ليستقيم التّركيب.
(7)في الأصل : يتلاقيا.(8)المقصود النّصارى الإسبان ومن والاهم من أمم أروبّا.
(9) قد يكون المؤلّف يشير إلى هزيمة الموحّدين في معركة العقاب في 609هـ/1212م وهي الهزيمة التي فتحت الباب على مصراعيه لحركة الاسترداد المسيحي.
(10)زيادة يقتضيها التّركيب.(11)في الأصل : استماع.(12) في الأصل : البلا.(13)زيادة يقتضيها التّركيب.
(14) زيادة يقتضيها للتّركيب.(15)في الأصل : انخذلو.(16) زيادة للتّوضيح. (17) في الأصل: أسفيت في.
(18) زيادة للتّركيب. (19) في الأصل : أنهم.(20) زيادة يقتضيها المعنى.
(21)قدّم خبر كان على اسمها لعلّ ذلك من تأثير اللّغة الإسبانيّة في المؤلّف.

قال المؤلّف رحمه الله : ولقد قرأت في تواريخ الأندلس أنّه كان في قرطبة خمسمائة غِفارة : كلّ من لبس غِفارة **[12و]** له كرسيّ الدّولة والمَعَاد(1)، ولقد حدّثني رجل من قرطبة أنّ الكتب اليوم في زماننا هذا لم تزل في جوامع المسلمين المدجّنين(2) تطلعُ حتّى للسّقوف. يالها من بلاد! ويا حسرة عليها!: عمارة(3) الإسلام وتلاوة القرآن وصوم رمضان . أيّ خسارة ونكبة من بلاد الإسلام. يا حسرة على مدائن خسرها المسلمون وعمَرها(4) المشركون ولكن نرتجي المرجع(5) بعون الله تعالى. قال [المؤلّف](6) رحمه الله: وأنّ رجلا من هذه الأمّة يملك مثل ما ملك ذو القرنين(7). قال رحمه الله : لقد وطئت(8) بقدمي ورأيت بعيني الخمسةَ **[12ظ]** أقاليم: مدائن وقرى وحصون وأنهار وأشجار وخيوف(9)ونخل الحجاز واليمن وبساتين دمشق الشام. ولكن [لم أر](10) مثل أرض بلنسيّة وقرطبة وإشبيليّة وطليطلة ومرسية وأفلنده(11)، وبها سُمّيت الإفرنجُ افرنْجَ لكن اسمها إفرنجة : وهي آخر مصوّر إقليم الأندلس من أقاليم الشام لأنّ الأندلس من أقاليم الشّام إلى أسكندريّة، فكانت في آخر مصوّر إفريقيّة طنجةُ(12) ، وآخر مصوّر إقليم الشّام إفرنجة : وكانت عظيمة القدر في

---

(1)الغفارة بالكسر - لا بالفتح كما جاء في النصّ - هي زرد ينسج كالدّروع ويوضع على الرأس لحمايته أثناء الحرب. والمؤلّف يقصد العمامة ولا يلبسها إلاّ العلماء الذين يلقون دروسا بالتّداول أي التّناوب وحسب ميعاد محدّد في يوم من أيّام الأسبوع.

(2)في الأصل : المدجّنون : وهم الأندلسيّون الذين استمرّوا في العيش تحت النّفوذ الإسباني بعد سقوط أوطانهم.

(3)عَمَارة : الحيّ العظيم والمقصود هنا عمران.(4)في الأصل : خسروها وعمّروها.

(5)المرجع : أي تعود تحت النفوذ الإسلامي.(6)زيادة للتّوضيح.

(7)المؤلّف يرجو أن يتمّ استعادة الأندلس على يد رجل في مثل قوّة ذي القرنين واتّساع ملكه. وذو القرنين لقب الإسكندر المقدوني كما كان يلقّب بالإسكندر الكبير لكثرة حروبه وانتصاراته(356 - 324 ق.م).

(8) في الأصل : أطأت .

(9) الخيف : كلّ هبوط وارتقاء في سفح الجبل ونرجّح أن التّركيب الصّحيح هو الآتي: خيوف اليمن (أي جباله)، ونخيل الحجاز.

(10) زيادة يقتضيها التّركيب.

(11)من الخطأ اعتبار أن اسم إفرنجة أصله أفلندة. وأفلندة تقع وراء منطقة جلّيقيّة في أقصى شمال شبه الجزيرة الإيبيريّة محاذية لجنوب فرنسا.

(12)أخّر اسم كان، وقدّم خبرها لأنّه جار ومجرور.

زمانها، فلمّا أخذتها الأعاجم سمّتها أفلندَه، **[13و]**. وكانت العرب سمّتها إفرنج وبها يُسمّون وإليها ينسبون إلى يوم القيامة(1) .

قال [المؤلّف](2) رحمه الله : والله لقد وُصفت مدينة جزيرة إشبيلية(3) عند علماء مصر وعلماء الشام وعلماء بغداد وعلماء مكّة وعلماء اليمن وعلماء ملك ابن عثمان(4)، وعلماء ديار بكر بن وائل صاحب التّاج وعلماء البصرة والكوفة وعلماء الصّعيد الأعلى والفقهاء والطلبة فما منهم إلاّ من تأسّف عليها(5). وكلّ العلماء افتوْا أن يعقوب المنصور سيُسأل(6) [أمام الله](7) على التفريط فيها. [وكما قيل](8) : إنّ عدل السلطان وقهر العباد **[13ظ]** لبدائع [أحدثوها](9)، وقهر الكافرين ونصر دين الله وحقن دماء المسلمين خيرٌ من عبادة سبعين سنة. فكيف خسارة تلك البلاد وأيّ بلاد!(10). قال المؤلّف من أراد أن ينظر إلى دمشق الشّام فلينظر إلى بلنسية و[عسران] مرسية [وعمران](11) قرطبة، ما مثلها إلاّ عمران الشام أو [هي](12) أملح. وليس الخبر كالعيان، يرى الشاهد ما لا يرى الغائب، نحن رأينا هذه و[تلك](13)، وجاورنا الشّام كما جاورنا بلاد الأندلس . قال عليه السّلام : «يرى الشاهد ما لايرى الغائب (14)». يا لها من حسرة ونكبة! وما أعظم المصيبة **[14و]** عليها وعلى مساجدها وعلمائها وانقطاع كلمة التّوحيد منها وعن بقاعها: مُلكها مسيرة ثلاثة أشهر آشْ(15) كان فيها من مساجد، آشْ(16)كان فيها

---

(1)رغم صعوبة فهم المعلومات الجغرافيّة التي أوردها ابن الصّباح لما فيها من خلط، فإنّ هناك حقائق أصبحت متداولة منذ القرون الوسطى : وهي أنّ الأندلس والشام من نفس الإقليم وهو الإقليم الرّابع، ويوصف بالاعتدال حسب التّقسيم اليوناني القديم. وطنجة -كما ذكر- توجد فعلا في أقصى الطرف الغربي من شمال إفريقيا، ومن شمال الأندلس وعن طريق السّاحل الجنوبي للقارّة الأوروبيّة يمكن الوصول إلى آسيا الصّغرى ومنها إلى الشام. وكانت كلمة الفرنجة تطلق على كلّ أمم أروبا من شمال الشام إلى شمال الأندلس. وخصّ سكّان آسيا الصّغرى باسم «الرّوم» قبل فتحها.

(2)زيادة للتّوضيح.

(3)أطلق على مدينة اشبيلية صفة جزيرة، وسبب ذلك قد يكون لمرور النّهر الكبير حولها

(4)المقصود سلاطين الدّولة العثمانيّة.(5)في الأصل : إلاّ تأسّف عليها.(6)في الأصل : يسأل.

(7)إضافة للتّوضيح.(8)إضافة للتّوضيح.(9)زيادة للتّوضيح.(10)في الأصل : البلاد.

(11)في الأصل : عمارة.(12)زيادة للتّوضيح.(13)في الأصل : هذه.(14) هذا مثل وليس حديثا.

(15) المؤلّف يكتب بلغة هي أقرب إلى اللّهجة الدّارجة منها إلى اللّغة الفصحى.

(16) آش للاستفهام باللّغة الدّارجة وهي كَمْ بالفصحى.

من خطب ومنابر ومحادر(1). وكم كان يولد من مولود!؟(2)، ووالد يَلد(3) ولدا، إلى يوم القيامة، على كلمة التّوحيد والإقرار بالرّسالة للنبيّ الأمّي. وكم من صدقات وزكاة(4) ضاعت وانخسرت(5) من معاريف(6) المسلمين وحقوق الله بسبب تضييع [يعقوب المنصور](7)الملك وتفريطه [فيه](8)...الله أكبر ! الله أكبر! ، أيّ شيء ينفع المرابط [برباطه](9) أو العابد [بعبادته](10) . ما ينفع **[14ظ]**، ما ينفع(11) إلاّ نفسه. والسّلطان إذا كان عادلا وناصرًا لدين الله وناصرَ عباده فهذه الغاية(12)من(13) العبادات، والنهاية في البرّ والتقوى، واكتملت(14) فيه(15)جميع خصال البرّ كلّها. قال [المؤلّف](16): لقد حضرت مجالس علماء الفرس، فكانوا يتحلّون بإنشاد أبيات ينشدونها بالفارسي في أنغام(17) الأندلس وإمكانها(18) . وقد وجدت في كثير من الأبيات من تواريخ العرب في مصائب الأندلس أبياتا، أبياتا يعارضون [بها](19) مصائب رسول الله ﷺ**[15و]** بمصائب جزيرة الأندلسْ، فقالوا في أبياتهم : إذا ذكرتَ مصائبك فاذكر ما أصاب رسول الله ﷺ تنسى به جميع المصائب. جمع أصحابُ التّواريخ(20) أنّ بعد مصائب رسول الله ﷺ وموته ومصائب الصّحابة بعده، لم تكن أكبر مصيبة على المسلمين من خسارة جزيرة الأندلس إلى يوم القيامة. والله إنها وجيعة(21) في قلوب المسلمين حتّى يأمر الله بإخلافها(22)عليهم.

قال المؤلّف : والله لقد كنت في حزن وضيق من **[15ظ]** وقت تواريخ الأندلس(23)، واطلعت على حقيقة الأشياء من تصرّف الأمور في حكم الله السّابق في

---

(1) محادر : لعلّها محابر : مفردها محبرة : وهي قنّينة صغيرة يضع فيها التلاميذ الحبر. أو محاضر جمع محضر وهو الكتّاب لتعليم القرآن في المغرب.

(2) الإشارة إلى كثرة النّسل.(3)في الأصل : يُولِدْ بمعنى يَلِدُ بالفصحى.(4)في الأصل : زكوات .

(5)أي خُسرت.(6) أي معروف.(7) زيادة للتّوضيح. (8) زيادة للتّوضيح.(9)زيادة للتّوضيح.

(10)زيادة للتّوضيح.(11)التكرار هنا للتّأكيد.(12)في الأصل : العناية.(13)في الأصل : في.

(14) في الأصل : انكملت.(15) الضمير يعود على السّلطان.(16)زيادة للتّوضيح.(17) في الأصل : نغام.

(18) إمكانها : المقصود : امكانيّاتها أي خيراتها أو مكانتها أي قدرها وعظمها.(19) زيادة للتّوضيح .

(20) بمعنى : أجمع مؤلّفو كتب التّاريخ.(21)وجيعة بمعنى وَجَعٌ .

(22) إخلاف من : أخلفَ الله لك أو عليك أي جعل شيئا بدل آخر ذهب وضاع.

(23)بمعنى من وقت تاريخ سقوط مدن الأندلس.

خلقه، فتارة نحزن وتارة نتأسّى بأشياء عن أشياء(1) في سَخْطة(2) بلاد الأندلس، وكيف زالت من أيدي المسلمين وكيف كان سلوب(3) النّعمة عنهم، حتّى إذا نقرأ سورة هود عليه السّلام ونبلغ إلى قوله تعالى ﴿ **وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ** ﴾(4) فنرجع فيها(5) يتبيّن لي أخذ بلاد الأندلس. ثمّ نرجع إلى قوله **[16و]** تعالى : ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ** ﴾(6)، وأتسلّى(7) بحديث النّبيء عليه السّلام الذي قال : «الشقي شقيّ في بطن أمّه، والسّعيد سعيد في بطن أمّه (8)»، وقوله : «كلّ مُيسّر لِما خُلِق له». إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ما أعظم حسارة تلك البلاد. قال بعض المؤرّخين في مصيبة جزيرة أصبانية(9) على المسلمين : إنّه وجب على كلّ من سكنها في تلك الأزمان، وجب عليه [أن] يبكي عليها كما بكاء(10) آدم على الجنّة التي في السّماء وقت **[16ظ]** خروجه منها. وهذه جنّة حدثت في القرن الثالث (11) بين يدي المسلمين وتمكّنوا فيها إمكان التّمكين جملة سنين، ثمّ انسابت بيد باردة بلا قتال ولا مبارزة(12). أوّاه، أوّاه ثم أوّاه. من يرى في عصرنا ملوك المسلمين عدّ منهم مائة ملك، كلّ واحد منهم يركب في مائة ألف. وملك واحد يركب في ألف ألف(13) : وهو ملك سمرقند وبخارى يسمّى السلطان محمود بن طاوس. ولا من يعينه الله على أخبارها(14). وهذا يدلّ أن اتّخذت(15) بذنب عظيم لا يعفو(16) الله **[17و]** عنه، إلاّ إن(17) عفا بعد حين من

---

(1) أي أنّ كثرة النكبات تجعل بعضها لعِظَمها تُنسي الناس مصائب سابقة. (2) كلمة دراجة بمعنى مصيبة.
(3) سلوب أي سَلْب. (4) 11ك، هود آية 102. (5) أي نرجع إلى الآية فنقرأها ونتثبّت في أبعادها.
(6) 11 ك ، هود، آية 103. (7) في الأصل : أتسلا .
(8) الحديث موجود مرّتين في سنن ابن ماجة : رقم 37 ورقم 64. (9) أي إسبانيا. (10) في الأصل بكا.
(11) يشير إلى فتح المسلمين لإسبانيا واستقرارهم فيها. ويخطئ المؤلّف في تحديد زمن الفتح فقد تم في نهاية القرن 1هـ/ 7م.
(12) الإشارة إلى أنّ كثيرًا من مدن الأندلس سقطت دون حرب ولذا يتوجّع المؤلّف حسرة وكمدًا.
(13) يشير إلى قوّة الإسلام في الشرق وإلى كثرة الجيوش في الدّول الإسلاميّة التي زارها.
(14) طاوس لعلّها تحريف لـ «طامس» وتاريخيا هو محمود بن سيور غتمس ت 770/ 1368 (معجم زامباور). هذا السلطان القوي لم تصله أخبار الأندلس حتّى يقوم بنجدتها حسب ابنَ الصّبّاح.
(15) أي أُخذت بذنبها، ولا تزول نكبة الأندلس إلاّ بعفو من الله. (16) في الأصل يعفُوا.
(17) «إنْ» : استعملها المؤلّف في مكان «إذا».

الدّهر، وعسى عن قريب إنّه سميع مجيب(1)ونرجو(2)[أن يتحقّق](3)حديث النّبيء عليه السّلام «لا تزال طائفة من أمّتي على الحقّ حتّى يأتي أمر الله»(4). وقال بعضهم : آيةَ الله(5)نرجو(6)إن شاء الله.

قال المؤلّف رحمه الله : ترجع إلى قدر الله تعالى السّابق في خلقه فتزول عنك مصائب الزّمان(7)ومناكبه(8). فلمّا جئت مُلْك الملك الأحمر الحميري : وهو ملك الأندلس اليوم في زماننا(9).

(1) رجاؤه في عفو الله عن الأندلس كبير وسيتحقّق عن قريب على يد بعض هؤلاء الملوك الأقوياء.

(2) في الأصل : ونرجوا.(3) زيادة للتّوضيح.(4) ورد هذا الحديث بصيغ مختلفة.

(5)آية الله : معجزة من الله : أغلب المسلمين في عهد المؤلّف كانوا يترقّبون نصرًا من الله على يد أحد ملوك المسلمين الأقوياء فيتمّ استرجاع الأندلس.

(6) في الأصل : نرجوا.

(7)إذا رجع الإنسان إلى قدر الله وآمن به إيمانا صادقا تحمّل كلّ مصائب الدّهر ونكباته : وهذا ضرب من التأسّي لفقدان وطنه الأندلس.

(8) مناكب استعملها في مكان نكبات جمع نكبة ، أما المناكب فهي النّواحي ، مناكب الأرض: نواحيها ومناكب الطائر أربع ريشات في جناحه تكون بعد القوادم. ومستوى المؤلّف في اللّغة الفصحى لا يسمح له بالتّمييز بين الكلمتين.

(9)يشير إلى دوله بني الأحمر في غرناطة. والمؤلّف كعادته في الاعتزاز بأصوله اليمنيّة يرى أن ابن الأحمر مؤسس دولة بني نصر في غرناطة من أصل يمني وينسبه إلى حمير.

[غرناطة حاضرة دولة بني الأحمر]

وجئت مدينة غرناطة : وهي كرسيّ ملكه(1)، مدينة حسنة البنيان، مليحة الأركان، متعلّقة بالجبل(2)[17ظ]عليها الحمراء(3) (و)(4)هي دار السّلطان، مدينة خصبة(5)، (فيها)(6)من كلّ شيء، كثيرة الماء والحرث والزّرع والبساتين والخضرة، والعمارة الياسرة(7) : مدائن وحصون (وهي)(8) دار مملكته، (وهو)(9) عَدْلٌ في أحكامه(10)بين أهلها. (وهم)(11)منضبطون في البيع والشّراء، يتحافظون(12)عن الحلال والحرام. ليس(13) فيها جائع ولا عريان، ولاشاك، ولا باك(14). (وهذا يدل)(15) على العدل والإحسان، (وأنّهم)(16) أقوام على خير وصلاح(17). تسلّت نفسي من(18) الحزن (عن)(19) خسارة جزيرة الأندلس. وقُلْت الحمد لله الذي أبقى(20) بقيّة من جزيرة أصبانية(21) في حكم المسلمين. وحمدت الله [18و]، وشكرته لأنّ الله إذا غضب على شيء من خلقه، يغلبُ حلمه جوده وكرمه وفضله ورحمته على غضبه وسخطه.

قال ابن الصّباح : لمّا رأيت ملك ابن الأحمر، قلت : سبحانك ربّ الأوّلين، وربّ كلّ شيء، أنت الله الذي لا إله إلاّ أنت. وتذكرت(22) في نفسي قصّة أبينا آدم

---

(1) يقصد ابن الأحمر.(2) أي تقع في سفح جبل.(3) في الأصل : الحمرة والمقصود قصر الحمراء.
(4) إضافة اقتضاها التّركيب.(5) في الأصل : خصيبة.(6) زيادة اقتضاها التّركيب.
(7) عبارة من اللّهجة الدّارجة من يَاسر أي كثير وبالفصحى نقول : متّسعة العمران.
(8) إضافة اقتضاها التّركيب.(9) زيادة اقتضاها التّركيب.(10) في الأصل : الأحكام.
(11) زيادة اقتضاها التّركيب.(12) أي يتّبعون الحلال ويتجنّبون الحرام. وفي الأصل : مضبوطون.
(13) في الأصل : لا.(14) في الأصل : لا شاكي ولا باكي.(15) زيادة اقتضاها التّركيب.
(16) زيادة اقتضاها التّركيب.(17) في الأصل : إصلاح.(18) في الأصل : عن.
(19) زيادة اقتضاها التّركيب.(20) في الأصل: بقا.(21) أي إسبانيا.(22) في الأصل : تفكّرت.

في خروجه وهبوطه من الجنّة وكَيْفَ نزع(1) لباسه وترك عليه آثار لباس الجنّة وهي الظّفور(2) في اليدين والرّجلين [و](3)هي ما كان يلبسه في الجنّة لأنّ الله سبحانه رحمتُه سبقت غضبَه. قال بعض أهل التّأويل في ترك الظّفور(4)لآدام **[18ظ]** إذا نظر إليها تكون حسرة منه على الجنّة ونعيمها. وقيل : بل ذلك تذكرة له ألاّ ينساها فيجتهد في العبادة والرّجوع إليها(5)لأنّ الله تعالى وعد آدم - حينَ حمل الأمانة، إذا أدّاها كما أمره الله- أنّه يردّ [ه](6)إليها. وهذا الذي حمل آدم عليها(7)إنّها(8)عُرضت على كلّ شيء فأبى وحملها آدم(9). وقيل إنّ آدم لمّا هبط من الجنّة وعاونه الله ألهمه أن قال(10) : ربّ [أ]هذه(11) المعصية فعلتُ أنا من تلقاء نفسي أم قدّرتها عليّ. قال [الله]، بل قدّرتها عليك في سابق علمي، وأنا على كلّ شيء قدير **[19و]**. قال آدم : يا ربّ لا إله إلاّ أنت سبحانك اللّهم وبحمدك، فإنْ أنا تُبت، تَتوبُ عليّ، وأنت على كلّ شيء قدير، وتردّني إلى الجنّة، وتردّني إلى ما كنت فيه. قال : يا آدم ، إن أنت حملت ما عرضتُه عليك [من الأمانة](12) رددتُك إلى ما كنت فيه من النّعمة وأورثتك دار الكرام أنت وذريّتك(13) من بعدك. [هذا ما قاله](14) أصحاب التّأويل من أهل التّفسير [في تفسير قوله تعالى](15) **﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا ﴾**(16).

قال المؤلّف رحمه الله : لما علم آدم برَجْعه(17) إلى الجنّة وما كان فيه، وعايَن ما عاين من الكرامة طوّعت(18) له نفسه قبول الأمانة **[19ظ]** لأنّ(19) [المثل يقول](20):

---

(1) في الأصل : أنزع.(2) الظّفور (من الدّارجة) أي الأظفار (ج ظفر) في الفصحى.(3) زيادة للرّبط.
(4) أي الأظفار.(5) الضمير يعود على الجنّة : فآدم يجتهد في العبادة ليرجع إلى الجنّة.(6) زيادة للتّوضيح.
(7) عليها أي على حمل الأمانة.(8) في الأصل : إنّني.
(9) في هذه الجملة تذكير بقوله تعالى : **﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا ﴾** 33م الأحزاب، آية 72.
(10) زيادة للتّوضيح.(11) زيادة للتّوضيح. (12) زيادة للتّوضيح. (13) في الأصل : ذرّياتك.
(14) زيادة للتّوضيح.(15) زيادة للتّوضيح.(16) 33م الأحزاب، آية 72..
(17) أي برجوعه.(18) أي سوّلت.(19) في الأصل : أنّ.(20) زيادة يقتضيها التّركيب.

ليس من رأى(1) كمن لم يَرَ(2)، وليس من ذاق كمن لم يذقْ، وليس من عَلم كمن لَم يعلم. قال الله تعالى : ﴿ **هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** ﴾(3) أي أهل العقول الوافرة. والأذهان الحاضرة والفطانة المسرعة. وقد قال عليه السّلام: «من سمة(4) المؤمن أن يكون عاقلا فطنا حذرًا(5) كيّسا ليّنا هيّنا سمحا».

قال المؤلّف ابن الصبّاح رحمه الله : نرجع إلى سبب الخطاب الذي خرجنا منه إلى ضرب الأمثال . إنّ من شأن العرب العاربة [القول](6): إنّه لا يثبت الشّيء حتّى تضرب **[20و]** في بني آدم(7) قيل : هو موضع الصّدر والله أعلم.

قال الأصبحي(8) : [قد](9)ترجّح رؤية الشاهد على رؤية الغائب بحديث النبيء عليه السّلام : «يرى الشاهد ما لا يرى الغائب». وأنا اشترطتُ لك الرّؤية بالعين ووطأة(10) **القدمين**(11)»، لأنّ على زمان أسفارنا(12)، غالب الأرض إسلام [والدّين](13) غالب على سائر البلاد، فللّه(14) الحمد كثيرًا كما هو أهله (15). ولمّا قلت- وبالله التّوفيق- اشتطرت لك رؤية العين ووطأة القدمين، وغيري من المؤرّخين لا ينبغي لهم هذا الشّرط لأنّهم كانوا في زمنٍ: كُفر كثير والإسلام قليل، ولا يسافرون **[20ظ]** سفرًا طويلا إلاّ السّفر[إلى](16) الحجاز واليمن. وهذه(17)ابتداء بلاد الإسلام، ونحن [و](18) الحمد لله لحقنا(19)البلاد شرقا وغربا ممهّدة إيمان وإسلام وعُلماء وقرّاء للقرآن وصدقات وإحسان وأكل وشراب وإمكان(20)، لله الحمد كثيرًا، تطاولت(21)في البلاد أسفارنا ولذلك زعمنا(22)بما وصفنا في رحلتنا المسمّية(23) بكتاب(24) نِسْبة(25) الأخبار

---

(1) في الأصل رءا.(2) في الأصل: لم يرى.(3) 39 ك. الزّمر، الآية 9.(4) في الأصل : سيمة.

(5) في الأصل : حذيرًا.(6) زيادة للتّوضيح.(7) غموض قد يكون مأتاه سقوط بعض العبارات.

(8) أي المؤلّف.(9) زيادة اقتضاها التّركيب.(10) في الأصل إطاعة.

(11) أي : أنّ ما سيذكره في رحلته من وصف هو لبلدان قد رآها بعينيه ووَطئها بقدميه.

(12) أي : في زمن رحلته وسفره.(13) زيادة للتوضيح.(14) في الأصل : فللاّه.

(15) أي أنّ أكثر البلاد التي مرّ بها هي بلدان إسلاميّة .(16) في الأصل : سفر الحجاز.(17) الصّواب : هذان.

(18) زيادة يقتضيها التّركيب.(19) أي وصلنا إلى البلاد.

(20) الصّواب أن تكون الكلمات بعد «ممهّدة» منصوبة، وكلمة «إمكان» استعملها عوض «التمكين»، والتمكين في الأرض، لغة ، هو السّيطرة عليها.

(21) تطاولت بمعنى طالت.(22) زعمنا أي اشترطنا.(23) أي المسمّاة.(24) في الأصل: بالكتاب.

(25) في الأصل: نساب.

وتذكرة الأخيار، شرط العيان، وغيرنا لا يمكن له ذلك، ولو كان [سافر](1)سفرًا أكثر منّا. وقد ذكرنا أسباب [ذلك](2)في هذه البصيرة(3). وذلك من فضل الله علينا، له الحمد والشكر **[21و]**. وبعد أيّها المُسمع(4) لمقالتنا إنّ هذا كلّه إنّما ذكرناه على الاختصار لأنّ لو كان على التّطويل احتجنا إليها(5)جملة أسفار[إذ](6)كيف ترى في كتاب يُجمع [فيه](7) وصف(8) لخمسة(9)أقاليم من السبعة أقاليم في كاغد [عدد أوراقه](10)مائة ورقة. لكن إن شاء الله يكون في هذه الرّحلة بلاغ(11) لمن كان له قلب أو ألقى السّمعَ وهو شهيد، وكفاية إلى أهل الفطانة(12) والفهم والحسّ والبصيرة. حتّى ولو كانت على اختصار الألفاظ والمعاني [فهي](13)تكفي عن التّطويل، لأنّ من سمة المصنّف : لفظ قليل بتأويل كثير. ولقد يكون في **[21ظ]** كتابنا من الألفاظ ما يحتاج إلى التطويل بالشّيخ(14)، ولكن نسأل الله لنا وللمستمع التّوفيق والإصابة بالسّمع والاجتهاد.

قال المؤلّف رحمه الله : ثم إنّ الملك الأحمر(15)من ملوك حمير فيما بقي من فتوح جزيرة الأندلس على يد(16)المسلمين(17)، نقول -والله الموفّق للصّواب- بعد خلافة الخلفاء وملوك العدل والنّهي(18) لم يبق مُلْك [يمكن](19) أن يسكنه المسلمون إلاّ ملك الأندلس [محصورًا](20) في مملكة الملك الأحمر [وهو](21) بقيّة من ملوك التبابعة قحطان وآل حمير(22).

---

(1) زيادة للتّوضيح.(2) زيادة للتّوضيح.

(3) المؤلّف يرى أنّ السّفر والمشاهدة لا تكفي للتأليف وإننا لابدّ من البصيرة وهي الإدراك والفهم وهما من فضل الله وقد أنعم الله بهما على المؤلّف.

(4) المسمع: أي المستمع.(5) إليها : أي لكتابتها وهي المقالة.(6) زيادة اقتضاها التّركيب.

(7) زيادة للتّوضيح. (8) في الأصل : وصفه.(9) في الأصل : خمسة. (10) زيادة للتّوضيح.

(11) في الأصل : بلاغا.(12) أي الفطنة . (13) زيادة اقتضاها التّركيب.

(14) يقصد أنّ التطويل لا يكون في النصّ وإنما يكون بالشرح الذي يقوم به الشيخ المفسّر القدير.

(15) المقصود ابن الأحمر.(16) في الأصل: يدي.

(17) من النّاحية التاريخيّة صحيح لأنّ دولة بني الأحمر قامت على ما بقي بأيدي المسلمين من أرض الأندلس.

(18) يشير إلى فترة عزّ الأندلس زمن الأمراء والخلفاء من بني أميّة.

(19) زيادة يقتضيها التّركيب.(20) زيادة للتّوضيح.(21) زيادة يقتضيها التّركيب.

(22) هذا من مبالغات المؤلّف وأخطائه التّاريخيّة.

قال ابن الصبّاح : دخلت البلاد وعاشرت العباد، فلم أر أفضل ولا أحسن من ملك الأندلس **[22و]** ساكنها سعيد والميّت فيها شهيد، وهذا يدلّ على أنّ تلك الأرض بقيّة من بقيّة الصّالحين، وعمارتها بقيّة الصّالحين. والدّليل على ذلك(1) قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ** ﴾(2). فكلّ أرض يصلح مُلكها وأهلها هي الأرض التي(3) ذكرها الله في كتابه، وغيرها لم تكن أرضا(4) عند الله مثل أرض الكفر وغيرها من الأرض، إنّ الله لا يرضى(5) بالكفر وإن كان سبقت به إرادته، لأنّ الكفر مخلوق، وخَلَق الله له أهلا ولم يرضه لعباده دينا مشروعا، فيدلّ هذا على(6) أنّ بلاد الكفر لم يرضها(7) الله **[22ظ]** لعباده، إنّما رضي(8) لعباده بلاد الإيمان(9) والإسلام. ويدل على هذا أنّ بلاد الملك [ابن](10) الأحمر كلمة الله فيه مشهورة(11)، وبجوارها بلاد الكفر، عامّة الكفر الذي لا يرضي به الله، ولو كانت يرضى بها الله لبقيت للإسلام، ولكن رفضها الله عن رضاه(12) ولولا رحمته التي هي عامّة في الدّنيا للمؤمن والكافر لعجّل الله لهم العقوبة في الدّنيا قبل الآخرة، ولكن رحمته وسعت المؤمن والكافر والعاصي والفاجر والجاهل والمخطئ(13) والفاسق والظّالم، [أ](14) لم يؤخّرهم إلى أجل مسمّى لا ريب فيه؟ وفي هذا(15) علامة [على](16) الدّارين : دار الدّنيا ودار الآخرة، في تأخّر **[23و]** الثّواب للمؤمن والعقاب للكافر. وهذا نصٌّ في بلاد الملك [ابن](17) الأحمر أنّها خير البلاد، لمّا أنّ الله تعالى راض بها لعباده.

قال المؤلّف رحمه الله : لم يبق من ملوك التّبابعة وهم ملوك قحطان وآل حمير غير هذا العقب(18) : ملك الأندلس والأحرار منه في جميع ملوك إقليم

---

(1) في الأصل : والذليل فيه. (2) 21 ك الأنبياء، الآية 105. (3) في الأصل : الذي. (4) في الأصل : أرض.
(5) في الأصل : يرضا. (6) في الأصل : فيدلّ على هذا. (7) في الأصل : يرضاها. (8) في الأصل : رضا.
(9) في الأصل : الأيمن. (10) زيادة للتّوضيح.
(11) المقصود بكلمة الله أنّ دولة بني الأحمر هي الأرض التي جاءت في قوله تعالى : ﴿**إنّ الأرض يرثها عبادي الصّالحون**﴾.
(12) تبرير لسقوط الأندلس في يد النّصارى لا يخلو من سخف يدلّ على بساطة تفكير المؤلّف : فالأندلس سقطت لأنّها أرض كفر والله لا يرضى بأرض كفر أن تكون بيد المسلمين.
(13) في الأصل : الخاطي. (14) زيادة يقتضيها التّركيب. (15) في الأصل : وبهذا.
(16) إضافة يقتضيها التّركيب. (17) زيادة للتّوضيح.
(18) المقصود بالعقب الذي بقي هم بنو الأحمر في غرناطة.

المغرب(1). والدّليل على ذلك أنّ ملوك التّبابعة كان منهم سبعون تبّعا، منهم عشرون متوّجون(2)وغيرهم(3)بلا تاج. وأوّل من لبس التّاج منهم حمير بن سبأ، وهو أوّل من لبس التّاج في ملوك التبابعة من ملوك قحطان بن هود الرّسول عليه السّلام، وبعده لبسوا(4)ملوك آل **[23ظ]** حمير التّيجان(5)من العرب العاربة من ملوك آل حمير بن سبأ بن يحشب بن يعرب بن مضاض بن جرهم بن قحطان بن هود بن عايز بن شالخ بن أزر بن أرقخشد بن سام بن نوح عليه السّلام(6).

قال عبد الله بن الصبّاح : كان(7) التّبابعة من آل قحطان وآل حمير سبعين(8) تبّعا، يتبعون بعضهم بعضا في الملك ولد عن أب عن جدّ، حتّى كان آخرهم بلقيس بنت أبي عَمْرو(9) الهدهدي. قال الجرهمي(10)في بعض أبياته [الطويل]:

لَنَا مِنْ بَنِـي قَحْطَانَ سَبْعُـونَ تُبَّـعًا

أَطَاعَتْ لَنَا بِالخَرْجِ(11)مِنْهَا الأَعَاجِمُ

كانوا يغرّمون(12)مشارق الأرض ومغاربها، وقهروا الملوك شرقا وغربا **[24و]** من ملوك الهند والسّند وملوك التّرك وملوك الفرس وملوك الأكاسرة، ملوك معان والهراقل من ملوك بني الأصفر، وقهروا(13)البلاد والعباد، وكان الخراج يأتيهم(14)من مسيرة تسعة أشهر، وعمّروا الأرض وأجروا الأنهار وفتحوا الآبار وغرسوا الأشجار وبنوا المدائن والحصون، ومهّدوا البلاد بالغلبة والقهر حتّى إلى زمان ذي القرنين مصعب بن مراشد من آل حمير (هكذا)(15)، ملكها شرقا وغربا. ومن ملوك حمير شمْر

---

(1) المقصود من هذه الجملة : في جميع ممالك إقليم المغرب.(2) في الأصل : متوّجين.

(3) في الأصل : وغيرها.(4) في الأصل : لبست. (5) في الأصل : التّجان .

(6) من الصّعب التثبّت تاريخيّا من هذه الأسماء ، لأنّ المؤلّف اعتمد فيها على الرّواية الشّفاهيّة : وهي عبارة عن أساطير متداولة إلى عهده. وزاد الطّين بلّة محاولة المؤلّف أن يوجد لبني نصر ملوك غرناطة نسبا يصل إلى ملوك اليمن في الجاهليّة.

(7) في الأصل : كانوا.(8) في الأصل : سبعون.(9) في الأصل : أبي عمْرٍ.

(10)نسبة إلى جُرهم : قبيلة عربيّة قديمة قيل إنّها جاءت من اليمن وهي من العرب العاربة (المنجد ط 2/ 1969 ص 169 (القسم الخاص بالأعلام).

(11) في الأصل : بالخراج، والخراج لغة هو الخرج أي الضّريبة على الأرض. والبيت لا يكون موزونا إلاّ بكلمة الخرْج.(12) في الأصل : كان يغرموا.(13) في الأصل : وقهر.(14) في الأصل: يأتيها.

(15) في الأصل : صعب ابن ذوا أمرًا أشد، ذكر ابن الصبّاح هذا الاسم صحيحًا فيما بعد (انظر ص 37 س3).

عِيشر كان يغرم ملوك الهند ألف ألف قنطار من البهار أعني الفلفل والزّنجبيل والقرفة والزّعفران **[24ظ]** والسّنبل وعود القرنفل وغير ذلك من جميع الطّيب.

قال المؤلّف رحمه الله : قرأت في كتاب تيجان الملوك(1) أنّ الملك شمر عيشر من ملوك آل حمير كان أيضا يُغرِم ملوك السّند والصّين الأقصى ألف ألف قنطار من الأواني الصّينيّة من الذّهب والفضّة والفخار المختلف الألوان. قال الرّاوي(2) رحمه الله : رأيت هذا الفخار في حرم مكّة شرّفها الله بأغلى(3) ثمن. فقلت لأهل مكّة ما لهذه(4) الأواني الصّينيّة بيعُها غالٍ(5)، قالوا: كلّ صفحة بخمسين درهم وجفان(6) بدينار، والصغيرة بنصف دينار. وقالوا : لها سرّ عظيم، أنّه إذا جُعل **[25و]** فيها السّمّ تنشقّ وتنكسر، ولذلك غلاؤها عند الملوك والسّلاطين. والغالب على(7) ألوانها خُضر وسماوي(8)، وكان هذا [الملك](9) شمْر عِشر(10) يغَرّم ملوك الفرس ألف ألف قوْس من الأقواس العربيّات(11)، وكان يغرّم ملك الرّوم ألف ألف سيف من السّيوف الهنديّات(12). وكان يغرّم ملوك قياصرة بني الأصفر الهراقل(13) ألف ألف هن الدّروع والمصفّحات(14) الدّوديات. وكان يغرّم العمالقة من ملوك بقيّة عاد الثاني ألف ألف من البيضات(15) العاديّات(16).

---

(1) هذا تحريف لعنوان كتاب لوهب بن مبّه وهو «ذكر الملوك المتوّجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم» رآه ابن خلكان في مجلّد واحد ويعرف اختصارا بكتاب « التّيجان في ملوك حمير» ط. حيدر أباد 1928.(الأعلام للزّركلي ط5 / 1980، ج 8 / ص 126، والمنجد في اللّغة والأعلام ص 504).

(2) الرّواي هو المؤلّف.(3) في الأصل : بأغلا.(4) في الأصل : لهذا.(5) في الأصل : غالى.

(6) استعمل المؤلّف الجمع والسّياق يقتضي استعمال المفرد «جفنة».(7) في الأصل: عليها.

(8) في الأصل : سماويّا، أي لونه لون السّماء أي أزرق.(9) زيادة للتّوضيح.

(10) ذكر سابقا بإطالة حركة العين : شمر عيشر.(11) أي الشّبيهة بالأقواس العربيّة الصّنع.

(12) أي السّيوف الشبيهة بالسّيوف المصنوعة في الهند.

(13) الهراقل جمع هرقل، المؤلّف يميّز بين لقب ملكي الرّوم : قيصر جمعهُ قياصرة وهرقل وجمعه هراقل وهي تاريخيا تطلق على نفس المسمّى.

(14) المصفّحات : السّيوف، والدّوديات : هي السيوف التي من مضائها ولمعانها يُرى على صفحاتها مثل النّمل والدّود.(15) جمع بيضة وهي الخوذة.

(16) العاديّات هي الخيول ويبدو أنّ المؤلّف أخطأ في فهمها واستعمالها. إذ استعملها وصفا للبيضات . لذا يمكن قراءتها مسبوقة بواو العطف ويكون المعنى أنه أغرمهم الخوذات والخيول معا.

قال عبد الله [ابن عبّاس](1) عن سعيد بن عمرو بن العاص عن وهب بن منبّه(2) أنّ وهبا سأله رجل من العرب عن ملوك حمير فقال : ابن عمْرو [25ظ] بن العاص أخبر(3) مني في قبائل حمير وقبائل العرب. قال الرّجل : فسألت سعيد بن عمرو فقال لي : إنّ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه كان إذا حدّث عن ملوك حمير كان يقول : أُحدّث عن حمير وملوكها ولا حرج(4)، لأنّ في أحداثهم(5) عجائب. قال سعيد بن عمرو بن العاص : والذي نفسي بيده أنّ حمير في العرب كالأنف في الوجه يزيّن الوجه، كذلك ملوك حمير، ملوك العرب، تزيّن بهم جميع ملوك العرب. [هكذا كان](6) يُحدِث عن عجائبَ ملوك حمير.

وقال ابن الصبّاح: تُنْقل(7) [هذه العجائب](8) عن رواة كتاب التّيجان مثل وهب ابن منبّه وغيره من الثّقات، [من ذلك](9) أنّه قال : مَلَكَ(10) ملوك قحطان بن هود وملوك [26و] حمير بن سبأ، ملكوا(11) الملك ثلاثة آلاف عامٍ، آخرهم بلقيس بنت أبي عمر الهُدْهدي، ثمّ انقلب الملك إلى عدنان من ذريّة إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السّلام أعطاه(12) امرأة من بنات قيدر بن إسماعيل(13). وانقرض الملك من آل قحطان وآل حمير [وانتقل](14) إلى عدنان، وذلك من كرامة النبيء ﷺ وأمّتِه عند الله تعالى.

---

(1) زيادة للتّوضيح. وعبد الله بن عبّاس ابن عمّ الرّسول وأحد المحدّثين المشهورين.

(2) وهب بن منبّه (34/ 654 - 114 / 732) : هو أبو عبد الله وهب بن منبّه الأبناوي الصّنعاني الذّماري، مؤرّخ كثير الإخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأوّلين ولاسيّما الإسرائيليّات، أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن، وأمّه من حمير، ولد ومات بصنعاء، ولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها. صحب ابن عباس ولازمه 13 سنة. من كتبه : ذكر الملوك المتوّجة من حمير» و «قصص الأنبياء» و«قصص الأخيار» (الأعلام ط 1980 ج8 ص ص 125-126).

(3) أخبر بمعنى أعلم.

(4) حديث عليّ كأنّه مأخوذ من قوله ﷺ: حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج (انظر : دراسات أندلسيّة ع 40 / 2008 ص ص 45-62).

(5) في أحداثهم أي أخبارهم والضمير يعود على ملوك حمير. (6) زيادة للتّوضيح.(7) في الأصل : ينقلوه.

(8) زيادة للتّوضيح. (9) زيادة للتّوضيح. (10) في الأصل : ملكت.(11) في الأصل : ملكت.

(12) أي أعطى إسماعيل عدنان : بمعنى زوّجه .(13) لم نتمكّن من معرفته.

(14) زيادة للتّوضيح.

قال وهب بن منبّه : ذُكِرَتْ[1]فضائلُ ملوك حمير وملوك قحطان عند رسول الله ﷺ فقال عليه السّلام : «لقد كان [المُلك][2]فيهم، ولكن هو اليوم في آل عدنان».

قال ابن الصباح : لم نعلم في جميع ما **[26ظ]** قرأته من تواريخ الملوك على مشائخ [لهم مؤلّفات][3]في أنساب العرب، من بقي من عقبهم[4]إلى اليوم في زماننا إلاّ ملك الأندلس ابن الأحمر. قال المؤلّف رحمه الله : هذا الإسم بقي على حاله لم يتغيّر، وأمّا إسم الملك حمير وذرّيته [فقد][5]تغيّرت أسماؤهم [لأنّ][6]الملك حمير كان إسمه الملك الأحمر. قال ابن الصبّاح : ما من تاريخ قرأته وفيه إسم حمير، إلاّ وذكر فيه[7]سبب تغيّر الإسم، وأتوا بدليل على ذلك التّغيّر. قال[8]أصحاب التّواريخ المتقدّمة : إنّ سبب إسم الملك [الأحمر][9] [هو أنّ][10] أوّل من لبس التّاج من ولد سبأ كان زيّن تاجَه بجملة من الياقُوت الأحمَر **[27و]** حتّى إذا جلس على سرير ملكه كان يضاء[11]من [لمعان][12]تاجه القصرَ كلّه، فكان يحمرّ وجهه من [ذلك][13]الضّياء [المتأتّي][14] من الياقوت العظيم. فكانت العرب تسمّيه[15] الملك الأحمر. فلمّا طال الزّمان وتهاوت[16]ملوك حمير قامت ملوك عدنان ببركة النبيء عليه السّلام، وكثرت لغات العامّة[17] وغلبت على النّاس، أهملوا الإسم وبدّلوا الألف والبعض زادوا الياء[18]فقالوا حمير، هذا لجهلهم بالإسم وجهلهم بالحرمة[19]والرّفعة والكرم والشأن، فبقي الإسم عامًّا إلى عهد رسول الله ﷺ. ولا يعرف هذا الاسم إلاّ أهل التّاريخ المتقدّمين **[27ظ]**.

قال [المؤلّف][20]رحمه الله : كانت العرب تكتب بخطّ حمير وتاريخ ذي القرنين[21]حتّى إلى عهد رسول الله، [ثمّ][22]انقلب الخطّ إلى هذا الذي نحن عليه

---

(1) في الأصل : ذَكَرْتُ، وهذا مستحيل لأنّ وهب من التابعين ولم ير الرّسول فيحدّثه.

(2) زيادة للتّوضيح .(3) زيادة للتّوضيح.(4) في الأصل : عقيبهم.(5) زيادة يقتضيها التّركيب.

(6) زيادة يقتضيها التّركيب. (7) في الأصل : إلاّ ذكر فيه.(8) في الأصل : قالت.(9) زيادة للتّوضيح.

(10) في الأصل : كان.(11) في الأصل : يضىء.(12) زيادة للتّوضيح.(13) زيادة للتّوضيح .

(14) زيادة للتّوضيح.(15) في الأصل : تسمّه.(16) في الأصل: تهاونت.(17) لُغات : بمعنى لهجات.

(18) أي حذفوا الألف الأولى في اسم «أحمر» وأضافوا ياء بعد الميم فأصبح أحمر = حمير.

(19) الحرمة هنا الاحترام. (20)زيادة للتّوضيح.(21) توفي ذو القرنين في 323 ق.م لكن هل أصبح النّاس بعد وفاته يؤرّخون ابتداء من هذه السّنة؟.(22) زيادة للرّبط والتّوضيح.

اليوم في زماننا هذا، [و][1]يسمّى المسند لأنّه أسند إلى هود عليه السّلام. وحديث هذا الخطّ أتى[2] به في حديث طويل، ولكن نختصر منه طرفا، وهكذا جميع ما نذكره في رحلتنا، ما نذكر[3] إلاّ طرفا منه في جميع الأخبار كلّها من أجل [الخوف من][4]التطويل، إذ لو طوّلت كلّ قصّة عن أصلها وتمامها يُحتاج إلى أربعة أسفار أو أكثر **[28و]**. وهذا من فضل الله علينا وعلى النّاس، ولكن أكثر النّاس لا يعلمون[5]. بل إنّا نحمد اللهَ ونشكره كما هو أهله، و﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ** ﴾ [6]. قال وهب بن منبّه : أوّل ما كانت حميرُ تكتب بالخطّ المسند حتّى كانوا يكتبون به على الأحجار والمرمر وعلى الطّريق [7] وعلى جميع الأشياء حتّى أنّه أتى[8] حمير في النّوم ذات ليلة آت يُسمع كلامه ولا يُرى شخصه، فقال له : يا حمير ألا تتّقي الله؟ قال حمير : ومالي لا أتّقي الله وأنا مسلم على دين جدّي هود الرّسول، وهو **[28ظ]** دين الله القيم. قال له المَلَكُ الذي أتاه في النّوم: إنّك تكْتبُ بخطّ المسند، وهي لغة النبيء الذي سيأتي [9] في آخر الزّمان وهي اللّغة الشريفة، ولغة أهل الجنّة ولغة كلام القرآن الميسّر على لسان نبيّه محمّد ﷺ، اترُكْ ذلك حتّى إلى أوانه وزمانه [10]. قال فقام الملك حمير وحدّث بذلك[11] أولاده فقال [12] أولاده : اترُكْ ما أُمِرت [بتركه][13]. قال : الملك حمير فبماذا نكتب[14] إلى الملوك وأقطار الأرْض من العمّال، فقال[15] أولاده : يغنيك الله بغيره، ما أعطاك الله الملك والقهر للأعداء [16] إلاّ ويجعل لك مخرجا. قال : فلمّا كان في اللّيلة الثّانية أتاه المَلَكُ **[29و]** فعلّمه الخطّ الحميري، وبقي هذا الخطّ [بحروفه] [17] الثمانية وعشرين[18]حرفا، إلى الرّسول ﷺ، فاصطلحت عليه [19] العرب المستعربة من ذريّة

---

(1) زيادة للرّبط.(2) في الأصل : نأتي به.(3) في الأصل : نذكره.(4) إضافة للتّوضيح.
(5) في الطرّة : يشكرون .(6) 7 ك الأعراف ، الآية 43.(7) في الأصل : الطّروق.(8) في الأصل : أتا.
(9) في الأصل : يأتي .(10) الضمير يعود على النّبيء.(11) في الأصل : ذلك.(12) في الأصل : قالت.
(13) زيادة للتّوضيح .(14) في الأصل : فما تكتب.(15) في الأصل : قالت .
(16) في الأصل : على الأعداء.(17) زيادة للتّوضيح .(18) في الأصل: عشرون.
(19) الضمير يعود على الخطّ.

إسماعيل وآل عدنان و[منهم](1)قريش وبنو(2)هاشم وبنو(3)عبد المطلب إلى زماننا هذا إلى يوم القيامة. اللّهم يسّر به ألسنتنا آمين يا ربّ العالمين.

قال عبد الله بن الصبّاح : الحديث يطول في أحاديث(4)ملوك قحطان وحمير عن وهب بن منبّه [الذي قال](5) : إنّ أوّل من قيل له : أنْعم صباحا كان قحطان الملك بن هود النبيء، فعمّت العربَ العاربة وغيرَها إلى يومنا هذا، ولكن سمّاها(6)الفقهاء تحيّة الجاهليّة **[29ظ]** و(7)بها كانت تحيّي، إلى أن عُرِجَ بالنّبي عليه السّلام [إلى السّماء في ليلة الإسراء والمعراج](8)، وعلّمه الله التّحيّة وَهو قوله السّلام عليكم.

فصل : وهذا المناق ساقه [الحديث](9)عن(10)أصل أنساب ملك الأندلس ابن الأحمر. اعلم أيها القارئ أن عادة [عالم](11) الفقه الموسّع في الحسّ (هكذا) والألفاظ(12)أنّه إذا ذَكَر شيئا من القصص والأخبار أو ذُكِرتْ(13)عنده فإنّه(14)يأتي بالبيان والأصل والأسباب في النّازلة(15). ولكن [لا يكون](16) الفهم والفطنة والحسّ القويّ(17) إلاّ إذا صرّح في الكلام [أنّه سيستطرد](18)، ثم عاد إلى قصّته التي خرج منها(19)بإثبات الأوّل فالأوّل. وأنا الحاج عبد الله بن الصّباح نشرع (20) في الكلام ونستغرق، ولكن نرجو(21) الهدى من **[30و]** الله عزّ وجلّ والإلهام لأنّ البلاء موكّل بالمنطق، والشيطان للإنسان عدوّ مبين، وحسبي الله ونعم الوكيل.

[الآن](22)نرجع إلى ما خرجنا منه من صفة مَلِك الأندلس وصفة مدائنها وأسمائها. قال المؤلّف : دخلت مدينة غرناطة -أعادها الله للإسلام ونصرها الله-(23) ورأيت فيها عمارة حسنة وبنيانا حسنا وأنهارا في وسطها(24)، وعلماء وقرّاء وخطباء

(1) زيادة للتّوضيح.(2) في الأصل بنوا.(3) في الأصل : بنوا.(4) أحاديث : أي أخبار.
(5) زيادة للتّوضيح .(6) في الأصل: سمّتها.(7) في الأصل : وأن. (8) زيادة للتّوضيح.
(9) زيادة للتّوضيح. (10) في الأصل : على.(11) زيادة للتّوضيح.(12) أي الموسّع محتوى ولفظا.
(13) في الأصل : ذَكَرَتْ.(14) في الأصل : أنه.(15) النّازلة : الموضوع . (16) في الأصل : ما هو.
(17) قد يكون المقصود بالحسّ : الإدراك. (18) زيادة للتّوضيح.
(19) أي عاد إلى الموضوع الأصلي بعد الاستطراد.(20) في الأصل : نشرح.
(21) في الأصل : نرجوا.(22) زيادة للرّبط .
(23) هذا يدلّ على أنّه دخل غرناطة ولم تكن قد سقطت بيد النّصارى أثناء الذهاب لكن لمّا رجع وأملى رحلته كانت غرناطة عاصمة بني الأحمر قد سقطت.(24) المقصود نهر شنيل وفروعه.

سبعة، أسماؤهم[1]مشهورة عند المسافرين وهي مدينة معلقة بجبل[2] من جبال شلير[3]، غريبة المنظر، تنظر إلى بلاد العدوّ[4]، بيضاء الأسوار، مدينة حسنة على رأسها تاج. وهو منزل السّلطان المسمّى بالحمراء[5] **[30ظ]**، تنهمر منها مياه و[تُرى][6]خضرة، [هي][7]مدينة مزيّنة بكثرة الأشجار والعمارة والقصور. إنّ من جملة ما كان فيها من الأجنّة ألف ألف جنان، فيها ألف ألف قصر عامرة بالرّجال والأولاد والحريم[8]، في زمان الفواكه يعمرونها بالعمارة الحسنة[9]، وفي كلّ قصر [نسمع][10] الغناء[11] والطّرب، طوال[12] خمسة أشهر [مع][13] الأكل والشرب والفرح والسّرور. ومدينة غرناطة في مدائن بلاد الأندلس ليس لها نظير في جملة المدائن. وهي مدينة فيها العدل في جميع الأحكام: في الحسبة والأسعار والبيع والشّراء، والاحتراز من الرّبا، والمحافظة[14]على الحلال. مدينة**[31و]** غرناطة طيّبة الهواء والماء، مليحة الدّيباج في الرّجال والأولاد والنّساء[15]كثيرة الكسوة والثّياب، كثيرة الحرث والنّسل، طيّبة المرعى، كثيرة الرّخاء في جميع الأشياء، ساكنها سعيد وميّتها شهيد. كفى بها (أنّ)[16]العدوّ ينظر[17]إليها فينقهر، وكفى أنّها تنازع[18]الشّيطان، وتنازع[19] أصحاب الأوثان، قاهرة أصحاب الصلبان. يراها العدوّ فينفجع. وكفى بها أنّها بقيت من علامات فخر الإسلام على عبدة الأوثان والصّلبان. لها من المدائن والحصون المشهورة والخيول المرتّبة في ثغور الرّوم[20]، مستعدّين بالعدد والعتاد[21]**[31ظ]**والسّيوف القاطعات، مستعدّين[22]في كلّ

---

(1) في الأصل: أسماؤها.(2) في الأصل: متعلّقة بالجبل.

(3) وجبل شلير هي الجبال المسمّاة بجبل الثلج وبالإسبانية Sierra Nevada يقع شمال غرناطة (صفة جزيرة الأندلس ص 112).

(4) المقصود بغريبة المنظر جبال شلير وهي فعلا تشرف على أرض قشتالة.

(5) في الأصل: بالحمرة.(6) زيادة للتّوضيح.(7) زيادة للرّبط.

(8) هذه الأرقام يستعملها المؤلّف للدّلالة على الكثرة وهو متأثّر في ذلك بقصص ألف ليلة وليلة.

(9) كان سكّان غرناطة زمن الجني يزيّنون مساكنهم تعبيرًا عن البهجة والفرح.

(10) زيادة للتّوضيح.(11) في الأصل: المغاني.(12) في الأصل: بطول.(13) زيادة للتّوضيح.

(14) في الأصل: في الحفظ.(15) المقصود: حسن لباس أهل الأندلس رجالا ونساء وأولادا.

(16) زيادة اقتضاها التّركيب.(17) في الأصل: ينظر العدوّ.(18) في الأصل: نازعة.

(19) في الأصل: نازعة.(20) المقصود: النّصارى.(21) في الأصل: مُعدّين بالعدد والمعدّات.

(22) في الأصل: معدّين.

ساعة وحين، ينتظرون العدوّ بصدور منشرحة[1]، وقلوب فرحة[2]. غزواتهم مشهورة، وأعلامهم منشورة، ودفعاتهم منصورة. قهروا العدوّ ونصروا الدّين، وافتخرت بهم أمصار المسلمين. سلطانها الملك الأحمر[3] حرّ من أحرار ملوك قحطان وآل حمير نصرهم الله ما دام الدّهر، به يَفتخر[4] أهل آخر الزّمان. نصر الله جميعهم وثبّت أقدامهم إلى آخر الزّمان والدّهور، ينصرون[5] دين الله وشريعة نبيّهم محمّد ﷺ.

قال المؤلّف رحمه الله : من أراد أن ينظر **[32و]** إلى دمشق الشّام فلينظر إلى بلنسيّة وغرناطة، في الماء والهواء والعمارة والبنيان الحسن. وإنّي لم تطب نفسي، فيما[6] دخلت من المدائن، على سكنى[7] غير مدينة غرناطة. (فهي)[8] كثيرة الحصون والقرى[9] والمدن مثل الشّام. وقد كان[10] المسافرون يصفون المدن ويقولون : إنّ جزيرة الأندلس سامية[11]. فكان قولهم ذلك هو الحق[12]. قال المؤلّف : لم أر في الأقاليم الخمسة التي دخلت، من السّبعة أقاليم، أحسن ولا أملح ولا أضوأ منظرا من أرض بلنسيّة، وأرض مرسية وأرض قرطبة، وأرض غرناطة. من أراد أن ينظر **[32ظ]** إلى ملك الشّام، فلينظر إلى هذه البلاد[13]. غير أنّ الشّام (هي)[14] الأرض المقدّسة، وفيها المحشر، وإليها المصير. بلاد ملك بني الأحمر لها من المدائن عدد مثل ملك الشّام : مثل مالقة، ووادي آش، وبسطة[15] : دار الزّعفران. والمريّة : دار التجّار، والمنكّب[16] : دار القصب الحلو والسّكر، ومالقة : دار الذّهب في الفخّار، وجبل شُلير: دار الحرير المفتخر. وتحته المدينة المذكورة غرناطة دار صناعة نسيج الحرير الشّرب (هكذا)، والزّردخان [17]. لم ير في الأفق صناعة، في كلّ ما جاء[18] النّاس به من **[33و]** الصّنائع، مثل (ما في)[19] مدينة غرناطة وملكها وحرثها ونسلها. (فهي)[20] مكتفية

---

(1) في الأصل: مشروحة. (2) في الأصل : فارحة. (3) أي ابن الأحمر. (4) في الأصل : تفتخرُ.
(5) في الأصل : ينظروا. (6) في الأصل : فيها. (7) في الأصل : سَكْنَا. (8) زيادة اقتضاها التّركيب.
(9) في الأصل : القرا. (10) في الأصل : كانت.
(11) معناه : عالية القدر. وقد نقرؤها «شاميّة» أي في مناخها وجمال طبيعتها.
(12) في الأصل : فكان ذلك الحق ما قالوا. (13) المقصود الأندلس. (14) زيادة اقتضاها التّركيب.
(15) في الأصل بصطة. (16) في الأصل : منكب. (17) الزردخان : نوع من الحرير الجيّد.
(18) في الأصل : جاءت. (19) زيادة اقتضاها التّركيب. (20) زيادة اقتضاها التّركيب.

عن سائر الأرض والأقطار. بلاد لا تنقطع منها غلّة من زرع وثمار، حبوبها ياسرة(1)، وعمارتها متّسعة(2). ليس(3)عندهم خوف من محل، ولا جوع(4)، رجال بطونهم مخمصة، ووجوههم مضيئة، وأجسامهم شديدة، وقلوبهم عقيدة(5)، لا يسمعون باطلا ولا محالا، نصفهم بوصف الأنصار(6): شبّان حوّار غوّار(7). لا تأخذهم في الله لومة لائم. ولا خوف يخافونه من الكفّار. الموت في الجهاد عندهم أحلى(8) من الشّهد، وألين من الزّبد، طالبين الآخرة ومرضاة(9) الرّبّ **[33ظ]** بالجدّ والحزم والعزم والقوّة والإيثار. يطلبون رضاء الرّحمان، وجنّة الرّضوان، والحور العين، وجنّة الرّضوان (هكذا).

إنّ(10)مثل ملك بني الأحمر كمثل ملك الشّام. في كلّ قرية خطبة، وماء وأذان [في المآذن](11) ويعني(12)بالمآذن(13) الصّوامع. في كلّ قرية صومعة مثل القلوع(14) في البحر، وفي كلّ قرية خطبة. (وهناك)(15) قرى وحصون مثل النّجوم في السّماء وكذلك جبال بيت المقدس. والله إنّها ملك مبارك(16)، وبقيّة من البركة التي(17)كانت في جزيرة إسبانيا(18)، والدّليل(19)[على هذه](20) البركة أنّ فيها النّصر والظّفر بالعَدوّ في جميع السّنين الماضية والآتية(21) انظر إلى **[34و]** الوقائع الكثيرة(22) على زماننا، وزمان أجدادنا، كم من وقعة نصروا [فيها](23) على الأعداء. وكفى بوقعة فجّ خير (24) على زماننا هذا. وهذا دليل الخير والفضيلة[التي تميّزها](25)على سائر البلاد. جرى فيها

(1) ياسرة : عبارة من اللّهجة الدّارجة بمعنى كثيرة.(2) في الأصل : كثيرة.(3) في الأصل : لا.
(4) في الأصل : لا رجوع.(5) عقيدة : مؤمنة، أو عاقدة العزم.
(6) أي لهم صفات الأنصار، أنصار الرّسول في المدينة.
(7) حوّار : من حار أي رجع وحوّار كثير الرّجوع وغوّار كثير الغارة . والمقصود أنّ هؤلاء الشبّان يحسنون الكرّ والفرّ في الحرب. والمؤلّف استعمل الوصف المفرد للجمع حتى يحافظ على السّجع.
(8) في الأصل : أحلا. (9) في الأصل : مرضات.(10) في الأصل : فإنّ .(11) زيادة للتّوضيح .
(12) أي المؤلّف.(13) في الأصل : بالمؤاذن. (14) في الفصحى نقول : القلاع.
(15) زيادة اقتضاها التّركيب.(16) في الأصل : ملكا مباركا.(17) في الأصل : الذي .
(18) في الأصل : اصبانية.(19) في الأصل : دليل.(20) زيادة اقتضاها التّركيب.(21) في الأصل : الباقية.
(22) في الأصل : وقعتها اليسيرة . من يَاسر أي كثير بالدّارجة.(23) زيادة اقتضاها التّركيب.
(24) خير، وخير هي مدينة جيّان Jaén .
(25) زيادة اقتضاها التّركيب، والضمير يعود على الأندلس.

[من الهزائم](1)على الفئة(2)الكثيرة من الرّوم(3)، بالفئة(4)القليلة من المسلمين مثل وقعة وادي آش : وهي دار مملكة وخصب ورخاء وخير ومياه وبساتين وجنّات في الأرض. وفي جبال الغربيّة مدينة رندة، وأحوازها كثيرة الزّرع والحرث والنّسل.

قال [المؤلّف] (5) : بعد ملك الشّام وملك مصر، لم يكن في بلاد العرب موضعا طيّبا للمؤمن يعينه على دينه ودنياه إلاّ ملك بني الأحمر بالأندلس. وبالله التّوفيق [34ظ]هذا(6) ما اختصرناه في قصّة جزيرة إسبانية(7)ممّا جرى(8)فيها من خير وشرّ. نسأل الله ربّنا أن يحسن العاقبة في ما(9)بقي (10) وأن يسبل السّتر على المؤمنين الذين بقوا تحت الذّمّة في الجزيرة المذكورة. وألاّ(11) يؤاخذ من قدر على الخروج، ولم يخرج. ألاّ (12)يؤاخذه الله بعقوبة، إنّه كريم جواد حليم، لا يعجّل [بالعقاب](13)، وأن ينجيهم ببركة كلمة التّوحيد، ونيّة الإخلاص في دين الله وشريعة نبيّه عليه السّلام. ونسأل الله ربّنا أن يجمع جماعة المسلمين في جنّة النّعيم مع النّبيئين والشّهداء والصّالحين، آمين يا ربّ العالمين. والله تعالى يقول [35و] :﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾(14).

أعلم أيها القارئ والمستمع أنّ كلّ ما كتبناه وسطّرناه كلّه من صدرنا(15)ودماغنا، وما قُدّم(16)لنا من المشائخ والكتب والتّواريخ رفعناه في صدرنا(17) وثبت في دماغنا. فلا يغرّنّك إن كان [هناك](18)خلل(19) في الترتيب والكلام وهجاء(20)الحروف، وذلك من طول المدّة عن المشائخ وعدم النّسخ، والله ما يكون مثلي أنا يُحسن(21)تواريخ الأوّلين ووقائع البلاد وملوك التّبابعة وملوك العرب والعجم واليونانيّين(22) وغيرهم من ذريّة نوح [إلاّ بما] أحبسه في قلبي [35ظ] ودماغي(23).

---

(1) أي الأندلس.(2) في الأصل : بالفيئة. (3) أي النّصارى الإسبان. (4) في الأصل : والفيئة.
(5) إضافة للتوضيح. (6) في الأصل : وهذا. (7) في الأصل : إصْبانية. (8) في الأصل : جرا.
(9) في الأصل : الذي. (10) في الأصل : بقا.(11) في الأصل : أن لا.(12) في الأصل : أن لا.
(13) زيادة للتّوضيح.(14) 28 ك القصص ، الآية 83.(15) في الأصل: دورنا.(16) في الأصل : تقدّم .
(17) انظر ت 15. (18) زيادة للتّوضيح.(19) في الأصل: خلال.(20) هجاء بمعنى نطق.
(21) في الأصل نحسن. والمؤلّف هنا يعتذر للقارئ عمّا يجده من خلل في رحلته لأنّه يكتب التّاريخ القديم من ذاكرته دون أن يكون له مصادر بين يديه. وما أخذه عن شيوخه لم يسجّله.
(22) في الأصل : اليونانيّون.(23) أي أنّ الحفظ والذّاكرة هما معوّل المؤلّف فيما يكتبه عن التّاريخ القديم.

نقول وبالله التّوفيق : لولاهَمّ الأولاد وهمّ الدّنيا وقلّة الموجود لكان، بعون الله، ديوانا(1) من آدم إلى وقتنا هذا. الآن كلّ كاتب ومؤرّخ لا يقدر أن يكتب حتّى تكون نسخة بين عينيه [ومع ذلك](2) يغلط ويعيا ويملّ ويضيق صدره. وأنا الحاج عبد الله بن الصبّاح لا كتاب ولا نسخة عندي ولا موجود معي في الغربة(3). إلاّ الصّداع مع الأولاد من جهة النّفقة والكسوة. وما(4) يحتجاون(5)إليه والسّكنى(6). [لقد](7)هلك جميع الناس في هذه الثلاثة أشيَاء. ولكن الحمد الله الذي صبّرنا على مصائب الدّنيا، اللّهم صبّرنا كما ابتليْتَنا(8)، وهذا **[36و]**من فضل الله أن كتبتُ هذا من(9)ظهر قلبي ودماغي، وهذا قليل في زماننا هذا، قد يكون [هناك](10)من هو أحفظ منّي وأعلم منّي وأشدّ قوّة منّي في البصيرة في(11)بصائر الأشياء ولا [يهتمّ](12) بفكرتها ولا يعبأ بها(13)، لكن نسأل الله ربّنا أن ينفعنا بها وكلّ من يصغي إليها(14)من هذه الأمّة المرحومة. ورحم(15)الله من قرأها(16)ووجد شيئا من الخلل فأصلحه وسامح(17)ولم يعاتب لأنّ الشيطان يجري في بني آدم مجرى الدّم، وفي صدره يوسوس عند كلّ غفلة. اللّهم اعصمنا من الشّيطان الرّجيم، آمين يا ربّ العالمين. وهذا ما بلّغناه والحمد لله **[36ظ]** ربّ العالمين.

قال ابن الصبّاح : فرغنا من جزيرة إسبانيا(18)المباركة فيما ذكرناه على وجه الاختصار، لأنّ الشّيء الطويل يُلتبس على الطالب الضّعيف من قلّة الشّيوخ [القادرين على](19)أن يصوّروا له(20)وجه المسألة، لأنّه لابدّ لكلّ علم من شيخ يُريك

---

(1) في الأصل جاءت الجملة هكذا : إن بعون الله يكون ديوانا.(2) زيادة للتّوضيح.

(3) يشتكي المؤلّف من ثلاثة أشياء تعوقه عن الكتابة : عدم وجود مصادر، لم يحتفظ بنسخة ممّا أخذه عن شيوخه، الغربة .

(4) في الأصل : الذي .(5) في الأصل : يحتاجوا.(6) في الأصل : السّكنا.(7) زيادة للرّبط.

(8) في الأصل : أبليتنا.(9) في الفصحى نقول عن.(10) زيادة للتّوضيح.(11) الأولى أن نقول : ببصائر.

(12) زيادة للتّوضيح.

(13) الفكرة هنا المقصود بها الموضوع : أي أن هناك من هو أقدر على الكتابة في هذا الموضوع وهو تاريخ العرب القديم ولكنّه لا يهتمّ به ولا يعبأ به.

(14) الضمير يعود على رحلته التي أملاها من صدره.(15) في الأصل : فرحم.

(16) الضمير يعود على نصّ الرّحلة. (17) في الأصل : سمح.(18) في الأصل : إصبانية.

(19) زيادة للرّبط.(20) في الأصل : أن يصوّره.

نصوصه[1]وإلا فالعلم عندك ضائع[2]. ومن لم يكن له دليل من شيخ أو كتاب ينقل عن شيخ كان الشيطان شيخه، إنّه للإنسان عدوّ مبين [3]. فلمّا علم الحاج المبارك أنّ بلاد الدّجال[4]المغصوبة من يد المسلمين لم يبق فيها شيخ لهذه الأشياء[5] ولا من يعتبرها[6]، أقصر[7] وأوجز الخطاب[8]، ولكن لابدّ [مِن وجود][9] من يكون **[37و]**له فطانة في البعض منها[10]فيحصل الثّواب للجميع لقول النبيء عليه السّلام : «القارئ والمستمع في الأجر سواء، والأعمال بالنّيّات، ولكلّ امرئ ما نوى[11]» من الخير الحسن أو الشَرّ أو الغِير[12]. وهذا كتاب يدور أكثره على الاعتبار في الأسفار. والمستمع يعتبر بما يسمع فينتفع به، إنّ الله تعالى لم يضرب الأمثال[13]في كتابه إلاّ لتعرف الأشياء بها. وما فائدة القصص في القرآن إلاّ ليتفكّروا[14]ويعتبروا[15]. ألم تر أنّ الله تعالى يقول : يا محمّد **﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾**[16] للاعتبار[17] والرّجوع عن أهل طريقة الشرّ والاقتداء بطريقة **[37ظ]** أهل الخير، والثبات[18] على الصبر على آفات الدّنيا ومصائبها [و][19] أمرّ الشدائد لأنّ الفرج [يكون][20] بعد الشدّة والاقتداء بصبر النّبيئين والمرسلين وما أصابهم مع أقوامهم هو[21]لهم راحة لقلوبهم وتسلية لهم. ألم تر إلى قوله تعالى حيث يقول : يا محمّد **﴿وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ**

---

(1) في الأصل : شخوصه. (2) من قول الشاعر (الطويل) :

ولابدّ مِن شيخ يُريكَ نصوصَه.:.وإلاّ فنصفُ العلم عندك ضائع.

(3) من قوله تعالى : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ 12 ك يوسف ، الآية 5.

(4) الدّجال : هم المدجّنون، وهم المسلمون الذين بقوا في الأندلس بعد سقوط مدنهم وقراهم في يد الإسبان.

(5) الأشياء أي العلوم.(6) من يعتبرها أي يأخذ منها العبرة.(7) بمعنى لم يُطل.

(8) أي أملى رحلته ليستفيد منها المدجّنون الذين لم تتح لهم الفرصة للحجّ. ويمكن أن نقرأها «أوجز».

(9) زيادة للتّوضيح.(10) الضمير يعود على العلوم.

(11) في سنن ابن ماجة رقم 241 نجد : العالم والمتعلّم شريكان في الأجر.

(12) الغير : هي المصائب ومنه غير الدّهر.

(13) في الأصل : في الأمثال.(14) في الأصل: ليتفكّرون.(15) في الأصل : ويعتبرون.

(16) 27 ك النّمل، الآية 69.(17) في الأصل : للعبار.(18) في الأصل : التّثبّت.

(19) زيادة للرّبط.(20) زيادة للتّوضح.(21) في الأصل : فكانت.

وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]. فكان القصص والأخبار في علم الله عزّ وجلّ. وكلام الله عبر[2]لقوله تعالى : ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إلاَّ الْعَالِمُونَ﴾[3]، ولهذا قال تعالى [38و] ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[4]ولكلّ درجات يُعطي من يشاء من فضله ويضلّ من يشاء بعدله، والحمد للّه الذي هدانا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله. لقد جاءت رسل ربّنا بالحقّ.

(1) 11 ك هود ، الآية 120.(2) في الأصل : عير كلام الله عير (هكذا).(3) 29 ك العنكبوت، الآية 43.
(4) 39 ك الزّمر، الآية 9.

[الخروج من العدوة الأندلسيّة إلى العدوة الإفريقيّة]

قال ابن الصّباح : خرجت من بلاد الأندلس، [وانتهيت من][1] وصفها بالخبر والعين، والله الموفّق للصّواب. نخرج [الآن][2] من ملك بني الأحمر، وهو مسيرة سبعة أيّام طولا وثلاثة أيّام عرضا، ولكن عمارتها من القرى والحصون وجميع العمائر تناظر بعضها بعضا، لا تغيب مدينة عن[3] أخرى ولا قرية عن أخرى، ولا حصن عن آخر، كلّها ينظر **[38ظ]** بعضها إلى بعض[4]. اللّهم عمِّرها بالإسلام إلى يوم البعث[5]، اللّهم آمين يا ربّ العالمين. قال الرّاوي جزنا في بعض الأزقّة[6] طوله نحو الميل أو أشدّ شيئا[7]، يظهر البرّ كأنّه جبال. ثمّ جزنا إلى مدينة سبتة في البرّ المتّصل [وهو][8] ملك بني مرين المتّسع المبارك بالخصب والاتّساع وكثرة الحرث والنّسل والانتفاع. على مدينة سبتة جبال عامرة [بقبائل][9] من ذريّة حمير الأحرار [10]، فيهم الكرم الكثير والإيثار والشّجاعة والبراعة. وجبالهم كثيرة العنب والثمار. خصّهم[11] الله بالضيافة[12] والخطار[13]. في كلّ مسجد قصاع اللّحم بثريد[14] الحنطة **[39و]** والأبزار.

[مدينة سبتة]

قال الرّاوي رحمه الله قال عبد الله [15] : مدينة سبتة حاضرة من حواضر

---

(1) زيادو للتّوضيح.(2) زيادة للرّبط.(3) في الأصل : من.
(4) في الأصل : بعضها بعضا : أي قريبة من بعضها.
(5) هذا يدلّ على أنّ المؤلّف يصف مملكة غرناطة في ظلّ بني الأحمر.(6) يقصد مضيق جبل طارق.
(7) أي أكثر من الميل بقليل. وفي الحقيقة طوله حوالي 18 ميلا.
(8) زيادة للرّبط.(9) زيادة للتّوضيح.
(10) سكان سبتة «عرب وبربر» حسب البكري، والعرب منهم من أصول يمنيّة (المسالك والممالك ج2 ص 780).
(11) في الأصل : أخصّهم.(12) في الأصل : الضياف. وهي كلمة من الدّارجة الأندلسيّة
(13) الخطّار : الرّمح أو الضارب بالرّمح والكلمة يرمز بها إلى «الشّجاعة» .(14) في الأصل : بالثّريد.
(15) يقصد ابن الصّبّاح.

الأندلس(1) في الكسوة واللّباس والسّيرة والعادة. «من لم ير جامع غرناطة الكبير لم ير شيئا عجيبا»(2). كثيرة ألوان الثّياب من لباس الحرير والملف(3) الإفرنْقيات(4) والجباب (5) في بلاد زناته (6) والقبلارات(7) أطوارًا أطوارًا أي ألوانا ألوانا(8). وهذه لغة أهل الشّام. قال الله تعالى في قصّة نوح ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾(9) أي ألوانا شتّى(10).

قال ابن الصبّاح رحمه الله : لم أر من يقيم الجمعة مثل [أهل](11) الأندلس وأهل سبته وأجوارها **[39ظ]** يقيمونها(12) عيدًا وموسما كبيرًا كما تأمر السنّة الواجبة في حقّ الجمعة . [وقد](13) جعلها الله عيدًا للمسلمين في هذه الأمّة. قال أصحاب التّواريخ [ومنهم](14)وهب بن منبّه وغيره من المؤرّخين : ما من رسول إلاّ وعرض الجمعة على قومه فلم يقبلوها إلاّ أمّة محمد ﷺ : عرضها موسى على بني إسرائيل فأبوا، وعرضها عيسى على النّصارى فأبوا(15)، واستحبّت اليهود السّبت والنصارى الأحد. فكان لكل واحد منهم سبب بخلاف وحجّة داحضة[أي](16) باطلة. وكان اسم يوم الجمعة في زمن العرب يوم العروبة(17). وكانت العرب يعظّمونه **[40 و]** في زمن الجاهليّة والإسلام. فلما جاء الإسلام جعلها الله عيدًا للمسلمين. وقصّة فضلها مشهورة(18) يستغنى عن ذكرها(19). قال ابن الصبّاح : فلم أر في جميع البلاد من يقيم الجمعة

---

(1) حاضرة هنا بمعنى مدينة، وليس المقصود عاصمة. وقول المؤلّف ، حاضرة من حواضر الأندلس، أي تابعة للأندلس باعتبار أنّ سبتة كانت تابعة للأندلس في بعض الفترات، أو أنّها تشبه مدن الأندلس فيما ذكره.

(2) هذا الوصف كان من المفروض وضعه عند ما وصف غرناطة.

(3) قماش الملف هو لباس الطبقة المترفّهة في العدوة الإفريقية. وإلى اليوم تصنع منه بعض ملابس النّساء.

(4) لعلّه لباس النّساء الإفريقيات أي سكان العدوة. وقد تقرأ : الإفرنجيّات.

(5) في الأصل : الجناب.(6) في الأصل : والبلاد زناته.

(7) لباس يشبه البرنس.

(8)فسّر المؤلّف أطوارًا بـ : ألوانا بينما المعنى في الآية الموالية (خلقكم أطوَارًا) بمعنى على أحوال مختلفة كما فصّل تعالى ذلك في سورة « 23 ك. المؤمنون» الآيات 12 - 13 - 14.

(9) 71 ك نوح ، الآية 13 - 14.(10) في الأصل: شتّا.(11) زيادة للتّوضيح.(12) في الأصل : يقيمها.

(13) زيادة للرّبط.(14) زيادة للرّبط.(15) في الأصل : أبت.(16) زيادة للتّوضيح.(17) في الأصل : العروب.

(18) في الأصل : مشهور.(19) في الأصل : يغني ذكره.

ويزيّنها مثل الأندلس وسبتة، ثمّ نرجع إلى العلماء فخر بلاد الأندلس(1) : في كلّ جامع خطبةٍ شيخٌ يعمل بالتّداول(2) [مع غيره](3) في [إلقاء دروس](4) في النّحو والعربيّة والتّصريف والأوزان في الأفعال مثل عثمان وزنه فعلان وعلي وزنه فعِلي، وقس على هذا من الأسماء سائر الأفعال(5). [ومن](6) مشائخ الأصول(7) و(8)التّوحيد(9) وعبارة القرآن(10): ما مجازه(11)؟ وما الحقيقة والحكم والمتشابه(12) [فيه](13) وغيرها(14): الشيخ المفتي **[40ظ]** في غرناطة سيّدي القيجاطي(15) وسيدي أبي سعيد(16) وسيدي الرّقّام(17)، ومشائخ [آخرون]في العلم بارك الله فيهم، وبارك الله فيها من بلادٍ وسادة وعلوم شتّى(18) يَقوَى(19) [بها وبهم](20) الإسلام شرقا وغربا.

نرجع لمدينة سبتة مدينة الناس الأخيار، وأظرف(21) الحضر، نظاف(22) الأثواب، وخير أولي(23) الألباب. تمشي في أسواق النّحاس الأصفر الذي يضيء مثل الذّهب الأصفر، ورجال وعدّة(24)، وشبان ورماة(25) ومرسى(26) وفرجات(27) في البحر(28)،

---

(1) في الأصل : ثمّ نرجع إلى فخر علماء بلاد الأندلس. (2) في الأصل : الدّولة.

(3) زيادة للتّوضيح. (4) زيادة للتّوضيح.

(5) يمكن من خلال هذه الجمل معرفة المستوى العلمي البسيط لابن الصّباح. (6) زيادة للرّبط.

(7) أصول الفقه : هو العلم بالقواعد التي يُتوصّل بها إلى الفقه (التعريفات للجرجاني ط. تونس 1971 ص 16).

(8) في الأصل : في.

(9) علم التّوحيد : هو علم تجريد الذّات الإلاهيّة من كلّ ما يتصوّر من الأفهام ويتخيل في الأوهام والأذهان (التعريفات ص 77).

(10) أي نصّ القرآن. (11) في الأصل : أن مجازته.

(12) المقصود : الأحكام المستخرجة من النصّ القرآني، والآيات المتشابهات. وقد يكون المؤلّف يشير إلى قوله تعالى : ﴿**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**﴾ 3م آل عمران، الآية 7.

(13) زيادة للتّوضيح. (14) في الأصل : غيره.

(15) في الأصل : القيزادي. والقيجاطي نسبة إلى المدينة الأندلسيّة «قيجاطة» هو أبو عبد الله محمد بن محمد ابن علي ت 811 / 1408 بغرناطة (درّة الحجال : 2/ 284).

(16) في الأصل : سيدي سعيد : لعلّه فرج بن لبّ. ت. 782/ 1380 بغرناطة (الإحاطة : 4/ 253).

(17) هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم عالم في الحساب والطبّ والهيئة، ت 713 / 1313 (الإحالة 3/ 69).

(18) في الأصل : شتّا. (19) في الأصل : يُقوي. (20) زيادة للرّبط. (21) في الأصل : أضرف.

(22) في الأصل نضاف. (23) في الأصل : ألوا. (24) في الأصل : عُدّاد. (25) في الأصل : رمات.

(26) في الأصل : مرسا. (27) مفردها فرجة من الدّارجة

(28) كان أهل الأندلس وأهل سبتة يقيمون مهرجانات بحريّة يحضرها كثير من النّاس. وقيل في ذلك نثر وشعر.

ومنارة وعلالي[1] وعلماء وقرّاء، ومساجد ومزارات كأنّها الأندلس الصغيرة [في][2] هواها وطبع أهلها، أندلسيّة الرّجال والحريم **[41و]** واللّباس والأعياد والمواسم مثل الأندلس حرسها الله. [وهي][3] على الزّقاق[4] : وهو قلزم[5] «ذو القرنين» المشهور[6] مصعب بن مراشد الحميري. قال [المؤلّف][7] : القلازيم[8] داخلة من البحر المحيط في التّراب[9] أربعة قلازيم : بحرنا هذا[10] [و][11] يسمّى بحر الرّوم، والقلزم بحر السّويس[12] من بحر القبلة على مصر بثلاثة أيام[13]، وقلزم العراق من بحر الهند، منه قبص البصرة[14] وقلزم بحر الشمال تحت النّجم المسمّى بالقطب من جهة سدّ «ذو القرنين». أعني بالقلازيم المخرّجة من البحر المحيط التّرابي[15].

قال ابن الصبّاح رحمه الله **[41ظ]** : قال وهب بن منبّه : غالب عمارة[16] بني آدم بين هذه الأربعة قلازيم الدّاخلة في جزيرة العرب المباركة، جزيرة الأنبياء والمرسلين والكعبة[17]بيت الله وبيت المقدس وغيرهما[18]. وكفى بهذه الجزيرة [أنّها][19] ضمت أعضاء رسول الله ﷺ. اختار الله هذه الجزيرة من جميع الأرض وجعل فيها قبلة أمّة هي خير أمّة أخرجت للناس. قال [المؤلّف] رحمه الله : القلازيم اسم[20] باللّغة[21] التّركيّة والفارسيّة . يقولون للذّراع[22] من البحر قلزما[23] [وهي][24] التي تسير بين السّماء والأرض، جعلها الله منافع للنّاس لأنّ[25] مواضعها كانت قبلها سباخ ومهلكة، سبحان **[42و]** الخبير بعباده. ثمّ نرجع نذكر البرّ المتّسع[26] بعد أن خرجتُ من جزيرة

---

(1) قد يكون المقصودات بناءات عالية.(2) زيادة للتّوضح.(3) زيادة للرّبط.(4) الزّقاق : مضيق جبل طارق .
(5) بحر القلزم في الجغرافيا هو البحر الأحمر.
(6) حسب ابن الصّباح : مضيق جبل طارق كان يعرف بقلزم «ذو القرنين».(7) زيادة للتّوضيح.
(8) جمع قلزم.(9) في الأصل : التّرابي.(10) في الأصل : هذا بحرنا.(11) زيادة للرّبط.
(12) لعلّه يقصد البحر الأحمر.(13) أي تبعد عن مصر مسافة ثلاثة أيام.
(14) القبْص : مجتمع الرّمل الكثير. ولعلّ المقصود «شطّ العرب» على الخليج العربي.
(15)يعود ويفسّر قلزم جمع قلازيم ونفهم من تفسيره أنها البحار التي تخرج من المحيط وتجعل لها طريقا في الأرض كالبحر الأحمر والخليج العربي ومضيق جبل طارق، أمّا الرّابع فلم نستطع تحديده ولعلّه مضيق الدّردنال.
(16) عمارة أي عمران.(17) في الأصل : كعبة.(18) في الأصل : وغيرها.(19) زيادة للرّبط.
(20) في الأصل : اسم.(21) في الأصل : بلغة.(22) في الأصل : الذّراع.(23) في الأصل : قلزم.
(24) زيادة للرّبط.(25) في الأصل : أن.(26) يقصد العدوة الإفريقية.

الأندلس. [وفيه](1) جنات وعيون وزروع ومقام كريم كما نصّ الله تعالى في قصّة مصر مع(2) بني إسرائيل. وفيه ملك المغرب من إقليم إفريقيّة وهي تونس[و](3) منها ملك بني مرين المتّسع بالحرث والنّسل. [و](4) نذكر المدائن الكبار المشهورة التي يغني ذكرها عن [ذكر](5) غيرها لأجل الاختصار وإنجاز الأخبار. قد فرغنا من مدينة سبتة وأحوازها والقرى(6) والحصون كثيرة مثل قصور عبد الكريم(7) وغيره من الحصون الخصبة وذات الرّخاء الكثير **[42ظ]** وفيها قبيل(8) غمارة الكرام، وزناتة أصحاب اللّغات العجام(9)، لغات لا يشبه بعضها بعضا، ولكن يغلب عليهم الجود والكرم على أكثر العجم.

[مدينة مرّاكش]

فرغنا من المدينة (10) وأحوازها، والخطاب يطول، ونطلع (11) إلى مدينة مرّاكش المذكورة ودار المملكة المشهورة، مملكة يعقوب المنصور (12) وصاحب الفضل والعلم والصّلاح المذكور والحظوة(13) على غيره من الملوك المشهورين (14). يضرب الكِمْية(15) القاطعة الصّافية بلا تدليس(16) ولا خلط ولا مزج من العقاقير المعلومة عند العالم جابر (17) المشهور(18). ويعقوب هو الملك الصالح المنصور في كلّ وقعة

(1) زيادة للرّبط.(2) في الأصل : في.(3) زيادة للرّبط.(4) زيادة للرّبط.(5) زيادة للتّوضيح.
(6) في الأصل : القرا.(7) ويعرف بالقصر الكبير : وهو محطّة في الطريق بين الأندلس ومراكش.
(8) في الأصل : قليل.(9) أي الأعجميّة والمقصود لهجات البربر.(10) المقصود مدينة سبتة .
(11) في الأصل : نطلعوا، المقصود : نتحوّل للحديث.
(12) نرجّح أنّه يعقوب المنصور الموحّدي بطل معركة الأرك التي انتصر فيها الموحدون على النّصارى بإسبانيا.
(13) في الأصل : الحضية. (14) في الأصل : المشهورة.
(15) المقصود بها السكّة ولعلّها من دارجة أهل الأندلس. وتاريخيا ضرب المنصور الموحّدي سكّة صافية تعرف بالدّينار اليعقوبي (الذيل والتكملة 6/ 326).
(16) في الأصل « دلس».
(17) الإشارة إلى ما عرف عند العلماء في القرون الوسطى بحجر الفلاسفة الذي يحوّل المعادن إلى ذهب. وجابر هو جابر بن حيّان العالم العربي الكبير في الكيمياء : عاش في الكوفة ق 2هـ/8م. له «أسرار الكيمياء». (18) في الأصل : المشهورة.

على[1] [43و] العدوّ بجزيرة إسبانية[2] مع الرّوم اليونانيّين[3] الأوائل من ذريّة يافث ابن نوح الثلاثة المشهورين[4]. قال ابن الصباح رحمه الله : وفي صفاتها في الوصف واشتقاق اسمها، قرأت في تيجان الملوك[5] في نوازل بنيان المدن وعمارة البلاد على أوّل العمائر. فكان أوّل من عمّر الشّمال من إسبانية ذريّة يافث بن نوح عليه السّلام. قال : لمّا قسّم نوح عليه السّلام البلاد على أولاده أعطى[6] بلاد اليمن إلى سام وبلاد الشمال إلى يافث وبلاد الجنوب مع الغرب إلى حام. فعمّر كلّ واحد منهم بلاده وأرضه. قال الرّاوي : صوّر نوح [43 ظ]عليه السّلام الأرض في صفة طائر، وجعل بلاد اليمن رأس الطّير وبلاد الشمال جناحه الشمال، والجنوب جناحه الأيمن. وبقي للمغرب الأقصى الذّنب لضيقه بين الأبحر. قال ابن عبّاس رضي الله عنه: لا تزيد البحور على الأرض ولا الأرض على البحور إلاّ بقدر مربط ثور. قال : فلمّا كثرت العمائر من ولد نوح حسد بعضهم بعضا وقاتل بعضهم بعضا على البلاد. ولم يزل البغي بينهم مدّة التّبابع من آل قحطان وآل حمير فطردهم حمير إلى الغرب وبلاد الحبشة وبلاد السّودان فهم فيها إلى الآن. فكان ممن مرّ بالمغرب من ولد حام [44و] كوش. قال : هو كوش بن كنعان بن حام بن نوح عليه السّلام مرّ بالمغرب هو وجماعته فنزلوا في موضع هذه المدينة[7] فبنوها بنيانا عظيما، ودوّروها بسور متّسع، مقدار عشرين ميلا دورةُ السّور. وبنوا فيها أبراجا مشيّدة وحصّنوها بصنع[8] حصين وسكنوها زمانا وغرسوا فيها بكثرة شجر الزّيتون. قال أهل التّجارب والقياس: كان[9] القوم سودانا، فكان قرينهم لا يحبّ إلاّ السّواد من جميع الأشياء. وهذا شيء ممّا يناسب حديث رسول الله ﷺ [في قوله]:[10] «انظروا أين تضعون [44ظ] نطفكم[11]

---

(1) في الأصل: من.(2) يشير إلى انتصار المنصور في معركة الأرك 591/ 1195.
(3) في الأصل : اليونانيّون.(4) في الأصل : المشهورة.
(5) هناك كتاب : التّيجان لابن هشام صاحب السّيرِ (الكشّاف I / 518).(6) في الأصل : أعطا.
(7) يكون اسم المدينة متركّب من كلمتين (مرّ + كُوش) وهذا من الأساطير والخرافات التي تروى في تلك العهود.
(8) في الأصل : بمنع.(9)في الأصل : كانوا.(10)زيادة للرّبط.(11)في الأصل : نضافكم .

إنّ العرق دسّاس» صدق رسول الله ﷺ. وقيل إنّما بناها وغرس أشجارها وأجرى أنهارها وفتح آبارها وشيّد سورها الأحمر بن سبأ، حين قعد في المغرب مائة سنة حتّى عمّر المغرب وطغت من ورائه ثمود قوم صالح فقاتلهم وسباهم ونقلهم (1) من بلادهم ذات حجر (إلى) (2) قريب من الشّام. قال الرّاوي : سألت قبائل غمارة وزناتة عن أيّ(3) شيء تمنعون العبيد السّودان جميع المواكيل (4) : البَيض والفواكه والدّجاج ولحمها وبيضها ولحوم الغنم ولباس الأبيض كلّه؟ فقالوا بيننا وبينهم عداوة **[45و]** الأجداد من حين عُمّرت البلاد. قلت ما القصّة؟ قالوا : لمّا عمّرت ذرّية كوش هذه(5) البلاد وشيّدوا فيها البنيان وغرسوا الأشجار، كان غالب فواكههم الزّيتون الأسود والعنب الأسود والإهْلِيلَج الأسود(6). والغالب على غروسهم وزروعهم السّواد، وذلك قرّة عين لهم. فلمّا طغوا وتمرّدوا وكفروا وفسدوا جاءهم الملك حمير بقبائلنا(7) الأحرار بالخيل والرّجال فغلبهم حتى أعطونا الخراج لنا. وكيف ينال العبد ما ينال سيّده ونحن ساداتهم إلى أن تقوم الساعة؟ قال وهذا دليل على ما قاله روّاة تيجان**[45ظ]** الملوك من قول وهب(8) وغيره : إنّ حمير قعد بالمغرب مائة عام هو وقومه وهم المصامدة وغمارة وزناتة والعساكرة وصنهاجة وقرمانيّة، وكلّهم قبائل حمير الأحرار(9). وهذا ما يدلّ على أن كوش بن كنعان بن حام بن نوح عليه السّلام أوّل من عمّر مدينة مرّاكش وبه سمّيت بعد ذلك. كان فيه ذريّة المأمون العبّاسي ويعقوب المنصور من شيعته(10)

---

(1)في الأصل : أنقلهم.(2)زيادة للتّوضيح.(3)عن أيّ شيء بمعنى : لماذا ؟ (لغة دارجة).

(4) المواكيل : بمعنى المآكل (لفعة دارجة).(5)في الأصل : هذا.

(6) في الأصل : الهلاليج : وهي فارسيّة : جنس شجر هندي تسمّى ثماره بالفرنسيّة Morybolan وهناك الإهليلج الهندي بمصر والإهليج الشّعيري بالشام (مصطفى الشّهابي : معجم الألفاظ الزّراعيّة ط II بيروت 1982، ص 635) لعلّ المقصود: البرقوق (المغرب) والعوينة (تونس).

(7) الكاتب يرجع نسبه إلى اليمن أي إلى هذا الملك، لهذا استعمل نون الجمع.

(8)هو وهب بن منبّه.

(9)حاول البربر بعد أن أصبحت السلطة بأيديهم بداية من المرابطين ثم الموحّدين أن ينحتوا لأنفسهم نسبا عربيّا أصيلا، فكان لهم ذلك. ولكنّ المؤرّخين الثقات مثل ابن خلدون كانوا يعتبرون ذلك منكرا من القول وزور (المحقّق).

(10)هذا الكلام يوهم بأنّ دولة الموحّدين كانت تعترف بالسّلطة العبّاسيّة في بغداد والعكس هو الصّحيح لأنّ الموحّدين ادّعوا الخلافة لأنفسهم.

فكان ليعقوب فيها دولة عظيمة وأحكام ثقيلة حكم بها[1] البرّين وأطاعه الجانبان[2].

اعلم أيّها القارئ والمستمع أن مثل مرّاكش كمثل **[46و]** بغداد كانت في زمن الخلفاء، لها عمارة عظيمة واليوم خراب وخلاء. وكذلك مرّاكش كان لها من الجيوش الكثيرة والآن العمارة قليلة ولكن الحمد لله، فيها العلماء والمشائخ والمزارات، وكفى بها[3] بالقاضي عياض بن موسى اليحصبي[4] عالما[5]. عليه مزار ومقام عظيم وصدقات وإيثار نفعنا الله به. [وهو] [6] صاحب الدّواوين[7] الكثيرة[8] في[9] الأصول والفروع. وكفى فخرًا به الأربعين عقيدة في أربعة أبواب في كلّ باب عشر[10] عقائد في الله وفي صفاته والفقه وفنونه[11]. وفضائله لا تنحصر رضي الله عنه وقدّس روحه ونوّر ضريحه. [في][12] مدينة مرّاكش **[46ظ]** الصّرف [هو][13] الذّهب الأميري المنصوري[14] «وقومها سنّة ثقات في نقْدهم وفي دينهم»[15]، لأنّهم مصامدة أحرار من بقيّة حمير يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. عليها جنان[16] وبساتين وسواق[17] ممّا

---

(1) في الأصل : منها.

(2) في الأصل : وطاعت له الجانبين. لعلّه يقصد بالجانبين : العدوتين الأندلسيّة والإفريقيّة.

(3) المؤلّف لا يحسن استعمال هذا التركيب، وهو تركيب في الفصحى يقوم على ذكر جار ومجرور بعد «كفى» ثمّ يأتي التمييز كقولك : كفى بالله حسيبا.

(4) القاضي عياض بن موسى اليحصبي (476 /1083 - 544 /1149) : عالم المغرب وإمام الحديث في وقته. توفّي بمرّاكش. له عدّة كتب من أشهرها «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» و «ترتيب المدارك» في تراجم المالكيّة (الأعلام 5/ 99).

(5) زيادة للتّوضيح. (6) زيادة للرّبط. (7) في الأصل : الدّيوان الكثير. (8) أي المؤلّفات العديدة.

(9) في الأصل : و. (10) في الأصل : عشرة.

(11) المقصود كتاب «الإعلام بحدود قواعد الإمام» تحق ابن تاويت الطنجي. وفي شرح القاضي عياض القاعدة الأولى ذكر الأربعين عقيدة التي أشار إليها ابن الصبّاح.

(12) زيادة للرّبط. (13) زيادة للرّبط.

(14) هل بقي فعلا الدّينار المنصوري الموحّدي إلى ذلك الوقت ق 9/ 15 عملة يُعتدّ بها؟

(15) في الأصل : «وقومها سنّية نقد دين في الدّين» وهي جملة لا تخلو من غموض . أمّا معنى الجملة فنرّجح أنّه كالآتي : لهذا الصّرف أي العملة قيمة كبيرة. ويقع التّعامل بها نقدا. ونظرا إلى أنّها مربوطة بالأحكام الشرعيّة فإنّها عند ضربها ذهبا خالصا بمعايير دقيقة تدلّ على مدى تقوى أهل مرّكش وتديّنهم.

(16) في الأصل : أجنان. (17) في الأصل : سواقي.

أجراها حمير (1). حُكي أنّها إثنا عشر ألفا من السّواقي. ولكنّ اليوم في زماننا هذا يكون عمارتها اثنتي(2) عشر مائة ساقية. ولكن الحرث كثير والعمائر قليلة وعليها جبال المصامدة، كثيرة الفواكه والمياه. وهم أقوام مجتهدون في الدّين والعلم واليقين، ولا عندهم عار(3)، وكبار الأنفس في بلادهم، شحيحون(4) في غير بلادهم، هذا طبع فيهم. رجالٌ **[47و]** أصحاب بطش وقوّة شديدة، وقبائل [أصحاب](5)حياء وحشمة. ولا ينادون بعضهم بعضا إلاّ بالكنية متّبعين السنّة والآثار. مدينة مرّاكش البيع فيها والشّراء [قوامه](6): خذ الحقّ واعط الحقّ، وفيها أسواق وقيسريّات(7) وتجارات أزليّات من عهد أيّام الخير والبركات. وعليها قبائل يقال لهم قرنانيّة(8) عندهم قبر الإمام المهدي(9) العالم العلاّمة المكتفي بعلم الأصول في فنون التّوحيد والفقه المستغرق(10)في جميع العلوم، صاحب المرشدة وصاحب العقائد في صفة الباري سبحانه. عليه مزارٌ وقبّة مبنيّة بالرّخام. وتلك القبيلة(11) أقوامه **[47ظ]** يزعمون أنّهم خير الموحّدين في(12) علوم الدّين. وأهل السنّة عندهم خوارج بل هم والله الخوارج ولكن لا يعلمون. ملك واسع وحرث ونسل وعمائر وقرى وحصون، مسيرة شهر طاعتها(13). وهي مدينة قديمة البنيان قد وصفنا بناءها بالتّاريخ والله أعلم. وفيها الخطب يدخل بعضها في بعض من كثرة البراح والاتّساع، ثلاثة أميال بين جوامع الخطب(14)، ولكن ألسنتهم،

---

(1) ينسب بعض المؤرّخين والشّعراء، تملّقا، المرابطين إلى حمير.(2) في الأصل : اتنا. (3) أي فساد.

(4) في الأصل شحيحين.(5)زيادة للتّوضيح.(6)زيادة للتّوضيح.(7)في الأصل : كيسريّات.

(8)لم نتمكّن ةمن ضبط هذا الاسم وتحديده، وأكيد أنّ قبائل «قرنانيّة» موجودة في جبل تينِمَلّل حيث قبر المهدي.

(9)المهدي بن تومرت : هو محمّد بن عبد الله مؤسّس الدّولة الموحّديّة (485 /1092 - 1130/524). رحل إلى المشرق للأخذ والحجّ ثم رجع إلى المغرب وقام بدعوته على أساس الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر وتلقّب بالمهدي. توفي في جبل تينِمَلّل بجنوب المغرب. من مؤلّفاته : كنز العلوم، وأعزّ ما يطلب ويشمل : المرشدة والعقائد (الأعلام 228/6).

(10) في الأصل : المستعرفة.(11) في الأصل : وذلك الفيلة.(12) في الأصل : مِن.

(13) أي أنّ سيطرة مدينة مرّاكش تمتدّ إلى مسيرة شهر.

(14) نرجّح أنّه يشير إلى كثرة خطب الجمعة في المساجد، وبعضها قريب من بعض، والبراح من اللّغة الدّارجة وتعني رفع الصّوت. وفي الفصحى : المتّسع من الأرض.

فيها العجميّة(1) والرّطانة لأجل العجميّة(2)التي هم فيها، [و](3) لأجل ما طال بهم الزّمان عن لغاتهم الأصليّة وهي لغات العرب التي(4) هي أصلها، جاءت من مكّة **[48و]** ويعود لسان الحضارة [إلى العجمة](5) من طول الزّمان.

قال الرّواي : لم أر، في أسفاري أفصح من أهل مكّة واليمن والشّام والعراق والأندلس لولا ما غلب على لسان الأندلس لسان العامّة يغلّظون مواضع التّرقيق ويرقّقون مواضع التّغليظ في كثير من الكلام(6). ولكن لا يفهم هذا إلاّ أهل النّحو والعربيّة. وذلك كلّه (راجع إلى)(7) أنّ طبع الأرض والماء والهواء يغلب الإنسان في كلّ أمره. والدّليل على(8) ذلك قول عليه السلام في قصّة وحشيّ الذي قتل عمّ النّبيء عليه السّلام وهو حمزة بن عبد المطلب يوم أُحد، فبعد أن أسلم وحشيّ كان يصلّي **[48ظ]** وراء النبيء ﷺ حتّى غلب الطّبع على النّبيّ عليه السّلام وأمر بلال بن حمامة أن يأمر وحشيا أن يتيامن عن تلك المواضع أو يتياسر ويتباعد عن ظهر النّبيء عليه السّلام. فأخبره بلال بذلك فجاء إلى النّبيء عليه السّلام وهو يقول : إيهٍ أنبيّ وحقود! فقال عليه السّلام والذي بعثني بالحقّ بشيرا ونذيرا ما أنا بحقود يا وحشي ولكن الطّبع غلب. فكان وحشي من ذلك اليوم يصلّي في آخر الصّفوف تأدّبا مع(9) رسول الله ﷺ.

قال الرّواي : فإن قال قائل كيف والنبيء معصوم من كثير من الأشياء. الجواب في ذلك **[49و]** أنّ الأنبياء ليسوا معصومين من كلّ ما يجري على أبناء آدم إلاّ من الكبائر وغيرها(10)، يجوز عليهم [منها](11)ما يجوز على أبناء آدم كلّهم وأنّهم لا ينسون(12) ما أمروا به أن يؤدّوا من الأمانة والصّدق وهم مبرّؤون من الكذب والخيانة. وأنّهم مصدّقون بما وعدهم الله تعالى من النّصر والظّفر والخير والشرّ، ليس لهم في ذلك شكّ، وهذه درجة الرّسالة. وما كان من نوم وأكل وشرب أو فرح أو حزن أو

(1) أي العُجمة.(2) انظر: ت 1. (3) زيادة للرّبط.(4) في الأصل : الذي.(5) زيادة للتّوضيح.
(6) ملاحظة هامّة تبيّن كيف كان ينطلق أهل الأندلس في لهجتهم.(7) زيادة للرّبط.(8) في الأصل: من.
(9) في الأصل : لـ.(10) في الأصل : الغير.(11) زيادة للتّوضيح.(12) في الأصل : لا ينسوا.

تعب أوْ عطش أو جوع أو مشقة أو راحة، تجوز عليهم كما تجوز على جميع البشر. وكذلك الخوف والأمن والغفلة والنّسيان يجوز عليهم(1)، إنما عصمتهم من الكبائر **[49ظ]** خاصّة.

قال الرّواي رحمه الله تعالى: نرجع إلى وصف البلاد بلاد بني مرين المملكة المذكورة والسّادة ذوي الكرامات المشهورة هم. ملوك الغرب بطول المدّة. نخرج من مدينة مرّاكش إلى:

مدينة فاس: مدينة أحدثها بنو مرين من ذريّة حمير من ولد أبي سعيد الحقّي. كانوا من ولد عبد الحق(2) الحميري. بعد أن اندرست دولة ملوك مرّاكش قامت في فاس دولة بني الحميري في النّسب. مثل مدينة فاس كمثل مدينة بغداد. لمّا ولي الخلافة بنو العبّاس **[50و]** وأخذوا الثأر من بني أميّة في دم الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما(3) . أرادوا أن يسكنوا دمشق الشام فلم تطب بهم أناس الشام(4)، لأنّهم(5)، كانوا خدّاما لمعاوية وذرّيته أيّاما وزمانا فكيف يطيبون بغيرهم(6)؟، فرحلوا(7) إلى بغداد وبنوا فيها قصرا في جنان رجل فارسي اسمه داد(8)، بنوا في جنانه القصر. وجاءت أصحابهم وبنوا معهم إلى أن صار البنيان إلى ما صار من العمارة. [ومساحتها](9) دورة(10) الفارس يوما بطوله. وإنّما سمّيت بغداد لأنّ الرّجل الفارسي كان اسمه داد، وجنانه بلسان الفارسيّة يسمى باغ، والباغ عندهم الجنان، فكانت **[50ظ]** تعدّي الكلام ببغداد أي جنان(11) وذلك يطول في قصّة طويلة سنذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى.

(1) المقصود : النسيان بصفة عامّة ، أمّا نسيان ما جاء في رسالتهم فهم معصومون منه.
(2) عبد الحق هو مؤسّس الدّولة المرينيّة في المغرب الأقصى (542 /1147 - 1217/614). (الأعلام 282/3).
(3) نفس شيعي بالأندلس، وهنا يرى المؤلّف أنّ قيام الدّولة العبّاسيّة سببه الأخذ بالثأر ممّن قتلوا الحسين ابن علي.
(4) أي لم يستطب أهل الشام أن يُقيم بينهم بنو العبّاس.(5) الضمير يعود على أهل الشام .
(6) أي كيف يقبلون بغير الأمويّين حُكاما لهم! ؟(7) الضمير يعود على بني العبّاس.
(8) في الأصل : أد.(9) زيادة للرّبط والتّوضيح.(10) أي مَسيرة.
(11) يريد الكاتب أن اسم بغداد مركّب من باغ ومعناه بالفارسيّة الجنان ، وداد اسم رجل : ويكون الكلام : أنّ بني العبّاس أقبلوا من دمشق وبنوا قصورهم بباغ داد أي جنان داد فأصبح المكان معروفا ببغداد.

قال الرّواي : كذلك مدينة فاس لمّا انقرضت دولة «ذرّية يعقوب المنصور الموحّدي» قامت دولة بني مرين، فأرادوا أن يسكنوا مراكش، فما طابوا بهم أهلها(1) فنزلوا إلى فاس فبنوها فقامت(2) فيها مملكتهم إلى زماننا هذا(3). قال [الرّاوي] : ما كان اسم فاس فاسا(4)، ولكن ذلك كان قبل قيام مملكة بني عبد الحقّ(5)، بل كانت تسمى باسا(6) . ذلك(7) أنّ أصحاب التّواريخ أكّدوا(8) أنّ ذلك المكان تقوم فيه دولة ومملكة بأس، فكانوا **[51و]** يسمّونه(9) بأسا(10). فلمّا طال الزّمان وتبدّلت الأحوال أهمل(11) الاسمُ بلسان العامّة [فأصبح](12) فاسا(13). وقيل إنّما سمّي فاسٌ لأنّه كان موضعا(14) غيضا(15) من الماء والمروج ولم تعمّر عمائرها إلاّ بالفأس. فكان كلّما سئل الرّجل : من أين جئت [بهذا الغرس](16)، قال في جوابه : نخدم بالفأس. وكان يُكرى الرّجل(17) فيشترط عليه الخدمة بالفأس. قال الرّاوي : عند أهل التواريخ، يرجّح الوجه الأوّل منهما(18) وهو البأس. فإن قلت وجهين واسعين(19) إن شاء الله أن قد ظهر فيها(20) الوجهان(21) من مملكة قهر وبأس وشدّة : مملكة بني مرين مَلَكوها شرقا وغربا من كلّ ما يليهم من الملوك بالقهر والقدرة **[51ظ]** والمال والشركة بالمال والخيل واللّبوس والعساكر والإمارة والقيادة (22) والعلوج من النّصارى والعبيد والوصفان والخدّام والنّواظر (23) والقوام (24). ملكوا من مدينة فاس إلى إفريقيّة والقيروان ومن القبلة إلى حدّ ملك السّودان بالقوّة والشدّة حتّى قهروا ملوك بني الأصفر من عباد

(1) أي ما استطاب أهل فاس عيش بني مرين معهم. والمؤلّف يجيز لغة «أكلوني البراغيث».
(2) في الأصل فأقامت.
(3) هذا يدلّ على أنّ المؤلّف مرّ بفاس قبل سقوط دولة بني مرين، سقطت دولتهم سنة 873 / 1468 .
(4) في الأصل : فاس.(5) أي بنو مرين. (6) في الأصل : فاس. (7) في الأصل : وذلك.
(8) في الأصل : يؤكّدون.(9) الضمير يعود على مكان فاس.(10) في الأصل : بأس.
(11) في الأصل : أهملوا.(12) زياة للتّوضيح.(13) في الأصل فاس.(14) في الأصل : موضع.
(15) من غاض الماء غيضًا : نزل في الأرض. وقد كتبها المؤلّف بالظاء لا بالضّاد.
(16) زيادة للتّوضيح.(17) نلاحظ دائما تقديم الفعل عن الفاعل أو نائبه.(18) في الأصل : منها.
(19) أي مقبولين.(20) أي مسألة التّسمية.(21) في الأصل : الوجهين.
(22) القائد يجمع على قادة أو قواد في الفصحى. (23) الأرجح أنها جمع ناظر أي المكلّف.
(24) الأرجح أنها جمع قائم أي قائم بالأمر : مسؤول عنه.

الصّلبان(1)، يخافون منهم خوف الموت، ولابدّ إن شاء الله من خطرة (2) أخرى من بعض ذرّيتهم إلى النّصارى في آخر الزّمان كما يقتضيه التّاريخ في آخر الأوقات والأزمان. فهذا يدلّ على أنّ اسم موضع مملكتهم اسمه بأس.

قال الرّاوي : بنو مرين كان جدّهم **[52و]** مرُّ بن مَرَّة كبير الشّأن بالعرب أعني الغدر في الحرب : كان ينقضّ على المبارز(3) مثل العقاب. فكان من ذرّيته بنو عبد الحقّ وبنو مرين بكنية جدّهم الفارس(4) العظيم.

ونصف [الآن](5) مدينة فاس كأنّك تنظر إليها بالعين والحقيقة والقلب. و[من حيث](6) البنيان مدينة فاس مدينتان اثنتان(7) : فاس البالية وفاس الجديدة اتخذها(8) بنو(9) مرين دار مملكة لهم خوفا من الغدر وجعلوا فيها علوجهم من النّصارى في موضع يسمّى الملاح(10). نذكر من مشاهير الدّولة بالجود والكرم أوّل ملك فيهم الملك المشهور أبو الحسن(11)، قارئ القرآن وحامل الختمة إلى مكّة أمّ القرى كلّ عام **[52ظ]**، وبعده أبو عنان(12) فارس مشهور متّبع السنّة والشّريعة كما(13) نطق بهما(14) القرآن، وبعده ملوك(15) شتّى(16) يطول ذكرهم، ويطول فيهم الخطاب رحمهم الله رحمة متّصلة إلى يوم الحساب.

قال المؤلّف : مدينة فاس مدينة كافية(17) لنفسها(18) ولغيرها(19)من البلاد. مدينة فاس بالمغرب مثل مصر(20) في المشرق في القوّة من الرّخاء والخصب والبيع والشّراء

---

(1) يقصد الإسبان، وكان للسّلطان يعقوب المنصور المريني جولات في جنوب إسبانيا انتصر في أغلبها على جيش قشتالة.

(2) خطرَة أي مرّة والمقصود هنا الجواز إلى الأندلس للجهاد.(3) في الأصل : المبارزة.

(4) في الأصل : من الفارس.(5) زيادة للتّوضيح.(6) زيادة للتّوضيح.(7) في الأصل : اثنان.

(8) في الأصل اتخذتها.(9) في الأصل : بنوا.

(10) الملاح : حيّ اليهود وقد يطلق على ربض النّصارى.

(11) أبو الحسن المريني :(ت 1351/752) العاشر من سلاطين بني مرين في فاس. أخذ جبل طارق من الإسبان 734 / 1333. تحالف عليه العرب فهزموه بالقرب من القيروان (EI 2 / I / 128).

(12) أبو عنان المريني (729 /1329 - 1358/759) تولّى الحكم بعد هزيمة أبيه أبي الحسن بجهة القيروان سنة 749 /1349. جمع بين القلم والسيف فكان أديبا عالما وفارسا مشهورًا (EI 2 / I / 133).

(13) في الأصل بما.(14) في الأصل : بها.(15) في الأصل : ملوكا.(16) في الأصل شتّا.

(17) في الأصل : كان فيها.(18) في الأصل : بنفسها.(19) في الأصل : بغيرها.

(20) هو تسمية للقاهرة واستمرّ إلى اليوم.

والأخذ والعطاء : مدينة فيها من الأرحية ثلاثمائة رحى[1] بالماء ترحي أطعمة عمائرها[2] من المسلمين، مدينة في وسطها أنهار وعيون الماء العذب الحلو لا تنحصر أعدادها، وكذلك مساجدها **[53و]** وخطبها[3] ، ولها علماء وقرّاء، ومن كلّ صنعة موجودة، ومن كلّ علم من علوم الدّين والدّنيا والآخرة، كما فيها[4] بجميع أحوازها وقراها وحصونها (جواب)[5]: كلّ منها لها جابية[6] . مدينة الله تعالى يعمّرها بالإسلام إلى يوم القيامة بخصائصها و[7] مساجدها وزينتها وملاحتها كجامع القرويّين[8] : وهو جامع يشبه مساجد مصر في الزّينة والذّهب. وفيها[9] خطب في مساجد الجمعة لا يحصى[10] عددها من كثرتها[11]. وهي مدينة فيها أسواق ومقاصير[12] وعلالي[13] وقيسريات وتجار من أقصى[14] البلاد شرقا وغربا. هي مدينة : دنيا ودينا[15] ولها صدقات وثمار[16] وأطعمة ألوان، رجال فاس وحريمها **[53ظ]** شِباع الأنفس[17] مطلوقو اليدين[18] في النفقة وما تهواه الأنفس، لا يردّ الرّجل يده عن نفقة داره وعياله مادام الدّرهم في يده، ولا يرجع إلى الدّار إلاّ ويده وحجره ملآن[19] إلى العيال والأولاد.

مدينة فاس كثيرة الفواكه والحرث والنّسل، عليها جبال دكّاله، نِعْم الجبال، عليها قبائل العرب شاوية[20] وحرّاثون[21]، [عندهم][22] اللّحم الرّخيص والسّميد والدّقيق الكثير، مثل قسنطينة في الهواء. مدينة فاس دار مملكة المغرب[23]، كما أنّ مملكة المشرق في مصر، يسمّيها المسافرون مصر الصغيرة[24] لكثرة أخذها وعطائها[25]

(1) في الأصل : رحا. (2) هنا بمعنى : سكّانها.(3) في الأصل : خِطابها. (4) في الأصل : فيه.
(5) زيادة للتّوضيح.(6) جابية . جمع جَواب : الحوض الذي يُجبى أي يجمع فيه الماء.
(7) في الأصل : خصائص.
(8) بُدئ في بناء هذا الجامع سنة 245 / 859. واحتفل سنة 1960 بالمغرب بمرور 900 سنة على تأسيسه.
(9) الضمير يعود على فاس.(10) في الأصل : يُحصا.(11) في الأصل : كثرتهم.
(12) جمع مقصورة وهي الدّار الواسعة الحصينة.(13) الأصح : علال أي طوابق.(14) في الأصل أقصا.
(15) في الأصل : دين.
(16) في الأصل : أثمار.(17) من بالدّارجة : فلان نِفْسُو شبعانة : أي كريم دون منّ.
(18) عبارة أخرى دارجة للدّلالة على أنّ المرء غير بخيل.
(19) في الأصل : ملآنا، والحِجْر هو وسط الثوب عندما يُلفّ من أطرافه (دارجة).(20) الشاويّة: من البربر.
(21) في الأصل : حرّائين.(22) زيادة للتّوضيح.(23) في الأصل : الغرب.
(24) تسمية طريفة وموجودة اليوم كقولنا: بيروت هي باريس الصّغيرة.(25) أي التّبادل.

وبيعها وشرائها. مدينة فاس **[54و]** علماؤها مشهورون(1) مثل الفاسي(2) [له](3) شرح على الشاطبيّة الكبرى(4)، ومثل الجزولي(5) شارح رسالة ابن أبي زيد القيرواني. وعلماؤها وشرّاحها لا تنحصر(6). قال ابن الصبّاح : إنّي رأيت في ملك بني عثمان(7) في مدينة واحدة ستّة مدائن من [مثل](8) مدائن القسطنطينيّة العظمى(9)، وهي تحت السّلطان مراد(10) بن الغازي أورخان(11).

شَرْحُ محمّد الفاسي على الشاطبيّة يتْبَعْ(12) بثلاثمائة أفلرين(13). وعلماء فاس كثيرون لا يحصى عددهم(14) . ولكن نذكر البعض منهم [من](15) مثل العبدوسي(16) رضي الله عنه والفشتالي(17). ومحمّد بن العربي(18)خزانة العلم وقطب المغرب، وغيرهم رحمهم الله. في مدينة **[54ظ]** فاس على زمن العبدوسي المذكور كان يعمل

---

(1) في الأصل : مشهورة.

(2) هو أبو عبد الله محمّد بن حسن الفاسي جمال الدّين 589/ 1193 - 656 /1258 عالم بالقراءات، له اللآلئ الفريدة في شرح الشاطبيّة (الأعلام 86/6).

(3) زيادة للتّوضيح.

(4) الشاطبيّة قصيدة في القراءات تنسب إلى القاسم بن فيُّره بن خلف الرّعيني الأندلسي (538 /1114 - 590 /1194) (الأعلام 180/5).

(5) الجزولي : عبد الرّحمان بن عفّان : (ت 1390/741) : فقيه مالكي من أهل فاس. شرح الرّسالة لابن أبي زيد في 7 مجلّدات، وثان في ثلاثة وثالث في جزأين. وكلّها مفيدة (الأعلام 3/ 316).

(6) أي لا يحصون لكثرتهم.(7) أي الخلافة العثمانيّة.(8) زيادة للتّوضيح.

(9) في الأصل : قسطنطينيّة العظما.

(10) هو مراد الأوّل سلطان عثماني ولد نحو 719/ 1319 وحكم ما بين (761 /1359 - 792 / 1389) خلف أباه أورخان. جعل أدرنة عاصمة له سنة 767 / 1365، خضع له الأمبراطور البيزنطي يوحنا الخامس. وأصبح يدفع الجزية للخلافة العثمانيّة. قتل في معركة كوسوفو بعد انتصاره على الصّرب. (منجد الأعلام ط 1969 ص 482).

(11) في الأصل : ورخان.(12) تقصير حركة الباء لأننا نقول في الدّارجة التّونسيّة يتْباع.

(13) هي الـ «فلورن» Florin : وهي عملة من الفضّة.(14) في الأصل : علماء فاس كثيرة لا تحصا عدّتهم.

(15) زيادة للرّبط.

(16) العبدوسي : هو أبو عمران موسى بن محمد بن معطى : عالم فاس ومجلسه فيها من أعظم مجالس العلم. أقرأ المدوّنة أربعين سنة ت 776 / 1374 (نيل الابتهاج : 604).

(17) الفشتالي : هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي : قاضي الجماعة بفاس. له تأليف في الوثائق متداول ت 771 / 1369 (نيل الابتهاج ص 446) .

(18) يقصد بمحمد بن العربي الإمام أبابكر بن العربي صاحب الضّريح المعروف بمدينة فاس. ت سنة 543/ 1148 (ص 446) .

الميعاد[1]. وكان فيها ثلاثمائة وستّون[2] عالما يعملون[3] الميعاد بالدّولة[4]. يكون الميعاد لكلّ فقيه مرّة في العام. وكان [في يوم][5] دولة العبدوسي، ينادي المنادي اليوم دولة الفقيه العبدوسي من يحبّ فليحضر[6]، فيجتمع إليه[7] أهل العلم جميعا ونسّاخ علماء فاس وكلّيتهم من عامّة المغرب كلّه[8].

مدينة فاس فيها قبائل بني مرين أصحاب العطايا والكرم، يعطون[9] الكسوات[10] والهدايا الثقال، يهبون[11] الخيل والبغال والعبيد و[المال][12] الحلال، يهبون[13] جميع ما في أيديهم[14] من [المال][15] الحلال والحوائج[16] الرّفيعة، أحرار مالهم في الزّمان **[55و]** نظير في العيش والمكانة[17] والرّاحة[18] والجود والحلم بالمساكين والمحتاجين. ذلك طبع ركبه الله فيهم دون غيرهم، وذلك لأنّهم من عقب[19] أحرار الحسب، الملوك التّبابعة القحطانيّة الحميريّة ذرّيّة النّبوءة من عقب هود وسام ونوح وإدريس وشيث وآدم. نسأل الله تعالى أن يعينهم على البرّ والتّقوى والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر. مدينة فاس يفتخر بها العرب والعجم في جميع الأخبار بالنّعمة والقوّة في الإسلام. اللّهم عمّرها به. قال الرّواي : مدينة فاس في الغرب ما لها نظير في جميع خصائصها [تمتاز][20] عن[21] سائر المدن. ولكن فيها شيء من الوخم في الهواء **[55ظ]** والماء. ينظرُ الغريب إلى[22] ما هي [عليه من][23] قوّة في الإسلام. في الغرب ما لها مثيل[24]. مدينة فاس الموصوفة بالكمال في كلّ الأحوال من معائش[25] الدّنيا وأصناف التجارات[26]، عليها قبائل العرب [مشهورة][27] [بإنتاج][28] اللّحم

---

(1) الميعاد : موعد لإلقاء درس عام من طرف شخصيّة علميّة مرموقة في فاس. والحُضور للجميع من علماء ونسّاخ وغيرهم.

(2) هل كان ابن الصبّاح لا يعرف أنّ العام فيه 365 يوما؟(3) في الأصل : يعملوا.(4) أي بالتّداول .

(5) زيادة للرّبط. (6)في الأصل : من يحب يحضر.(7)في الأصل : عليه.

(8)طريقة من طرق ابن الصبّاح في التّعميم والمبالغة.(9)في الأصل : يعطوا.

(10)جمع كسوة.(11)في الأصل : يهب.(12)زيادة للتّوضيح.(13)في الأصل : وهب.

(14)من مبالغات ابن الصبّاح.(15)زيادة للتّوضيح.(16)جمع حاجة.(17)في الأصل : المكنة.

(18)قد يكون المقصود راحة البال أي الأمن.(19)في الأصل : عقيب.(20)زيادة للتّوضيح.

(21)في الأصل : من.(22)في الأصل : و.(23)زيادة للرّبط.(24)في الأصل : مثل.

(25)جمع معاش أي رزق.(26)جمع تجارة.(27)إزيادة للتّوضيح.(28)زيادة للتّوضيح.

والإدام، وكثرة المواشي والحرث والنّسل، فاس أهلها أهل السّخاء(1) في النّفوس، مالهم نظير في جميع طاعة إقليم إفريقية، وإن كانت إفريقية(2) أقدم من فاسٍ في العمارة وفاس محدثة، ولكن مثل هذا كمثل الولد والوالد يكون الوالد فقيرا(3) والولد غنيّا(4). ولو كان الولد غنيّا في القدم فلا يعتبر [فالاعتبار لا يكون](5) إلاّ بما شاهدته(6) العيون و[لا](7)تكذّبه النّفس، مالم ترو : حديث الشاهد خير من حديث **[56و]** الغائب [هكذا]. فاس بلدة السّادة والنّاس رجالهم كثيرو(8) الزّواج، قوّى طلبهم [إلى ذلك](9) حرارة المزاج. إذا كان عند واحد منهم دينار ما يَرى(10) أحسن من أن ينفقه في الزّواج. وهذا يدلّ على كثرة دراهمهم. لأنّ اليد لا تنفق إلاّ ممّا عندها(11)، والغالب على حريمهم السّمنة(12) وكثرة الشّحم يروا(13) به النّساء والرّجال. وهذا خلاف ما في العلماء(14)، خاصّة لأنّ العالم لا يكون سمينا كما قال النّبيء عليه السّلام إلى الحبر الأعور ابن سوريّة اليهوديّ(15)، فقال (16) : ما أنزل الله على بشر من شيء وجحده وكفر [به، إلاّ](17) وكان مستقرّه إلى عذاب النّار. وأمّا شأن العامّة، فإنّ زواجهم موافق للسنّة لقول النبيء **[56ظ]** ﷺ : تناكحوا وتناسلوا فإنّي مكاثر بكم(18) الأمم، [لذا](19) فكلّهم اتّخذوا كثرة الزّواج سنّة وكثرة فخر بينهم(20) وعادة حسنة. قال [المؤلّف](21): العبد من طينة سيّده، لمّا أن كان ملوكهم بني مرين فيهم السّخاء والإيثار والنّفقة الوافرة كانت(22)أيضا رعيّتهم، من قدر على شيء من مثل سيّده فعله حتى تْمادَ(23) الشيء

(1)في الأصل : السّخا.(2)المقصود : القيروان. أو تونس . (3)في الأصل : فقير.
(4)في الأصل : غنيّ.(5) زيادة للرّبط.(6)في الأصل شهدته.(7)زيادة للتّوضيح.(8)في الأصل : كثير من.
(9)زيادة للتّوضيح.(10)أي لا يرى.(11)من الدّارجة ومعناه أنّ الإنسان لا ينفق إلاّ ما هو قادر عليه.
(12)في الأصل : السّمانة.(13)أي يشاهد النّساء والرّجال وهم على تلك الحالة من السّمنة وكثرة اللّحم.
(14)أي : وهذا خلاف مَا يُعرف به العلماء من النّحافة.
(15)ابن سوريّة اليهودي : حبر عرف بالبدانة والسّمانة وهو الذي جاء إلى للرّسول ﷺ يخاصمة (انظر تفسير القرطبي 7/ 37).
(16)أي اليهودي.(17) زيادة للرّبط.(18) المشهور هو قوله ﷺ : إنّي مباه بكم الأمم يوم القيامة.
(19)زيادة للرّبط.(20)أي ويفتخرون فيما بينهم بكثرة الزّواج.(21)زيادة للتّوضيح.
(22)في الأصل : كان.(23)أي استمرّ (دراجة).

عنده، وحتّى بقي السّخاء والنقفة عندهم عادة في الغنيّ والفقير. قال [المؤلّف](1): ولقد رأيت الرّجل منهم تلد له امرأته الولد فيعمل(2)سابعا(3). ونفقة الفقير منهم عشرة(4) دنانير ذهب [تنفق](5) بين كباش(6) وقمح وسميد ودقيق وغير ذلك. **[57و]**. وأمّا الغنيّ فلا تسأل عنه، إسرافه أكثر من الإسراف ولكن هذا يدلّ على كثرة الدّنيا(7) والدّراهم عندهم(8). كيف ما يَرَوْا ملوكهم يَفعلوا يفعلوا مثلهم(9). مدينة فاس دنيا لأهل الدّنيا، وآخرة لأهل الآخرة في الاجتهاد والعبادة والصّدقات : فالرّجال والنّساء ينفقون أموالهم باللّيل والنّهار في سبيل الله، ومنها ما هو في سبيل الدّنيا. مدينة فاس مدينة عظيمة هي قوّة(10) إسلام المغرب. دار علم، مدينة كافية عن غيرها من المدن(11) في العلم والتّجارات (12) والأقوات وجميع الأشياء من أمور الدّنيا والآخرة. وهذا ممّا يدلّ على أنّ ملوك بني مرين **[57ظ]** عادلون(13)، لأنّ العمارة والقوّة وكثرة النّعمة لا تكون إلاّ بالعدل من الملوك، وهذا ما يقوّي(14) قصّة كسرى الملك الفارسي قالوا: لما كان على خلافة(15) عمر بن الخطاب رضي الله عنه و[تمّ] فتح العراق وبلاد كسرى أنو شروان، وقصّته في حديث يطول، ولكن اختصرنا منه ما يكفي العقول : لمّا دخل عمر رضي الله عنه العراق(16) وتمكّن من بلاد الفرس عبّاد النّار دخل الملك كسرى في(17) دجلة فأكلته الدّجلة(18)، أعني بالدّجلة(19) نهر من الماء كان في وسط بلاده، ودخل عمر القصر، ولم يجد فيه غير ابنة الملك والوزير(20)، فكان أوّل من وصلت **[58و]** يده إلى ابنة الملك عبدُ الرّحمان بن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه. وكانت بيد

---

(1)زيادة للتّوضيح.(2)في الأصل : ويعمل.
(3)أي حفلة مرور سبعة أيّام على ميلاد الطّفل، ويقال له اليوم : يَعْمِلُو اسْبوع.
(4)في الأصل : بعشرة.(5)زيادة للتّوضيح.(6)جمع كبش.(7) كثرة الغنى.(8)أي أهل فاس.
(9) بالفصحى نقول : الناس على دين ملوكهم. والمؤلّف عادة ما يحذف النّون من المضارع المرفوع.
(10)في الأصل : قويّة.(11)أي ليست في حاجة إلى غيرها من المدن.
(12)جمع كلمة تجارة جمع مؤنّث سالم.(13)في الأصل : عادلة.(14)أي يدَعّم.
(15)أي في عهد خلافة عمر.
(16)تاريخيا تمّ تأسيس البصرة والكوفة في عهد عمر سنة 17 / 638. لكنّه لم يذهب إلى العراق.
(17)يستعمل «دخل» فعلا غير متعدّ وهو بالفصحى فعل متعدّ، ودخل دجلة أي اجتازه.
(18)أي غرق فيه.(19)يضيف إلى اسم دجلة ، الألف واللاّم وهو نطق بالدّارجة.
(20)المقصود الملك كسرى.

واحدة خلقها الله كذلك، يخلق ما يشاء سبحانه. وقصتها في حديث يطول. فلمّا أراد عمر الرّجوع إلى المدينة قال له وزير كسرى الملك(1): يا أمير المؤمنين أعطيني(هكذا) بلادًا خالية من بلاد سيّدي الملك كسرى أعيش فيها. قال عمر : انظر أيّ شيء يعجبك من أرض وبلاد هي لك. قال الوزير : أعطيني (هكذا) رجلا من أخيار قومك يمشي معي لننظر(2) [في](3) البلاد. قال الرّاوي : حدّثني جماعة من أهل العراق أنّهم مشوا [في](4) البلاد كلّها، فلم يجدوا موضعَ خلاء(5)، فرجع الفارس والوزير إلى عمر، فقال(6) : لم نجد البلاد **[58ظ]** إلاّ كلّها عامرة، قال الوزير : إنّما أردت أن أعرّفك بعدل مولاي وإيثاره على قومه وأهل بلاده(7). وهذا لاحظناه(8) على بني مرين، [إن](9) عمارة ملكهم تدلّ(10) على عدلهم. والخطاب(11)يطول في مدينة فاس وخيراتها، مدينة في بطن(12) يطلع عليها غمام من كثرة الماء، يكون منه الوخم للغريب حتى يتهدّى(13) . قال [المؤلف](14) : لو نصف مدينة فاس عاما كاملا ما نبلغ(15)، ولكن اختصرت وما وصفت منها فيه كفاية.

[مدينة تلمسان]

وأخرج(16) إلى ملك بني عبد الواد المذكور إلى مدينة تلمسان المذكورة، والمدينة المبرورة بالصّالحين(17) المشهورة، مثل سيدي أبي مدين(18) وغيره **[59و]**،

---

(1)في الأصل : الوزير متى كسرى أي متاع كسرى . والكلمة بالتّرخيم أو بدونه تستعمل في الدّارجة بالمغرب وتونس للدّلالة على الإضافة أو الملكيّة.

(2)في الأصل : ننظروا.(3)زيادة للتّوضيح.

(4)زيادة للتّوضيح.(5)في الأصل : موضعًا فلا.(6)أي الوزير.

(7) التركيب في الفصحى يكون كالآتي : أعرّفك بعدل مولاي وإيثاره قومه وأهلَ بلاده على نفسه.

(8)في الأصل : حظيناه.(9)زيادة للرّبط.(10)في الأصل : يدلّ.(11)أي الكلام.

(12)أي منخفض.(13)بمعنى: يتعوّد أي الغريب أو ينقشع أي الغمام.(14)زيادة للتّوضيح.

(15)أي لو بقي مدّة عام كامل يصف فاس لما بلغ نهاية وصفها.(16)أي انتقل.

(17)في الأصل : من الصّالحين.

(18) أبو مدين شعيب بن الحسن التّلمساني : (ت 594/ 1198) صوفي من أصل أندلسي، أقام بفاس وتوفّي بتلمسان (الأعلام 166/3).

ومثل سيدي الحلوي(1) وغيره من الصّالحين، لله الحمد كثيرا على بركة الله تعالى وبركة هذه الأمّة المباركة ببركة نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم. قال ابن الصبّاح رحمه الله: أنطاكية(2) بالشّام وبرصة(3) بأرض قسطنطينيّة(4) وغرناطة(5) بالأندلس وشاطبة(6) ، وتلمسان(7) بالمغرب مُثُلٌ(8) في المياه والخضرة والمنظر فيما بين الغرب والشّمال.

قال ابن الصبّاح رحمه الله : دخلت تلمسان ورأيت مدينة مناصبها(9) منصب مدينة شاطبة، منظرها شمالي غربي في حجر جبل ليس لها قبلي(10) ،مثل مدينة شاطبة ومثل مدينة **[59ظ]** أنطاكيّة ومثل برصة ومثل غرناطة(11) ، أيّها القارئ والمستمع : إذا أردت أن تنظر إلى أنطاكيّة الشام دار ملك قيصر ملك الرّوم الهرقلي فانظر إلى غرناطة وشاطبة وتلمسان. ومدينة برصة(12) في ملك ابن عثمان السّلطان مراد(13) بأرض قسطنطينيّة العظمى. هذه الأربع(14) مدائن في المنصب والمنظر إلى الغرب، بين غروب الشّمس، وأبطاحها(15) قدّامها، مدينة تلمسان ملك بني عبد الواد، ومدينة

---

(1)في الأصل الخلوني : وسيدي الحلوي هو أبو عبد الله الشّوذي مؤسّس الطائفة الصّوفيّة «الشوذيّة»، وعرف بالحلوي لأنّه كان يبيع الحلوى. من أهل القرن 6/ 12.

(2)أنطاكيّة : مدينة في سوريا تقع على نهر العاصي مشهورة بمتحفها ومركزها الزّراعي. اسنولى عليها العثمانيون سنة 923 / 1517. (المنجد : الأعلام ص 56).

(3)بُرصة أو بورسة : تقع جنوب بحر مرمرة في الشمال الغربي لتركيا وجنوب مدينة اسطنبول (المنجد : الأعلام ص ص 252-353).

(4)القسطنطينيّة : نسبة إلى قسطنطين I (ت 337م) هو الذي نقل عاصمة الإمبراطوريّة من روما إلى بيزنطيّة فسُمّيت القسطنطينيّة (المنجد : الأعلام ص 416).

(5)غرناطة : عاصمة دولة بني الأحمر بالأندلس سقطت سنة 897 / 1492 وبسقوطها زال الحكم العربي نهائيًّا من الأندلس (المحقّق).

(6)شاطبة : شرقيّ قرطبة وهي مدينة كبيرة قديمة، سقطت بيد الإسبان 1249/647 (معجم البلدان : البلدان الأندلسيّة. ط عبد الإله نبهان. دمشق 1983، ص ص 231-232).

(7)تلمسان عاصمة المغرب الأوسط في عهد بني عبد الواد خلال القرون 7-13/10-16. (المنجد : الاعلام ص 153).

(8)أي متشابهة.

(9)أي موضعها. وإن قرأناها بالسّين يكون المعنى : مدينة تلمسان وشاطبة متناسبتان في الموقع والكبر.

(10)تكرّرت هذه الجملة مرّتين. ويقصد بالقبلي : الرّيح أو المطر.(11)تكرّرت هذه الجملة مرّتين.

(12) انظر ت 3 .(13)انظر ص48 ت 10 .(14)في الأصل : أربعة.(15)أي بطاحها.

مملكتهم من زمان قديم من جدّهم غمراسن(1) وأبي سعيد(2) أحرار، بقيّة من آل حمير وملوك التّبابعة: تبابعة(3) اليمن ملوك بني عبد الواد، نذكر(4) منهم في الفضل والإحسان أوّل الملوك(5) أبو تاشفين الأوّل(6)، كان له دولة وأنعام(7) وسعادة **[60و]** جملة(8) دهور وسنين وشهور وأعوام. ودامت عليه دولة تمهيد في البلاد، وقهر الرّعيّة والعباد(9) وكان ذلك بجملة أُوزَارَات وإمارات وقيّاد(10) مثل القايد هلال(11) وغيره من القيّاد. كانت دولة عظيمة ومُكْنة(12) وعدل(13)، وصدقة وإيثار، وأعوام خصبة واطمئنان، وعافية في البلاد وسعادة في العُمّار(14) بالرّشاد. بنى(15) البلاد وشيّد القصبات والأسوار والمساجد وزيّن البلاد. وكانت مملكة عظيمة حتّى كان يفتخر على ملوك العرب بالمال والخزائن والحرث والنّسل وزينة **[60ظ]** الثّياب وكنوز الذّهب والفضّة والذّخائر من الجوهر النّفيس واللّؤلؤ والزّمرّد، والقدرة الواسعة بالمال والعبيد والوَصِفات(16) من ولد حام، وبالخيل والكُمّال من ركوب السّروج المذهّبة والرّكاب، يفتخر به [عن](17) سائر الملوك من ملوك المغرب: بالعدّة والشدّة والقوّة(18).

(1) غمراسن بن زيان مؤسس دولة بني عبد الواد أو دولة بني زيان حكم بين 633/ 1236-681/ 1283). (دائرة المعارف الإسلاميّة الطبعة الفرنسيّة الثانية ج I ص 96). وغمراسن نطق بالدّارجة ليغمراسن. وهذا الإسم يطلق على مدينة في جنوب البلاد التّونسيّة اليوم.

(2) أبو سعيد عثمان بن يغمراسن حكم ما بين 681/ 1283- 703/ 1303). نفس المرجع السّابق.

(3) في الأصل : تبعات.(4) في الأصل : نذكروا.(5)في الأصل : أو الملك.

(6)أبو تاشفين الأوّل : هو عبد الرّحمان بن موسى، حكم ما بين (718/1318-737/13337). وهذا السلطان هو الخامس في ترتيب سلاطين بني عبد الواد.

(7)في الأصل إنعام والأنعام هي الإبل والظّأن والمعز.(8)أي مدّة.

(9)أي أنه كان يحكم البلاد بيد من حديد.

(10)أي كان حوله وزراء وأمراء وقادة.وكلمة قيّاد، وتنطق القَاف كالجيم في اللّهجة المصريّة الدّارجة، مازالت مستعملة إلى اليوم في المغرب العربي للدّلالة على الوالي وهو حاكم جهة من جهات البلاد.

(11) لعلّه القايد هلال القطلاني : ذكره يحيى بن خلدون في بغية الرّوّاد (انظر هذا المصدر 1/ 127).

(12)أي لها مكانة.(13)أي يسودها العدل.(14)أي العمران بالمفهوم الخلدوني.

(15)الضّمير يعود على أبي تاشفين الأوّل.(16)أي العبيد السّود من النّساء.(17)زيادة للتّوضيح.

(18)تضعف لغة الكاتب في مستوى التّركيب والألفاظ والضّمائر ولكن المعنى يبقى يدور حول أبّهة ملك بني عبد الواد وعظمته وكثرة أرزاقهم وخيراتهم.

قال الرّاوي : يقال بني عبد الواد ، ويقال بنو(1) عبد الدّار(2). والعرب تطلق الأسماء على الأسباب(3) ، فقد كان (4) بنو عبد الواد سكنوا الوادي(5) من أودية جبال الحجاز وسمّوا باسم «الوادي». قال ابن الصبّاح: لحقت في زماني هذا علجا من علوج أبي(6) تاشفين الأوّل(7) من ملوك بني عبد الواد(8). وحدّثني عن مملكة مولاه أبي(9) تاشفين، وكان اسم العلج البلغاري باسم العجم، وكان العلج المذكور **[61و]** مخصيّا(10) من مخاصي الجواري(11) التي كانت(12) إلى أبي تاشفين : واحد بعد واحد بأسمائهم(13) حتى كان يحكي أنّه دخل على مولاه يوما من الأيّام فرأى في مرتبته(14) مثل شجرة مرصّعة بالجوهر. وقد حكى كثير من النّاس مثله، وكانت دولة عظيمة لم يصلها(15)ملك من ملوك بني عبد الواد إلاّ الملك المذكور والفارس المشهور صاحب الرّياضة والإدارة والفتق والرتق(16) والسياسة والفطنة الملك أبو حمّو(17) والد هؤلاء المذكورين(18) والفوارس المشهورين(19) وأولاده كثيرون(20)، لا أحصيهم **[61 ظ]**، ولكن نذكر منهم المشهورين أبا(21) تاشفين عبد الرّحمان(22) ملك من ملوك الزّمان،

---

(1)في الأصل : بنوا.

(2)ابن خلدون يرفض محاولة بعضهم إلحاق البربر بنسب عربي، وما يُروّج له هو من الثّقافة الشّيعيّة، أراد به حكّام المغرب إضفاء الشرعيّة على حكمهم بإيجاد نسب لهم عربي (المحقّق).

(3)أي أنّ سبب تسميتهم بعبد الواد هو سكنى جدودهم في واد من أودية الحجاز.

(4)في الأصل : فكان.(5)في الأصل : عبد الوادي.(6)في الأصل : ابو.

(7)لا يمكن لهذا العلج الذي التقى به ابن الصبّاح أن يكون معاصرًا للسلطان أبي تاشفين الأوّل. ولعلّ المقصود هو أبو تاشفين II حكم ما بين (1388/791-1393/796) وترتيبه الثامن في سلاطين بني عبد الواد، أو أبو تاشفين III حكم سنة 1468/873 ورتبته التاسع عشر.

(8)في الأصل : عبد الوادي.(9) في الأصل : أبو.(10)في الأصل : مخصيّ.

(11)أي الذين يعملون في جناح الحريم.

(12) أي اللائي كنّ يتبعن أبي تاشفين.(13)أي رُتّبت أسماؤهم الواحد بعد الآخر في قائمات.

(14) أي في مجلسه.(15)أي لم يصل إلى تلك الرّتبة العظيمة.

(16)نقول اليوم في الدّارجة التّونسيّة لمَن لا معارض له : الفاتق النّاطق.

(17)في الأصل : أبو حمّوه. وأبو حمّو II موسى (حكم من 760 / 1358 - 791/ 1388 وتوفّي 795 / 1392 (EI ط 2.ج I / ص 96 وما بعدها)

(18)في الأصل : المذكورة.(19)في الأصل : المشهورة.(20)في الأصل كثيرة.(21)في الأصل : أبو.

(22)هناك سلطانان من بني عبد الواد اسمهما عبد الرّحمان وكنيتهما أبو تاشفين وهما السلطان الخامس والسّلطان الثامن ونرجّح هذا الأخير.

وبعده(1) الملك أبو زيّان(2) والملك عبد الله(3)، ثم بعدهم الملك محمّد أبو زيان(4) ملك الزّمان والعدل والإحسان أدام الله دولته وخلّد ملكه بالعدل والجود والكرم ما دامت اللّيالي والدّهور بالقيام(5). والخطاب(6) يطول في فضل ملوك بني عبد الواد. ولكن نرجع إلى وصف المدينة المذكورة: مدينة تلمسان كثيرة العلماء والقرّاء(7)، فيها المدارس الكثيرة وطلب العلم والقراءة. [وفيها](8) الماء والخضرة والزّهر. ثمّ [هناك](9) مدرسة القاضي الفاضل والحاكم العادل سيدي سعيد **[62و]** العقباني(10) مفتي هذه الأمّة وسيّد زمانه بالعلم والافتاء(11) في صفة(12) حدود الشرع والقضاء(13). كثّر الله منه ومن ذرّيته في الإسلام. وهي مدرسة جنّة في الأرض، ذات بنيان مشيّدة(14) وسقوف مقربسة(15) والأبواب المرصّعة بالزّينة، والمصنع(16) في وسط المدرسة من الماء العذب ترى(17) فيه وجهك(18) من شدّة الصّفاء(19). ومدرسة سيدي الحلوي(20) جنّة في الأرض، فيها الإطعام(21) من الحلال الموقوف من أوقاف(22) الصالحين، و[هناك](23) جملة مدارس(24). ولكن نذكر ذلك على وجه الاختصار.

---

(1) في الأصل : وبعد.

(2) أبو زيان : السّلطان الذي جاء بعد أبي تاشفين II عبد الرّحمان وكنيته أبو زيان يمكن أن يكون أبو زيان الثاني حكم ما بين 797 / 1394- 802 / 1399. أما أبو زيّان I فلم يحكم بعد سلطان كنيته أبو تاشفين واسمه عبد الرّحمان، بل حكم بعد أبي يحيى يغمراسن وأبي سعيد عثمان وهما الأوّل والثاني من سلاطين بني عبد الواد. أمّا أبو زيّان III فقد حكم في القرن 16/10. أي في زمن متأخّر عن عصر المؤلّف.

(3) السلطان عبد الله المذكور يمكن أن يكون أبا محمّد عبد الله الثاني أو الثالث أو الرّابع فجميعهم حكم خلال القرن 15/9 وهو القرن الذي عاش فيه المؤلّف. (نفس المرجع السّابق).

(4) السلطان أبو زيان محمّد يمكن أن يكون أبا زيان محمّد الأوّل أو أبا زيان محمّد الثاني فهما يشتركان في الاسم والكنية وحكما خلال القرن 8/ 14 واستمرّ حكم الثاني منهما إلى سنة 802/ 1399 (انظر ت 2) ونرجح أنّه المقصود بالدّعاء.

(5) أي قائمة وموجودة.(6) أي الكلام.(7) في الأصل : والقرا.(8) زيادة للرّبط.(9) زيادة للرّبط.

(10) هو سعيد بن محمد التّجيبي التلمساني العقباني، قاض وفقيه مالكي من أهل تلمسان، تولّى قضاءها وقضاء غيرها من المدن كبجاية وسلا ووهران ومرّاكش. ولد سنة 1320/720 وتوفي 811/ 1408). الأعلام ج 3 ص 101).

(11) في الأصل : الافتا.(12) أي كيفيّة.(13) في الأصل : القضا.(14) في الأصل : مشيّد.

(15) في الأصل : المقربس.(16) يقصد به الصهريج أو الجابية يُجمع فيهما الماء.(17) في الأصل : ترا.

(18) العبارة من الدّارجة ومازالت مستعملة إلى اليوم.(19) في الأصل : الصّفا .(20) انظر ص 53 ت1 .

(21) أي إطعام الطلبة.(22) في الأصل : وقوف .(23) زيادة للرّبط.(24) في الأصل مدارس جملة.

مدينة تلمسان خضراء(1) من كثرة البساتين والأشجار، مدينة طيّبة الماء **[62ظ]** والهواء(2)، قابلة على كلّ غريب بالوسع والماء وكثرة الزّرع وشجر الزّيتون وثمر الغدّان(3).

مدينة تلمسان [فيها](4) الماء البارد والهواء المعتدل، كلّما تصف من أوصافها قليل، لأنّها مدينة قديمة البنيان من بناء الملك جرير الإفريقي(5) ملك إفريقيّة من ولد ملك الفراعنة : من ذريّة ملوك مصر الفرعونيّة(6) الذين ملكوا بلاد إفريقيّة(7). [وهي](8) قديمة كثيرة المجبى(9) من الخراج ممّا يلي(10) الدّاخل والخارج في المدن، [وهي](11) كثيرة الحرث والنّسل والتجارة والحركات. مدينة قائمة بنفسها مستغنية عن غيرها من المدن والحصون مثل وجدة(12) **[63و]** وندرومة(13) ومدينة هنين(14) ومدينة وهران(15) المذكورة(16). وهي وطن الحَاج(17) المذكور حتّى يأتي الله بالخروج منها إمّا بالموت وإمّا بالحياة(18).

---

(1)في الأصل خضرا.(2)في الأصل : الهوا.
(3) أي الثمر الطريّ الغضّ وذكر بنشريفه أنه نوع من التّين دون أن يذكر مرجعه في ذلك.(4)زيادة للرّبط.
(5)جرجير ملك إفريقيّة : عبارة نجدها في البيان المغرب لابن عذاري، قتله عبد الله بن الزّبير في هجوم المسلمين بقيادة ابن أبي سرح على عاصمته سبيطلة سنة 27 / 647. (البيان المغرب تحقيق لـ. بروفنصال ط بيروت 1948. ج1 / ص ص 10-13).
(6)في الأصل الفرعانيّة.(7)انتساب جرجير إلى الفراعنة لا صلة له بالتّاريخ وإنما هو من الثّقافة الشّعبيّة.
(8)إضافة للرّبط.(9)في الأصل : المَزبا.(10)أي ممّا يدفعه الدّاخل إلى المدينة والخارج منها.
(11) زيادة للرّبط.
(12)وجدة : مدينة في شمال شرقيّ المملكة المغربيّة : وهي مركز صناعي وزراعي (المنجد : الأعلام 552).
(13)ندرومة أو ندروما : مدينة في الجزائر، نشأت فيها أوّل ما نشأت حركة الموحّدين (المنجد : الأعلام ص 522).
(14) هُنَيْن : مرفأة شمال تلمسان على السّاحل الغربي للجزائر.
(15)وهران : في الشمال الغربي للجزائر أسسها تجّار من عرب الأندلس في ق 10/4 (المنجد : الأعلام ص 556).
(16)المذكورة بمعنى التي ستذكر فيما بعد.
(17) في الأصل : الحجّ، والمقصود : ابن الصبّاح نفسه. وكلمة وطن هنا بمعنى الإقامة لأنّ ابن الصبّاح مرض وأقام في وهران مدّة سنتين. وسيذكر هذا بعد قليل.
(18)سيذكر أنّه مرض وأشرف على الموت في مدينة وهران.

[مدينة وهران]

وهران المذكورة مدينة مباركة بالحرث والنّسل والخصب من الزّرع الغالب من الحنطة الياسرة(1)، واللّحم السّمين، والسّمن، والفواكه(2). مدينة مكملة(3)بالخير كافية بنفسها عن غيرها من البلاد. مدينة على ساحل البحر مقابلة مدينة مرسية(4) في برّ الأندلس. مدينة وهران مانعة(5) المكان، كثيرة العدّة والرّجال الزّعام بالقتال(6). مدينة إذا اغترب أحد منهم في البلاد لم تر أحسن منه صحبة ولا أملح ودّا. إذا تغرّبوا **[63ظ]** في البلاد يودّ بعضهم بعضا بالصّحبة والخلّة والمودّة والحنانة(7) والشفقة والرّأفة. وهذا ما يدلّ على الإيمان . قال عليه السّلام : «حبّ الوطن من الإيمان». فكان أهل وهران يحنّون بعضهم [على](8) بعض(9) في الغربة. يحبّون(10) الوطن. نعم الجيران أهل وهران.

قال ابن الصبّاح : اعلم أيّها القارئ والمستمع : إنّني الحاج المذكور مرضت في هذه البلدة المذكورة وهران، مرضت عامين اثنين لم نخرج على باب(11) من الجرب وانكسار الدّم(12)، و[مع ذلك](13) لم نبق فيها بلا عشاء ولا غذاء، والله في كلّ يوم نُفتقد(14) بالزّرع(15) والدّراهم من فضل الله من عند الأجواد، مثل **[64و]** أهل وهران كمثل أهل مكّة يحكى(16) عنهم القسوة وهم أجواد(17)، ولكن يكون هذا مثل ما قال القائل : من لا يحسن إليك يحسن إلى غيرك. جزاهم الله عنّا خيرا.

ثمّ نرجع(18) إلى مدائن تلمسان المذكورة مثل الجزائر(19) وجماعتها(20) المذكورة المشهورة. وهي(21)مدينة التّجارة والخصب والرّخاء الشّامل من الزّرع وألوان النّعم.

---

(1)الياسرة : الكثيرة. (موجودة في الدّارجة التّونسيّة). (2)أي الغلال .(3)أي مكتملة.

(4)مرسِيةٍ : وتسمّى تدمير سقطت في يد الإسبان 1243/645، مازالت تحتفظ بآثار أندلسيّة (معجم البلدان : البلدان الأندلسيّة ط. عبد الإله نبهان. دمشق 1983 ص 375) .

(5)أي حصينة.(6)أي لهم مقدرة على القتال.(7)أي الرأفة.(8)زيادة للتّوضيح.

(9)في الأصل : بعضا.(10)في الأصل : يحبّ.(11)أي كان في عزلة تامة مدّة سنتين.

(12)قد يكون المعنى : كثرة سيلان الدّم المتأتي من مرض الجرب.

(13)زيادة للرّبط.(14) أي يتم تفقّدنا.(15)بالحبوب أي الطّعام.(16)في الأصل : يحكا.

(17)جمع جواد أي السخيّ للمذكر والمؤنّث.(18)أي فَلْنَرجع.

(19)مدينة الجزائر هي من مدن مملكة تلمسان في ذلك الوقت. فتلمسان هي عاصمة دولة بني زيّان.

(20)أي المدن الصغيرة حولها.(21)الضمير يعود على الجزائر.

[هي][1] على ساحل البحر مقابلة مدينة مالقة[2] من جزيرة إقليم الأندلس. أهلها رأيهم وجمعهم جمع واحد، ما بينهم اختلاف ﴿وأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾[3]. اللّهمّ عمّرها بالإسلام وتلاوة القرآن ما دامت اللّيالي **[64ظ]** والأيّام.

قال الرّاوي : مُلك بنيْ عبد الواد ملك مبارك، ولكن هو كثير المصائب من أجل تبديل ملوكها، يُذيق بعضهم بأس بعض[4] وتضعف من ذلك المملكة والحكم، ويكون فيها قطع الطريق، وتنحصر[5] النّاس عن الأسفار ويضيق[6] عليهم الحال. والبرّ برّ متّسع ما تعرف النّاس[7] بعضهم بعضا [فيه][8]. وكذلك جميع هذا البرّ العدوي[9] المذكور كثير الحُرُميّات[10] والقطّاع في جميع الأقطار من هذا البرّ المذكور من بلاد بني مرين إلى آخر مصوّر[11] طرابلس إلى برقة من سكّان بيوت الشّعر إلى إسكندريّة باب الشّرق وباب الغرب[12]. الخوف والخلل **[65و]** وبعد العماير[13]، وهذا يأتي من وسع[14] البرّ المتّسع، لا يعرف عامرها[15] ولا يوصف ساكنها ولا يمثّل موضعها، برٌّ متّصل مثل البحر المحيط بعيد المسايف[16] وقليل الماء، كلّها صخرة[17]. ومملكة مسيرة المسايف. وطولها من آسفي[18] بني مطير إلى فاس إلى تلمسان إلى بجاية إلى تونس المذكورة[19] إلى طرابلس إلى برقة إلى إسكندريّة مسيرة خمسة أشهر

---

(1)زيادة للرّبط.

(2)مالقة : ترجع إلى أصول رومانيّة وفنيقيّة سقطت في يد الإسبان 1487/892. (معجم البلدان : البلدان الأندلسيّة ص 363).

(3)42 ك. الشّورى، الآية 38.(4)أي أنّ ملوكهم يبذلون جهدهم ليذيق بعضهم بأس بعض.

(5)أي تمتنع لقلّة الأمن في الطريق.(6)في الأصل : يُذيق.

(7)أي لا يعرف النّاس بعضهم بعضا. ومن عادة المؤلّف الخلط بين المؤنّث والمذكر عند استعمال الأفعال.

(8)زيادة للتّوضيح. (9)أي العدوة الإفريقيّة.

(10)جمع الحرامي، جمعه المؤلّف جمع تأنيث، والكلمة في الفصحى لا جمع لها.

(11)المصوّر لغة الخريطة الجغرافيّة واستعملها المؤلّف بمعنى أرض.

(12)أي يمرّ منها القادم من المشرق إلى المغرب والعكس.

(13)أي العمران.(14)أي اتّساع .(15)أي المسكون.(16)جمع مسافة باللّغة الدّارجة.

(17)لعلّه يشير إلى كثرة السّلاسل الجبليّة.

(18)آسفي : مدينة في الوسط الغربي للمغرب على ساحل المحيط الأطلسي. (19)أي التي ستذكر فيما بعد.

كلّها مسايف(1) وخلوات(2) [فيها](3) خوف وعطش ورمال وفياف منقطعة(4) يا سلام سلّم(5). مسافرها من الحج(6) والتجّار بمنّه(7) وجنوده.

قال الرّواي : لم نر فيما أرّخه(8) المؤرّخون أمرّ وأدهى ممّا ذكرت لكم [65ظ] من المفاويز والقفار والخلاء(9) والخوف. وبذلك ذكرت واحدة من أعظم المفاويز المذكورة في الكتب المؤرّخة. وأعظم منها برّية الحجاز، أعظم وأعظم وأدهى وأمرّ من ذلك. ثمّ نرجع إلى مدينة تلمسان المذكورة، وما فيها من النّعم المشهورة، وكفى أنّها عندي وعند المسافرين في صقع المغرب أي في إقليم المغرب مثل دمشق في الشام. تلمسان في إقليم المغرب دمشق الصغيرة(10).

قال الرّاوي : وقد ذكرت نواظرها(11) من المدائن الأربعة(12) : أنطاكية بالشام وبرصة بالشمال وغرناطة بالأندلس [66و]، وبلنسيّة ودمشق في الوطا(13). والقصور والمياه والبنيان نواظر(14) بعضها بعضا في المدائن وأشباه ذلك. ولكن نرجّح دمشق بالإسلام والرّفاهية والمال على سائر البلاد. و[بـ](15) التّجار والعافية والفرجة والهَدنَة(16) والفواكه، نرجّحها على سائر البلاد.

قال الرّاوي : كنت ذات يوم في بيروت مرسى دمشق، وذكرت بلاد النّصارى(17) ورفاهيتها والمال والعُدَد(18) والتجار(19) والكفاية التي فيها . فقام إليّ رجل نصرانيّ

---

(1) انظر : ت 16 ص 59.(2)أي خلاء.(3)زيادة للرّبط.(4)أفي الأصل : مقطعة.

(5)عبارة مازالت مستعملة إلى اليوم في الدّارجة التّونسيّة للتّعبير عن الابتهاج.(6)أي الحجّاج.

(7)المنّ هو الكيل والميزان، يقصد المؤلّف : أنّ المسافر في هذه الفيافي هو إمّا من الحجّاج أو التجار بأدوات عمله ووسائل حمايتهم. وكالعادة يستعمل ابن الصّباح ضمير المفرد للجمع.

(8) في الأصل : فيها ورّخوه. (9)ق في الأصل : الخلل.

(10)هذه التسمية انتقلت من اللّهجة الموريسكيّة إلى اللّغات الأوروبيّة، وإلى اليوم نسمع باريس الصغيرة تطلق على بيروت.

(11)أي شبيهاتها ونظائرها.(12)الصحيح : المدائن الأربع.(13) الوطا (دراجة): المنبسط من الأرض.

(14)أي شبيهات.(15)زيادة للرّبط.

(16)أوردها المؤلّف بفتح الهاء ومعناها في الفصحى المطر الضعيف القليل والأرجح أنّها بالضّم ومعناها الدّعة والسّكون.

(17)في الأصل : النّصارا.

(18)في الأصل : العُداد بإطلة فتحة الدّال على عادة أهل الأندلس، والعُدَد : هو ما أعددته لحوادث الدّهر من مال وسلاح، جمع عُدّة.(19)أي التّجارة.

وقال: يا هذا المسلم : سمعت حديثك وفهمت كلامك وما ذكرت من عافية النّصارى(1)، ومال النّصرانيّة، وتعجّبك منهم ومن **[66ظ]** بلادهم، فقلت [نعم، فقال] (2): إنّك لا تعلم شيئا وأنت فطّان(3) في البلاد والمال والتجّار، فقلت له : لِمَ ذلك؟ فقال لي : يا مسلم ، في دمشق الشّام كفاية من مال ومن تجارات(4) وعافية(5)، وجميع ما يحتاجه أهل الأرض من عجم وعرب في دمشق الشّام كفاية لجميع البلاد، فقلت له بيّن لي ذلك حتى أعرفه. قال النّصراني : أرأيت يا مسلم تجّار أرض النّصرانيّة كلّها من حبش وفنش(6) وقطلان(7) وإفرانسة ورومة وإفرنج(8)، وجزر بحر الرّوم، وبحر الهند وبحر اليمن وبحر النّيل الحلو ومشارق الأرض ومغاربها، كلّهم يتّجرون(9) إلى دمشق **[67و]** وإسكندريّة. وهذان الموضعان يعْدلان(10) جميع بلاد الرّوم كلّها، لأنّها تأخذ منهم الدّاخل وتعطيهم الخارج(11). فهذا يدلّ على أنّ دمشق الشام ومصر تعدلان(12)، بلاد التجار كلّهم.

قال الرّاوي : فبقيت متعجّبا من(13) فطانة هذا النّصراني. وقلت صدق النّصراني في مقالته وكذب في دينه، إذ هو ودينه على الباطل كما قال الله تبارك وتعالى **﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾**(14)، **﴿قوله الحقّ وله الملك﴾**(15)، أمّا ما كان من أمور الدّنيا فهم يقوّمونها جدّ التّقويم. وأمّا أمور الآخرة **[67ظ]** فمالهم فيها قوام ولا نصيب ، **﴿يَعْمَلُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾**(16).

ثمّ نرجع إلى ملك بني عبد الواد لو نصفه بالطول والعرض، ونصف ملك بني مرين من قَبل(17) لقلنا هو أطول وأوسع وأبين من أرض غيره وهو نعم الأرض والعمل

(1) في الأصل : النّصارا.(2) زيادة للرّبط. (3) أي فطن.(4)جمع كلمة تجارة جمع مؤنث سالم.
(5)أي أمن.(6)فنش أي تجار فينيسيا وهي البندقيّة في إيطاليا.(7)سكان الشمال الشرقي لإسبانيا.
(8)أطلق اسم الإفرنج على الأوروبيّين إجمالا بعد الحروب الصّليبيّة (المنجد : الأعلام ص40).
(9)في الأصل : يتّجروا، ومعناه يحملون تجارتهم إلى.(10) في الأصل : هذه الموضعين تعدل.
(11)أي يدخلون لها بضاعة خارجيّة ويخرجون منها ببضاعة محلّية وهو ما نسمّيه اليوم التّوريد والتّصدير.
(12)في الأصل تعدل.(13)في الأصل : في.(14)2 ك. البقرة، الآية 113. (15) 6ك. الأنعام، الآية 73.
(16)30 ك. الرّوم، الآية 7.(17)أي أوّلا.

الصّالح فيه. قال الرّاوي : ثمّ إنّ ملك بني مرين من آسفي بني ماحر[1] إلى جزولة[2] قرونة إلى قبب المرابطين [من] [3] بلاد السّودان إلى بحر الرّوم عرضا وطولا ستّة أشهر. وملك بني عبد الواد من ملويّة الأندلس[4] طولا شهرًا وعرضا يومين[5] فيه العماير المشهورة ممّا[6] وصفناه من المدن **[68و]** والحصون.

---

[1] في الأصل : من أسف بن ما قبر.
[2] قبيلة بربريّة مواطنها السّوس جنوب المغرب (المنجد : الاعلام ص 170. [3] زيادة للتّوضيح والرّبط.
[4] ملويّة : المنطقة التي يجري فيها نهر ملويّة ومنبعه ملتقي الأطلس الأعلى والمتوسّط ، يصب في البحر الأبيض المتوسّط (المنجد : الأعلام ص 502). لم نتمكن من معرفة لماذا سمّاها ملويّة الأندلس؟ لكن نرجّح أنّ التّسمية متأتيّة من أن سكّان هذه المنطقة أو المدينة من مهاجري الأندلس.
[5] في الأصل : من ملويّة الأندلس عرضا وطولا شهرًا، وعرضا يومين. [6] في الأصل : ما.

[إقليم إفريقيّة في عهد الدّولة الحفصيّة]

ونخرج إلى ملك الموحّدين(1) ملوك الزّمان في القوّة والفضل والامتنان، ملوك أنقياء(2) ممّن يزعمون أن قبيلتهم قبيلة عمر بن الخطّاب العَدَوي(3). قال [الرّواي](4): قرأت كتب المؤرّخين وأولي الألباب مثل وهب ابن منبّه والحضرمي(5) وابن الجزّار والمسعودي في الكتاب الكبير من مروج الذّهب(6) وجعرفيّات هارون الرّشيد العبّاسي(7) وغيرهم من [أصحاب](8) كتب الأنساب. والكلّ أجمعوا أنّ أصحاب رسول الله ﷺ المهاجرين رضي الله عنهم هم أبوبكر التّميمي (9) وعمر العدوي وعثمان الأموي وعلي الهاشمي.

قال الرّاوي : نذكر مملكة الموحّدين المنسوبين **[68ظ]** إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إذ دار مملكتهم تونس، القديمة البنيان، المسمّاة(10) مدينة إفريقيّة، وإليها يرجع في العدوة(11) جميع إقليم المغرب(12). وهي رأس مدائن المغرب(13). وبها يقتدى في عدد الأقاليم السّبعة، وبها يسمّى إقليم إفريقيّة. وهو الإقليم السّادس من الأقاليم السّبعة المذكورة، كما ثبت في الأصول من تاريخ المؤرّخين في أقاليم كورة الأرض(14) من(15) تحت قبّة السّماء والفلك، والله أعلم بغيبه وأحكم.

---

(1) يقصد الحفصيين بتونس.

(2) جمع نقيّ : وهو النظيف والنظافة هنا هي النّظافة الأخلاقيّة. وكعادته استعمل المؤلّف «نقيّة» عوض أنقياء.

(3) هذا ما ادّعاه مؤرّخو الدّولة الحفصيّة في نسبهم.(4) زيادة للتّوضيح.

(5) لعلّه أبو محمّد عبد المهيمن الحضرمي الفاسي أديب ومؤرّخ توفّي 749/ 1348 (الأعلام ج4/ 169).

(6) المسعودي هو صاحب مروج الذّهب. أمّا ابن الجزّار فله كتاب في التّاريخ لم يصلنا اعتمده ابن الرّقيق في تاريخه.

(7) جمع لجعرافية : نطق أندلسي للجغرافية.(8) إضافة للتّوضيح.

(9) في الأعلام ج 4 ص 102 يذكر التيمي القرشي.(10) في الأصل : المسمّية.(11) في الأصل : العدّة.

(12) المقصود : المغرب عامّة.(13) المقصود : المغرب عامّة.(14) في الأصل : كورية.(15) في الأصل: في.

قال ابن الصبّاح رحمه الله : حدوده(1) من إفريقيّة إلى طنجة إلى جزولة، إلى قبّة المرابطين، إلى البحر **[69و]** الجنوبي، إلى بلاد السّودان، إلى جبل القمر، إلى بلاد النّيل والحبش. وهو الصّقع السّادس من الأقاليم السّبعة المذكورة.

قال الرّواي رحمه الله : وأمّا أوصاف المدينة المذكورة، وما لها من الطاعة والمدائن المذكورة والحصون المشهورة، وخصائص أرضها وعمارتها، [فهي](2) من البلاد العامرة المشهورة عند المؤرّخين المتقدّمين والمتأخّرين من المسافرين والمعتبرين في الأسفار، المتفكّرين فيما جرى في طول الأعصار.

[مدينة تونس]

قال الرّاوي : دخلت مدينة تونس، وقعدت فيها ثلاثين يوما، في أيّام الفواكه. وركبت منها إلى الإسكندريّة(3) **[69ظ]** في مركب، من(4) ثلاثة أظهر والممشى(5). كنّا فيه ألف نفس بين حجّاج وتجّار وبحريّين، وعبيد السّودان وهم شرّ التجّار : سبعمائة عبد ذكورا وإناثا [مسافرين كلّنا](6) إلى الإسكندريّة(7) المباركة المشهورة. قال الرّاوي: [هذا](8) في حديث، يطول خبره، ولكن نرجع إلى وصف مدينة تونس، وملوكها الكرام ذوي (9) الفضل والجود، والتّوحيد(10)، والعلم الواسع في فنون العلوم.

مدينة تونس تسمّى المعلّقة في ابتداء الزّمان، سمّيت بذلك لأنّها معلّقة في جبل على وادي أبي جردة(11). وقيل : إنّها سمّيت معلّقة لأنّ الذين(12) بنوها العمالقة، ولكن أهملوا الاسم وحذفوا من (...)(13) **[70و]** وكانت لهم لغة يتكلّمون بها بين بعضهم بعضا ولا يفهمهم العرب الفصحاء(14).

---

(1)أي الإقليم السّادس الذي هو إقليم المغرب.

(2)زيادة ليستقيم التّركيب.(3)في الأصل : اسكندريّة.(4)في الأصل : ومن.(5)في الأصل : الممشا.

(6)زيادة ليستقيم التّركيب.(7)في الأصل : اسكندريّة.(8)زيادة للرّبط.

(9)في الأصل : ذي، على عادة المؤلّف في الخلط بين المفرد والجمع.

(10)يعتبر المؤلّف الدّولة الحفصيّة هي دولة الموحّدين أي استمرار لدولة الموحّدين في المغرب الأدنى بعد سقوط الدّولة الموحّدية في المغرب الأقصى.

(11)يقصد وادي مجردة، رغم أنّ هذا الوادي بعيد نسبيّا عن مدينة تونس.

(12)في الأصل : الذي.(13)نقص في الأصل.(14)في الأصل : العرب الفصيحة.

قال الرّاوي : كان جدّهم رجل يسمّى قضوع بن قضعة بن مالك بن وائل بن حمير بن سبأ، لكن كثيرا من النّاس يجهلونهم، وينسبونهم إلى العجم، وليس الأمر كذلك، بل هم من العرب العاربة من ذريّة آل قحطان، وآل حمير. وإنّما أصابتهم الذلّة بخروجهم من بلادهم بغير شيخ.

قال الرّاوي : مدينة تونس عليها من المدائن طاعة لها وأعمال لها(1) أوّل ذلك، بجاية : مدينة عظيمة، دار علم وقوّة في الدّين والدّنيا، العلماء والقرّاء ببجاية كثيرون(2) [هم](3) وأهل النّحو**[70ظ]** والعربيّة وأهل توحيد. [وهي](4) مدينة معلّقة في سند جبل على البحر(5)، منظرها قبليّة، والبحر تحتها، (وهي) مدينة حاضرة التجّار وأهل بحر، وأهلها أقوام قنوعو الأنفس(6)، لا يبيع أحدهم ولا تفتح حوانيتهم وقيسريّاتهم إلاّ بعد العصر، عشيّة النّهار، قليلة الحرث، كثيرة الفاكهة، عليها (هكذا) الواد الكبير بجميع الفواكه، الغالب عليها التفّاح، عليها (هكذا) جبال قبائل البرابر زناتة(7). وهذا الاسم مأخوذ من شجرة الزّان، و(8) عندهم يسمّى [الجبل](9) جبل الزّان، قيل : إنّهم مرّوا به وسكنوه، وانتشروا منه في البلاد وقت خروجهم من اليمن. **[71و]** فكلّما مرّوا ببلد، سئل الرّجل منهم من أين أنت؟ فيقول: من جبل الزّان لقلّة معرفتهم بالبلاد، حتّى غلب عليهم الاسم فقيل لهم زناتة(10) نسبة لاسم شجر الجبل لأنّ(11) الغالب على شجر الجبل شجر الزّان. فانتشروا في الغرب كلّه. وحدّهم(12) من الشرق جبال غريان (13) على مدينة طرابلس إلى أقصى(14) المغرب.

---

(1)أي لها مدن تتبعها، وعمّال تحت طاعتها.(2)في الأصل : كثيرين.

(3)زيادة ليستقيم التّركيب.(4)زيادة ليستقيم التّركيب.(5)في الأصل : على هذا البحر.

(6)في الأصل : قانعة الأنفس.(7)في الأصل : زنات.

(8) الزّان أو المُرّان (Hetre) : جنس شجر للتّزيين ينبت في الأحراج الجبليّة. وتفسير ابن الصبّاح لهذه التّسمية أكثر منطقيّة من ابن خلدون فقد أرجعها إلى اسم جدّهم الأوّل وهو «جانا» (الشّهابي: معجم ص 287، 336، العبر : 7/ 3).

(9)ليستقيم التّركيب.

(10)في الأصل : زنات.(11)في الأصل : لأنّه.(12)في الأصل : وجدهم.(13) هي نفسها جبال نفوسة.

(14)في الأصل : أقصا.

قال : إنّما اسم زناتة(1)، الصّحيح، جناة بالجمع(2)، لأنّ اسمهم الجناويّة. وقد قيل : [إنّه](3) من لغة الفرس(4). مدينة بجاية مدينة حسنة البناء، شديدة الحرّ في الصّيف، مدينة طرقها وأزقتها كلّها حجر.

قال ابن الصبّاح رحمه الله : هي مسيرة أربعة أيّام، على بجاية/ **[71ظ]** جبال عامرة بالبربر(5).

[مدينة قسنطينة]

مدينة قسنطينة(6) : مدينة في ظهر جبل منقطعة لا يقدر عليها فارس ولا حارس، مدينة كثيرة الخصب والرّخاء، سميد الدّقيق فيها سبعة أرطال بجديد (7)، واللّحم بغير وزن وهو كثير، والسّمن والتّمر كذلك، لأنّها من بلاد الجريد(8)، (وبها)(9) الصّوف من أغنام العربان، عليها قبائل نوبة حرّاثون(10) عرب(11)، عليها وادي (هكذا) من الفواكه(12)، والغالب منها(13) المشماش. [وهي](14) مدينة منيعة(15) الأسوار، كثيرة الحرث والنسل، باردة في زمن الشّتاء بالثّلج والمطر مكتفية(16) بنفسها عن غيرها. يكاد أهلها أن يبطروا من الشبع(17) [وهم](18) أقوام بدو(19) عرب وحكّامها عدول(20) وأهلها **[72و]** أهل إيثار وعافية.

[مدينة عنّابة]

مدينة بلد العنّاب(21)، صفتها : بلدة صغيرة على ساحل البحر، فيها سيدي مروان(22) نفعنا الله به، وبعباد الله الصّالحين أجميعن. فيها جامع على شفا البحر.

(1)في الأصل : زناة.(2)في الأصل : بالجميع.
(3)زيادة ليستقيم التّركيب.(4)في الأصل : لغات الفارسي.(5)في الأصل : برابر.
(6)في الأصل : القسطنطينية.(7) الجديد : عملة من النّحاس.(8)قسنطينة لم تكن أبدا من بلاد الجريد.
(9)زيادة اقتضاها التركيب.(10)في الأصل : حرّاثين.(11)في الأصل : العرب.
(12)الفاكهة بمعنى الثمار والغلال في لهجة المغرب العربي إلى اليوم.
(13)في الأصل : عليها.(14)زيادة اقتضاها التركيب.(15)في الأصل : مانعة.(16)في الأصل : كافية.
(17)في الأصل : أهلها يكادون يبطروا من الشبع.(18)زيادة اقتضاها التّركيب.
(19)في الأصل : أقوام بادية.(20)في الأصل : عادلة.(21)بلد العنّاب : يقصد مدينة عنّابة.
(22) هو الشيخ أبو عبد الملك مروان الأسدي القرطبي. دفين عنابة سنة 440/ 1048، له شرح الموطّأ. (بونة في معجم البلدان).

[وهي][1] مدينة كثيرة الخصب والرّخاء من جميع أصناف[2] الزّرع . على بابها السّوق بالأطعمة، لا ينقطع منه اللّيل والنّهار جميع أنواع الحبوب[3]، عليها جبال الحرث والزّرع.

قال الرّاوي رحمه الله : ما رأيت في أسفاري يهودا حرّاثين إلاّ في بلاد العنّاب. [ففيها][4] اليهود فلاّحون[5] يحرثون ويحصدون ويدرسون ويخزنون : شيء عجيب، جبالها عامرة[6]، البربر [فيها][7] فلاّحون[8] [بها][9] حرث ونسل، كثيرة الماء من[10] كلّ جبل **[72ظ]**، الماء ينهمر حتّى إلى تونس.

[مدينة باجة]

قال الرّاوي ابن الصبّاح رحمه الله : مدينة باجة. قال [11] القائلون : [12] لو كانت باجة باجتين ما كان يساوي الزّرع درهمين. بلاد زرع وأغنام وأبقار، وبادية ثقيلة (هكذا) في البوادي من بوادي إفريقيّة. وهي التي[13] تروي[14] تونس بالزّرع، منها تأكل لأنّ تونس قليلة الزّرع، ضعيفة[15] الخبز، وأهلها شحاح[16] الأنفس حريصين على جمع المال. لا يُشبع الرّجل إلاّ نصف بطنه، غير أنّ نساءهم عندهم التودّد[17] وربا[18] الطعام. تأكل إحداهنّ حتى لا تقدر على المشي من كثرة السّمنة.[19] مدينة تونس عليها بلاد الجريد قفصة **[73و]** والقيروان بلاد الزّرع. القيروان فيها قبر العالم ابن أبي زيد [20]. وفيها جامع عظيم [21]، وأهلها صالحون. مدينة القيروان قليلة العمارة والمسكن.

قال ابن الصبّاح رحمه الله : مدينة قفصة : بلاد جريد النّخل (هكذا) من كثرة شجر النخيل. [وهي][22] مدينة علم، وقرّاء وفقهاء، ومدارس، وزوايا، وإطعام. وأهلها

---

(1)زيادة اقتضاها التّركيب.(2)في الأصل : ألوان.(3)في الأصل : أنواع جميع الحبوب.
(4)زيادة اقتضاها التركيب.(5)في الأصل فلاحين.(6)في الأصل : عمائر.(7)زيادة يقتضيها التّركيب.
(8)في الأصل : فلاّحين.(9)زيادة يقتضيها التّركيب.(10)في الأصل : في .(11)في الأصل : قالت.
(12)في الأصل : القوّال.(13)في الأصل : الذي.(14)تروي : يستعملها بمعنى تزوّد.
(15)ضعيفة : يستعملها بمعنى قليلة.(16)في الأصل : شحّ.(17)لعلّه يقصد الدّلال.
(18)ربا : يستعملها بمعنى : كثرة.(19)في الأصل : السّمانة.
(20) هو الفقيه المالكي صاحب «الرّسالة»، عرف بها، توفّي 386/ 996 (المنجد في اللّغة والأعلام ص 254).
(21) يقصد جامع عقبة بن نافع.(22)زيادة يقتضيها التّركيب.

خيار[1] النّاس. أسواق بيع وأخذ وعطاء. [وهي][2] مدينة عربان، عليها قبائل بني يزيد عرب. كثيرة الإبل والمال والنّخيل. مدينة حارّة[3]، جميع مدائن بلاد الجريد كلّها حرارة[4] وعطش، بلاد عطشى[5] صحراء[6] من الصّحاري[7] التي[8] بالغرب إلى[9] بلاد طرابلس[10] كلّها صحار[11] : بلاد[12] **[73ظ]** عرب وخوف وقطاع طريق ولصوص، وسرّاق وخوارج، غير مأمونة للغريب. ومدينة قفصة وبسكرة والحامّة وقابس وطرابلس[13]، كلّها خوارج [14] إلى آخر مصور[15] مسراته، آخر العمران[16] وأوّل برقة. من تونس إلى مسراته مسيرة شهر : بلاد الجوع لا يتغدّوا أبدا، وليس[17] أكلٌ إلاّ العشاء[18] خاصّة.

[مدينة طرابلس]

قال ابن الصبّاح : دخلت مدينة طرابلس[19]، وجدتها مدِينة جوع وقلّة، لا يأكلون إلاّ [في][20] العشاء خاصّة، فخرجت منها إلى حيّ العرب نْقرّي أولادهم ثمانية أشهر، حتّى جاء الرّكب، وهربت من تلك البلاد، وقلت : هؤلاء أناس لا هم أحياء مع **[74و]** الأحياء، ولا هم أموات مع الأموات، إذ ليس الفرق بين الحيّ والميّت غير الأكل. ورحلت من بلادهم : بلاد الخوف والجوع[21]. فقلت في نفسي هؤلاء مذنبين (هكذا)، ولولا ذنوبهم لم يُبلوا بالجوع والخوف. والله تعالى يقول في قصّة أهل مكّة عندما[22] كفروا وكذّبوا محمّدا ﷺ، ﴿**فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾[23]، ولولا ذنوبهم لم يبتلوا بهذه ألبليّة. وهي أكبر البلايا[24] في الدّنيا

(1)في الأصل : أخيار. (2)زيادة اقتضاها التّركيب. (3)في الأصل : حرّة. (4)في الأصل : أحرار.
(5)في الأصل : معطشة. (6)في الأصل : سحرا. (7)في الأصل : السحاري. (8)في الأصل : الذي.
(9)في الأصل : حتى إلي. (10)في الأصل : إطرابلس. (11)في الأصل : سحارى.
(12)في الأصل : وبلاد. (13)في الأصل : الحمأة وقابس وإطرابلس.
(14) إذا كان المقصود أنّهم على المذهب الخارجي، فتلك مبالغة من ابن الصبّاح.
(15)أي خريطة والمقصود مدينة. (16)في الأصل : العمارة. (17)في الأصل : لا.
(18)في الأصل : العشا. (19)في الأصل : إطرابلس. (20)زيادة اقتضاها التّركيب.
(21)في الأصل : بلاد خوف وجوع. (22)في الأصل : وقت. (23) 16 ك. النّحل، الآية 112.
(24)في الأصل : البلايات.

لأنّه العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر. ثمّ نرجع إلى بلاد الملوك : ملوك المغرب، وهم ثلاثة : ملوك بني مرين الحميري، وبني عبد الوادي **[74ظ]** وهم من بني عبد الدّار الذين قاتلو جارهم(1)، وبنو سهم المكّيّون أو يقال بنو الوادي، ويقال : بنو الدّار لأنّ(2) ديارهم كانت في وادي مكّة وهي دراهم. والعرب تكنّي الشّيء بما هو منه، أو مجانسه، أو قريب منه، وتستعير(3) الاسم منه. فقالوا لعمّار الوادي، وقالوا لسكّان الدّار : عبيد الدّار. ثمّ ملوك إفريقيّة الموحّدون أهل العدوة(4)، ينتسبون(5) إلى عمر بن أبي حفص(6). قال الرّاوي : نذكر ما كان على بلاد هؤلاء الملوك من قبائل العرب. اعلم أيّها القارىء والمستمع أنّ على بلاد بني مرين قبائل الصبّاح. وهم الصّباحيّة الأصبحيّة، منهم مالك الفقيه عالم **[75و]** المدينة. ومنهم أولاد صيفي، ومنهم سيف بن ذي يزن(7) ملك من ملوك اليمن. ومنهم أبرهة(8)بن الصبّاح، صاحب الفيل، ملك تهامة باليمن. ومنهم ملوك تهامة اليمن اليوم في زمانا مشائخ كرام أحمد ومحمّد : مشائخ جبال تهامة وسواحلها. ومنهم صبايحيّة مصر، ومنهم الصبايحيّة بالشّام ببلاد حلب وسرمين(9) من طاعة مدينةِ حلب. ومنهم صبايحو(10) بلاد مدينة غزّة بالشّام. ومنهم صُبَيح باسم التّصغير بالمغرب، وبلاد سويد وصُباح الأندلس [ويعرفون](11) بالمدجّنين(12) وبلاد ابن الأحمر. والمهمّ(13) [أنّ](14) اسم صويبح لا يندرس لكثرة شهرته **[75ظ]**، وعلى بلاد بني مرين وعبد الواد قبائل المعقل أعراب كثيرو(15) الخيل والرّجال. وعلى بلاد عبد الواد قبائل بني عامر الكرام الأجواد(16)، أصحاب كثرة العدد. وقبائل بنو يعقوب (17) وسويد وحسين ورياح (18) المعروفون بكثرة

---

(1)في الأصل : الجارهم.(2)في الأصل : إنّ.(3)في الأصل : تستعار.(4)في الأصل : العُدْويّة.
(5)في الأصل : ينتسبهم.(6)عمر بن أبي حفص.
(7)في الأصل : بن ذي يا زان. بإطالة فتحة الياء على عادة أهل الأندلس.(8)أبرهة.
(9)قرية في سوريا فيها المسجد الكبير ذو القباب التسع (المنجد : الأعلام ص 265).
(10)في الأصل : صابحوا.(11)إضافة يقتضيها التّركيب.(12)في الأصل : بالدّجال.(13)في الأصل : وهم.
(14)إضافة يقتضيها التّركيب.(15)في الأصل : كثيرة.
(16)في الأصل : الجياد. وبنو عامر من رباح موطنهم المغرب الأوسط حسب ابن خلدون (العبر :6/ 84).
(17) انظر التعليق السّابق.(18) انظر التعليق السّابق.

النّجوع(1) والخيل والرّجال، وكثرة العدد. وعلى ملك(2) الموحّدين مدينة إفريقيّة [وفيها](3) قبائل العرب الأحرار بنو(4) هلال الأخيار الأجواد في الفضل والحسب القديم. [وهم](5) أهل نجدة(6). [وهم](7) الفرسان السّوابق الأحرار، أصحاب قوّة في الحرب والضّرب والسّبق في جميع الأسفار. هم الحماة الذين يستجير بهم الجار، [و](8) هم أصحاب الرّفعة في القرى والأمصار **[76و]** وقبائل أولاد أبو اللّيل(9)، أولاد مهلهل، [ذوو](10) الحسب الأخيار. لهم من النّجوع وبيوت الشّعر مثل النّجوم إذ تطلع. العرب هؤلاء افتتحوا البلاد، وقهروا (11) عبّاد الصّلبان الكفّار. ولا تزال(12) قوّتهم ونجدتهم إلى يوم البعث بها يفتخر.

قال ابن الصبّاح : والله لقد كان في هذه القبائل المذكورة المشهورة أصل البركة والحسب الشّريف، والنّسب الطيّب النظيف(13) فتحوا البلاد وقهروا العباد، وشاع فضلهم، وقوّة حربهم، وخفّة سيوفهم، وطول مزارقهم وقطع سيوفهم شاع واشتهر في جميع الأقطار حتّى وصل قهرهم **[76ظ]** وضربهم وحربهم، وإخافتهم(14) إلى بلاد جزيرة إسبانيّة(15) المذكورة المشهورة بالنّعمة الشّاملة عن غيرها من البلاد، جازت لها (16) خيل [وجاز لها](17) رجال وأيّ رجال، نِعْم(18) الرّجال : قبائل كثيرة شتّى(19) من القبائل المذكورة المشهورة : يمانيّة وحجازيّة من ولد قحطان وعدنان. نصروا الدّين وقهروا عبدة الأوثان والأصنام والصّلبان. قبائل(20) سوف نسمّيهم لك أيّها القارئ والمستمع، قبائل كرم وعزّ : أبا (هكذا)، وجدّا وخؤولة وحماة وإخوانا(21) وبنين

---

(1)في الأصل : العوج والنجع ج نجوع : مضارب القوم. (2)في الأصل : ملوك.
(3)إضافة اقتضاها التّركيب. (4)في الأصل : بنوا. (5)إضافة اقتضاها التّركيب.
(6)في الأصل : أهل نجد. (7)إضافة اقتضاها التّركيب. (8)إضافة اقتضاها التّركيب. (9)في الأصل : ألّيل.
(10)إضافة اقتضاها التّركيب.
(11) إشارة إلى دور القبائل العربيّة في الجهاد بالأندلس، وكذلك إلى دورهم فيما جدّ من اضطرابات داخليّة منذ العهد الموحّدي إلى عهد بني مرين وخاصّة مع السّلطان أبي الحسن المريني.
(12)في الأصل : لم تزل. (13)في الأصل : النّضيف.
(14)في الأصل : خوفهم. (15)في الأصل : إصبانية. (16)في الأصل : لهم. (17)إضافة يقتضيها التّركيب.
(18)في الأصل : ونعم. (19)في الأصل : أشتاتا. (20)في الأصل : وقبائل. (21)في الأصل : وإخوان.

وأعماما [1] وهم أحرار لم يرضوا بالعار طوال[2] السّنين والأعوام، كرام للضيف[3] والخطّار **[77و]** يكسون[4] العريان ويطعمون الجيعان، كلّهم [من][5] أصل زكيّ من الآن إلى نوح صاحب الطوفان.

قال الرّاوي : والله لقد رأيت هذه الصفات[6] فيهم ورأيت أكثر ممّا يوصفون به[7]. والله لو وصفهم[8] الواصفون [طيلة][9] عمر نوح ما بلغ حقّ وصفهم بالحسب والحياء والكرم والشجاعة والمناعة في الفروسيّة والرّكوب والحيلة والخفّة في الرّدّ بالأعنّة والخديعة[10] في الحرب مع العدوّ، والحزم والعزم عقدوا القلوب في نصر الدّين والإجهاد على الصّبر والجلاد. ليس مثلهم في ولد نوح وآدم واحد الأجداد (هكذا). وغير محال أنّ سائر الأعاجم من ولد يافث **[77ظ]** وحام والفرس والبونان والرّوم كلّهم عند العرب مثل العصفور أو ديك الدّجاج، بلتقطونهم[11] مثل حبّ السّمسم. انظر إلى نجدتهم في فتح الأندلس[12] إذ جازت[13] لهم قبائل الحميريّة من قبائل الأصابحة[14] الحميريّة، وآل قيس العدنانيّة، وبنو [15] هلال النّجديّة[16]. كيف كان فعلهم مع الرّوم الهرقليّة، وملوك القياصريّة. كيف هزموهم واستمتعوا ببلادهم وذريّتهم (وسيقيمون)[17] بها[18] إلى يوم القيامة. وهذا يدلّ على أنّهم كانوا قبائل الحلال[19] والثغور والدّين الأكمل.

اعلم أيّها القارئ والمستمع إذا رأيت الرّجل من المدجّنين[20]، **[78و]** ينسب إلى العرب فهو[21] الحرّ الأصيل[22] الحسب، لأنّ ذلك الاسم لا يمّحى[23] إلى يوم القيامة، لأنّ تلك القبائل أحرار، جاؤوا ناصرين دين الله. وتلك النّسبة بها يفتخر على طول الزّمان[24]، وبها يقتدى بالآثار في صحيح الأخبار أثرا عن أثر. قال عمر

(1)في الأصل : وأعمام.(2)في الأصل : يطول.(3)في الأصل : كرام الضّيف.
(4)في الأصل : ويكسون.(5)زيادة اقتضاها التركيب.(6)في الأصل : هذا الوصف.
(7)في الأصل : ممّا يوصف فيهم.(8)في الأصل : لو وصف.(9)إضافة اقتضاها التّركيب.
(10)في الأصل : الخدعة.(11)في الأصل : يلقطوهم.(12)في الأصل : فتوح.(13)في الأصل : جاز.
(14)في الأصل : الأصالحة.(15)في الأصل : بنوا.(16)أي أهل النّجدة.(17)إضافة اقتضاها التّركيب.
(18)في الأصل : فيها.(19)تعبير من اللّهجة الدّارجة يقصد منه التّنويه بالشّخص (ولد حلال).
(20)في الأصل : المدجّلين.(21)في الأصل : هو.(22)في الأصل : الأصلي.(23)في الأصل : لا يمتحي.
(24)في الأصل : يطول.

ابن الخطّاب رضي الله عنه : تعلّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، ولا تكونوا كالذين إذا سئل عن نسبه قال من قرية كذا. وقد ينكح الرّجل ما حرّم الله عليه لقلّة[1] معرفته بالنّسب. وقد يذكر الرّجل فعل[2] أجداده (ذوي) الحسب والكرم والشجاعة والصّلاة والصدقات والإيثار والسّخاء **[78ظ]** وأفعال البرّ كلّها والتّقوى، فيكون ذلك تقوية له على الاتّصاف بما وصف به والديه[3]. ويأبى[4] الرّجل أن يرفع عن فعل (به) وُصف أبواه الأحرار. وإن كان الرّجل ديّنا في الحسب والأفعال، ويذكر له فعل أبويه بالشرّ، فلا يبالي هو أيضا من الشرّ[5] : قال[6] : خذوا بحديث رسول الله ﷺ: انظروا في من[7] تضعوا نطفاتكم، واختاروا لصدقاتكم كما تختارون[8] لبناتكم لأنّ العرق دسّاس، يخرج إلى سبعة ظهور وسبعة بطون. وقيل إلى سبعة أجداد[9].

قال الرّاوي : خرجت من فخر العرب وأولي الألباب كما وجب علينا أن ننظر[10] [إلى][11] من نصر دين الله تعالى وشريعة **[79و]** نبيّنا محمّد عليه السّلام. وفيه الكفاية ﴿**لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيد**﴾[12] صدق الله العظيم. وصدق رسوله الكريم. ونحن على ما قال مولانا وخالقنا ومحيينا من الشّاهدين.

قال ابن الصباح رحمه الله : اعلم أيّها القارئ أنّ بعد طرابلس[13] وعمرانها[14] لا تجد جدارا[15] إلى [16] مدينة الإسكندريّة[17] : مسيرة ستّين يوما كلّها نجوع[18]: عرب، قبائل أحرار، آل عدنان، وآل حمير فيهم الكرم والحسب، لا يعرفون بيعا ولا شراء إلاّ بالبضاعة[19] عوض المال[20]. بيعهم وشراؤهم بالغنم والبقر والإبل.

---

(1) في الأصل : بقلّة. (2) في الأصل : يفعل.
(3) في الأصل : تقوية له على ذلك الوصف بوالديه. (4) في الأصل : فيأبا.
(5) أيّ أنّ المرء على أخلاق أبويه إن كان خيرا فخير وإن كان شرّا فشرّ.
(6) الضّمير يعود على عمر. (7) في الأصل : فيمن. (8) في الأصل : تختاروا.
(9) أي أنّ الجينات الوارثية قد تصلنا من الجدّ السّابع. (10) في الأصل : أن ننظروا.
(11) إضافة اقتضاها التّركيب. (12) 37 ك. سورة ق ؛ الآية 50 وتبدأ بـ : ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى**﴾.
(13) في الأصل : إطرابلس. (14) في الأصل : عمارتها. (15) في الأصل : جدارة.
(16) في الأصل : حتى إلى. (17) في الأصل : إسكندرية. (18) في الأصل : نعوج.
(19) أي أن التّعامل فيما بينهم كان بالمقايضة. (20) في الأصل : من المال.

ويحرثون بالجمال. أقوام [من](1) البادية يكرمون(2) الضّيف ويطعمون(3) المسكين، ويعطون(4)**[79ظ]** الزّاد للمسافرين من وطن إلى وطن حتّى يصلوا(5) إلى العمران(6)، شبعانو(7) القلب، وذلك كلّه في البريّة والخلاء(8). هذا [هو](9) الإيثار الكامل، عمائر برقة واسعة، كلّها عربان وبيوت الشّعر، أجواد يغيثون(10) الحجاج بالماء والزّاد. قال [المؤلّف](11) : لقد جعل الله تعالى قبائل برقة رحمة للحجّاج في الطالع والنّازل(12). إنّ ذلك رحمة من الله عزّ وجلّ. أقوام ألوف مؤلّفة(13)، فيهم الشفقة للغريب، والدّليل على الطّريق إلاّ بالاستشارة(14) والقياس والبحر في التّشريق بالشمال وفي التّغريب باليمن. الساحل الساحل(15) إلى مدينة الإسكندريّة مسيرة ستّين يوما للرّاكب المجدّ في السّير **[80و]**. وأمّا للرّاجل فثلاثة(16) أشهر. ولكن هي خير [من](17) بريّة الحجاز إذْ فيها العماير، وبرّيّة الحجاز خلاء بلا ماء ولا عمارة ولا أنس ولا أنيس ولا طائر يطير، ولا حسّ ولا حسيس إلاّ المردة وولد إبليس. وبرقة إذا مُطِرت(18)، [كان](19) فيها الخصب والرّخاء والعماير الياسرة بخلاف برّيّة الحجاز داخلها مفقود والخارج منها كالمولود. والله تعالى يلهم الصّبر إنّه حامل المقلّين بالعناية منه سبحانه.

(1)إضافة اقتضاها التّركيب.(2)في الأصل : يكرم.(3)في الأصل : يطعموا.(4)في الأصل : يعطوا.
(5)في الأصل : يصل.(6)في الأصل : العمارة.(7)في الأصل : شبعان القلب.(8)في الأصل : الخلا.
(9)إضافة اقتضاها التّركيب.(10)في الأصل : يغيثوا.(11)زيادة للتّوضيح.
(12)أي الذّاهب إلى الحجّ أو الرّاجع منه.(13)للتّعبير عن الكثرة.(14)في الأصل : بالشور.
(15)أي مسايرة واتّباعا.(16)في الأصل : ثلاثة.(17)في الأصل : خير بريّة.
(18)في الأصل : مَطَرت.(19)إضافة يقتضيها التّركيب.

[مدينة الإسكندريّة]

قال ابن الصبّاح رحمه الله وعفا عنّا وعنه. بنيان الإسكندريّة وصفاتها(1) المشهورة بالفخر والعجائب المذكورة، من ولد أقليش اليوناني من ولد ارستطليس الحكيم الذي بنى (2) دمشق **[80ظ]** الشّام، وهو أوّل من عبد من الصّليب من عباد الصّلبان، كانت عند أمّه الخشبة التي زعم(3)النّصارى أنّ فيها(4) صلبوا عيسى بن مريم، فأراه(5) في نومه أن يعبدوه هو وأمّه، فعبده. واتّبعهم من سبقت عليه الشقاوة والعذاب (6)، أعاذنا اللله من رؤيا سوء مثلها.

قال الرّاوي: والله لقد قرأت أسفار قصص بني إسرائيل وما جرى عليهم من التباس في أفعالهم وأقوالهم، فبقيت متوهّما في أمرهم، لولا أنّ الله تعالى هدانا بالقرآن في قصّة رُفوع(7) عيسى عليه السّلام لكان الشّيطان دخل معي بالوسوسة(8) التي جعلها الله له حجّة في جسم بني آدم تجري **[81و]** منهم مجرى الدّم(9)، الحمد لله الذي جعل(10) لنا القرآن نورًا وهدى نقتدي به في جميع الأحوال. لو اطلعتَ على أشكالهم والتباسهم(11)لعذرتهم(12) في ضلالتهم، فنسأل الله السّلامة والهدى من الضلالة والإشكال والالتباس في الدّين واليقين. ﴿**وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي**﴾(13). اللّهمّ أهدنا ولا تضلّنا.

---

(1)في الأصل : صفتها.(2)في الأصل : بنا.(3) في الأصل : زعمت.(4)الأصحّ : عليها.
(5)أي أرى عيسى أقليش.
(6)الاصحّ : اتّبعه من سبقت عليهم. وبصفة عامّة يجد المؤلّف صعوبة في إرجاع الضمائر وكذلك في التّمييز بين المؤنّث والمذكّر.
(7) أي رفع عيسى إلى السّماء.(8)أي دخله الشكّ والوسواس.
(9)وهذا من فعل الشيطان الرّجيم، وشبه سربان وسواسه في عقل الإنسان وجسمه كسريان الدّم في العروق.
(10)في الأصل : جعل الله.(11) أي مَاهُم فيه من إشكال ولبس في عقيدتهم.(12)في الأصل : لا عذرتهم.
(13) 17ك. الإسراء، الآية 97.، انظر 7 ك. الأعراف، الآية 178.

قال ابن الصبّاح رحمه الله : الذي زعمت النّصارى واليهود(1)، [هو أنّه](2) جرى عليهم إشكال(3) والتباس ذلك بأنّهم(4) كانوا(5) باللّيل، وأرسل الله عليهم الغمام، لا يعرف بعضهم بعضا إلاّ بالكلام، وصاروا كلّهم شبها واحدًا وكلاما واحدًا وصورة واحدة، وابتلوا بإشكال **[81ظ]** والتباس حتى كادوا يصلبون(6) بعضهم بعضا حتّى يفنوا عن آخرهم من كثرة المحبّة التي ابتلوا بها من شأن عيسى عليه السّلام(7). نسأل الله العافية. ولولا كلام الله تعالى وانشراح(8) صدورنا له(9) فظهر(10) لنا الحقّ بالقرآن العظيم [لابْتُلينا بمثل ما ابتلوا به](11). الحمد لله على ذلك، وقصتهم(12) في حديث يطول وتركه أحسن من أجل العامّة(13)، ثمّ نرجع إلى مدينة الإسكندريّة(14). كما قلنا إنّها بنيان أقليش بن مريّة اليونانيّة التي كانت الحبشة في دارها التي يزعمون النّصارى واليهود أنّهم طلبوا عيسى بن مريم فيها. وكان يسمّى إسكندر بلسان اليونان [وهو](15) اسم الملك إسكندر، [لأنّهم](16) يسمّون **[82و]** الملك «إسكندر». ويسمّون الله تعالى «أغيوث» بلغة(17) اليونان الأوائل وهم الرّوم المتقدّمة(18). والترك يُسمّون الله تعالى «أَنْغَرِي» والأرمان(19) يسمّون الله تعالى «أشير فاس»(20)، والفرس يسمّون الله تعالى «أَخْذا»، وبالعبرانيّة «أضوناي».

وقيل بناها(21) ذو القرنين(22)، و(23)الأعجام(24) كانت تسمّيه إسكندر. وقيل [بناها](25) غيره من الملوك. [وهذا أمر](26) فيه اختلاف بين المؤرّخين، والصحيح

(1) ويتمثل زعمهم في اعتقادهم أنّ المسيح صُلب. (2) زيادة يقتضيها التّركيب. (3) في الأصل : أشكال.

(4) في الأصل : بأنّه. (5) في الأصل : كان، فإذا قرأنا الجملة بضمير المفرد عاد الضمير على عيسى.

(6) في الأصل : يصلب.

(7) ما نفهمه من هذه الجملة : هو أنّ أصحاب عيسى ادّعى كلّ واحد منهم أنّه عيسى حتى يصلب مكانه محبّة فيه وكاد الأمر أن يصل إلى صلب جميعهم. هذا وقد رأينا تعويض فعل «أيقنوا» بـ «يُفْنُوا».

(8) في الأصل : إشراح. (9) في الأصل : به. (10) في الأصل : ظهر. (11) زيادة يقتضيها السّياق.

(12) الضمير يعود على النّصارى واليهود حسب السّياق.

(13) الحديث عن المعتقدات قد يجرّ إلى فساد الإيمان لدى العامّة حسب المؤلّف، لذا يرى تجنّب الخوض فيها والرّجوع للحديث عما كان فية أي الحديث عن مدينة الإسكندرية.

(14) في الأصل : إسكندريّة. (15) زيادة للرّبط. (16) زيادة للرّبط. (17) في الأصل : بلغات.

(18) في الأصل : المقدّمة. (19) المقصود «الأرمن». (20) في الأصل : آش فاس. (21) أي الإسكندريّة.

(22) وهذا تاريخيًا صحيح فقد بنى ذو القرنين الإسكندريّة سنة 332 ق.م.

(23) زيادة للرّبط. (24) أي العجم. (25) زيادة للتّوضيح. (26) زيادة للتّوضيح.

أنّ ملوك الرّوم بنوها، [و](1) أنّ «ذو القرنين» كان أعرابيّا من ذريّة تبابعة اليمن(2)، والعرب لا تبني، وإنّما تبني الرّوم. العرب سمتها(3) بيوت الشّعر والرّحيل والنزول من أرض إلى أرض يبتغون العزّة. والرّوم سمتهم(4) العمارة والبنيان(5). قال **[82ظ]** الرّاوي : مدينة الإسكندريّة مثلها مثل البيضة إذا خرجت من بطن الدّجاجة بيضاء نقيّة، [هي](6) مدينة دورتها ثلاثة أميال من كلّ جهة. الجملة إثنا عشر ميلا داخلة في البحر كأنّها جزيرة وبساتينها(7) محدقة بها البحر. مدينة بيضاء، والأسوار [فيها](8) عالية، فيها قيسريات وأسواق من كلّ التّجارات. وفي كلّ دار جبّان من الماء: مالح وعذب. وهي مبيّنة على أقواس من أجل رشح(9) ماء البحر. فيها زقاق بني رشيد لم تر مثله العيون على وجه الأرض [وفيه باب] يسمّى باب رشيد المشهور بالإسكندريّة. قدّام منظره(10) روضة الإمام الشيخ القاسم بن خَلف بن فيّره بن خلف **[83و]** الرّعيني الشّاطبي(11) قدّس الله روحه ونوّر ضريحه، عليه بنيان قد فنى وخرب، له مزار يوم الخميس.

وعند باب البحر قبر سيدي المرسي(12) قدّس الله روحه ونوّر ضريحه و[أضرحة](13) الصّالحين جملة. مدينة الإسكندريّة، الخبز فيها لا يُوزن، خبزها(14) بثلاثة (15) فلوس من فلوس مصر. ولها(16) قرى(17) ومدائن وحرث ونسل، منها تروجه(18)

---

(1)زيادة للرّبط.(2)كلّ من يريد ابن الصبّاح تعظيمه نسبهُ إلى تبابعة اليمن.(3)في الأصل سيمتها.
(4)في الأصل : سيمتهم.
(5)المؤلّف يقصد كلمة العرب : البدو المتنقلين، ولعلّه متأثر بما جاء في المقدّمة لابن خلدون.
(6)زيادة للرّبط.(7)في الأصل : بساتنها.(8)زيادى يقتضيها التّركيب.(9)الرّشح : التسرّب.(10)أي أمامه.
(11)في الأصل : أبو القاسم . والصحيح هو أبو محمّد القاسم ابن فيُرّه بن خلف بن أحمد الرّعيني الشاطبي، ولد بشاطبة 1144/538 وتوفّي بمصر 1194/590. كان عالما بالحديث والتفسير والقراءات واللّغة. له قصيدة في القراءات تعرف بالشّاطبيّة . (الأعلام 180/5). ويبدو أنّ ابن الصبّاح أخطأ، فالمدفون في الإسكندريّة هو أبو عبد الله محمد بن سليمان المعافري الشّاطبي. توفّي بالإسكندريّة سنة 672 / 1273(نفح الطّيب : 2/ 140.
(12)أبو العباس أحمد بن عمر المرسي شهاب الدّين ، فقيه متصوّف من أهل الإسكندريّة، لأهلها فيه اعتقاد كير، أصله من مرسية الأندلس توفّي 686/ 1287 (الأعلام 186/1).
(13)زيادة للتّوضيح.(14)في الأصل : خبره.(15)في الأصل : بثلاث.(16)في الأصل : عليها.
(17)في الأصل : قرا.
(18) في الأصل : أتروجة : تابعة إداريّا مع فوّة ولقانة إلى ولاية البحيرة شمال مصر (مباهج الفكر ومناهج العبر للوطواط تحق عبد المنعم الشامي. ط الكويت 1981 ص 61).

ودمنهور(1)وغيرهما(2) من القرى، كلّ قرية قدر مدينة، فيها الأسواق والبيع والشّراء تُسقى(3)من النّيل وقت الفيض، يجيئها خليج من الماء وقت الزّيادة، عليها أجنّة وبساتين على ذلك الخليج، وقصور ومبان(4)، وغناء(5) بالشّبايب(6) والأوتار، **[83ظ]** ورطاب (هكذا) النّخل، جنّة في الأرض. الغالب على صرفهم درهم الوريق(7) [من](8) نحاس صيني، يتبايعون به [و](9) بالدّراهم النقّارة(10) [من](11) الفضّة والنحاس الأحمر. عليها(12) طابع السّلطان. فيها خطبتان بجامع العزيز(13)، وجامع العطارين. والمساجد كثيرة.

مدينة الإسكندريّة سامية كثيرة المطر [وهذا](14) يدلّ على أنّها من إقليم الشّام، مدينة الإسكندريّة باب المشرق وباب المغرب، جامعة لجميع الطّوائف : من طوائف الرّوم من الإفرنج وبردقال(15) وبرطقلي(16) وفَنشي(17) وقطلاني وإفرانسي وجُنوي وبندقي وحبشي وقبرصي(18) وصقلّي، دون تجّار المسلمين. ويوم الجمعة يغلق على جميع الرّوم فنادقهم **[84و]** حتّى تنقضي صَلاة الجمعة. في كلّ فندق قوانص(19)، وأعني بالقوانص أمين ضامنٌ(20) لطائفته في كلّ ما يجري(21) من طائفته، هو يُطلب(22) بالدّية، وهو مجعول(23) من جماعته، ساكن بأولاده وحريمه، ولا يطلب السلطان إلاّ هو(24)في جميع ما يحتاج إليه من أمور الطّوائف. وأمّا أمر الترك [ف](25)لهم ضبط عظيم في الأحكام يشنقون(26) السّارق على بيضة، ولولا ذلك لضاعت البلاد والأحكام، وكأنّهم أخذوا بشيء من الطاغوت(27)، وشيء من كتاب الله عزّ وجلّ حيث يقول ﴿يا

---

(1)دمنهور : توجد بجنوب الإسكندريّة في طريق القاهرة.(2)في الأصل : وغيرها.(3)في الأصل : تَسْقي.
(4)في الأصل : مباني.(5)في الأصل غنا.(6)الشّبايب (جمع شبّابة) : وهو نوع من المزمار.
(7)لغة الوَرِق : هي الدّراهم المضروبة، وإطالة الكسرة على الرّاء هي من عادة اللّهجة الأندلسيّة الدّارجة، وهي موجودة إلى الآن في المغرب يقولون مليك أي مَلِك.
(8)زيادة للتّوضيح.(9)زيادة للرّبط.(10)أي لها رنين وهي علامة على نقاوتها.(11)زيادة للرّبط.
(12)في الأصل : لها.(13) في الأصل : العزّي.(14)زيادة للرّبط.(15)أي البرتغال.
(16)لعلّها نسبة إلى بُورتو بالبرتغال.
(17)لعلّها نسبة إلى فينيز VENISE ، وهي البندقيّة، وقد ذكر المؤلّف النّسبة إليها «بندقي».
(18)في الأصل : قبرسي.(19) بالفرنسيّة consul.(20)في الأصل : ظامن.(21)أي يصدر.
(22)أي مطالب بالتعويض عن جرائم طائفته.(23)أي تختاره جماعته.(24)في الأصل : إلاّ له.
(25)زيادة للرّبط.(26)في الأصل : يشنقوا.(27)أي الشدّة.

أيّها النّبيءُ جَاهِدْ الكُفّارَ والمُنَافِقين واغْلُظْ عَلَيْهِم﴾[1]، وهؤلاء [من] بلاد يجوّزون، [هذا] في الطّواف، [و] لولا غلظتهم **[84ظ]** في الأحكام لفسدت البلاد. قال ابن الصبّاح : والله لقد رأيت ليلة خرجنا من جبل عرفة وأصبحنا في منى[2] لم نرقد من شدّة العياط والصّياح من اللّصوص والأبالسة[3] والسرّاق، ولمّا أصبحنا نرمي جمرة العقبة، جلس على الصّخرة بجوار الجمرة لصّ موسّط بنصفين[4]، ثمّ جاء اللّيل وكان أشدّ صياحًا وأكثر سرقة، فوجبت الغلطة في الأحكام على مثل هذه الصّفة.

ثمّ نرجع إلى وصف البلاد وهي مدينة الإسكندريّة : حدّها إلى مدينة فوّة[5] قرى وحرث وزرع ونسل وعمارة مسيرة أربعة أيّام، و[من][6] عجائب الله وحكمته أنّ المطر يأخذ[7] هذا الحدّ إلى **[95و]** مدينة فوّة ولا يتعدّاها المطر والوحل [و][8] من ثمّ حتى إلى مصر[9] بغير مطر إلاّ الغبار. هذا ممّا خصّ[10] الله تعالى به البلاد بعضها على بعض، حكمة منه فيما خلق، يخلق ما يشاء ويفعل ما يريد سبحانه، وكذلك [نرى هذا][11]في كثير من البلاد [فهي][12] بلا مطر مثل البصرة وأرض العراق وجميع بلاد النّخيل ليس فيها مطر. والدّليل في[13]ذلك قول النبيء [14]عليه السّلام «**أكرموا عمّاتكم من النّخيل المنبتة في الوحل المطعمات في المحل**». إنّ النّخل منبتها صباح الطين[15].

---

(1)الآية 73 من سورة التّوبة (مكيّة) رقم 9 : وفي الآية مجاهدة المنافقين أي بإقامة حدود الله عليهم. لكن لا يمكن أن تصل الشدّة إلى تغيير الحدّ من قطع يد السّارق إلى شنقه. والمؤلّف لئن مال إلي الشدّة مع المتشدّدين، فهذا يدلّ على أن انعدام الأمن أثناء الحجّ قد بلغ الحدّ، ولا يمكن استتبابه إلاّ بالشدّة والقسوة، خاصّة مع اللّصوص.

(2)في الأصل : منا.(3) في الأصل : الجبالصة. ولعلّها كلمة مركّبة من «الجبال»، و «لصوص».

(4) لعلّه يقصد أنّه متحزّم في وسطه بحزامين.

(5)في الأصل : فوّاه. ومدينة فوّه مشهورة بالموز وهي تابعة لمتولّي الإسكندريّة (مباهج الفكر للوطواط. ص 126).

(6)زيادة للرّبط.(7)أي يصل إلى هذا الحدّ.(8)زيادة للرّبط.

(9)استعمال «حتّى» و «إلى» معا هو استعمال من اللّغة الدّارجة.(10)أي ميّز.(11)زيادة للتّوضيح.

(12)زيادة للرّبط.(13)نقول في الفصحى : الدّليل على ذلك.

(14)قول الرّسول كما جاء في كتب الحديث هو كالآتي. «لا تقتلوا النّخل فإنّهنّ عمّاتكم».

(15)غموض في العبارة. ولعلّها «صحيح الطّين».

ويضرّها المطر ويساعدها المَحل والقحط، إذا قَحَطَتْ البلاد(1) زادت هي إثمارًا، ولكن إذا(2) عَطَشت (3) المسيلة (4) [85ظ] تريد(5) السّقي من قعرها(6) من ماء العيون والآبار، والخدمة(7) بالحفر بالفاس والتّذكير(8) في شهر مارس.

قال ابن الصبّاح : والله لقد رأيت في مدينة واسط(9)بالعراق، الرّجل يأخذ في الكراء في تذكير النّخل ربع دينار ذهبا في كلّ يوم، وهذا يدلّ على أنّ العراق صابتها التّمر من النّخيل، وبالنّخيل سمّيت عراقا(10) أي مُكثرة(11) النّخيل. خذوا بالحديث ، قال عليه السّلام : «لا يجوع بيت فيه التّمر...»(12).

(1)قحطت البلاد احتبس عنها المطر. (2) زيادة للرّبط. (3) في الأصل : عطش.
(4)لعلّ الكلمة نطق بالدّارجة للمَسيل ج مُسُلٌ وأمسلة : الجريد الرّطب. وهي كناية عن النّخلة.
(5)أي تطلب.(6)أي من قعر المسيلة أي النّخلة.(7)أي ونطلب الخدمة. (8)أي تعليق الذّكار للتلقيح.
(9)واسط مدينة بين البصرة والكوفة بناها الحجّاج بن يوسف (منجد الأعلام ص 551).
(10)أصاب المؤلّف فيما ذهب إليه لأنّ العراق لغة جمع عِرْق : وهو النّتاج الكثير.
(11)أي منتجة للنّخيل الكثير.(12) جاء في سنن ابن ماجة : «بيت لا تمر فيه جياع أهله» الحديث رقم 3370.

[مدينة القاهرة (مصر) ونهر النّيل]

ثمّ نرجع إلى بلاد مصر وخصائصها وصفاتها وما فيها من البركة والخير والمكانة(1). مدينة مصر(2) مدينة الفراعنة المتقدّمة(3). وكلّ من حكمها من الجاهليّة يسمّى فرعون **[86و]** عند أهل التّواريخ، وكلّ من حكم الشام يسمّى قيصرًا، وكلّ من حكم العراق يسمّى كسرى، وكلّ من حكم اليمن يسمّى الأشرف، وكلّ من حكم الشمال يسمّى خاقان(4)، وكلّ من حكم اليونان يسمّى إسكندر، وكلّ من حكم الحبش يسمّى النّجاشي، هؤلاء سبعة ملوك حكّام السّبعة أقاليم من الأرض.

مدينة مصر ما على وجه الأرض أقوم(5) منها في جميع الأشياء كلّها، مكمولة(6) من كلّ شيء مباركة. مدينة مصر زيتها(7) ثلاثة أنواع : زيت الزّيتون، وزيت الجلجلان، وزيت الكتان. يعمل من الكتّان مثل ماء الذّهب يخلطونه(8) مع الذّهب **[86ظ]**، ويلبسون به الحيطان في المساجد وأكثرها ما يستعملونه(9) في ماء الذّهب. ومنه(10) العادي وهو الذي يوقدون به في مصابيحهم.

من خصائص مدينة مصر، كفى بها(11)، نهر النّيل العذب الحلو، بحر من البحور(12)، [فيه](13) المياهُ العذبة ياسرة(14). [يمتدّ](15) بين العماير من عماير مصر [مسافة](16) ثلاثة أشهر إلى بلد السّودان. يخرج من جبل القمر(17) ببلد الحبشة(18) وقناوة(19) والزّنج كَوْكَوْ وتَادْ مكْرة(20).

(1)في الأصل : المكنة.(2)هذا يدلّ على أنّ تسمية مدينة القاهرة بـ «مصر» رائج منذ القرون الوسطى.
(3)أي القديمة.(4)في الأصل خَقان. (5) بمعنى أفضل وأحسن.
(6)استعمال من الدّارجة ومعناه متكاملة.(7) في الأصل : زينتها.(8)في الأصل: يخلطوه.
(9) في الأصل : يستعملوه.(10) الضمير يعود على زيت الكتّان.
(11)أي كفاها ذلك.(12)إلى اليوم يسمّي أهل مصر النّيل بالبحر لعظمه وكثرة مائه.(13)زيادة للرّبط.
(14)كلمة دارجة بمعنى كثيرة.(15) زيادة للرّبط.(16) زيادة للتّوضيح.
(17)يخرج النيل من بحيرة فكتوريا فيجتاز أوغندا والسّودان ثمّ مصر ليصب بفرعيه « دمياط والرّشيد في البحر الأبيض المتوسّط (منجد الأعلام ص 535).
(18) كلمة الحبشة عند المؤلّف تعني بلاد الزّنج كما يذكر لاحقا.(19) قناوة ويجب أن تنطق القاف «ڤ» أي جيما مصريّة.(20) في الأصل : كركر المَكّار.

قال المؤلّف : اجمعت[1] جماعة أهل التّواريخ أنّ جبل القمر بين هذه البلدان[2] المذكورة. ينزل[3] من أعلى[4] رأس إلى أرض [فيها][5] مروج وحفر وعيون، حتى إذا كان وقت الزّيادة، يأمر الله به[6] فينزل منه كثرة **[87و]** الماء[7]، ويغلب الحفر والمروج[8] حتّى يفيض فيضا عظيما يروي البلاد شرقا وغربا على أقواه مصنوعة[9] لكلّ أرض يُصيبها بقدر الزّيادة. فإذا زاد كثيرًا زاد الخصب والزّرع. وإذا لم يفض إلاّ قليلا كان الجدبُ والغلاء في البلاد. ورخاؤها على قدر فيض ذلك[10] النيل.

قال ابن الصبّاح رحمه الله : قال أصحاب التّاريخ : سمّي جبل القمر [بهذا الإسم][11] لأنّه يتلوّن من أوّل ليلة من الشهر حتى إلى[12] أربعة عشر [أي][13] ليلة الاكتمال[14]، تارة يحمرّ وتارة يُكْحَلُ[15]، تارة يصفرّ، وتارة يخضرّ، وتارة أزرق. وعلى رأسه غمام لا يزال[16]، وظلمة شديدة الظّلام، لا يطاق الطلوع إليه، والسّحاب تمطر **[87ظ]** عليه دائمة إلى يوم آخر الزّمان[17]. ينزل منه نهر إلى بلاد مصر ونهر إلى كوكوش بلاد كَوْكَو[18] إلى جهة الجنوب.

قال الرّاوي : نذكر كلّ ما شاهدناه بأعيننا ووطئناه[19] بأقدامنا : مدينة مصر مدينة على شاطئ هذا البحر الحلو المشهور، [وهو][20]في [عداد][21] الأنهار الأربعة[22] المشهورة التي وصفها[23]رسول الله ﷺ لعبد الله بن سلام[24] في «الألف مسألة» في

---

(1)في الأصل : جمعت «دراجة» بمعنى اتّفقت.(2)في الأصل : البلاد.(3)أي نهر النّيل.
(4)في الأصل : أعلاء. والمعنى ينزل النّيل من أعلى جبل.(5)زيادة للتّوضيح.
(6)أي أنّ الله يسبّب الأسباب.(7)أي فينزل من الجبل ماء كثير.
(8)أي يغمر المنخفضات (الحفر) والمنبسط من الأرض (المروج).
(9)الكتابة واضحة والمعنى غامض. ولعلّ «أقواه» هي تحريف لأقواس.
(10)في الأصل : تلك . وهذا يدلّ على أنّ المؤلّف غير مسيطر على «التّأنيث والتّذكير» في العربيّة الفصحى.
(11)زيادة للتّوضيح.(12)في الفصحى لا يمكن الجمع في آن واحد بين «حتّى» و «إلى».(13)زيادة للتّوضيح.
(14)في الأصل ، ليلة الإكمال.(15)من الدّارجة ومعناها يسودّ.
(16)دارجة بمعنى مستمرّ، أو أنّها تحريف لـ«لا يزول».
(17)تعبير من الدّارجه للدّلالة على نزول المطر على هذا الجبل إلى يوم القيامة.
(18) انظر «المسالك» للبكري ج II / 2- 147، 8- 1477. (19)في الأصل واطأناه.(20)زيادة للرّبط.
(21)زيادة للتّوضيح.(22)هنا يحترم المؤلّف قاعدة العدد النّحويّة.(23)في الأصل : وصف.
(24) صحابي من بني إسرائيل ت 43 / 663 (الأعلام 4/ 90).

حديث يطول[1]. حديثه[2]أنّ نيل مصر، وجيحون أنطاكية الأرمانيّة ومدينة المصّيصة[3]، [وهي] مدينة الخليفة العباسي من ذرّيّة هارون الرّشيد بالشمال، وقويق الشام بأرض حلب، وسيحون[4] **[88و]** بمدينة بلخ[5] وسمرقند[6]. وزاد بعضهم دجلة بغداد الفارسيّة[7]، مثّلها[8] رسول الله بأنهار الجنّة، وأيّ شيء يكون أطيب من هذا الوصف والبيان منذ[9]شهد لها[10]رسول الله ﷺ[أنّها][11]أنهار الجنّة.

قال الرّاوي : نذكر نيل مصر عمايره من بلاد مصر [مسيرة][12] ثلاثة أشهر من مدينة السّودان إلى مدائن الحبشة والسّودان، إلى مدينة قوس[13] الصّعيديّة، إلى بلاد الصّعيد، إلى مصر، إلى مدينة دمياط[14] إلى بحر إسكندريّة الرّوم مسيرة عمائر ثلاثة أشهر، وفوقها من البلاد **[88 ظ]** الذي بين الحبشة وبلاد السّودان وسواده رجال التُّكرور[15] والمسلمون من بلاد السّودان مسيرة طويلة ومسافات[16] وصحار[17] وخلاء[18] وهوايش[19] مسمومة، وبهذا تعرف أرض الجنوب وبلادها من الحبشة

---

[1] يُفهم من السّياق أنّه كتاب يضمّ ألف سؤال وجّهها هذا الصحابي إلى الرّسول فأجاب عنها. وهذا من الأدب الموريسكي لا علاقة له بالتّاريخ ولا بالسّيرة .

[2]الضّمير يعود على النّبيء، والمؤلّف يلخّص ما يعتقد أنّه حديث.

[3]أنطاكيّة والمصّيصة مدينتان بسوريا اليوم، وهناك نهر جيحان – لا جيحون – يمرّ من مدينة المصّيصة قرب طرطوس الواقعة في سوريا شمال لبنان على ساحل البحر الأبيض المتوسّط. أمّا نهر جيحون ويسمّى اليوم أمُودَاريا فينبع من الهند ويجتاز روسيا ليصبّ في بحر آرال (منجد الأعلام ص 51 و ص 391 و ص 491).

[4]هناك نهر سيحان في جنوب تركيا يصبّ في البحر الأبيض المتوسّط عنده كان الأمويّون والبيزنطيّون يتبادلون الأسرى (منجد الأعلام ص 281).

[5]بلخ : مدينة بأفغانستان كان لها شأن عظيم في القرون الوسطى، أمّا اليوم فهي قرية صغيرة (منجد الأعلام ص 100).

[6]سمرقند : في أوزباكستان، كانت عاصمة تيمورلنك وفيها قبره (منجد الأعلام ص 272).

[7]سيشير إلى أنّ بغداد بنيت مكان قرية كان يملكها رجل فارسي، (انظر ص 231).

[8]في الأصل : مثّل.[9]في الأصل : منذوا.[10]في الأصل : لهم.[11]زيادة للرّبط.[12]زيادة للتّوضيح.

[13]الصحيح قوص : وهي مدينة بصعيد مصر على ضفّة النّيل الشرقيّة (منجد الأعلام ص 421).

[14]في الأصل : ضمياط.

[15]تُكرور Toucouleurs شعب من الزّنج يقيم في السّنغال وغينيا (منجد الأعلام ص 151).

[16]في الأصل : مسايف.[17]في الأصل : صحاري.[18]في الأصل : خلا.

[19]دارجة بمعنى الحيوانات السّامة.

والسّودان، لأنّها بلاد الحرّ(1) من الأسمام(2) من الحيات العظام والدّواب [الخطرة](3) على جميع ولد نوح صاحب السّفينة والطوفان.

قال ابن الصبّاح : والله لقد شاهدت في النّيل [مراكب(4)]: تسافر فيه اثنا عشر ألف مركب(5) مشرّقين ومغرّبين، كلّها تجلب التّجارات إلى مصر المباركة بجميع ألوان الأرزاق من القمح والتّمر والفواكه من مدينة أسوان إلى **[89و]** مدينة قوص(6) إلى مصر المشهورة(7). ولقد رأيت مراسي مراكب مصر أسمّيها لك : مرسى القاهرة ومرسى اسمه بولاق مرسى مصر البالية يسمّى المقياس، والبخترة (8) سمّيت البخترة لأنّها فيها يتفرّج النّاس بعد صلاة العصر كما يقول القائل : رأيت الرّجل بمشي ويتبختر. هي(9) موضع الفُرجة ينزل فيها ألف جمل من القصب الحلو، وهو قصب السّكر ما يأتي عليه غروب الشّمس إلاّ ويبقى الذي يكون آخرًا(10) ما يصيب ما يمضع(11)، من كثرة الخلق: رجال ونساء وكبار وصغار(12) في كلّ يوم بعد العصر إلى أن تقوم السّاعة، لا تَعرف يوم العيد من سائر الأيّام **[89ظ]** بالزّينة في كلّ يوم(13). وسنذكر(14) المدائن والقرى المذكورة المشهورة منها [فقط](15) لأجل الاختصار [وهو](16) يغني عن التّطويل : أوّل ذلك على هذا البحر الحلو(17) المبارك. مدينة أسوان(18) وطاعتها(19) ومدينة قوص(20) وطاعتها، ومدينة الفيّوم(21)، مدينة يوسف الصدّيق عليه السّلام، وخراجها كلّ يوم ألف

(1)ويُمكن أن تقرأ بلاد أبحر.
(2)أي من الحيوانات السّامّة، ويقصد بقوله : بلاد أبحر من الأسمام : كثرة الحيوانات السّامّة في تلك البقاع.
(3)زيادة للتّوضيح.(4)زيادة للرّبط.(5)في الأصل : مركبا.(6)في الأصل : قوس.(7)أي القاهرة.
(8) في الأصل : البهترة.(9)في الأصل : هو.(10)أي من يأتي متأخرًا لا يجد شيئا من قصب السّكر.
(11)في الأصل يمذغ.
(12)شكل هذه الكلمات بالرّفع وهي إمّا أن تكون مجرورة على أنّها بدل من كلمة خلق أو منصوبة على أنها تميز.
(13)أي أنّ الأيام في هذا الموضع كلّها أيام أعياد من كثرة الخلق وكثرة البضائع وكثرة الزّينة.
(14)في الأصل : ذكر.(15)زيادة للرّبط.(16)زيادة للرّبط.(17)في الأصل : الحلوي ويقصد النّيل.
(18)أسوان : مدينة في جنوب مصر قريبة من الشلاّلات الأولى، وفيها سدّ أسوان (منجد الأعلام ص 32).
(19)المقصود ما هو تابع لها إداريا.(20)في الأصل : قوس.
(21)الفيّوم في جنوب القاهرة : مدينة أثريّة بمخطوطاتها وأنقاض كنائسها وأديرتها (منجد الأعلام ص 404).

دينار، موصوفة بكثرة النّعم(1). الغالب(2) عليها شجر الزّيتون. وغيرها جملة مدائن عن يمين وشمال هذا النّهر المبارك، لا يحصى عددها، قرى وأمصار وخطب(3)وفقهاء وقرّاء وعلماء وحرث ونسل وأعراب وأمراء، في كلّ مدينة أمير تضرب على رأسه الطبول (4)، كلّ واحد يركب خلفه ألف **[90و]** فارس وأزيد، يقال له أمير طبْلخنة(5). عدد أمراء بلاد الصّعيد وبلادها ألف أمير يقهرون(6) العباد ويحكمون(7) في البلاد [التي] تحت إمرته(8). [و](9)مصر مدينة، مصر(10)مدينة كافية بنفسها عن غيرها بالقهر والغلبة على سائر البلاد.

قال ابن الصّباح : بلاد الشّرق والغرب ومدائنها عند(11) قوّة مصر مثل العصفور في مخالب الباز، لم أر مثلها في الخمسة أقاليم التي سافرت إليها(12) لا في البيع ولا في الشّراء ولا في الأخذ والعطاء والصّرف والسّخاء والأمر والقضاء والخير والبلاء(13) والمكانة(14) والشدّة في جميع الأمور. ما في الدّنيا كلّها مثل مصر وكيف لا، والله سمّاها **[90 ظ]** «البلاد»(15) دون غيرها وخصّها(16) بالبركة والضياء والنّور، وأهلها واسعة القلوب(17) ، عندهم السّخاء والصّدقة وإطعام الطّعام للمساكين والغرباء والأيتام وكفى [بهذا فخرًا](18) ، إذ الله نصّ [على ذلك](19) في قصصها(20)، وذمّ ظالمها، ومدح أرضها وجعل الأسف(21) في خروج أهلها منها. وهذا دليل على أنّها خير البلاد، قال الله تعالى ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جنّاتٍ وعُيُونٍ وَزُرُوعٍ﴾(22) . كفى بها هذا

---

(1)في الأصل : النّعام.(2)في الأصل : الغالبة.(3)مساجد تقام فيها خطبة الجمعة.
(4)ضرب الطبول من شارات السلطة.(5)طبلخنة : رتبة عسكريّة باللّسان التّركي.
(6)في الأصل : يقهر.(7)في الأصل : يحكموا.(8)في الأصل : أمره. والضّمير يعود على حاكم مصر.
(9)زيادة للرّبط.(10)التكرار للتعظيم عند ابن الصبّاح.(11)يستعمل عند بمعنى أمام.
(12)في الأصل ، سافرتها.(13)في الأصل : البلا.(14)في الأصل : المكنة. لعلّه يقصد التّمكين في الأرض.
(15)كما جاء في الآيتين اللّتين سيذكرهما فيما بعد.(16)في الأصل : خطها.(17)تعبير دارج للدّلالة على الكرم.
(18)زيادة للتّوضيح.(19)زيادة للتّوضيح.
(20)أي في القصص القرآني التي ذُكرت فيه.(21)في الأصل : الأسافة.
(22) 44 ك. الدّخان، الآية 25، والآية 26. وتمام الآية 26 هو «ومقامٍ رَفيعٌ».

المدح، وقوله تعالى [فيها](1) ﴿وفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ الذِينَ طَغَوْا فِي البِلاَدِ﴾(2) ، سمّاه البلاد من دون غيرها من الأرض، فإذا هي البلاد وقبّة الأرض، وقبة الإسلام. كفى بها فخرًا(3) [ما فيها](4) من المدارس والجوامع والخطب والعلماء **[91و]** والفقهاء مالا ينحصر عددها [وعددهم](5)، ولكن نذكر المشهور منها وما وَطِئته(6) وشاهدته، وصلّيت فيه، وجالست من علمائها وحضرت دولاتهم(7) وميعادهم.

قال المؤلّف : أوّل ما حضرت دولة سيدي محمد(8)العالم العلاّمة ومفتي هذه الأمّة ، مفتي مدينة القاهرة وبلاد مصر، له دولة يوم الخميس في جامع عمرو(9) بن العاص(10)، جامع قبلة الاجماع [هكذا]، وحضرت [له](11) دولة في مدرسة السّلطان برقوق،(12) وحضرت له دولة في الجامع الأزهر، ودولة في جامع طولون(13) ودولة في جامع المَرْدان(14) ، [وهو](15) جامع كلّه مطلى بماء الذّهب، ولهذا الفقيه المفتي محمد البُلْقيني(16) **[91ظ]**: خمس مواضع يعمل فيها الدّولة، وله على كلّ موضع دينار ذهبا في كلّ دولة منها [يأخذها](17) من الرّاتب(18) والأحباس على الجوامع الكبار المشهورة.

(1)زيادة للتوضيح.(2)10-11 ك. الفجر، الآية 89.(3)في الأصل : كفا بها.(4)زيادة للرّبط.

(5) زيادة للتّوضيح.(6)في الأصل : أطأته.

(7)جمع دولة : وهي الدّروس التي يُلقيها بالتّداول الشيوخ في يوم من أيّام الأسبوع، وفي مسجد معيّن من المساجد.

(8)سيذكر اسمه فيما بعد.(9)في الأصل : عمر.(10)فاتح مصر توفّي 664/43 (الأعلام 5/ 79).

(11) زيادة للتّوضيح.

(12)برقوق : الظاهر برقوق أوّل من ملك مصر من الشّراكسة، بنى المدرسة البرقوقيّة بين القصرين بالقاهرة . توفّي 1398/801 (الأعلام 2/ 48).

(13)في الأصل : طيلون ويقصد ابن الصبّاح أحمد بن طولون مؤسس الدّولة الطّولونيّة بمصر. وله بالقاهرة جامعه المشهور، توفي 884/270. (الأعلام 1/ 140).

(14) والصحيح جامع المارداني أو المارديني. تمّ بناؤه 1339/740 (المواعظ والاعتبار : ج4 ص 227).

(15)زيادة للرّبط.

(16)ذكر بنشريفة في تحقيقه في ص 113 ت 242 أنّه ت 805/ 1403. وهذا اسمه عمر، بينما المشار إليه هو محمد، وبالرّجوع إلى EI 2 / I ص 9 - 1348 نجد أنّ عائلة البُلْقيني فيها اثنان فقط سمّيا باسم محمد، وهما 1) محمد بن عمر ت 791 / 1389 ومحمد بن محمد بن عبد الرّحمان بن عمر ت 890/ 1485، وكلاهما تولّى القضاء والإفتاء.

(17)زيادة للتوضيح.(18)أي المُرتّب لها من أملاك الأحباس.

والعلماء كثيرون[1] في مدينة مصر لا أحصي لهم عددا[2] إلاّ المشهورين والجوامع والمساجد لا تحصى[3] ولا نعدّ إلاّ المشهور مثل: جامع عمرو[4] بن العاص، وجامع الأزهر وجامع ابن طولون[5]وجامع المرداني[6] وجامع مدرسة السلطان حسن[7]، ومدرسة السلطان برقوق، ومدرسة الملك النّاصر[8]، وجوامع ومساجد ومدارس وزوايا[9] لا ينحصر عددها[10] إلاّ بالزّمام[11]. مدينة مصر، مدينة دورتها[12] ستة عشر ميلا، غرْبيّها **[92و]** نهر النّيل، هو سورها من جهة الغرب، عليه[13] علالي[14] ومنازه[15] على شفير[16] الماء، وطيقان[17]تدلي يدك [منها][18] بالسّطل[19] تستسقي[20] الماء البارد الحلو، إذا شربته وتنزع عنه فمك[21] تجد له[22]حلاوة مثل حلاوة العسل.

مدينة مصر، محشر الخلق في الدّنيا وبيت المقدس محشرهم في الآخرة، مدينة مصر أسواقها لا تنحصر وقيسريّاتها. وما أكثر مواكلها[23] وأسواقها لا تنحصر إلاّ بالزّمام. مدينة مصر يُسْقى فيها كلّ يوم اثنا[24] عشر ألف جمل بالرّاويات[25] الكبار. ويتكسّر فيها كلّ يوم اثنا عشر ألف زلافة[26]، وصرفها ذهب وفضّة وفلوس النّحاس، ودراهمها

---

(1)في الأصل : كثرة.(2)في الأصل عَدّه.(3)في الأصل : لا تُخصا.(4)في الأصل:عمر.

(5)في الأصل : جامع طيلون وهو تحريف.(6)ذكره سابقا باسم المرْدان. (انظر ص 85 ت 14).

(7)السلطان حسن : هو الحسن بن داود الناصر صلاح الدّين من بني أيّوب، لقّب بالملك الأمجد ، له مشاركة في العلوم والآداب ، توفّي 1271/670 (الأعلام 2/ 190).

(8)الملك الناصر داود بن الملك المعظم عيسى بن محمّد بن أيّوب ، صلاح الدّين، وليس هو صلاح الدّين الأيّوبي مسترجع بيت المقدس من الفرنجة فهذا اسمه يوسف بن أيّوب، وتوفّي 1193/589. (الأعلام 2/ 334).

(9)في الأصل : روايات.(10)في الأصل : لا تنحصر عدّتها.(11)يقصد السجلات.(12)أي محيطها.

(13)في الأصل عليها. أنّث النيل أو أنّ الضمير يعود على المدينة (14)مفرده علي.(15)قد تكون منازل.

(16)أي حافّة.(17)جمع طاقة وهي النّافذة الصغير.(18)زيادة للتّوضيح.(19)في الأصل: الصّطل

(20)في الأصل: تسقي.(21)أي : تقذفه من فمك.(22) أي يبقى في فمك. (23)أي : طعامها .

(24)في الأصل: يُسْقي.

(25)يقصد بها الأواني التي يُحمل فيها الماء على الجمال كالقرب وغيرها من فعل رَوَى من الماء : شرب.

(26)يقصد بها الزّلفة ج زُلف : الصّحفة.

وزن السّنجة[1] [92ظ]. صرف الدّراهم النُّقَره[2]، صرفه[3] بالفلوس أربعة وعشرون[4] فلسا. تأخذ بكلّ[5] فلسين خبزة تشبع[6] الرّجل، أسعارها مُوسّدة[7]، وأوزانها كلّ رطل إثنتا عشر أُوقيّة[8] مثل أواقي العراق، ورطل وبلاد الأندلس اثنتا عشر أوقيّة مثل رطل بلنسيّة على زمن الخلفاء[9]. والغالب نفقاتهم بالفلوس. أكثر الصّدقات والأخذ والعطاء بالفلوس[و][10] بهذا تهون عليهم الصّدقات وأفعال البرّ كلّها والنفقة وغيرها، بفلس واحد يقضي الرّجل حاجته[11]. مدينة مصر أهلها شباع الأنفس قانعو[12] البطون. لا يأكل الرّجل حتّى يعرض على من يليه[13]. وإذا أكل يترك شيئا إلى غيره [93و]، وكلامهم في القرآن أفصح النّاس[14]، وكلام العامّة الغالب عليهم حرف الباء والجيم يقولون[15]:بشرب، بعمل[16]، يقال[17] للزّوجة[18]: الزّوقة والمرأة تقول زوقي، والرّجل يقول زوقتي. رجال وأيّ رجال[19]، ونساء وأيّ نساء[20]، نفعنا الله بهم، ولا يعرفهم إلاّ من خالطهم ولا يعرف الأجواد إلاّ الأجواد. وأمّا الغير فكقوله تعالى ﴿وَلاَ يسأل عَنْ ذُنُوبهم المُجْرِمُون﴾[21]، لأنّ الخير والشرّ في جميع البلاد. ولكن لو اطلعت على ذلك الذي يحكيه[22] عنهم المتفرّجون[23] لرأيت عجبا [ولو نظرت][24] في صدقاتهم وكثرة استغفارهم وكثرة صلاتهم على النّبيّ عليه السّلام لرأيت أمرًا عظيما، وبروزهم ليوم الجمعة وحرمتها [93ظ] عندهم من المنع عن الفساد لرأيت عجبا غريبا.

---

(1)في الأصل : الصنجة، والسّنجة هي سنجة الميزان جمع سنجات : ما يوزن به كالرّطل.
(2)في الأصل النّقرَة، والصحيح النُّقرة : وهي القطعة المذابة من الذّهب والفضّة.
(3)الضمير يعود على الدّرهم.(4)في الأصل : عشرين.(5)في الأصل : لكلّ.(6)في الأصل : يشبع.
(7)يقصد أنها أسعار يمكن الاعتماد عليها.(8)الأوقية جمع أواق جزء من أجزاء الرّطل الإثني عشر.
(9)لا يقصد فقط زمن خلفاء بني أميّة في قرطبة وإنما زمن الحكم العربي للأندلس عامّة.
(10)زيادة للرّبط.(11)تعبير من الدّارجة والمقصود من قضاء الحاجة بفلس واحد هو رخص الأسعار.
(12) في الأصل : قانعة.(13)أي يجاوره.(14)بمعنى أنهم يفسّرونه أحسن تفسير أو يتلونه أحسن تلاوة.
(15)في الأصل : يقولوا.(16)كتب الناسخ الكلمتين بطريقة واحدة.(17)في الأصل : تقول.
(18)في الأصل والزوجة.(19)في الأصل : الرّجال.(20)في الأصل : النّساء.
(21) 28 ك. القصص، الآية 78.(22)في الأصل : يُحكى.(23)أي المطلعون على أحوالهم.
(24)زيادة للتّوضيح، التعبير قريب من اللّهجة الدّارجة ولكنّ المعنى واضح: فأهل مصر يخرجون للصلاة يوم الجمعة بأعداد كبيرة، فهم يعظّمونه ويتشدّدون في منع الفساد والمحرّمات فيه.

قال ابن الصبّاح : زواج أهل مصر بالفرض المعلوم، كلّ يوم يعطيها نفقتها فلوسا معلومة لعشائها وغذائها، ومنهنّ (1) من تأخذ كلّ يوم نصف نقرة دراهم(2)، صرفه اثنا عشر فلسا نحاسا(3) تنفقها على نفسها. ومن النّساء من تنفق وتأخذ درهما نقرة(4)، ومنهنّ من تأخذ خمسة دراهم، ومنهنّ [من تأخذ](5) عشرة، ومنهم أهل التجارة يُعْطي دينارًا كلّ يوم وتنفق على نفسها، ونساء مصر مستورات بالسّراويل، والأخفاف على السّراويل مدخول في الشرْمزة(6). نساء الحضر بالنّقاب ونساء البادية بالبرقع على الوجه(7) كبارًا وصغارًا(8) .

[94و]. قال الرّاوي : من خوارق(9) مصر أنّ فيها ألف حمار مزيّنة بالسّروج والبرادع المزيّنات يركبون عليها النّساء والرّجال المتفرّجات [والمتفرّجون](10) في داخل المدينة من موضع إلى موضع. وصاحب الحمار يقود المرأة والرّجل، يطير به مثل البرق (11) ويوصل الرّاكب ، ثمّ يأخذ راكبا آخر، حتى النّيل(12) .وهذا من القوّة(13). والفرجة والخوارق في البلد سواء عندهم الأعياد [أم لا](14) و[كذلك في](15) سائر الأيّام. وهؤلاء النّساء المتفرّجات، الله أعلم بصدقاتهنّ على المساكين أين يتفرّجن(16) تعدل(17) بصدقات أهل البرّيّة البخلاء. وإذا كانت ليلة الجمعة أو يوم الجمعة ، لو تعطي امرأة منهنّ مائة دينار ذهبا [على](18) أن تفعل معصية لا تفعلها **[94ظ]** أبدًا، أهل مصر كثيرو الصّلاة(19)على النبي عليه السّلام. وكلّ عمل فيه مقبول ومردود، والصّلاة على محمّدﷺكلّها مقبولة. ومن خوارق مصر: الدّجاج براع(20) يَرْعَى بها(21)

---

(1)في الأصل : منهم.(2)المقصود نصف درهم.(3)في الأصل : نحاس.(4)في الأصل : ونقرا.
(5)زيادة للرّبط.(6) وقد تنطق : زرماية وصرماية وهي خفّ للنّساء.
(7) في الأصل : وجهها. وهذا يدلّ على أن هناك فرقا بين البرقع والنّقاب مع أنّهما مجعولان لستر وجه المرأة.
(8) أي لجميع النّساء.(9)في الأصل : من مخرقات.(10)زيادة للتّوضيح.
(11) أي يقود الحمار وعليه المرأة أو الرّجل بسرعة فائقة.
(12)في الأصل : حتى إلى.(13)القوّة هنا بمعنى العظمة والتّوسع العمراني.(14)زيادة للرّبط.(15)زيادة للرّبط.
(16)أي في الأماكن التي يتفرّجن فيها .(17) أي : تفوق.(18)زيادة للرّبط.
(19)في الأصل : كثيرون التّصلية [من الدّارجة].(20)في الأصل : براعي.(21)في الأصل يرعيها.

بأجْرة(1) ويسقيها من(2) وادي النّيل مثل الغنم. ومن فرجة مصر أن كلّ يوم جمعة يُخرج بالفيل، يدور في الأسواق، يسعون به(3) الفلوس. وصفة الفيل [هو أنّه](4) قدر الفرس(5) السّمين الكبير، وَبَره أصفر، وحافره مدوّر أذناه(6) مثل أذني(7) البغل، له أنياب مثل أنياب الخنزير ونحوه، وله فم تخرج منه زرمة(8) مثل المصران له فيها(9) فم به(10) يأكل ويشرب . وجهه وجه البرذون ولحمه دُوني(11).

قال **[95و]** مؤلّف هذا [الكتاب](12) في وصف البلاد : اعلم أيّها القارئ والمستمع أنّي لم أر أحسن أحرارًا من محصّنات مصر، والله لقد رأيت في طريق الحجاز ونحن هابطون من مدينة النّبي عليه السّلام بين تبوك(13) والعُلا(14). وجرى علينا ريحٌ وحرورٌ(15) وغبار(16) ما نرى بعضنا بعضا مدّة يومنا. ومعنا في ذلك اليوم [أناس] (17) فرأيت رجلا مُصموديًا(18)من المغرب يتبع امرأة راكبة على جمل في محّارة(19) وقبّة عجيبة ، ولها خدّام وعبيد وزوجها وأولادها. وكانٌ في قطارها(20)جمل الماء والزّاد وزقّين(21)معلّقين ، والمغربي يطلب الماء والرّجل المصمودي يتبع المرأة، والعبيد يسبّون المغربي بالفواحش **[95ظ]**، فتكلّمت المرأة من داخل القبّة، وقالت: أعطِ(22)المغربي الماء واسقه(23) حتّى يروى، فامتنع الوصيف(24)، والمغربي يقول:

---

(1)في الأصل بإجازة.(2)في الأصل : في.(3)عبارة دارجة ومعناها : يحصلون على المال بعرضه للفرجة.

(4)زيادة للرّبط.(5)أي حجمه كحجم الفرس، وفي الدّارجة التّونسية اليوم نقول : قَدُّو قَدْ الفرس.

(6)في الأصل أذنيه.(7)في الأصل - أذن.(8)لعلّها تسمية من الدّارجة لخرطوم الفيل.

(9)في الأصل : عليها. (10) في الأصل : عليها.

(11)لعلّه يقصد غير محبّذ، لكن السؤال هل كان الفيل يذبح ويُؤكل لحمه في مصر؟(12)إضافة للتّوضيح.

(13)تبوك في شمال الحجاز على طريق الحجّ مشهور بالغزوة التي قام بها النبي لإخضاع عرب الشمال سنة 9/ 630 (منجد الأعلام ص 146).

(14)العُلا : في شمال الحجاز على بعد 323 كلم من المدينة و 980 كلم من دمشق (منجد الأعلام ص 354).

(15)حرور : ريح حارّة.(16)في الأصل : غيار.(17)زيادة للتّوضيح.(18)في الأصل: الرّجل مصمودي.

(19) أي الصَّدَفة : شبّه المرأة وهي في الهودج كالجوهرة في صدفة.

(20)في الأصل : أقطارها، والقطار هنا القافلة من عدّة جمال.

(21)الزّق : وعاء من جلد يجزّ شعره ويجعل للشّراب وغيره.(22)في الأصل : اعطى.

(23)في الأصل : واسقيه.(24)الوصيف (دارجة) أي الخادم.

الماء لله، ويزيد في العياط، فأخرجت المرأة يدها بإبريق من نحاس، فيه ماء بارد، وقالت له: اشرب يا مغربي حتى تروى، وإذا بزوجها قد أقبل، وله صراخ وعياط[1] وهو يقول : الماء عندنا قليل، والأولاد يموتون بالعطش والمورد علينا بعيد . قالت المرأة المصريّة لزوجها : اسكت عنّي، ما جئت من مصر إلى هذا الطريق وبعت حوائجي إلاّ لنسقي الماء ونطعم الطعام في الطالع والنّازل[2]، ماذا يكون حجّ الحاج إذا لم **[96و]** يطعم ويسقي[3]، هو والسّاعي سواء[4]. فسكت الرّجل ولم يتكلّم . قال [المؤلّف][5]: هو بين عينيّ [مع][6]هؤلاء إلى يوم نُبعث[7]. كيف أخرجت [المرأة][8]ذراعها من القبّة بالإبريق، بالبياض والعقيق على ذراعها. يدور العقيق الأحمر على معصم أبيض من النّعمة والصّيانة، ولكن كشفت يدها في فعل المعروف[9][و][10]الله أعلم بحكم تلك الشربة في ذلك[11] المكان[12]. ولكن ما يعرف الأخيار إلاّ الأخيار أو ينشر أفعال الخير إلاّ أهلها. ولا يشيع الفاحشة في الذين آمنوا إلاّ أهلها[13]. والله تعالى يقول **﴿إنَّ الذينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الفَاحِشَةُ فِي الّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ في الدُّنْيا [96ظ] والآخرة﴾**[14].

---

[1]العِياط : الصّياح بصوت عل.[2]أي للمسافر جيئة ودهابا.

[3]أي لا يكون حجّ الحاج كاملًا إذا لم يطعم الطعام ويسق العطشان.

[4]أي أنّ إغاثة العطشان بالماء والجائع بالطعام كالسّعي بين الصّفا والمروة.[5]إضافة للتّوضيح.

[6]زيادة للتوضيح.

[7]أي أن صورة هذا الرّكب والمرأة تخرج يدها لتسقي المغربي هي صورة لا يمكن أن ينساها إلى اليوم البعث والحشر.

[8]زيادة للتّوضيح.

[9]يستغرب كيف تجرّأت هذه المرأة فكشفت يدها وذراعها وتلك عورة لا يجوز كشف؟ ثم يستدرك المؤلّف فيقول إنّها كشفت كلّ ذلك من أجل فعل المعروف وهو إغاثة المغربي العطشان.

[10]زيادة للرّبط.[11]في الأصل : ذلك.

[12]أي هل يجوز للمرأة كشف جزء من فتنها لتقديم شربة ماء لملهوف في صحراء كما هو الحال مع هذه المرأة المصريّة والرّجل المغربي.

[13]يربط ابن الصبّاح المسألة بالنيّة والقصد : فهذه المرأة فعلت ذلك لا لابراز فتنتها وإنّما قصدتَ فعل الخير الذي تعتبره أحد مناسك الحج بل هو مساوٍ له.

[14]19م، النّور، الآية 24.

قال الرّاوي : هذا ما وصفنا من(1)أخبار مصر بالعين والفهم. فكيف يوصف أهل العقول بالنّقص؟ والله والله : لقد كان في مصر من الحريم [من](2)لا تراهم الشمس من الضّبط عليهم والحرز والحرمة. ولقد زعمت في ما(3)رأيته من الصّدقات من حريم مصر ما يعدل صدقات أهل المغرب، فكيف الذين لا تراهم العيون من الأجواد والأحرار؟

ثم نرجع إلى وصف مدينة مصر(4)، قال : من نعمة مصر أنّ فوارس(5) القلعة مرتباتهم(6)بالخبز واللّحم : لحم طير ولحم غنم ولحم وزّ. ودائرة(7) السّلطان كلّهم يأخذون راتبهم من المواكل(8)وقت الغذاء [97و] والعشاء من ألوان مواكيل السّلطان. والفيض من المواكل يبيعونها تحت القلعة للمتعايشين(9)، والمتعايشون يبيعونها للغرباء والمساكين بأرخص ثمن.

قال الرّاوي : ما رأيت بلادًا أحسن من بلاد مصر ، ولا أكثر خصائص منها في كلّ شيء : من الفنون كاملة، إن كنت تسأل عن العلم والدّين فهما(10)في مصر، وإن كانت القراءة(11)فهي في مصر، وإن كانت الفصاحة فهي في قرى مصر، وإن كانت صنعة الخطّ هي في مصر، وإن كُنت تسأل عن جميع فنون الصّنائع فهي في مصر، وإن كان [السؤال عن](12)الصّالحين هم في مصر، وإن كان [عن](13) المشائخ في فنون العلم هم في مصر [97ظ]. وجميع حركات الدّنيا(14). ولذّاتها في مصر. وإن كان صالح للدّنيا والآخرة(15)ففي مصر، وإن كان الرّخاء والخصب [فهو](16)في مصر، وإن كانت جنة في الأرض فهي(17)في مصر، وإن كانت كنوز الأرض فهي(18)في مصر، وإن كان [هناك](19)مقام كريم في الأرض فهو(20)في مصر. وإن كانت عساكر وجنود وخيول

(1)في الأصل :عن.(2)زيادة للرّبط.(3) في الأصل :فيها.(4)المقصود : القاهرة.
(5)الفارس يجمع على فرسان وفوارس.(6)في الأصل : المرتّبات.(7)دائرة : الحاشية.
(8)المأكل يجمع بالفصحى على مآكل، والمواكل نطق للكلمة بالدّارجة.
(9)نقول اليوم في الدّارجة : العيّاشة وهم الذين يسعون للحصول على معاشهم يوما بعد يوم.
(10)في الأصل : فهو.(11)المقصود القراءات.(12)زيادة للرّبط.(13)زيادة للرّبط.
(14)المقصود الأعمال في التجارة والفلاحة والصّناعة.(15)أي ما فيه صلاح الدّنيا والآخرة.
(16)زيادة للرّبط.(17)في الأصل : هي.(18)في الأصل: هي.(19)زيادة للرّبط.(20)في الأصل : هو.

وعُدّة(1)و[آلات](2)حروب وقوّة ودروع وسيوف، وعَدد(3)في البرّ والبحر فهم(4)في مصر، وإن كانت في الأرض سُرّة(5)البلاد فهي(6)في مصر، وإن كانت(7)في الأرض قبّة إسلام فهي(8)في مصر. وإن كانت في الأرض عجائب فهي(9)في مصر، وإن كانت في الأرض خصائص فهي(10)في مصر، وإن كان في الأرض الكمال فهو في مصر[98و]. مصر هي سُرّة(11)الأرض، وبها تقتدي جميع البلاد بلا خلاف، وخصائص مصر لا تنحصر.

قال الرّاوي : إنّ في القلعة المذكورة خمسمائة مملوك ذكورا وإناثا (12)يقرؤون القرآن ، تسمع لهم أصوات بترتيل القرآن عجيب. [و](13)هذا من كثرة المخرقة في الملك(14)، والتمام في الفنون. وخصائص مصر لا تكون على وجه الأرض(15). وهي(16)لا تخلو من أربعة طول الأبد(17): أرضها حين الفيض بيضاء فضّية، وحين الحرث [تكون](18)حمراء(19)مسكيّة أعني حِدادا(20)، لأنّ الماء يذهب بتراب بالٍ ويأتي بتراب جديد كلّ عام(21)، وحين ينبت الزّرع [تصبح](22)كلّها خضراء زمرديّة. وحين الحصاد [تكون](23)صفراء ذهبيّة وهذا لا يكون إلاّ [98ظ] بمصر خاصّة كلّ عام تزول(24)الأرض بالفيض ، إذ (25)ينزل الفيض ويتركها مُزبّلة(26)جديدة وغيرها يفسدها الفيوض(27)إذا جرت(28)في الأرض حيث كانت من أرض الله(29). ومن خصائص مصر

---

(1)في الأصل : عدد.(2)زيادة للتّوضيح.(3)أي عدد كبير من الجند.(4)في الأصل : هو.

(5)أي مركز الثّقل.وفي الأصل صُرّة. (6)في الأصل : هي.(7)في الأصل : وإن كان.(8)في الأصل : هي.

(9)في الأصل : هي.(10)في الأصل هي.(11)في الأصل : صُرّة.(12)في الأصل : ذكورٌ وإناث.(13)زيادة للرّبط.

(14)أي أنّ سبب هذا هو كثرة الخوارق (أي العجائب) في مُلك مصر، أو كثرة لابسي الخرقة وهم المتصوّفة.

(15)أي لا توجد في غير مصر.(16)أي مصر.(17)أي طول الدّهر.(18)زيادة للرّبط.(19)في الأصل : حمرا.

(20)في الأصل : حدَادٌ، والحداد هو السّواد، ومنه قولهم لبس الحداد على ميّت أي لبس السّواد.

(21)هذا التراب الجديد هو الطّمي.(22)زيادة للرّبط.(23)زيادة للرّبط.(24)أي تتغير.(25)في الأصل : و.

(26)من زَبَلَ الأرضَ وزبّلَها بالزّبل أي سَمّدَها وأصلحها بالسّماد، وهذا السّماد هو الطمي الذي يحمله النّهر ويلقيه عند فيضانه.

(27)الفيوض جمع فيض.(28)في الأصل : جارت.(29)المؤلّف يعتبر مصر أرضا مقدّسة.

أنها تحصد على فيضة واحدة(1)، ولا تحتاج إلى العودة إلى(2)الماء، غير أنّه يأمر الله بالغمام من يوم نبات الزّرع، كلّ يوم من وقت الفجر إلى الضّحى الأعلى، يتغذّى الزّرع بالنّدى من ذلك الغمام حتّى يأخذَ السّنبلة(3)ويأخذ الغمام(4). وهذا لا يكون إلاّ في مصر، [وفي](5)غيرها(6)لا [يكون](7). ومن خصائص مصر [نهرها](8)، وكفى به(9)نهرًا [عظيمًا](10): ذلك البحر العجيب العذب الحلو للبلدي وللغريب، بحر في وسط البلد **[99و]** يجري بين العماير وبين الحرث والنّسل، عن يمين وشمال بساتين وروضات وأجنة(11)وقرى(12)ومساجد وزوايا(13)وزروع وأغنام وأبقار جواميس(14) تعوم فيه(15). وعرضه بقدر ما يسمع الرّجل ناديه(16)، ومراكب تسري(17)فيه كالأعلام(18)، إذا دخلتَ في مرسى المراكب ما تقدر ترجع(19)إلى أين خرجتَ(20)من كثرتها، وبعضها لا يشبه بعضا من الكثرة والزّينة بماء الذّهب(21). كلّ صدر مركب مزيّن بماء الذّهب(22)على ألوان شتى، لا تعرف الطالع(23)من الهابط(24)مثل المَقْصُبة(25)العظيمة الكبرى.

قال الرّاوي : من لم ير مصر ولا جاورها ولا استطونها و[لا جاور] (26)أهلها لم ير في الدّنيا فلاحًا(27)وا خيرًا **[99ظ]**، ولا يعرف خيرًا ولا شرّا، مصر نزهة الدّنيا بلا خلاف عند أهل البصيرة والنّظر، فيها من الخصائص ما على الأرض من العجائب. والخصائص، مدينة مصر جمعتها الكلّ (28) بلا خلاف عند أهل البصائر والعلوم. كفى بها في النيل

---

(1)أي تكون الصّابة بفيضان واحد من النّيل.(2)في الأصل : من.(3)أي يأخذ الفلاح السّنبلة بحصدها.
(4)أي يزول الغمام.(5)زيادة للتّوضيح.(6)في الأصل : غيره.(7)زيادة للتّوضيح.(8)زيادة للتّوضيح.
(9)في الأصل :نهرا.(10)زيادة للتّوضيح.(11)في الأصل : وأجية.(12)في الأصل: قرا.(13)في الأصل: زوايات.
(14)في الأصل : جوامس.(15)الضمير يعود على النّهر.
(16)إذا كان المنادي على ضفة والمنادى عليه على الضفّة الأخرى من النّهر.
(17) أي تجري.(18)تشبيه قرآني.(19) أي لا تقدر على الرّجوع .(20)أي من حيث أَتَيْتَ.
(21)لا نظنّ أنّ المؤلّف يقصد بالذّهب المعدن النّفيس وإنّما يقصد طلاء أصفر مثل الذّهب.
(22)انظر التعليق السّابق.(23)الطالع : من السّفن هي المتّجهة إلى الصعيد في الجنوب.
(24)والهابط منها هي المتّجهة نحو الشمال.
(25)المقصبة : الأرض التي فيها قصب كثير: هنا شبّه المؤلّف أعمدة السّفن بأعواد قصب السّكر ووجه الشبه : الكثرة والطول.
(26)إضافة للرّبط.(27)قد يكون المقصود فلاحة أو صلاحا.
(28) «جمعتْها الكلّ» أي جمعت كلّ الخصائص التي عدّدها (عبارة دارجة).

جزيرة، فيها المقياس تقاس به الأرض مسيرة ثلاثة أشهر يعلمون [به](1)ما يُرْوَى من الأرض والبلاد في وقت الزّيادة(2)، والفيض يكون في نصف شهر أغشت(3)يَروي البلاد كلّها بإذن الله. وعلى تلك(4)الفيضة يحرثون وعليها يحصدون(5)القمح والشّعير والفول والكتّان والحمص والعدس وجميع الحبوب الصّيفيّة.

[المقياس وفيض النّيل]

قال الرّاوي : رأيت **[100و]** شيئا عجبا في ذلك المقياس : خشبة مغروسة(6)في بئر في وسطه(7)، فيها دساتر(8) مغروسة في الخشبة، بين [كلّ](9) دسترودستر أربعة أصابع، وفي هذه(10) منفّس(11) يدخل منه الماء من وسط عين الماء القويّة، ويطلع الماء في الخشبة على قدر ما يكون الفيض من عند الله في ذلك العام، والدّساتر التي(12) في الخشبة تسمّى الأصابع، وهي أربعة وعشرون(13) إصبعا، وعندهم [اتّفاق](14) معلوم أنّه إذا وصل الماء [الإصبع] الرّابع(15) والعشرين علموا(16) أنّ جميع البلاد زُويت(17) فيستبشرون(18) بالخصب والرّخاء، وإذا نقص عن هذا العدد [إلى](19) أربعة عشر إصبعا أو ستّة عشر إصبعا أو **[100ظ]** عشرين إصبعا، كان عندهم الرّخاء والخصب، وإذا كان أقلّ من عشرة أصابع أو أحَدَ عشر إصبعا أو اثني(20) عشر [إصبعا](21) يكون عندهم الخصب قليلا لأنّ عندهم علم عجيب بهذا(22) المقياس مَتَاغْ(23) هذه الخشبة. يعلمون(24) بها ما رُوي من الأرض [بمقادير](25) موزونة بهذا(26) المقياس [على](27)

(1)زيادة للتّوضيح.
(2)عن طريق هذا المقياس يعرفون مقدار ارتفاع النيل عند الفيضان، ويمكنهم كذلك تقدير المسافة التي امتدّ فيها الفيضان.
(3)أغشت هو أغسطس أي شهر أوت.(4)في الأصل : ذلك.
(5)المقصود هو أنّ الحصاد يقع قبل الفيض والحرث يقع بعده.
(6)في الأصل : مغروزة (نطق دارج للكلمة).(7)أي النيل.(8)أي علامات.(9)زيادة للرّبط.
(10)في الأصل : هذا، والمقصود الخشبة.(11)أي متنفّس وهو الثقب الصّغير.(12)في الأصل : الذي.
(13)في الأصل : عشرين.(14)زيادة للتّوضيح.(15)في الأصل : الأربعة.(16)في الأصل : يعلموا.
(17)في الأصل تروى.(18)في الأصل : يستبشروا.(19)زيادة للتوضيح.(20)في الأصل : اثنا
(21)زيادة للتّوضيح.(22)في الأصل : في هذا.
(23)كلمة دارجة مرادفتها في اللّهجة المغربيّة اليوم «ديالو» ومعناه منسوب إلى.
(24)في الأصل : يعلموا.(25)زيادة للتّوضيح.(26)في الأصل : في هذا.(27)زيادة للرّبط.

مسيرة ثلاثة أشهر لكلّ أرض [يملكها](1) قوم من حاشية(2) النّهر : منهم(3) من تكون أرضهم(4) عَالية لا يدركها الفيض إلاّ بالأربعة وعشرين إصبعا التي في المقياس، ومنها نازلة يدركها فيض العشرين [إصبعا، وهي](5) أرض موزونة على [مسافة](6) ستّة أشهر. و[هناك](7) أرض موزونة على ستة عشر [إصبعا](8) ، وأرض موزنوة على إثني(9) عشر [إصبعا](10)وأقلّ وَزن **[101و]** على عشرة أصابع فيكون الغلاء في البلاد. وأما إذا كانت الزّيادة من ستة عشر إلى عشرين إلى أربع (11) وعشرين فهو حدّ الخصب والرّخاء، ويأتي سلطان مصر بالطّبول والأبواق والفرح والسّرور والزّينة من الثياب، والمسامع(12)يأتون إلى شاطئ النّيل المذكور والفضل المشهور، فيه ذراع(13) إلى بلاد تسمّى بِلْبَيْس(14)، فيكسرون ذلك(15) الذّراع أي يفتحونه، ويسمّون [فتح](16) ذلك الذّراع يوم كسر النّيل. وهو عندهم يوم عيد كبير، كما هو الحقّ(17)[لأنّه](18) يبشّرهم بقوّة عامهم(19) ، وكيف لا يكون عيدًا كبيرًا!؟

قال الرّاوي : وفي بلاد مصر(20) القصر المشيّد والبئر المعطلة **[101ظ]** المذكورة في القرآن(21)على سبعة أيّام من مصر على طريق الحبشة. القصر والبئر طلسم من الطلاسم القديمة (22)، إذا أشرفت على القصر والبئر، كأنّك ترى(23) ماء البئر قريب منك : كلّما قَرُبت منه رجع الماء إلى البئر. وإذا ولّيت(24) ولّى الماء من ورائك حتّى [أنّه](25) كان يسبق الخيل السّابقة، ويسبق الماء إلى البئر قبل الفرس السّابق، وإذا أشرفت على البئر ينزل الماء إلى قعر البئر، وهذا القصر ارتفاعه ثلاثون ذراعا كأنه

(1)زيادة للتوضيح.(2)أي حافّة النّهر.(3)في الأصل : منها.(4)في الأصل أرض ذلك.

(5)زيادة للرّبط والتّوضيح.(6)زيادة للتّوضيح.(7)زيادة للتّوضيح.(8)زيادة للتّوضيح.

(9)في الاصل : اثنا.(10)زيادة للتّوضيح.(11)في الأصل : أربعة.(12)أي المستمعون .(13)أي قناة.

(14) بِلْبَيْس : مدينة عامرة بالأسواق والخانات والحمّامات والبساتين. تقع في الشرقيّة من أعمال القاهرة (مباهج الفكر للوطواط ص 108).

(15)في الأصل : نلك.(16)زيادة للتّوضيح.(17)تعبير دارج معناه ولهم الحقّ في ذلك الاحتفال.

(18)زيادة للرّبط.(19)أي كثرة الخيرات.

(20)في الأصل : من على مصر، وهذا دليل على أنّ المؤلّف لا يميّز بين حروف الجرّ.

(21)في قوله تعالى : ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ 45م الحجّ، الآية 22.

(22)في الأصل : القدانة.(23)في الأصل ترى كأنّك.(24)ولّى بمعنى رجع.(25)زيادة للرّبط والتّوضيح.

قطعة واحدة(1) إلاّ رخامة مكتوبة فيها: نحن بنينا وشيّدنا، فمَن كان يزعم أنّه مثلنا يهدِم ما بنيناه، والهدم أهون **[102و]** من البناء. ولا يَطْلع(2) عليه أحد إلاّ [و](3) يموت. قيل [بـ](4)داخله حجر الماس(5) تجبدُ [هكذا] النّاظر إليها بريح منها، فلا يطيق الرّجوع.

قال الرّاوي : انظر أيها القارئ والمستمع إلى هذا الأمر العجيب، والهندسة والعلم المتّسع في وزن تلك الأرض على وزن الخشبة وعلى وزن أفواه(6) الأرض والبلاد. يعلمون(7) منه ما روي من الأرض وما لم يُرو(8) . وهذا من بعض العجائب التي (9)فعلها المأمون العبّاسي(10) على زمانه في ذلك(11) النّيل الكريم. وفي هذا النّيل من الدّواب ألوان شتّى(12) مثل التّمساح وغيره من الدّواب. والتّمساح على صورة...(13) ولكن يداه ورجلاه مثل الآدميّ بخمسة أصابع في اليد والرّجل **[102ظ]** وأظفار مثل أظفار(14) ابن آدم، ووجهه مثل الحرضون(15). إذا غفل الرّجل(16) في المركب يضربه بذنبه [وهو](17) مثل ذنب الحوت طويل له فيه أرياش(18) مثل المنشار مَتَاع(19)الحديد، يجذب [به](20)الرّجل، ويسوقه في الماء [و](21) يأكله، وليس عند بحريّة(22) النّيل خوف إلاّ منه، يسهرون اللّيل خوفا من شأنه(23)، وهذا النيل فيه جميع ألوان الحيتان المختلفة . ولو تصف [ما](24) في هذا النيل وعجائبه [ستبقى مدّة](25) مثل عمر نوح [الطويل ومع ذلك](26) لا(27) تبلغَ وصف [كلّ](28) عجائبه وعجائب عمارته عن يمين

---

(1)لعلّه يقصد أحد الأهرامات.(2)أي يصعد.(3)زيادة للرّبط.(4)زيادة للرّبط.(5)في الأصل : الفاس.
(6)في الأصل : أقواه.(7)في الأصل : يعلموا.(8)فمنه من روا ومن لا روا.(9)في الأصل : الذي.
(10)الخليفة السابع في دولة بني العباسي ببغداد ازدهرت حركة الترجمة في عهده، توفّي بطرسوس سنة 833/218 ، (الأعلام 4/ 142).
(11)في الأصل : تلك.(12)في الأصل شتّا.(13)نقص نقدّره بكلمة : وهي اسم الحيوان الذي يشبه التّمساح.
(14)في الأصل : وظفور مثل ظفور : وهذا استعمال من الدارجة.
(15)هي الحرباء أو حيوان يشبهها، ولعلّ «الحرضون» هي الكلمة النّاقصة فيما سبق.
(16)في الأصل : بالرّجل.(17)زيادة للرّبط.(18)أرياش واحدته ريشة.
(19)تعبير دارج للدّلالة على المادّة التي يصنع منها المنشار.(20)زيادة للرّبط.(21)زيادة للرّبط.
(22)بحريّة هم البحّارة لأنّ النّيل يطلق عليه اسم البحر لعظمه.(23)أي منه، والتعبير من الدّارجة.
(24)زيادة للتّوضيح.(25)زيادة للرّبط والتّوضيح.(26)زيادة للتّوضيح.(27)في الأصل : ما.
(28)زيادة للتّوضيح.

وشمال، [فهو](1) نهر من أنهار الجنّة في المثال(2) . وتحقيق ذلك في سؤال عبد الله بن سلام(3) إلى رسول الله ﷺ في الألف مسألة، [فقد] (4) مثّله بأنهار **[103و]** الجنّة في المثال كما هو في الحقيقة، وصدق رسول الله ﷺ.

قال المؤلّف: وصفتُ النّيلَ، ونرجع إلى وصف عمائر بلاد مصر الكافية المباركة. ويدلّ على بركتها وفضائلها وعجائبها واختصاصها على سائر الأرض والبلاد قوله تعالى في قصّة سليمان بن داود عليه السّلام ﴿**فَسَخّرْنَا لَهُ الرّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ**﴾ ﴿**إِلى الأَرْضِ التي بَارَكْنَا فِيهَا**﴾(5). قال أصحاب التّأويل في هاتين الآيتين : إنها مصر(6)على المشهور في أكثر الوجوه المفسّرة في الآيتين الكريمتين.

قال الرّاوي : كفى(7) بها من أرض وبلاد أنّ فيها استوصى(8)رسول الله ﷺ **[103ظ]** فقال في وصيّته : «إذا فتحت المدينة السّوداء من مدارة مصر، استوصوا بأهلها [خيرًا لأنّ](9)لنا فيها نسبًا وصهرًا». قال المؤلّف : نسب رسول الله ﷺ بمصر، من هاجر(10)أمّ إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السّلام، [فـ]هاجر كانت من قرية في الصّعيد تسمّى الدّوسة(11). والصّهر هو الملك المقوقس(12)ملك من ملوك مصر أهداه(13)ابنته ماريّة (14) أمّ إبراهيم [ابن](15)النبيّ عليه السلام.

(1)زيادة للرّبط.(2)أي في الحديث الشّريف.

(3)عبد الله بن سلام الاسرائيلي : أسلم عند قدوم النبيء إلى المدينة ، توفّي بها سنة 663/43 وله 25 حديثا (الأعلام 4/ 90). (4)زيادة للرّبط.

(5)جمع المؤلّف بين آيتين : الأولى قوله تعالى : ﴿..**فَسَخّرنَا الرّيحَ تجْري بِأَمْرِهِ رُخاءً حَيْثُ أَصَابَ**﴾ 38ك، سورة ص، الآية 36. والثانية قوله تعالى : ﴿**ولسليمان الرّيحَ عاصفةً تجري بأمْرِهِ إلى الأرضِ التي باركنا فيها، وكُنّا بكلّ شيءٍ عَالمين**﴾. 21 ك. الأنبياء، الآية 81.

(6)ويقال كذلك أنّها أرض الشّام لخيراتها وكثرة أنبيائها.(7)في الأصل : كفا .(8) في الأصل : استوصا.

(9)زيادة للرّبط والتّوضيح.

(10)هاجَر : بفتح الجيم : أمة إبراهيم المصريّة وأمّ إسماعيل ، اختلفت مع سارة بعد مولد إسحاق (منجد الأعلام ص 536).

(11)لم نتمكن من معرفتها.

(12)المقوقس : اسم أطلقه العرب على حاكم مصر البيزنطي وبطريك الإسكندرية. (منجد الأعلام: ص 498).

(13)في الأصل : هداه بنته وأختها سيرين : جاريتان مصريّتان أهداهما المقوقس سنة 7/ 628 إلى النبيء فتزوج الأولى وأهدى الثانية إلى حسّان بن ثابت . توفّيت ماريّة في خلافة عمر (الأعلام 5/ 254).

(14) ماريّة القبطية.(15)زيادة يفرضها السّياق.

قال المؤلّف : كان لنبيّنا ﷺ من البنين ثمانية : أربعة ذكور وأربع[1]إناث، وسوف أسمّيهم كما يجب[2] علينا ذكرهم ونشر فخرهم صلّى الله عليهم **[104و]** أجميعن من جدّ وأب وبنين ، أشرف الأبوين والبنين، صلّى الله عليهم أجمعين مادامت الشّمس تطلع : أوّل ولد نبيّنا وشفيعنا وهادينا، الكبير القاسم وبه يكنّى[3] عليه السّلام ثم الطيّب، ثمّ الطاهر[4] ، ثمّ إبراهيم، ثمّ رقيّة ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثمّ زينب وفاطمة [هي][5] الصغيرة في السنّ الكبيرة في القدر[6] ، وهم أولاد خديجة بنت خويلد[7]. وكلّ الإناث الأربع[8] لحقن[9] الإسلام وأسلمن[10]، والذّكور[11]ماتوا بمكّة ولم يلحقوا الإسلام بالمدينة إلاّ إبراهيم بن ماريّة القبطيّة ، كانت من القبط، قوم فرعون، فإنّها كانت سريّة رسول الله ﷺ وُلِد له منها[12]**[104ظ]** إبراهيم . مات قبل بلوغ الحلم، وقبره في المدينة في البقاع[13]الشّريفة.

قال المؤلّف : هذا دليل على خصائص مصر وفضائلها. فهاجر[14] أمّ إسماعيل منها، ومن هاجر[15]نسل[16]ولد إسماعيل مثل قريش وربيعة ومضر كما جاء في الصحيح عند المؤرّخين أصحاب الأخبار أنّ إبراهيم الخليل نزل بمصر على زمن قيس بن بيالونيّة بن وثْل بن حمير التّباعي، نزل بمصر فجمع كثيرا من العجم[17]من بلاد العراق، لأنّ إبراهيم كان أعجميّا [يتكلّم][18]بلسان السّريانيّة و[لسان][19]العبرانيّة يتكلّم به. وطلب من قيس بن بيالونيّة الطعام. وقصّته - في حديث يطول - بينه وبين إبراهيم وسارة **[105و]** بنت هارون أخي إبراهيم عليه السّلام[20]. فكانت قصّتهم

---

(1)في الأصل : أربعة.(2)في الأصل : وجب.(3)في الأصل : يكنّا.
(4)أخطأ هنا ابن الصبّاح لأنّ القاسم هو نفسه الطيّب والطاهر.(5)زيادة للرّبط.
(6)قد يكون لأنّها تزوّجت من عليّ بن أبي طالب.(7)باستثناء إبراهيم.(8)في الأصل : الأربعة.
(9)في الأصل : لحقوا.(10) في الأصل : اسلموا.
(11)لم يكن للرّسول من خديجة إلاّ ولد واحد هو القاسم.
(12)في وسط هذه الصفحة نجد في الهامش، «قف» ، غلط بل السيّدة فاطمة بنت خديجة فقط» وكتبت هذه الجملة بخط أصغر من خطّ النّصّ . والصّحيح هو ما قاله ابن الصّباح.
(13)في الأصل : البقعة.(14) في الأصل: أنّ هاجر.(15)في الأصل : ومنها.(16)في الأصل : تناسل.
(17)في الأصل : العجوم.(18)زيادة للتّوضيح.(19)زيادة للتّوضيح.
(20)هارون هو أخ لموسى، ولم ينتبه المؤلّف إلى أنّه لا يمكن لإبراهيم أن يتزوّج من ابنة أخيه.

عجيبة في طلب ذلك[1] الطعام، ولكن نختصر منها [جزءا وهو][2] أنّ قيسًا الأمير - أمير مصر - طلب أن يضيّف[3] إبراهيم وسارة، وجرت بينهم تلك القصّة المشهورة، ورأى قيس[4] من سارة العجائب الفاخرة والأمور من السرّ المكنون والأمر المعصوم الذي به الأنبياء منصورون [5]، فوهب إلى سارة هاجرَ أمّ إسماعيل المباركة بالنّسب الطّيّب من بني[6] هاشم وبني عبد المطلب، وعبد الله والد النّبيء الشريف المختارِ[7] على جميع قبائل الأنبياء والمرسلين. [وهذا][8] في القرآن مذكور، فيا لها من سعادة [لِ][9] هاجر وذريتها العرب المستعربة **[105ظ]** المشهورة.

قال الرّواي : هذه القصّة جرت بمصر المباركة [وهو][10] أنّ الطعام الذي طلبه[11] إبرايهم من قيس الأمير ابن بيالون[12] - وبه سمّيت الحبشة بلسانها «مصر بيالون» -[13] فأعطى فيسّ الأميرُ ابنُ بيالون - وبه سمّيت الحبشة - إبراهيم[14] ألف حمْل مملوءة بالرّمل مثل السّميد وختم على الغرائر[15] بخاتم الملك. فلمّا وصل إبراهيم إلى قومه، وقومه ينتظرون[16] الطعام، قلب[17] الله لهم[18] الرّمل سميدًا دقيقا طيّبا بإذن الله تعالى. [و] ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[19]. وهذا من بركة الخليل، وهي معجزة من بعض معجزاته[20] جرت بمصر المباركة، وجرى فيها من العجائب **[106و]** والملك والخير والشرّ أكثر من غيرها من الأرض والبلاد. وكفى بها يوسف الصدّيق وقصّته العجيبة. وقصته[21] في القرآن مع العزيز وزليخا وإخوانه إلى آخر القصص العجيبة، [هي][22] الأحسن التي[23] لم يكن في مصر قصة

---

(1) في الأصل : تلك. (2) زيادة للتّوضيح. (3) في الأصل : يضايف. (4) في الأصل : قيسا.
(5) في الأصل : منصورة. (6) في الأصل : ابني. (7) أي المفضّل. (8) زيادة للرّبط. (9) زيادة للرّبط.
(10) زيادة للرّبط. (11) في الأصل : طلب.
(12) ذكر هذا الإسم فيما سبق بصيغة «بيالونية» وفيما بعد بصيغة بيالون.
(13) لم نتمكن من معرفة الرّابط. بين اسم «الحبشة» واسم «بيالون». (14) في الأصل : إلى إبراهيم.
(15) جمع غرارة : العِدْل، وهو وعاء من صوف أو نسيج يوضع على جنب البعير ويعدل بآخر.
(16) في الأصل : منتظرين. (17) في الأصل : أقلب. (18) في الأصل : إليهم.
(19) 36ك. يس، الآية 82. (20) في الأصل : معاجزه.
(21) في الأصل : وقصصه. (22) زيادة للرّبط. (23) في الأصل : الذي.

أحسن منها في القصص، والله [لن][1] أقص أحسن من قصته، ولا أحسن من عاقبته[2] [كما جاء][3] في القرآن، إذ كلّ الأنبياء كانت عاقبة أمرهم الهلاك [4] في قومهم، ويوسف عاقبته الملك والنّبوءة والرّسالة وجمع الأهل والعفو والصّفح عن إخوانه كما نطلق به القرآن. وكفي مصر [شرفا][5] قبور الشرفاء والعلماء والفقهاء والصّالحين والأولياء مثل **[106ظ]** المشهورة سيّدة النّساء [من][6] أشرف العلويين[7]: علي [بن أبي طالب][8] الهاشمي. [وهي][9] سيّدتي نفسية[10]، قبرها في القرافة[11]بمصر، وآسية بنت مزاحم[12] امرأة فرعون بمصر أيضا، والفقيه الفاضل والعالم المجتهد ذو النّسب الشّريف، والعمل العفيف، والإمام الظّريف، صاحب اللّسان الفصيح والكلام المليح، والمذهب المضبوط، وغالب مذاهب الرّوافض[13] وقاهر المعتزلة والخوارج قهرًا بيّنا بالدّليل والبرهان من القرآن كلام الله وحديث سيّد ولد آدم[14]. ذلك [هو][15] محمد ابن إدريس الشافعي[16]صاحب القراءة والتّدريس، [وصاحب][17] الحسب القرشي والنّسب الهاشمي **[107و]**، قبره بمصر،[18] وذو[19]النّون المصري[20] [الوليّ] الصالح المشهور، قبره بمصر[21].

---

(1) زيادة للتّوضيح.(2) في الأصل : عاقبة منه.(3)زيادة للرّبط.

(4) لا يقصد بالهلاك هنا الموت وإنما يقصد «المحن» .(5)زيادة للتّوضيح.(6)زيادة للرّبط.

(7)في الأصل : شراف العلوي.(8)زيادة للتوضيح.(9) زيادة للرّبط.

(10)في الأصل : النّفيسة وهي نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب : صاحبة المشهد المعروف بالقاهرة، وللمصريّين فيها اعتقاد عظيم. أخذ عنها الشافعي الحديث، توفبت سنة 208/ 824 (الأعلام : 14/8).

(11)القرافة هي المقبرة بالدّارجة المصريّة. وتطلق اليوم على إحدى المقابر الكبرى بالقاهرة.

(12) آسيا : زوجة فرعون ذكرت في القرآن مرّتين في 28 ك. القصص الآية9، وفي 66م. النجوم، الآية 11. (EI 2 / I / 2 - 731).

(13)الرّوافض : لغة هي الطائفة من الجنود تركوا قائدهم وانصرفوا، واصطلاحًا فرقة من الشيعة تجيز الطعن في الصحابة.(14)يقصد الرّسول ﷺ.(15)زيادة للرّبط.

(16)هو أبو عبد الله محمّد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي الهاشمي : أحد الأئمّة الأربعة عند أهل السّنة، وإليه يُنسب المذهب الشّافعي. ولد بغزّة وتوفّي بالقاهرة 820/204. (الأعلام 26/6).

(17)زيادة للرّبط.(18)أي القاهرة.(19)في الأصل : ذا النّون.

(20)ذو النّون المصري: هو ثوبان بن إبراهيم أبو الفيض : من أهل مصر، نوبيّ، أحد الزّهّاد والعبّاد المشهورين، كانت له فصاحة وحكمة وشعر. توفّي بالجيزة 859/245 (الأعلام : 102/2).

(21)أي القاهرة.

قال المؤلّف : إن على [قبر](1) الفقيه الشافعي قبّة مزينة بأنواع البنيان وعليه القراء والمحزّبون(2) بالرّواتب العظام، وكذلك على سِتّي(3) نفيسة. قبرها عليه تابوت مملوء برائحة الزّعفران. لهما(4)مزارات [في](5) أيّام معلومة وصدقات عليهما(6)محبّسة، ومعروف(7) وطعام موقوفان عليهما(8) من العام إلى العام، وكفاية في غاية النّهاية رحمهما(9) الله.

قال الرّاوي : لو نصف مصر وما فيها من الفضل والعجائب ما نبلغ ربع الشيء [الموجود فيها](10)، غير أنّ مصر أرحياتها(11) تدور بالخيل **[107ظ]** والبغال، لأنّ النّيل نازل عن الأرض إلاّ وقت الفيض. ومساجدها الماء [فيها] (12) للوضوء بالسّاقية مالح، ما في مصر عيب غير هذا. مَالَهَا ماء إلاّ من النّيل [ماؤه](13) حلو وغيره مالح، و[ما] (14) يدلّ [على](15) أنّها معدودة(16) بجميع البلاد تسميتها مصر. وإن كان غيرها من المدائن تسمّى مصر، فهي المستخصّة(17) بهذا الاسم أوّلا بالقرآن والحديث، واللّغة والاستعمال : [ذلك] أنّ الاسم مأخوذ من المصرّة(18) وهي الفرحة، وقيل مأخوذ من الصُّورة(19) وهي صرار(20) الذّهب والفضّة، وقيل من ملاحة العماير والبنيان، والعجائب من الأسرار العجيبة، فإن كان اسمها من هذا الاشتقاق المذكور فهو فيها **[108و]** معلوم مشهور : نفقة الصّرار [تكون](21) في الشراء والبيع والمعايش، ففيها تنحلّ الصّرار(22). وإنّ من جميع العجائب فيها أن كان [اسمها](23) من الفرح، فلا

---

(1)زيادة للتّوضيح.(2)وهم القرّاء لحزب من أحزاب القرآن.(3)سِتّي بمعنى سيّدتي بالدّارجة المصريّة.
(4)في الأصل : لهم لأنّ التّثنية في لغة المؤلّف غير موجودة، تحت تأثير اللّغة الإسبانيّة.
(5)زيادة للرّبط.(6)في الأصل : عليهم.(7)أي صدقات.(8)في الأصل : عليهم.
(9)في الأصل : رحمهم.(10)زيادة للتّوضيح.(11)أرحيات جمع أرحية وأرحية جمع رحى.
(12)زيادة للرّبط.(13)زيادة للتّوضيح.(14)زيادة للرّبط.(15)زيادة للرّبط.(16)معدودة أي تعادل.
(17)أي أنّ الإسم «مصر» خاصّ بها.
(18)يخطئ المؤلّف لأنّ المسرة – وهي الفرح – تُكتب بالسّين لا بالصّاد.
(19)الصُّورة هي الصُّرّة بإطالة الضمّة على الصّاد على عادة أهل الأندلس في إطالة بعض حركات الكلمة.
(20)صرار حسب المؤلّف هي جمع صرّة، لكن الصّرّة تجمع على صُرَر.(21)زيادة للتّوضيح.
(22)أي أنّ مصر تجبرك بما فيها من خيرات ومصنوعات على فتح صرّة الدّراهم لشراء ما لذ وطاب وما يعجب العين ويلفت الانتباه.
(23)زيادة اقتضاها السياق لأنّ المؤلّف يكتب «مصر» بالسّين، فتكون حسبه مشتقة من المسرّة أي الفرح.

يكونِ الفرح إلاّ بمصر. وأمّا غيرها سائر الأيّام [فيها](1) والأعياد سواء، لا تفضل زينة كسوة سائر الأيام على الأعياد والمواسم [فكلّها](2) سواء(3)أما مصر فهي مَسَرّة(4) الفرح وصُرَّة الأرض(5)، وهي محلّ نفقة الصّرار في المواكل واللّباس والأخذ والعطاء في جميع الأشياء كلّها.

قال المؤلّف : وسمّيت القاهرة لأنّ [أحد](6) ملوك بني هلال يسمّى المعزّ بن باديس(7)، نزل إليها وحاصرها(8) حصارًا طويلا وبنى عليها تلك البلد المسمّاة بالقاهرة **[108ظ]** أي قهر منها مصرَ، كما سمّيت تلمسان «بالمنصورة» (9). وقصته في حديث يطول اختصرت منها [ما يلي](10) : قهر مصرَ المعزُّ بنّ باديس [وجاءها](11) من بلاد الجريد وقابس بسبب(12) ابنته(13) الحاجة [إذْ لمّا كانت](14) في طريق الحجّ(15)سبّها(16) أهل مصر وعيّروها. وقالوا لها: آش تكون أنتِ وأبوكِ حتّى تقولي [لنا](17) سنخبر(18)والدي بسبابكم لي وأنا بنتُ مَلِك الخيول البلق. فلمّا قضت حجّها أخبرت والدها بما جرى(19) لها مع أهل مصر، فحلف المعزّ أنّه ليأتي مصر على الخيول البلق التي(20) سخروا منها واستهزؤوا بها. فأتى مصر فحاصرها(21) وبنى(22) عليها تلك المدينة وهو البنيان المسمّى بالقاهرة **[109و]** فسمّيت القاهرة. فلمّا

---

(1)زيادة اقتضاها التركيب.(2)زيادة اقتضاها التّركيب.

(3)خلاصة القول في هذه الجمل المتداخلة أنّ المؤلّف يرى أنّ أيام مصر كلّها أعياد : زينة ومسرّة. أمّا غيرها من البلدان فالزّينة فيها لا تكون إلاّ في الأعياد والمواسم وهي زينة عاديّة.

(4)في الأصل : مصرّة.(5) قصد المؤلّف أنّها مركز ثقل الأرض. (6)زيادة اقتضاها التّركيب.

(7)المعزّ بن باديس لا صلة له ببني هلال فهو أحد أمراء صنهاجة وهو الذي وقع خراب القيروان في عهده على يد بني هلال سنة 449 / 1057.

(8)في الأصل حصرها. وتاريخيّا لم يحاصر المعزّ بن باديس القاهرة لأنّ القاهرة بناها المعزّ الفاطمي وانتقل إليها 362 / 972.

(9) رأى المؤلّف شبها بين المعزّ الصنهاجي الذي بنى القاهرة لحصار مصر حسب زعمه، وبين أبي يعقوب يوسف المريني الذي بنى المنصورة (قرب تلمسان) لمحاصرة تلمسان وهذه حقيقة تاريخيّة.

(10) زيادة اقتضاها التّركيب.(11)زيادة اقتضاها التّركيب.(12)في الأصل : على سبب.

(13)في الأصل : بنت.(14)زيادة اقتضاها التّركيب.(15)في الأصل : الحاج.(16)في الأصل : سبّوها.

(17)زيادة للتّوضيح.(18)في الأصل : نخبر.(19)في الأصل : جرا.

(20)في الأصل « الذي .(21)في الأصل : حصرها.(22)في الأصل : بنا.

طال على أهل مصر الحصار(1) قالوا لملكهم اخرج لصاحبك. وكان فيها رجل من مماليك(2) العباس، [وكان](3) عبدا حبشيّا أسود، اشتراه بخمسة وعشرين دينارًا، حكم مصر خمسة وعشرين عاما حتّى أخرجه منها المعزّ المذكور(4). قال الرّاوي : نرجع إلى وصف أسواقها وشوارع طرقها. في القاهرة درب يُسمّى باب زويلة إذا جازه الرّجل مرّتين في اليوم ينظر إلى مناكبه من الثّياب فيجدها مقطوعة من كثرة الزّحام والحك مع الناس وكثرة الخلق. والله لقد كان لي جبّة اشتريها من ربط شاطبة(5) من لباس **[109ظ]** محمّد الكغّاض(6) صاحب الشهرة واللّحية المصبوغة بالحنّاء، وجزت بها في باب زويلة مرّتين وإذا منكبها الأيمن تقطّع. فقلت لصاحبي : أرأيت ما جرى لي في الجبّة؟ قال(7) : ويلك لو تجوز كلّ يوم بثوب جديد إلاّ وتقطّع من كثرة الزّحام والحشر من الخلائق. قال الرّاوي : مدينة مصر القاهرة منظرها إلى [ما](8) بين الغرب والشّمال، والنّيل غربيّها مسنده جبل الحجاز. ولكن القرى على غرب النّيل وعن شرقه، وهو في وسط البلاد يجري مسيرة ثلاثة أشهر من مدينة البوغاز إلى مدينة إسكندريّة (9)، يدخل في بحر الرّوم ثلاثة أميال، ماؤه حُلو(10) **[110و]** يملأ(11) أصحاب البَحر منه في الماء المالح على ثلاثة أميال، ومثل هذا نهر حجوز بالمصيصة بأرض أنطاكيّة بالشمال يملأ(11) منه أصحاب البحر على ثلاثة أميال في المالح.

---

(1)في الأصل : الحصْر.

(2)المقصود هو كافور الإخشيدي وهذا خطأ تاريخي لأنّ جيش المعزّ بقيادة جوهر الصقلّي فتح مصر، بعد وفاة كافور الإخشيدي بقليل، سنة 358/ 968 وبنى القاهرة سنة 359/ 969 ودخل المعزّ القاهرة سنة 362/ 972.

(3)زيادة اقتضاها التّركيب.

(4)تاريخيا حكم الإخشيدي مصر اثنتين وعشرين سنة. توفّي 357/ 968 (الأعلام : 5/ 216).

(5)شاطبة : مدينة في شرقي الأندلس مشهورة بصناعة الورق.

(6)لعلّها الكغاذ أو الكغاد : صانع الورق أو بائعه.

(7)في الأصل : قالوا، والكاتب لا يفرّق أحيانا بين المفرد والجمع.

(8)إضافة للتّوضيح.(9) مدينة البوغاز لم نتمكّن من تحديدها. ولم نتمكن من معرفة علاقتها بالإسكندريّة.

(10) في الأصل : خُلق .(11)في الأصل : يملوا.

[الطريق إلى الحجاز]

قال المؤلّف رحمه الله: نرجع إلى وصف الخروج إلى الحجاز. إذا كان يوم خمسة وعشرين من شوّال، تدور محامل السلطان بالزّينة والحرير والطبول والأبواق وتِزيان(1) الأسواق بجميع المواكل والزّاد إلى مكّة من جميع ما يحتاج في الطريق وما تسمع في جميع الأسواق إلاّ زادك لنبيّك. وتقشعرّ الجلود وتلين القلوب وتذرف العيون بالدّموع وتحنّ(2) القلوب إلى الخروج. ومن لم ينو الحجّ بطيب نفسه **[110ظ]** يخرج(3)، وتنكري(4) الجمال وتُصلح القرب يعني الأزقاق(5) للماء، والحمول للزّاد، وانجرد(6) الحجّاج: منهم مشاة على الأقدام(7)، ومنهم ركبان، ومنهم قويّ، ومنهم ضعيف، وغنيّ وفقير، وصحيح وسقيم، وقليل الزّاد وكثير الزّاد. والكلّ يصل بالعناية من الله، ومنهم بالمحاير(8) المزيّنات بالقباب الملوّنات ويغشونها بأثواب الحرير وأثواب الملف(9) الملوّن، وجمال بختيات(10) تحمل الأثقال من الزّاد والحريم والأولاد. ويخرج [ركب الحجاج](11) إلى بركة اليهود على باب النّصر حتّى تستوي الرّكايب. يخرج من مدينة مصر من الرّكايب خمسة ركايب: محمل السّلطان، والرّكب القدّامي، وركب إسكندريّة وركب الصعيد **[111و]** الأعلى، وركب التّكرور (12) للسّودان، ويجتمعون في البركة التي على القاهرة(13) بأربعة أميال، يقعدوا فيها أربعة أيام. ويرحل الركْب القدّامي متاع(14) مصر في اليوم الأوّل في خمسة وعشرين من شوّال، و[في](15) اليوم الثاني

(1) دراجة بمعنى تتزيّن. (2) في الأصل: تَخِرُ.
(3) في الأصل: ويخرج، والمقصود يبتعد عن القافلة. ويمكن قراءتها: «تطيب نفسه ويخرج» للفرجة.
(4) أي تُكرى (من الكراء). (5) الأزقاق: جمع زِقّ: جلد يجزّ ولا ينتف يستعمل لحمل الماء.
(6) في الأصل انجردت: والمقصود: تميّزوا. (7) في الأصل بالأقدام.
(8) جمع محارة أي الهودج. (9) في الأصل: المالوف. (10) نرجح أنها نوع من الجمال للحمولة.
(11) زيادة للتّوضيح. (12) التّكرور: أهل مالي والسّودان الغربي. (13) أي تبعد عن القاهرة.
(14) كلمة دارجة للدّلالة على النّسبة. (15) إضافة للتّوضيح.

[يرحل][1] محمل السّلطان، و[في][2] الثالث [يرحل][3] الصّعَايدة والإسكندريّون، و[في] الرّابع [يرحل مركب] المغاربة والتكرور: الأوّل يرحل، والثاني ينزل، وندخل باب البوايب [4] الأوّل من البرّيّة.

قال الرّاوي : فيه (أي باب البوايب) مكتوب : أيّها الدّاخل [أنت ك][5] المفقود والخارج كالمولود. نسير اللّيل كلّه لا[6] ننزل إلاّ في القليل من المواضع. وهي[7]مواضع الإقامة، نقيم[8] يوما أو يومين ونرحل[9] ونسير[10] في الفيافي والبراري **[111ظ]** والمقاطع والرّمال وجبال عالية تلحق السّحاب: جبال الحجاز المشهورة بالعلوّ والسّواد والوعر والحجارة، والعطش والخلاء[11] بلا عمارة ولا طَير يَطير، ولا حسّ ولا حسيس، ولا إنس ولا أنيس ولا خضرة ولا مرعى[12]، تدهش العقول وتذهل[13]، وتتباغض الأصحاب، وتتناكر الوجوه، وتقسو القلوب، فلا الكبير يرحم الصغير، ولا الغنيّ يرحم الفقير ويطعم المحتاج ويربح[14] الدّنيا والآخرة في تلك المهلكة : مهالك وأيّ مهالك ما رأتها العيون ولا وصفها الواصفون. وكلّ سفر يهون إلاّ سفر برّيّة الحجار فلا يهون. ومن قال : إنّه[15] لم يَعْي فيها مرّة راكبا أو ماشيا **[112و]** فإنّه يكذب، بل يعيا[16] الرّاكب والماشي.

قال ابن الصبّاح : كنت راكبا على ناقة صفراء اكتريتها بأربعة [دنانير][17] ذهبا موصَّلا إلى مكّة شرّفها الله، وكنت نَقُولْ باللّيل والنّهار: يا علي[18]، ننزل نمشي على رجليّ من عياء الرّكوب. قال [المؤلّف] [19]: كيف لا يعيا الرّاكب والماشي في أربعة[20] وستين مرحلة، سير اللّيل والنّهار، لا يفتر. ولقد رأيت الرّكب القدّامي ينزل

---

(1)إضافة للتّوضيح.(2)إضافة للتّوضيح.(3)إضافة للتوضيح.

(4) مفردها بويب وهو مدخل أهل الحجاز إلى مصر والعكس، حسب معجم البلدان. ونلاحظ أنّ المؤلّف نسي المركب الخامس. ونميل إلى أنّ المركب الثالث للصعايدة والرّابع للإسكندريّين والخامص للمغرب وتكرور.

(5)إضافة للتوضيح.(6)في الأصل : ما.(7)في الأصل : إلاّ.(8)في الأصل نقيموا.

(9)في الأصل : نرحلوا.(10)في الأصل تسيروا.(11)في الأصل : الخلا.(12)في الأصل : مرعا.

(13)في الأصل : تذهل العقول. (14)في الأصل يربحوا.(15)في الأصل : أن.(16)في الأصل يعي.

(17)زيادة للتّوضيح.(18) أي : يَالِيتْ، للرّجاء (دراجة). (19) زيادة للتّوضيح.(20) الصحيح : أربع.

ويقوم [و](1)الآخر لم ينزل ولا أكل ولا شرب حتّى يموت الرّجال بالعياء والجوع والنّعاس. وما يهلك الحاج إلاّ النّعاس وكثرة السّهر. وتنقطع ركايب الرّجال، وتعيا الجمال وتموت بالألف والألفين حتّى يفتقر أصحاب الجمال من شدّة الرّحيل والجدّ في السّير، والله إنّه **[112ظ]** لطريق الموت ولكن(2) الله لطيف بعباده، وهو حامل المقلّين بالزّاد القليل.

قال الرّاوي : نرجع إلى وصف المراحل : أوّلُ ما ندخل(3) أرض عجرود(4)، فيها ماء أمرّ من الصَّبِر لا ينشرب ولكن بشدّة(5) العطش يشرب الرّجل بولَه وبول الجمل لو أصاب. ثمّ مراحل وادي القباب (6) : مهلكة رمل يصبح الرّمل في موضع ويمسي في آخر، تحمله الرّياح وتنقله من موضع إلى موضع كالجبال. تسودّ العيون وتهلك الرّجال، وتغيب فيه الجمال وتأتي فيه المعرفة والدّلائل الذين هم يدلّونه(7) من مائة عام(8)، بأدلّة من جدّ إلى جدّ(9) بالعقود والشّهود والدّليل والبرهان. تدور عليهم السّماية(10) والأرض **[113و]** ولا يعرفون أين الطريق حتى ينزلوا ويهتدوا بالأدلّة وأصحاب المعرفة والهداة الذين(11) يحدون أمام الحجّاج. ويقولون : يا حاد أحْدُ بنا إلى بيت الله وقبر الرّسول، يُسلّون(12) بذلك الكلام قلوب الحجاج، [و](13) يُسمّونهم الحداة(14)، [وهم](15) يمشون أمام الرّكايب بالعلامات، يقفون على الكُدَى(16) العالية حول الطّريق. ثمّ نرحل(17) إلى أرض مَدْيَن(18)ومغارة النّبيء شعيب الرّسول، وبئر

(1)زيادة للرّبط.(2)في الأصل : ولاكن. (3)في الأصل : ندخلوا.
(4) عجرود : أوّل منزل من منازل الحجّ من مصر.(5)بشدّة أي من شدّة .
(6) وادي القباب : يعرف بواد التّيه وهو المنزل الذي يأتي بعد عجرود.
(7)الضمير يعود على الحجّاج وقد استعمل ضمير المفرد.
(8)التّحديد الزّمني هنا للدّلالة على طول المدّة.(9)أي يأخذونها أبًا عن جدّ.(10)أي السّماء.
(11) في الأصل : الجدّات : جمع جدّة وهي العلامة.(12)في الأصل يتسلّون.(13)زيادة للرّبط.
(14)في الأصل : حدات ومفردها حادٍ : وهو الذي يسوق الإبل ويغنّي لها.
(15)زيادة للرّبط.(16)الكدى جمع كدية : المرتفع من الرّمل.(17)في الأصل : نرحلوا.
(18)في الأصل مداين، ومدين : نبيء من بني إسرائيل. سمّيت باسمه بلدة في مصر تقع على البحر الأحمر محاذية لتبوك (المنجد في اللّغة والأعلام ص 481. انظر كذلك كتاب البلدان لليعقوبي ط. النّجف 1957 ص 94).

سقي الغنم الذي سقى موسى عليه السّلام لهم(1). ثم نرحل إلى مراحل تيه بني إسرائيل الذي هَلَك(2) فيه العاصون(3)منهم. [أرض](4) التيه هي التي قعدَ(5) فيها بنو إسرائيل أرْبعين(6)سنة حتى ماتوا خلال(7) الأربعين سنة[113ظ]، ولم يَدخل الأرض المقدّسة(8) إلاّ ذرّيتهم(9)ثمّ نرحل(10)إلى مراحل عقبة إيلة(11) على بحر فرعون وجازه(12) بنو إسرائيل بأسًا(13). نقيم فيها ثلاثة أيّام [وهي](14) على مصر(15) بثمانية أيّام [و](16) كان فيها ميتة(17)فرعون. قال [الرّاوي](18): عقبة إيلة هي التي على حاضرة البحر الذي انفلق لموسى وغرق فيه فرعون وقومه(19). وساحله هو الذي نصّ الله تعالى [عليه](20) في كتابه. وهي الآية التي هي قوله تعالى : ﴿ **وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ**﴾ (21). [وتلك](22)قصّتهم في حديث يطول. ومسخهم الله قردة(23). وعلى هذا البحر جبل الطور الذي نزلت فيه التّوراة(24) على موسى، وهو القلزم اليماني. جبل الطور يَسْكنه(25) [114و] اليوم رهبان من النّصارى. ثمّ ندخل(26) إلى مراحل الأزلام (27)، نُقيم فيه يوم واحد، فيه ماء مرّ مسموم. قال الرّاوي : والله

---

(1)الضمير يعود على شعيب وأهله والمقصود: سقى لهم غنمهم.
(2)في الأصل : هلكوا.(3)في الأصل : العاصيون.(4)زيادة للرّبط.(5)في الأصل : قعدت أي مكث.
(6)في الأصل : أربعون.(7)في الأصل : بالأربعين.
(8)إشارة إلى الآية : ﴿ **قَالَ فَإِنَّهَا مُحرّمةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سنةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ**﴾ (5 م المائدة، آية 26).
(9) في الأصل : دراهم.(10)في الأصل : نرحلوا.
(11)هل المقصود مرفأى «العقبة» في الأردن، و«إيلات» في إسرائيل.؟
(12)في الأصل : جازوه، وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**وَجَاوَزْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ**﴾ (10 ك. يونس، آية 20).
(13) في الأصل : بيسًا.(14)زيادة للرّبط.(15)أي تبعد عن مصر.(16)زيادة للرّبط.(17)في الأصل:ماية.
(18)زيادة للرّبط.
(19)إشارة إلى الآية : ﴿ **وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ**﴾ (10 ك. يونس، آية 90).
(20)زيادة للتّوضيح.(21)(7 ك. الأعراف، آية 163).(22)زيادة للرّبط.
(23)إشارة إلى الآية : ﴿**فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ**﴾. (7ك. الأعراف، الآية 166).
(24)وهو الجبل الذي أشارت إليه الآية : ﴿**فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا**﴾. (7ك. الآية 143).
(25)في الأصل : يسكنوه.(26)في الأصل : ندخلوا.
(27) الأزلام مفرده الأزلم مرحلة ذكرها البكري قائلا : ماؤه ملح أجاج، ما شربه إنسان إلاّ احتاج إلى علاج» (المسالك ج I / 40).

لقد شربت منه غرفة واحدة فنفدت(1) من ورائي ومن قدامى بالدّم من شدّة سمومه ومرارته. ثمّ نرحل(2) إلى وادي عنتر، والمويلح المعطشة أعظم العطش. قال الرّاوي: والله لقد كنت في هذه المرحلة راكبا على ناقتي الصّفراء في وقت غروب الشّمس، وإذا بخمسة أنفس قد وقعوا أمامنا موتى من العطش، فقلت سبحان الله : هذا الماء عندنا، اسقوهم فجروا إليهم بالماء، فإذا هم موتى أسرع من طرفة عين، فقلت: سبحان الله وهل يموت أحد من العطش؟ **[114**ظ**]**، فضحك المصريّون من كلامي وقالوا(3)لي: يا مغربي بأيّ شي تموتون في بلادكم، فقلت : بإذن الله وقطع العمر والأجل المسمّى والجوع، وأمّا العطش فلا : قالوا : هذا يدلّ على أنّ بلادكم غير معطشة. قلت : والله لقد رأيتهم يموتون من العطش كمثل الحوت إذا ألقيته في الرّمل. إنّ موت العاطش أهون من موت الحوت(4).

قال الرّاوي : [ثمّ](5) نرْحل(6) إلى مرحلة الحوراء(7) [و](8) فيها ماء بارد حلو، وتمر العجوة(9)اشتريتها ستّة أرطال بدرهم نقرة إثنا عشر فردًا من فضّة الضّرْبح (10) متاع أرض بلنسيّة، ثمّ نرحل(11) إلى مرحلة عيون القصب بساحل (12) البحر القبلي، فيها الماء العذب، ثمّ نرحل(13) إلى مدينة الينبوع(14) فيها **[115**و**]**نقيمُ(15) أربعة أيّام نجدّد(16) الزّوّادة(17)إلى مكّة. وفي كلّ إقامة تنتصب الأسواق [ويكون](18) البيع والشراء وتجد فيها «لبن الطّير» [كما جاء](19) في المثل من كثرة ألوان المواكل، ولكن وزن بوزن الفضّة بالطّعام(20). و[عند](21) السّير باللّيل تجد المواكل على الطريق من كثرة

---

(1)أي يخرجت.(2)في الأصل : نرحلوا.(3)في الأصل : فقالوا .
(4)الجملة في النصّ جاءت على النّحو التالي : أو أهين من الحوت العاطش من موت الحوت.
(5)زيادة للرّبط.(6)في الأصل : نرحلوا. (7)في الأصل : مراحل الجرا. (8)زيادة للرّبط.
(9)العُجوة : التمر المحشوّ في وعائه. (10) الضّربح : هو ضرب السكّة بلغة شرقي الأندلس.
(11)في الأصل : نرحلوا. (12) منزلة من منازل طريق الحجّ من مصر. (13) في الأصل : نرحلوا.
(14)المقصود : مدينة ينبع شمال مكّة على ساحل البحر. (15)في الأصل : نقيموا.
(16)في الأصل : نجدّدوا.(17)أي الزّاد. (18) زيادة للرّبط.
(19)زيادة للتّوضيح. والمعنى هو أنّك تجد في هذه الأسواق ما هو صعب وجوده.
(20)يشير إلى غلاء المعيشة.(21)زيادة للرّبط.

الشّمع والضوء. عند كلّ أمير وأصحاب الفخاير(1)، لهم المشاعل من حديد توقد طول اللّيل يحملها الرّجال الشداد(2) على رقابهم بالرّواتب العظام، [وهي](3) مشاعل مثل بُرْم(4) النّحاس مملوّة بفلاَق الحلاّب(5)، والجمال موفورة ورجال يعْجلوا(6)كلّما فنى المشعل عمّروه بالفليق(7) اليابس، يكون من هذا المثل ألف ألف مشعل في كلّ ركب حتى يبقى(8) الضوء للرّاكب والماشي **[115ظ]** والقويّ والضعيف. هذا في ركائب مصر المذكورة وقوّتها المشهورة، لا يكون أحد من أهل الأرض أقوى(9)منهم ولا أمنع منهم، ولا أمكن منهم في برّية الحجاز.

قال المؤلّف : والله لقد رأيت الرّاكب(10) من أهل المحاير(11)والقباب والمحامل يأكلون ويشربون على رحائلهم مثل من هو في بيته ويرقد هو وامرأته في شقّ المحارة، والمواكل في الوسط بينهم والخدّام يخدمونهم باللّحم المشوي وكثرة الألوان، هو وعياله يتفرّجون كأنّهم يمشون للعرس بالأثواب المزينة والمواكل الطبيّة والنعمة الكاملة. منهم بعشرين جمل، ومنهم بمائة جمل **[116و]** ومنهم بألف جمل، ومنهم بألفي(12) جمل. كلّ واحد على قدر طاقته من المال والتّجارات، ودنيا وخيرات لا تنحصر ولا يعلمها إلاّ الذي وهبها لهم وهو الله. والمساكين ماشين(13) على أقدامهم وزَوّادتهم(14)على ظهورهم(15)، ومنهم بغير زوَّادة يسعى (أي يتسوّل) في الرّكايب، والله رازق العباد وحامل المقلّين. ثم نرحل(16) إلى بدر المذكورة، ونقيم(17) فيها يوما واحدًا، ثم نرحل إلى مراحل البزوة (18) : مهلكة رمل، وهي ثلاثة أيّام(19). تغيب

---

(1)أي أصحاب الجاه والفخر. وقد تُقرأ أصحاب المحاير (جمهع محارة) وهي الهودج.
(2)أي الأشدّاء. (3) زيادة للرّبط. (4) أي ما يُبرم.
(5) فلاق الحلاّب : يقال لها في الدّارجة التّونسيّة : النّجارة وهي فتات اللّوح.(6)أي رجال مستعجلون.
(7) الفليق : نرجّح أنّه هو الفلاق الذي ذكره سابقا، وبالدّارجة التونسية الفليق هو الحبّ المطحون بالرّحى في شكل أجزاء صغيرة.
(8)في الأصل : يبقا. (9)في الأصل : أقوا. (10)الرّاكب : مفرد يقصد به الجمع أي الرّكاب.
(11)واحدتها محارة وهي الهودج يكون على شكل محارة. (12)في الأصل : ألفين.
(13) الصحيح : يمشون.(14) في الأصل : زوّادته.(15)في الأصل : على ظهره.(16)في الأصل : نرحلوا.
(17)في الأصل « نقيموا.(18) ذكرها العبدري في رحلته ص 164.(19)أي مدّة السّير فيها ثلاثة أيّام.

الجمال في رملها ثلاثة أيّام، ينزل الجمل في الرّمل إلى ركبته، وتموت فيها من العياء والنّعاس. ونخرج إلى خليص ورابغ (1) وهو الجحفة (2) ميقات الإحرام. **[116ظ]** قال المؤلّف : الجحفة ميقات المصريّين. وبالمغرب من يحرم فيه بالافراد ويحرم قارنا، ويحرم بعضهم متمتّعا، والنّاس على قدر محبّتهم في الفضل. الإفراد عند مالك أفضل(3) والتمتّع عند الشافعي (4) أفضل، والقران عند أبي حنيفة (5) أفضل. وكلٌّ فاضل ومقبول عند الله.

قال الرّاوي : نصوّر الإفراد والتمتّع والقران. صفة الافراد : تغتسل في ميقاتِ رابغ، فيه الحفر والحصى، وحفر الماء في الرّمل، تغتسل، وتتجرّد من مخيط الثياب وتنوي أيّ نيّة شئت مفرِدًا أو متمتّعا أو مقرنا. أمّا المُقرِن فينوي الحجّ قبل العمرة، ويقول وقت تجرّده من مخيط الثياب ويلتوي (6) في الكساء **[117و]** أو الملحفة، يقول: لبّيك اللّهم لبيّك، وهكذا يفعل في التمتّع، ولكن يسبّق نيّة العمرة على الحجّ، ويدخل إلى مكّة، فإذا دخل مكّة لَبس ثيابه لأنّه قد خرج من عمرته فيبقى بثيابه إلى الطلوع إلى جبل عرفات، يعرّي المخيط ويحرم بنيّة الحجّ، ويجب عليه الهدي [وهو](7)أن يذبح شاة يتصدّق بها على المساكين لأجل التّرفّه والرّاحة بالثياب، والمقرن ينوي الحجّ أوّلا ويردف معه العمرة في وقت واحد، ويبقى(8) محرما حتّى يفرغ من حجّه. ويجب عليه هدي يذبحه ويتصدّق به على المساكين، والمفرد يبقى محرما حتّى يفرغ من حجّه،[و](9) يأتي بالعمرة يوم الرّحيل **[117ظ]**، ولا عليه شيء.

ثمّ نرحل(10) بعد الاحرام من رابغ الجحفة المذكورة إلى خليص كما تقدّم. [و](11)خليص سوق من أسواق العرب فيها التّمر وحوايج العرب.

---

(1) خليص ورابغ ذكرهما العبدري في رحلته في صفحات متعدّدة (انظر الفهرس ص 322).
(2) الجحفة : ذكرها اليعقوبي. باعتبارها من المراحل الأخيرة في طريق الحجّ (كتاب البلدان ص 94).
(3) في الأصل : لمالك. (4) في الأصل : للشافعي. (5) في الأصل : لأبي جنيفة.
(6) بمعنى يلفّ جسمه بالكساء.(7)إضافة للرّبط.(8)في الأصل : يبقا.(9)زيادة للرّبط.
(10)في الأصل نرحلوا.(11)زيادة للرّبط.

قال المؤلّف : والله لقد أحرمت بالإفراد وكشفت رأسي [فـ](1) ما كان ثلث النّهار إلاّ ورأسي قد انتفخ من شدّة الحرور(2)، حتى كان قدر الغرب(3)متاع الحمّام، غطيّتُ(4) رأسي وفديت(5).

ثمّ نرحل إلى بطن مرّة (6)، وهو يبعد على مكّة بثلاثة مراحل، وندخل(7)مكّة شرّفها الله. منهم : الرّكب الأوّل يدخلها أوّلا ليأتي من مهل ذي الجحفة. والعِير(8) الثاني والثالث والرّابع والخامس والسّادس إلى اليوم السّابع **[118و]** يومَ التّروية (9) يومَ الطلوع إلى منى: [فيدخل الرّكب الأخير] (10) وهو ركب العراق.

قال ابن الصبّاح : كلّ ما ذكرناه من مراحل بريّة الحجاز طرق في واد(11) بين جبال سود عالية مع السّحاب، حجارة سود بلا شجر(12)ولا خضرة، والشجر الذي فيها بلا ورق من شدّة الحرّ. جبال مكّة والحجاز مسيرة شهرين، [وهي](13) مثل الحريق، تقول الدّخان جرى(14) عليها والنّار. بلاد حارة : الشّتاء والصّيف كلّه سواء. ودليل ذلك قوله عليه السّلام : «من صبر على حرّ مكّة وجوع المدينة ضمنت له على الله الجنّة».

(1)زيادة للرّبط.(2)أي الحرّ.(3)الغرب : القدح، القدر العظيمة.(4) في الأصل : حتّى غطّيْتُ.
(5)فديتُ: قدّمتُ فدية أي هديا: والمعنى أنّ المؤلّف لم يحتمل الحرّ عندما عرّى رأسه، فغطّاه للاحتماء من أشعّة الشمس وحرارتها فوجب عليه الهدي.
(6) في الأصل : مرّة. وهو آخر منازل الحجّ للقادم من مصر (اليعقوبي كتاب البلدان ص 94).
(7)في الأصل: ندخلوا.
(8)في الأصل : الغير. وهنا يقصد : القوافل القادمة إلى مكّة خلال كامل أيّام الأسبوع.
(9) التّروية : يوم الثّامن من ذي الحجّة، وفيه يتزوّد الحجاج بالماء.
(10) إضافة للتّوضيح.(11)في الأصل : وادي.(12)في الأصل بلا شجرة.
(13)زيادة للرّبط.(14)في الأصل : جرا.

[الدّخول إلى مكّة]

قال ابن الصّباح : والله لقد دخلت مكّة شرّفها الله، **[118ظ]** فهلّ علينا الهلال ونحن نطوف(1) بالكعبة الشّريفة. فللّه الحمد كثيرا كما هو أهله. والحمد لله الذي سَلّمنا الله من تلك المفاويز(2)والقفار المهلكة والجبال الوحشة. كم من حاج ينتظره(3)أهله وهو قد مات عطشا، وكم ممّن سلكها(4) ولم يبلغ حجّه، وكمْ ممّن أنفق ماله ولم ينله(5)، وكم من سلطان يتمنّى النّظر في تلك الكعبة الشريفة ولم يرها(6)، وكم من أمير ووزير يريد المشي ولا يحتمل، وكم من تاجر يريد[أن](7) يصلها(8) بالمال ولا يصل لها. وكم من مذنب يريد أن يطهّر ذنبه **[119و]** بالوقوف على عرفة ولا يُعْطى(9). وكم من متمنّ(10) يتمنّى(11) الوصول إليها ولا يصل. وكم من واصل إلى نصف الطريق ولم يبلغ، وكم من بلغ إلى يوم منها(12) ولم يبلغ، وكم من زعيم بماله ورجاله ولم يحتمِلُ(13). وكم من غنيّ زعيم بغناه لم(14) ينفعه غناه، وكم من فقير يائس(15) [من الوصول](16) بلغ(17)، وكم من حقير حُقر لفقره وبلغ مراده. وكم من أموال كُسبت وجُمعت بالقناطير المقنطرة ولم يبلغ [صاحبها](18) ذلك الموضع الشّريف(19)وكم من قلّيل(20) بلغ بالعناية من عند الله ولم يحتج إلى مال ولا إلى زاد ولا ركوب، إلاّ أنّه حملته العناية. ومن قال: إنّ ذلك الموضع لا يُبلغ إلاّ بالمال **[119ظ]** والجِمال(21)

(1)في الأصل : طائفون.(2)المفازة تجمع على مفازة لا على مفاويز.(3)في الأصل : ينتظرونه.
(4)الضمير يعود على المفاوز.
(5)في الأصل : لم يناله، والإصلاح موجود في الهامش على نفس مستوى السّطر. والضمير يعود على الحجّ.
(6)في الأصل : لم يراها.(7)زيادة للرّبط.(8)في الأصل : يُريد يوصلها.(9)في الأصل : يعطا.
(10)في الأصل متمنّي.(11)في الأصل : يتمنّ.(12) أي على بعد مسيرة يوم من الكعبة.
(13) أي لم يحتمل السّفر.(14)في الأصل : ولم.(15)في الأصل : ءايس.
(16)زيادة للرّبط.(17)في الأصل : وبلغ.(18) إضافة للتّوضيح.(19)المقصود مكّة.
(20) القلّيل بالدّارجة التّونسيّة هو الفقير.(21)في الأصل: الجَمال.(22)الزّوائل أو الزّوايل بالدّارجة التّونسيّة تعني الحيوانات.(23)في الأصل : نكر.(24)في الأصل : بل هو الحامل سبحانه.

والزّاد والزّوائل(22) فقد أنكر(23) نعمة الله وعنايته، بل الله هو الحامل سبحانه(24).

[الكعبة]

قال المؤلّف : بلغنا مكّة والكعبة الشّريفة ببكّة وسلّمنا عليها من باب بني شيبة المبارك علينا وعلى كلّ من رآه. ورأينا الكعبة وبكينا ولذلك تسمّى بكّة، لأنّها تُبكى من نظر إليها، ولو كان قلبه مثل الحجر يبكي بلا خلاف. ونحن – لله الحمد– وصلنا بعناية الله وجاورنا بالحلال من بقيّة مال والدينا إذ(1) كان مالا حلالا، وبه وصلنا إلى هذا المقام وجاورنا، وبلغنا المراد من الله وتطهّرنا(2) من الذّنوب السّابقة، خرجنا إلى أبينا(3) ودعونا كما وجب علينا. ولله **[120و]** علينا نعم لا تحصى، ولله الحمد كثيرا والشكر مادامت أرواحنا في أجسامنا. والرّوح والنّفس تتمنّى يوم البعث وأن يدخل(4) المؤمنون الجنّة. ونتوسّل بسيّد الأوّلين والآخرين بنبيّنا وشفيعنا محمّد العربي القرشي الهاشمي العدناني خير ولد إبراهيم الخليل وإسماعيل الصّادق بالوعد الجميل ﷺ ما دام(5) الدّاعون(6) يدعون بالخير إلى محمّد وآل محمّد بالصّلاة والتّسليم إلى يوم الحشر والدّين صلاة تفوح مسكا وتعبق عبقا بريح طيب(7) الجنّة والرّضوان مادامت الدّقائق والسّاعات والأيّام والجُمع والشّهور والسنون(8) والأيام المباركة **[120ظ]** من الأعوام والدّهور بعدد الشّهور والحساب من جري الأيّام حتّى يصير النّاس فريقا في الجنّة وفريقا في السّعير، صلاة متّصلة برضاء الرّبّ الكريم والمولى العظيم(9) إلى أن نحضر(10) سرّ حضرة القدس في الكرامة مَعَ **﴿النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾**(11)، آمين آمين، نحن وجميع المسلمين ويشفع بعضنا في بعض، ويسلّم بعضنا على بعض في دَار السّلام وجنّات النّعيم، والحمد لله ربّ العالمين.

---

(1) في الأصل : إذا.(2) في الأصل : اطهرتا.
(3)«أبينا» واضحة في كتابتها غامضة في معناها، ولعلّها مكان.(4)في الأصل : يدخلون.
(5) في الأصل : ما دامت. (6)في الأصل : الدّاعيون.(7) في الأصل : طيّبة(8)في الأصل : السّنين.
(9) الأصل : العضيم.(10) في الأصل : نحضروا.(11) 4م. النّساء، الآية 69.

قال المؤلّف رحمه الله : جاوزْت مدينة مكّة، والكعبة الشّريفة بيتَ الله الذي قامت عليه السّماوات والأرض، وضعه[1] **[121و]** على وجه الماء قبل الأرض، وبعد ذلك من تحته دُحيث الأرض، ومن تحته خلق الله التّربة التي خلقَ الله آدم منها. ومن تلك التّربة خلق الله جميع ألوان التّراب . وعلى هذا البيت الشّريف دوران الفلك والشّمس والقمر والنّجوم والبروج والمزيّنات التي تسير فيها الشمس. وهي قبّة[2] الأرض، وعجائبها[3] لا تنحصر، ولكن[4] ذكرنا بالاختصار[5].

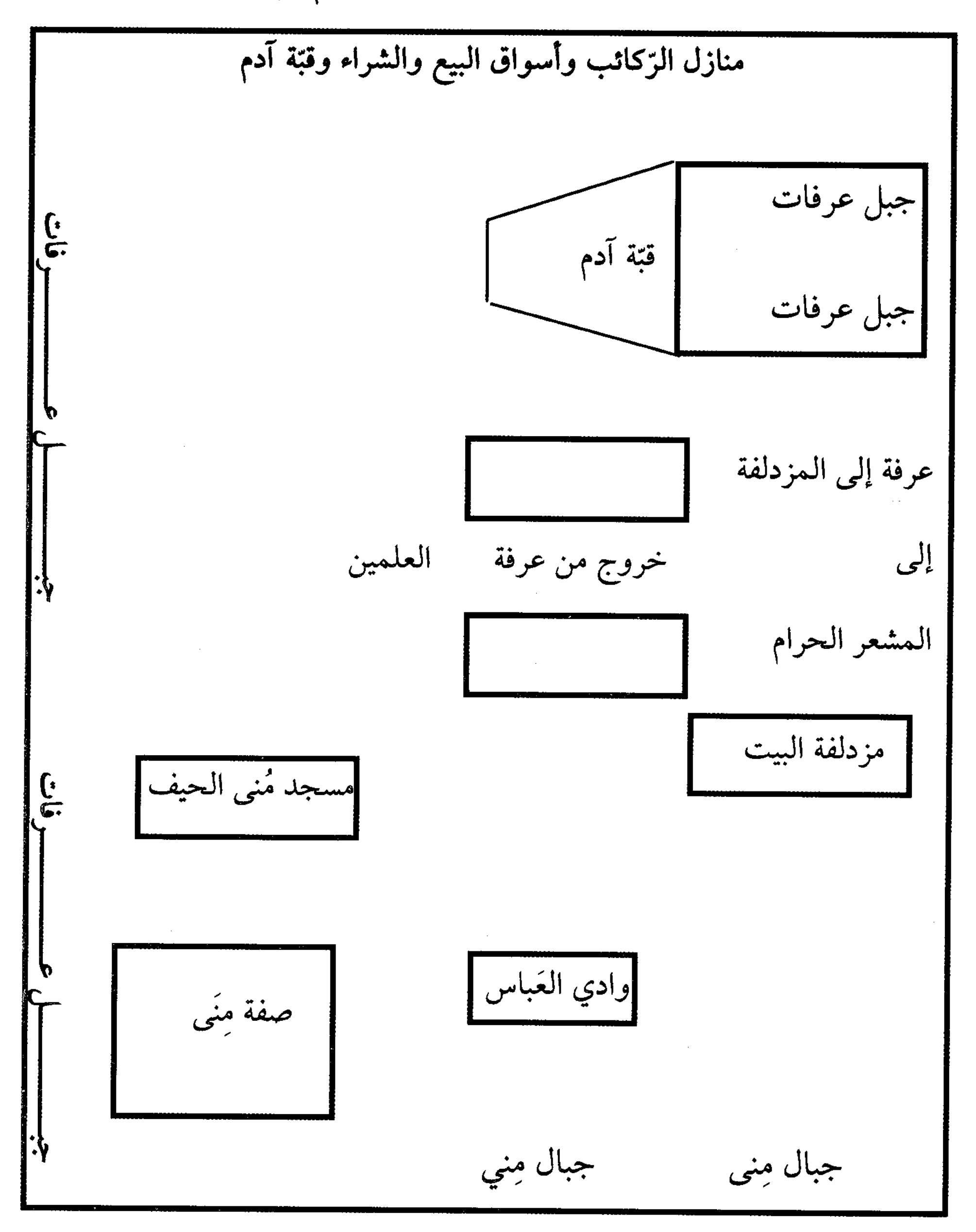
وهذه صفات عرفة والمزدلفة والمشعر الحرام، أعاد الله علينا وعلى جميع المسلمين من بركاتها آمين آمين، آمين يا ربّ العالمين.

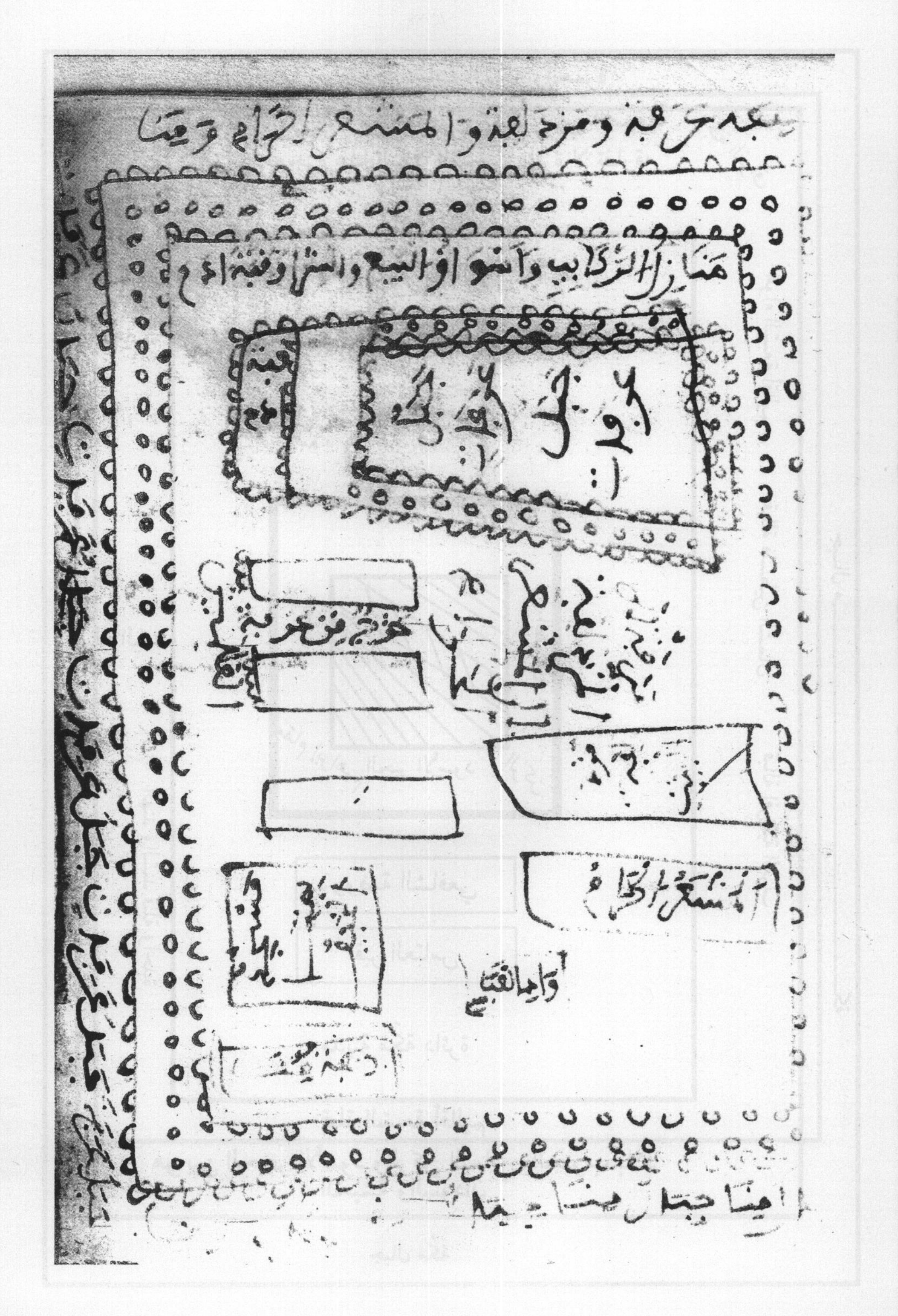
[122ظ] قال عبد الله بن[6] الصبّاح : صوّرنا هذا البلد الأمين والكعبة الشّريفة وحرمها المبارك ومناسكها المشهورة الشّريفة كما تراها[7] أيّها القارئ والمستمع، فوجب علينا أن نذكر وننشر مفاخر هذا الذي صوّرناه، ونذكر فضائل هذه الجزيرة الكعبة الشريفة[8] وما خصّها[9] الله به على سائر البيوت في الأرض، وما أعطى قاصدها من الجزاء [الكثير، وخصّ][10] مجاورها بالكفاية[11]. وما أعطى الله لهذا الحرم من الوفاء وأهله من الكفاية كفَاية[12]، وكفى بهذه **[123و]** الكعبة الحرام أنّ من دخلها كان آمنا من كلّ آفة وعاهة وجميع البليّات، وأمّنه [13] الله من جميع الرّدى، ومعجزاته ظهرت وانتشرت وبانت بما فيه الكفاية بالآيات والمعجزات الكثيرة. ولو نصفها طول عمر نوح ما نبلغ ربع الرّبع ولا ثمن الثّمن. ومن معجزاته الكرام. آدم وذريّتُه من بعده الأصفياء المذكورون بالخِلّة[14] والشّرف والقرابة وإبراهيم الخليل وبعده ذرّيته المشهورين[15] بالنبوّة والرّسالة: إسماعيل ولد هاجر المخصوصة بالذريّة المباركة،

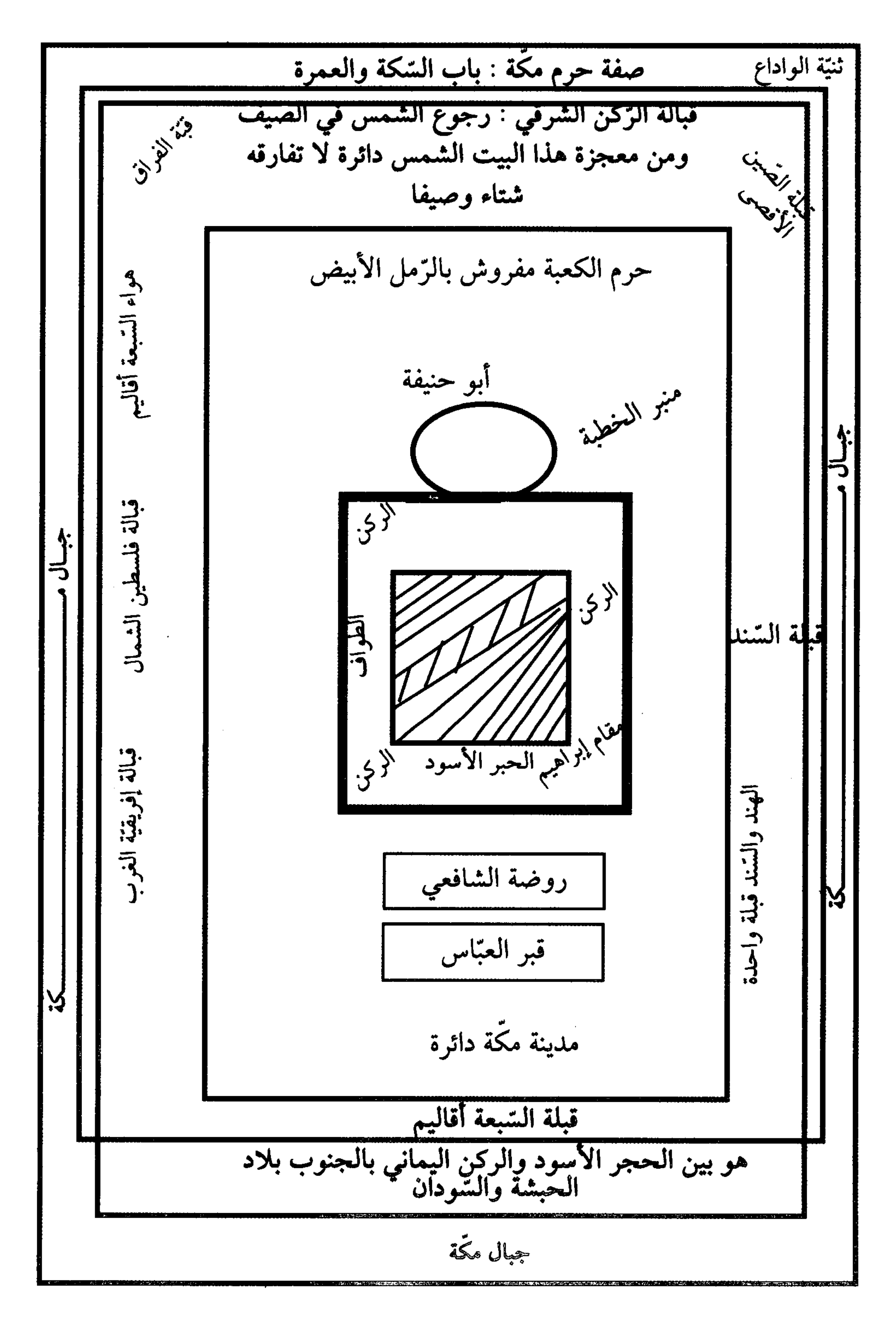
---

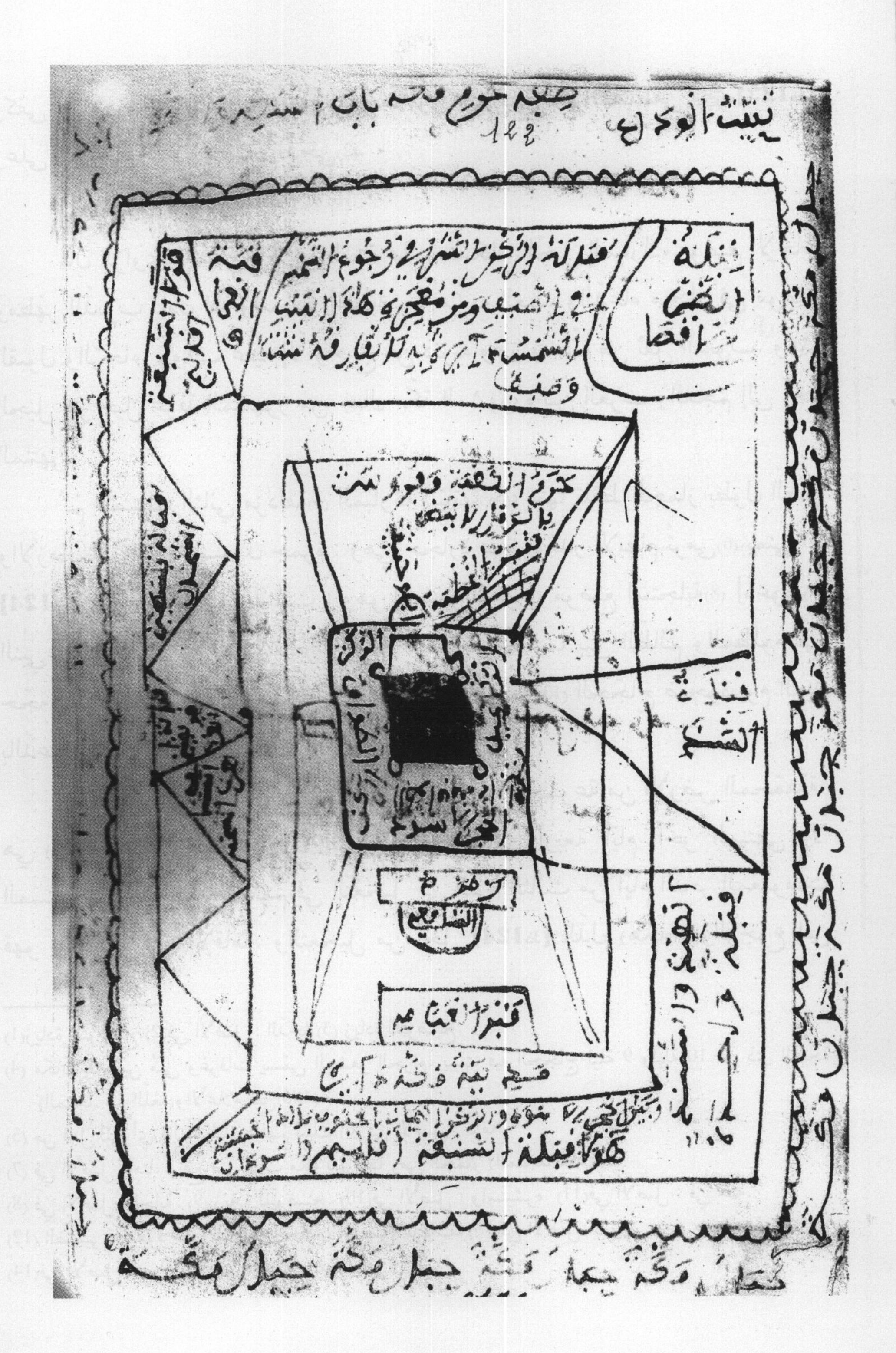
(1) الضمير يعود على البيت. (2) في الأصل : خوبة. (3)في الأصل: لاكن.(4) الضمير يعود على مكّة.
(5) في الأصل : الاختصار.(6) في الأصل : ابن.(7) انظر ص 115 و ص 116.
(8) استدارة البناء حول الكعبة اعتبره المؤلّف جزيرة.(9)في الأصل : أخصّ، وخصّ بمعنى فضّل.
(10) زيادة للتّوضيح.(11)في الأصل : الكفا، والمعنى أنّ أهل مكّة يستغنون بها عن غيرها من المدن والأماكن.
(12) في الأصل : الكفا، وكرّرها للتّأكيد.(13) في الأصل : أمته.(14) الخِلّة لغة الصّداقة والإخاء.
(15) في الأصل : المشهورة.

صفة عرفة ومزدلفة والمشعر الحرام ومِنى




منازل الركايب وأسواق البيع والشرا وقبة ادم
المشعر الحرام
واد المقبس


صفة حرم مكّة : باب السّكة والعمرة
ثنيّة الوادع
قبالة الرّكن الشرقي : رجوع الشمس في الصيف
ومن معجزة هذا البيت الشمس دائرة لا تفارقه
شتاء وصيفا
قبّة الفراق
قبلة الصين الأقصى
حرم الكعبة مفروش بالرّمل الأبيض
هواء السّبعة أقاليم
أبو حنيفة
منبر الخطبة
قبالة فلسطين الشمال
الركن
الركن
الطواف
قبلة السّند
مقام إبراهيم
الحجر الأسود
الركن
قبالة إفريقيّة الغرب
الهند والسّند قبلة واحدة
روضة الشافعي
قبر العبّاس
مدينة مكّة دائرة
جبال مكة
جبال مكة
قبلة السّبعة أقاليم
هو بين الحجر الأسود والركن اليماني بالجنوب بلاد
الحبشة والسّودان
جبال مكّة



وكفى بها من هاجر إذ وضع (الله)(1) عندها نور خيار بني آدم المصطفى ﷺ **[123ظ]** وعلى آله وأصحابه مصابيح الدّجى(2).

[المناسك]

قال الرّاوي : نذكر أوّلا من الستة عشر منسكا : الجبل المبارك، موضع الإجابة ومطهّر الذّنوب بإذن الله وأسباب [الله](3). ما مرّ به العبد، والدّعاء مختار في موضع القبول والرّجاء، ووقف عليه إلاّ وخرج من ذنوبه وفاز وخفّ من ثقل الذّنوب. وهذا الجبل هو جبل عرفة المشهور من جبال مكّة المشهورة بين العرب والعجم إلى آخر المنتهى.

ثمّ المنسك الثاني مزدلفة(4) المباركة لبيّاتها (5)، منها تلقط الجمار بطول العمر والأزمان إلى الأبد، سبعون جمرة : وهي حجارة صغيرة قدر الإبهام تُرمى(6) بمنى(7). **[124و]** ثمّ نذكر المنسك الثالث : وهو المشعر الحرام، موضع استجابة(8) [دعوة](9) النبيء عليه السّلام، واستبشاره(10) لأمّته(11) بالغفران فيما بين الظّالم والمظلوم في حجّة الوداع، حجّة الإسلام فرض التّمام، عليه(12) يدور(13) الحجّاج ضحوة يوم العيد بالدّعاء والرّجاء.

ثمّ نذكر القرية المباركة منسك الإقامة للأمّة المجموعة من الأرض المحمّديّة، هي (14)مجمعهم حيث يرمون السبعين حصاة في أربعة أيّام آخر المنتهى إلاّ المستعجلين فإنّه صفح عنهم في التّعجيل في اليوم الثالث من أيّام النّحر المعلومات فهو يوم معدود(15)الإقامة. والتعجيل من أجل **[124ظ]** الذّل (هكذا) والرّجوع إلى

---

(1)زيادة للتّوضيح.(2)في الأصل : الدّجا.(3) زيادة للتّوضيح.

(4) مكان يقع بين مُنى وعرفات يسمّى المشعر الحرام، يبيت فيه الحجّاج ليلة 9 وليلة 10 من ذي الحجّة (المنجد في اللّغة والأعلام ص 486).

(5) من فعل لبّى أي قال : لبّيك اللّهمّ لبّيك.(6) في الأصل : تُرما.

(7) في الأصل : مِنا، وتقع مِنى قرب مكّة يتمّ فيها رمي الجمار (المنجد 503).

(8) في الأصل : إجابة. (9) زيادة للتّوضيح. (10)في الأصل : واستبشره. (11)في الأصل : في أمّته.

(12) الضّمير قد يعود على المشعر الحارم، أو جبل عرفات. (13)في الأصل: تدور.

(14)في الأصل : هو. (15) في الأصل : معدودين.

الأهل والوطن وخوف البريّة. صفح الله عنهم بكلامه العزيز القديم والقرآن العظيم والسّير في حقّ الحجّ المجهود، ذلك تحقيق الله ورجاؤه المكنون في(1) غيره من الكتب المنزّلة.

يرمون السّبعين جمرة كلّ يوم بعد صلاة الظّهر. وقد خيّر في الرّمي بعد العصر والمغرب في بعض المذاهب الأربعة تخفيفا(2) من الله على هذه الأمّة المباركة ونبيّها المصطفى.

ثمّ مناسك الحرم الشّريف: حرم الكعبة الشّريفة القدر عند الله المتميّزة عن غيرها، في مشارق الأرض ومغاربها **[125و]** وأوّل منسك من المناسك هي الكعبة الشّريفة بذاتها، لها من المنسك دائرة بها في حرمها وخارجة عنها مثل الصّفا والمروة. والمسعى، خارجة [عن الكعبة](3) من وراء باب الحرم بالسّوق المشهور بالمسعى.

ثمّ نذكر الحجر الأسود في الرّكن العراقي، ومنه ترجع الشّمس إذا بلغته في الشتاء يوم سبعة من دجنبر(4) وتعود إلى الرّكن الشّامي في اليوم الرّابع والعشرين من يونيه(5) وهو(6) أطول نهار(7) في السّنة.

ثمّ نذكر [المناسك](8) المتّصلة بها في ذات نفسها مثل الحجر الأسود المقبّل بالفم واليد والإشارة وقت الزّحام الكثير من الطائفين بالعشيّة والغداة(9)، لا يطيق (10) الرّجل تقبيله وحده لا بالنّهار ولا باللّيل **[125ظ]**، ولا بالسّاعات ولا بالأوقات، لا نهارًا ولا ليلا إلاّ بالزّحام دائم الدّهر والأبد(11). وهو(12) موضع ابتداء الطّواف بالتّكبير والعودة إليه في كلّ شوط من الأشواط السّبعة بالكعبة، البيت الشّريف: منها ثلاثة بالجري، والأربعة [الباقية](13) بالمهل، والتسبيح والتّحميد والتكبير بالباقيات الصّالحات. تقولها في ابتدائك عند الحجر الأسود : أوّلا تنوي الطّواف بالعبادة

---

(1) في الأصل : من. (2)في الأصل : تخفيف.(3)زيادة للتّوضيح.(4) المقصود : ديسمبر.
(5)يونية : جويلية. (6)في الأصل : هي. (7)في الأصل : نهارًا.(8)إضامة للتّوضيح.
(9)في الأصل : الغدات.(10) أي لا يسطتيع الإنسان تقبيل الحجر الأسود لكثرة الزّحام.
(11)التأكيد على صعوبة الوصول إلى الحجر الأسود وتقبيله من كثره الزّحام.(12)في الأصل : هو.
(13)زيادة للتّوضيح.

والوضوء، وتقضي الأشواط السّبعة بالكعبة، بالبيت الشّريف وعند الحجر الأسود أيضا، وتخرج إلى المقام، ثمّ إنّ وقت طوافك بالكعبة تقف عند كلّ ركن منها بالدّعاء **[126و]** ما تيسّر، وقبالة حجر إسماعيل وميزاب الرّحمة تقف للدّعاء عند الرّكن اليماني وبيدك اليمنى تسلّم(1)، عند الحجر الأسود وهو لك التّمام. ثمّ تخرج كذلك في الأوّل إلى مقام إبراهيم، تأتي بركعتين خلفه وهو التّمام. وكلّ ما ذكرت [تقوم به](2) بوضوء وطهارة. وأكثر الفضل [أن تكون الطهارة](3) من ماء زمزم، ثمّ تخرج من الحرم على باب الصّفا، تقف بالدّعاء، ثمّ تطوف سبعة أشواط بين الصّفا والمروة.

ثمّ نذكر منسكا ثانيا من الكعبة الشّريفة وهو الملتزم فيما بين الحجر الأسود وباب الكعبة الشّريفة وحفيرة إسماعيل لطين البنيان **[126ظ]** يناول أباه(4) الطّين والحجر وهو المسمّى بالمقام، ثمّ [نذكر](5) منسكا رابعا وهو مقام إبراهيم المجعول قبالة باب الكعبة الشّريفة في وسط الحطيم المبارك الذي بين باب الكعبة وبين زمزم.

ثمّ نذكر حجر إسماعيل المبارك الذي بين باب الكعبة وبين زمزم الذي يقطر فيه ميزاب الرّحمة من علوّ سطح الكعبة الشّريفة في المرمرة الخضرة الذي حكاه(6) عثمان(7) صهر النّبيء بمثل باب الجنّة في الهواء(8) [و](9) الرّائحة الطّيّبة بفضل(10) نزول الرّحمة فيه عند الشتاء(11).

ثمّ نذكر منسكا خامسا وهو زمزم بئر بَنِي عبد المطلب المفضلين(12) بالحسب(13) وأرباب(14) بئر البيت **[127و]**، لأنّ هذا البيت الشّريف طوله ستّون ذراعا على [قدر ذراع](15) أبينا آدم وحواء. والدّليل على ذلك قوله تعالى ﴿**مِنْهَا خَلَقْنَاكم وفِيها نُعِيدُكُم**﴾(16) في الآية عموم وخصوص(17)، ولكن(18) يختص آدم وحوّاء عن غيرهما(19)، لأنّ الأرض دُحيت من تحت البيت وآدم خلق من موضع الحَنْف : وهو

---

(1)في الأصل : تستلم.(2)زيادة للتّوضيح.(3) زيادة للتّوضيح.(4)يقصد : النبيء إبراهيم.

(5)زيادة للرّبط.(6)حكاه أي شبّهه.(7) المقصود عثمان بن عفان.(8)في الأصل : الهوا.(9) زيادة للرّبط.

(10)في الأصل: من فضل.(11)في الأصل : الشتا.(12)في الأصل : المفضلون.

(13) في الأصل : بالحساب ، صلى عادة أهل الأندلس في تطويل بعض الحركات.

(14)أرباب أي أصحاب.(15)زيادة للتّوضيح.(16)20 ك. طه، آية 55.(17)أي تعميم وتخصيص.

(18) في الأصل : لاكن.(19) في الأصل : من غيره.

التّراب الذي تحت الكعبة، وفيه اجتمعت ألوان التّراب، وداير(1) البيت في الطّواف قبور جميع المرسلين الذين كانوا قبل موسى لأنّ ما كان لهم في شرائعهم قتال إلاّ [أن](2) ينذروا قومهم، فإذا كذّبوا[و](3) أهلك الله قومهم، لجؤوا(4) إلى بيت الله يتعبّدون حتّى يموتوا(5) فيحضر لهم قبورهم داير(6) البيت **[127ظ]** الشّريف، فلمّا أرسل [الله](7) موسى إلى فرعون أُعطي التّوراة(8)، وكان فيها مكتوب الجهاد، ودليل ذلك قوله تعالى ﴿**فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ والإنْجِيلِ وَالقُرْآنِ**﴾(9).

وعجائب هذا البيت لا تحصى. ومن دخله كان آمنا أي أمّنه الله من أعراض الأدْيان عند سكرات الموت، لا يعرض له [منها شيء](10)، فإنّه يموت مسلما. وقيل أمّنه الله من العذاب. والمشهور أنّ من دخله آمن من جميع الأهوال ويدخل الجنّة، هذا لمن لم يكتسب بعد دخوله كبيرة من المعاصي. وقد قيل يُعَارض(11) الله سبحانه وتعالى عنه ويدخل الجنّة برحمة الله آمنا **[128و]**. وأمّا قولنا : إنّ دايرة الكعبة [فيها](12) جميع قبور المرسلين قبل موسى [فإنّ](13) دليلنا قوله تعالى : ﴿ **فَمنهم مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْه حَاصِبًا وَمِنْهُم مَن أَخَذتُه الصيْحَةُ، ومِنهم مَن خَسَفْنَا به الأرضَ، ومَنهم مَن أغرقْنا**﴾(14) ولم يقل : أمرنا بقتالهم. [وفي](15) قوله تعالى ﴿**فيهِ**(16) **آياتٌ بَيِّنَاتُ [مَقَامُ إبراهيم، وَمَنْ دَخَلَه كَانَ آمِنًا]**(17)﴾. قال [المؤلّف](18) : آيات بيّنات لا تنحصر . أوّل ذلك ستة عشر منسكا: منها الحجر الأسود، وحجر إسماعيل والملتزم والرّكن اليماني ومقام إبراهيم، وأنّ الشمس دائرة(19) به لا تتعدّاه وأنّ السّحاب تفترق من أركانه الأربع. فإذا

---

(1) داير أي حول.(2)زيادة للرّبط. (3)زيادة للرّبط.(4)الضمير في «لجؤوا» يعود على الأنبياء.
(5)في الأصل : يموتون.(6)داير : أي حول.(7)زيادة للتّوضيح.(8)في الأصل : التّورية.
(9) 9 م. التّوبة،الآية 111.(10)زيادة للتّوضيح.
(11)عوض يُعَارضُ: أعطاه عِوضًا. وهنا : أعطاهم الله عوض سيّئاتهم حسنات برحمته.
(12)زيادة للرّبط.(13)زيادة للرّبط.
(14) 29 ك. العنكبوت الآية 40، والضمير في «منهم» يعود على قوم الأنبياء، الذين كفروا.
(15)زيادة للرّبط.(16)الضمير يعود على البيت الشريف بمكّة.
(17)تتمّة الآية ليتّضح المعنى، 3م. آل عمران ، آية 97.(18)زيادة للتّوضيح.(19)في الأصل : دايرة.

كان(1) الغيث من الرّكن اليماني خَصِب اليمن، وإذا كان(2) من الرّكن العراقي خصب العراق وإذا كان(3) الغيث **[128ظ]** من الرّكن الشّامي خصب الشّام، وإذا كان(4) الغيث من الأربعة الأركان فهو عام الخصب لجميع الأرض كلّها.

ومن آياته(5) الجمارُ كلّ عام ترمى وهي لا تزيد ولا تنقص على حال واحد. وخصائص هذا البيت الشريف لا تنحصر.

قال المؤلّف : ولقد مرضت في هذا الحرم أوّل مجاورتي ونكرني(6) ماء زمزم وحلفت أنّ طول ما يقضي الله بمجاورته لا أشرب ماءً غيره فَدَخِل بدني(7)ونحل جسمي حتّى لم يبق إلاّ الجلد على العظم. فحبسني ربّي مألومًا(8) ستّة وأربعين يوما حتّى أشفاني الله وطابت نفسي بالماء والهواء وصِرت أشربه(9) غدوة وعشيّة. ويخرج كلّ ساعة من البئر سُخْنا(10) **[129و]** كأنّه اللّبن، ولمّا ودّعت(11) شربته لحفظ القرآن فحفظته(12) على أهون شيء(13) ورزقني الله من حكمة معانيه ماشاء الله، [فـ](14) لله الحمد كثيرًا كما هو أهله، وشربته للعطش، وسافرت في البراري أزمانا واقتحمت المهلكات في الصّحاري(15) والمعطشات ومات رفاقي(16) وأنا لم أرَ(17) بأسًا [فـ](18) لله الحمد، وذلك ببركة الله وماء زمزم. [إنّ](19) فضائله لا تنحصر، وقد قيل هو من الجنّة. وهو اليوم للعبّاسيّين(20) أولاد عم النّبيء. والطّواف دايرة(21) الكعبة الشريفة وما في البيت من الكسوة والمنفعة وهداية البيت والكسوة إلى بني شيبة من ذرّية طلحة وعثمان ابني شيبة(22) الذين نزلت فيهم الآية في مفاتيح **[129ظ]** الكعبة وقت فتح مكّة. أخذه العبّاس منهم وأبى(23) أن يردّه إليهم فنزلت الآية ﴿**إنّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَرُدُّوا**

---

(1)في الأصل : دايرة.(2)في الأصل : دايرة.(3)في الأصل : دايرة.(4)في الأصل : كانت.
(5)الضمير يعود على البيت الشريف أي الكعبة بمكّة.(6)نكرني : أي لم يتلاءم مع جسمه.
(7) من الدَّخل وهو الدّاء والفساد.(8)مألوما : أي متألّما.(9)في الأصل : نشربه.(10)في الأصل سخونا.
(11)أيّ ودّع الكعبة عند انتهائه من الحجّ والعمرة.
(12)يعتقد بعضهم أنّ ماء زمزم يقوّي الذاكرة ويشفي من الأمراض.
(13)بمعنى أنّه حفظ القرآن في أسرع وقت وأقلّ جهد.(14)زيادة للرّبط.(15)في الأصل : السّحاري.
(16)في الأصل : ماتوا.(17)في الأصل : نر.(18)زيادة للرّبط. (19) زيادة للرّبط.
(20)أي يُشرف على بئر زمزم زمن حجّ المؤلّف أبناءُ العبّاس. (21)أي حول.
(22)أي أنّ كلّ المصالح التي عدّدها مسؤول عنها بنو شيبة.(23)في الأصل : وأبا.

الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾(1)، الأمانة هي مفاتيح البيت الحرام. فقال عليه السّلام : خذها(2) يا طلحة وعثمان لا يتعدّى عليكم إلاّ الظالم(3).

ثمّ نذكر «الحطيم» (4) المبارك ما بين زمزم وباب الكعبة عرضه عشر(5) خطوات. وكلّ ما ذكرت لك أيّها القارئ من مناسك الكعبة الشّريفة كلّها متلاصقة بأشطار، وأنّ أساس البيت الشّريف خمسة عشر قدما، غير أنّ بنيانه بالطول، مثل قدم ابن آدم، عند الكعب ضيّقا وعند الأصابع أوسع، **[130و]**. وعلى هذا المثال بُنيت بيت الله ووُضعت على الأرض في أوّل من القدم. ولذلك سمّيت الكعبة [فـ](6) لشملها يُكْعِب(7) بني آدم. ودورة(8) البيت الشريف مائة خطوة بخطوات الرّجال المتوسّطة في الطول(9)، من الرّجال الكرام (هكذا). وعلوّ(10) البيت الشّريف في الطول ثمانية عشر ذراعا بالذّراع الهاشمي الكريم، وهو مُحلّى(11) بحلّة حرير أكحل اللّون كَدُجى(12) الظّلام. عليها أربع [أيات](13) مطرّزة(14) مكتوبة في الوجوه الأربعة في(15) خرقة [من](16) الحرير الأبيض حروفا(17) مقطعة بخطّ مشرقي يقرؤه جميع الأنام : الأولى على وجه الباب المبارك [قوله تعالى](18) : **﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي ببكّة مباركًا وَهُدًى للعَالَمِين﴾**(19) **[130ظ]**، والوجه الثاني [قوله تعالى](20) **﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حَجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾**(21)، والوجه الثّالث [قوله تعالى](22) : **﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَه كَانَ آمِنًا﴾**(23)الوجه الرّابع [كُتب](24): اسم سلطان ذلك الزّمان والعام الذي كساها [فيه](25).

قال المؤلّف الأصبحي : وصفنا ظاهر البيت الشريف [والآن](26) وجب علينا أن نصف(27) باطنه : وهو باطن البيت الشّريف، ارتفعت [قاعدته](28) من الأرض

(1) 4م. النّساء ، آية 58.(2)في الأصل : خذه.(3)في الأصل الأظالم.

(4) االحطيم : خشبتان موصول بينهما بأذرع شبه السلّم تقابلهما خشبتان على تلك الصفة (رحلة ابن جبير . ط. بيروت 1964، ص 79).

(5)في الأصل : عشرة.(6)زيادة للرّبط.(7)من أكْعب أي أسرع.(8)أي محيط.(9)في الأصل : بالطّول.

(10) في الأصل : علوي.(11)في الأصل : محالّ. (12)في الأصل: دُجا.(13)إضافة للتّوضيح.

(14)في الأصل: طرازة.(15)في الأصل : من.(16)زيادة للرّبط.(17)في الأصل : حروف.(18)زيادة للرّبط.

(19) 3م. آل عمران ، آية 96.(20)زيادة للرّبط.(21)3م. آل عمران، آية 97. (22)زيادة للرّبط.

(23) 3م. آل عمران، آية 97.(24)زيادة للتّوضيح. (25)زيادة للرّبط. (26)زيادة للرّبط.

(27)في الأصل : نُوصف. (28)زيادة للتّوضيح.

قدر طول الرّجل، يطلع [عليها](1) بسبعة دروج من ألواح تنقل وتُردّ. وباب الكعبة الشّريفة شرقيّ متوسّط (2) فيما بين مطلع الشّمس في الشتاء والصّيف، بابها من عود البابنوز(3) ملبّس بالنّحاس الصّيني، مذهّب بماء الذّهب، مغلق سائر الأيّام إلاّ يوم الجمعة **[131و]** المباركة يفتحه(4) بنو(5) شيبة خدّام البيت الحرام، يدخله(6) الرّجال يركعون فيه للبركة والثواب. وداخله مفروش بالمرمر الملوّن، والحيطان بأنواع البلاط، وألوان المرمر، عليها من داخل البيت حلّة حمراء مرصّعة، بالحرير الأحمر ومرصّعة بالذّهب الملوّن، وفيها أنواع من الذّهب على صورة سنبلة الصّنوبر، وسقفها باللّوح والمسمار، والسّطح المبارك بجصّ الجير والرّمل المخمّر. وفي السّطح(7) أربعة مضاو مثل مضاوي الحمّام قدر كلّ واحد الآفل الأكبر (8) تعمل ضوءا للبيت مثل النّهار، وحِبال(9) أستار الكعبة موثقة في رأس الحائط بالخشبة **[131ظ]** والحبال تحبسها من أقلِّ(10) الرّيح والانتقال.

ثمّ نصف(11) ميزاب الرّحمة بالوصف العظيم، كما يجب ونصف ميزاب الرّحمة: سطح البيت الشريف من عود ، ملبّس بالنّحاس الصّيني، مذهب بماء الذّهب الأحمر يَقطرُ(12) في مرمرة خضراء في حجر إسماعيل مثل قطر نهر الكوثر عند نزول المطر بماء السّحاب والمعصرات المسخّرات بالرّعد والبرق والوابل(13) الشديد بالأمطار. وطول الميزاب قدر ذراع الشريف الطّويل المفتخر(14). وسمّي ميزاب الرّحمة لأنّ هذا البيت الشّريف تنزل عليه في كلّ ليلة مائة وعشرون رحمة: ستّون منها للطائفين **[132و]** وأربعون للمصلّين، وعشرون للقاعدين الشّاهدين البيتَ. ولو ترى(15) أيّها القارئ والمستمع حين يَمطر(16) السّحاب ويقطر الميزاب، ترى(17) جميع المجاورين يقفون

(1)زيادة للتّوضيح.(2) في الأصل : شرقيّة متوسّطة : أنّث الباب تحت تأثير اللّغة الإسبانيّة.
(3) في الأصل : البابنور : وهو لوح الأبنوس الرّفيع.(4)في الأصل : يفتحونه.
(5)في الأصل : بنوا.(6)في الأصل : يدخلونه. (7)في الأصل : الصّطح.
(8) الآفل الأكبر : القمر في تمامه.(9)في الأصل : حبال.(10) في الأصل : تحبسه ما بأقلّ.
(11)في الأصل : نُوصف.(12)أي يصبّ.(13)في الأصل : الوابيل.
(14) من الكلمة الدّارجة «فاخر» أي طويل القامة.(15) بمعنى : لو تنظر.(16)في الأصل : تمطر.
(17)في الأصل : تَارَ. على عادة أهل الأندلس في تطويل بعض حركات الحروف.

تحت الميزاب يغتسلون من ذلك(1) الماء النّازل(2) من سطح البيت رجاء أن تغسل تلك الرّحمة المنزّلة [ذنوبهم] (3)، فيغتسل(4)الحجّاج منها رجاء لتطهير الذّنوب.

قال المؤلّف الأصبحي : لو نصف فضائل هذا البيت طول العمر ما نبلغ وصفه. وكيف يُبلغ وصف هذا الحرم الشّريف وهذه الكعبة الشّريفة، والصّلاة فيه بمائة ألف صلاة في الفضل والجزاء؟. قال ابن عبّاس رضي الله عنه : الصّلاة في هذا المسجد بثلاث **[132 ظ]** مائة ألف صلاة [تميّزًا](5) على(6) غيره من المساجد في الفضل والجزاء. وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول : إنّه كما تُضاعف الحسنات فيه كذلك تضاعف فيه السّيئات. وكان يُروى عنه أنّه كان يقول : لا حاجة لي بسُكنى موضع (7) تضاعف فيه الحسنات بمثل [ما تضاعف فيه](8)السّيئات، حتّى أنّه خرج عن مكّة إلى الطائف(9)، وثمّ قبره(10)، اليوم عليه مقام عظيم(11).

قال المؤلّف : وصف هذا البلد بالفضائل والمناسك بما ليس في غيره من الأرض. في مكّة مناسك الحجّ، ما ليس في غيره : جبل عرفة والمزدلفة والمشعر الحرام وجمرات منى(12)، والكعبة والحجر(13) الأسود وللرّكن اليماني والملتزم **[133و]** وحجر إسماعيل ومقام إبراهيم وبئر زمزم والصّفا والمروة والمشعر . وعمرة [الأكمة ويحرم إليها من] (14) الحلّ خارج الحرم من [المكان المعروف] (15) بمسجد عائشة أمّ المؤمنين(16).

هذه ستّة عشر منسكا عَدّتْها(17) جميعُ البلاد [متميّزة](18) بالفضل والجزاء للعباد.

---

(1)في الأصل : تلك.(2)في الأصل : المنزّلة.(3)زيادة للتّوضيح.(4)في الأصل : فيغتسلون.
(5)زيادة للتّوضيح.(6)في الأصل : من.(7)في الأصل : بسكنا.(8)زيادة للتّوضيح.
(9)المقصود «مكّة».(10)الضمير يعود على ابن عبّاس.
(11) تاريخيا لم يخرج ابن عبّاس لهذا السّبب، وإنّما أخرجه عبد الله بن الزّبير (الاستيعاب ج3 / ص 937).
(12)في الأصل : منا.(13)في الأصل : وإلاّ الحجر.
(14) زيادة للتّوضيح. وقد ذكر عمرة الأكمة ابن حبير في رحلته ص 114.(15) زيادة للتّوضيح.
(16) في الأصل : مساجد. أطال حركة الفتح على السّين على عادة أهل الأندلس في إطالة بعض الحركات.
(17) عدّتها : اعتبرتها.(18)يادة للتّوضيح.

قال المؤلّف : وصفنا هذا البلد وهذه الكعبة على الاختصار من غير تطويل، لأنّ فضل هذا البلد الأمين لا ينحصر بالوصف الذي أبدع الله فيه من السرّ والعجائب كما ذكرنا من جملة المناسك المذكورة في هذا البيت الشّريف. وقد رُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّه طاف بالبيت ووقف عند الحجر الأسود، وقال : والله إنّني لأعلم أنّك **[133ظ]** حجر لا تنفع ولا تضرّ، ولولا أنّي رأيت رسول الله ﷺ قبّلك ما قبّلتك. وكان عليّ رضي الله عنه حاضرًا، فقال علي رضي الله عنه: بل يضرّ وينفع : إذا كان يوم القيامة ينطقه الله بالعهود التي(1) استودعه إيّاها من حجّ البيت وغيرها من العهود المأخودة(2) على بني آدم، فهي(3) مستودعة في الحجر الأسود، وهو(4) حجر من الجنّة أبيض(5) حتى نزل إلى الأرض [فـ](6) ردّه الله وغيّر طبعه بطابع الدّنيا(7): قيل بمسّ أيدي المشركين، وقيل بالنّار التي(8) أحرقت الكعبة وقت رماها الحجّاج بن(9) يوسف الثّقفي بالنّفط فتغيّر **[134و]** بالسّواد.

قال المؤلّف عبدُ الله رحمه الله : شاهدت في وسطه(10) قدر الدّرهم من البياض، وهو مُطرَّق بطوق من فضّة بيضاء(11)طوّقه بها عبد الله بن الزّبير، فهو اليوم يضيء ليلة الظّلمة مثل نجمة الزّهرة من كثرة الالتماس بأيدي الخلق وكثرة الامتحان(12) فيه بالمسّ باليد والفم.

وَرُويَ عن ابن عبّاس أنّه إذا كان يوم القيامة يؤمر النّاس بالمشي إلى المحشر، وأنّ الله تعالى يخلق للكعبة الشريفة ذوائب(13) بعدد كلّ من قصدها(14) وحجّها. تُعلّق(15) بها وتحملها(16) إلى المحشر وتشهد لهم بوفاء العهد.

(1) في الأصل : الذي.(2)في الأصل : المأخوذات.(3)في الأصل : إنها.(4)في الأصل : وإنّه.

(5)في الأصل : أبيضا.(6) زيادة للرّبط.

(7)المعنى هو أنّ الله أنزل الحجر – وكان أبيض – من الجنة إلى الأرض فطبع بطابعها وتغير لونه من البياض إلى السّواد.

(8)في الأصل : الذي .(9)في الأصل : ابن.(10) الضمير يعود على الحجر الأسود.(11)في الأصل : بيضا.

(12)المعنى بشيء من التأويل : هو أنّ الحجر الأسود اسودّ من كثرة الأيدي التي مسّته، فلكل يد تمسه هو محنة له.

(13)الذّوائب : مفردها ذؤابة: الخصلة المضفورة من شعر الرّأس.(14)في الأصل : صدّها.

(15)في الأصل : يعلّقون.(16)في الأصل : تحملهم.

قال المؤلّف : والله إنّها بيت شريف بخارجها **[134ظ]** وداخلها ووبوجوهها(1) الأربعة(2) وأركانها الأربعة. وكفى(3) بها الحجر الأسود من الجنّة، بُني في ركنها الأيمن بقدر العلوّ مبنيّ في الرّكن، علوّ منكب الرّحل، يلحقه الطّويل بالتّمثيل (هكذا)، والقصير بالإمكان عليه. الزّحام – مادامت الأوقات من ليل أو نهار- لا يفتر إلى يوم القيامة لأنّه مثيل البيت المعمور (4). ولو وقع من البيت المعمور الذي في السّماء(5) حجر لوقع في وسط سطح الكعبة. والله إنّه كما ذُكر.

قال المؤلّف : أوّل ما نذكر إقليم مكّة واليمن وهم إقليم واحد، وهو الصقع الكبير من السبعة أقاليم، وهو السّابع في وسط **[135و]** الستّة أقاليم، وكلّها ناظرة إليه. وَحْدُ(6) هذا الإقليم، لأنّ الأرض المعمورة من بني آدم كورة، والبيت الحرام بالكعبة في رأس الكورة، والشمس لا تفارق البيت. وفي ستّة عشر من يونية تطلع على الرّكن الشرقي بين الشرق والشمال، ويوم خمسة عشر من شنتبر(7) تطلع على وسط البيت، وتكون الشمس في برج الميزان وهو الاعتدال. وتطلع في ستّة عشر من دجنبر(8) على الرّكن الجنوبي في أعلى الحجر الأسود بين الجنوب والغرب، وتغرب على الرّكن الشامي. وكذلك في الصّيف تغرب في الرّكن الشمالي(9) وفي شهر مارس تطلع على **[135ظ]** وسط البيت [و](10) تكون(11) الشّمس في برج الحَمَل(12)[برج](13) الاعتدال : لأنّ الشمس دائرة(14) بالبيت في الشتاء والصّيف لا تفارقه إلى أن تقوم السّاعة.

وقيل: السبعة أقاليم بين دائرة البيت وحدود هذا الإقليم من مكّة والطائف إلى اليمن إلى بحر القلزم، وإلى مصر [و](15) إلى يثرب قسّمه رسول الله ﷺ.

(1)يستعمل كلمة «وجه» للحائط.(2)في الأصل : الأربع.(3)في الأصل : كفا.
(4) ذُكر في القرآن : 52ك. الطور، الآية 4.
(5)يذكّر هذا الكلام بنظريّة المثل عند أفلاطون، فكلّ شيء على الأرض له مثاله الأكمل في العالم العلوي.
(6)تعبير من الدّارجة بمعنى «بمفرده».(7)أي سبتمبر.(8)أي ديسمبر.(9)في الأصل : الشمال.
(10)زيادة للرّبط.(11)في الأصل : يكون.(12)في الأصل : الحمْل.(13)رزيادة للرّبط.
(14)في الأصل : دايرة.(15)زيادة للرّبط.

قال المؤلّف : إقليم مكّة واليمن أعلى(1) من جميع الأرض المعمورة من بني آدم بأربعة أذرع بالهاشمي(2). والدّليل حديثُ عائشة، قالت : رأيت(3) القمر أضوأ ما رأيت بمكّة، ورأيت (4) الفلك أقرب ما رأيت بمكّة وعند أهل **[136و]** مكّة حديث عن النبيء عليه السّلام أنّ قبور أهل مكّة كأنّها في سماء الدّنيا، ويوم البعث يسيرون إلى المحشر مع ملائكة سماء الدّنيا.

قال المؤلّف : جاورت عند هذا البيت سنة متوالية(5) لم أبرح فيها عن البيت ساعة واحدة لا في ليل ولا في نهار، وإنّي رأيت الطير تأتي إلى قُبالة البيت وتتنحّى(6)عنه جانبا، وهذا دليل عل من قال : إنّ هذا البيت موصول بالبيت المعمور(7)الذي في السّماء. ولقد رأيت من فضائل هذا البيت وعجائبه أنّ الطّير إذا جاع يأتي إلى ركن من أركان البيت ويقف حتى يأتيه الله رزقه(8). ولقد رأيت **[136ظ]** الطّير يأتيه رزقه يصيح صيحة قويّة ويمشي يأخذ رزقه من الله، ويقوم(9)المجاورون بالتّكبير: الله أكبر الله أكبر. انظروا إلى الطّير كيف تفهم أنّ تلك البيت بيت الله وبيت الرّحمة فالتجأ(10) يطلب رزقه من الله، من موضع أكبر المواضع وأقربه لله من جميع أقطار الأرض كلّها لأنّه موضع إجابة(11)، فكيف أنت يا عبد الله، لك عقل وفهم وتعلم أنّ قصد تلك البيت عليك فرض وتأبى(12) عنه(13). هذا من كثرة غفلتك يا ابن آدم. ولقد رأيت الحمام في وسط الحرم تمشي بين النّاس. وإذا خرجت من الحرم **[137و]** فرّت من النّاس. وهذا دليل على أنّ من دخله كان آمنا.

قال المؤلّف : أيّها القارئ، نصوّر لك صفة العمرة : تخرج من مساجد(14) أمّ المؤمنين وهي في الحلّ خارج علامات الحرم، وتتجرّد من مخيط الثّياب وتقول: لبّيك اللاّهمّ لبّيك إنّ النّعمة والحمد لك، لا شريك لك، وتنوي العمرة لله(15) . [ثمّ](16)تَجيء

---

(1)في الأصل : أعلا.(2)أي بالذّراع الهاشمي.(3)في الأصل : ما رأيت.(4)في الأصل : ما رأيت.
(5)أي متتالية.(6)في الأصل : وتنحّى.(7)أي أنّ البيت موجود منذ الأزل وأنزل الله مثالا له على الأرض.
(8)في الأصل : حتّى يأتي رزقه الله.(9)في الأصل : يقومون.(10)في الأصل : فألجأ.(11)أي استجابة.
(12)في الأصل : تأبا.(13)أي لا تقوم به.(14)في الطرّة نجد : « لعلّه مسجد».
(15)اختصر المؤلّف التّلبية لأنها تكون كالآتي/ لبّيك اللاّهمّ لبيك، لبّيك لا شريك لك لبيّك، إن الحمد والنّعمة لك والملك، لا شريك لك.
(16)زيادة للرّبط.

من مساجد[1]عائشة إلى الكعبة على اثني[2]عشر ميلا من الكعبة، وتطوف سبعًا كما وصفت لك وتركع خلف المقام ركعتين وتخرج إلى الصفا من[3]وراء حائط[4] الحرم، وتسعى إلى المروة سبع مرّات، وتحلّق أو تقصّر وتمّت عمرتك إن شاء الله. ومثل هذا [في] الحجّ المفروض غير أنّك تنوي **[137ظ]** الحجّ[5]إمّا مقرنا وإمّا مفردًا وإمّا مُتمتّعا : فالمفرد يدخل بنيّة، مُحرِما من الميقات. والمقرنون[6] يبْقاوْ محرمين إلى أن يأتوا بالعمرة يوم الوداع. والمتمتع يدخل بنيّة العمرة ويريد مكّة، ثمّ يحِلُّ[7] منها ويلبس الثياب إلى[8] يوم بدء الطلوع[9]لعرفة ينوي الحجّ ويبقى[10] محرما إلى يوم العيد، ويهبط إلى مكّة من مِنى[5] ويطوف طواف الإفاضة ويرجع إلى منى ويحلّ من حجّه[11]. وعليه وعلى المقرن الهدي، يذبح ثلاث شياه[12] يطعمها للمساكين. وليس على المفرد شيء.

قال المؤلّف : ثمّ نذكر المزارات والمقامات التي [13] في هذا البلد **[138و]** الأمين. فيه من المزارات الغار الذي استتر فيه النبيء ﷺ وأبو بكر في جبل الثّور على مكّة مسيرة... [14].

ثمّ نرجع إلى مزارات مكّة، ونذكر أيضا رمضان مكّة[15] والإشفاع [16] في الحرم الشّريف في شهر رمضان المعظم : يشفع في هذا الحرم الشّريف مائة إمام مشفّعين في الحرم، كلّ إمام يشفع بجماعة[17] وكلّهم متوجّهون[18] إلى الكعبة

---

[1]من عادة أهل الأندلس إطالة بعض الخركات كالفتح في السّين في كلمة مسجد.
[2]في الأصل : اثنا.[3]في الأصل علي.[4]في الأصل حَيْط.[5]في الأصل «الحجّ بخلاف الإفراد».
[6]في الأصل : والمقرنين.[7]أي يتحلّل من الموانع المفروضة أثناء العمرة.[8]في الأصل : حتّى إلى.
[9] في الأصل : بذْو الطالع.[10]في الأصل « يبقا.[7]في الأصل : منا.
[11]أي يحلّ له ما كان ممنوعا أثناء الحجّ.[12]الواجب شاة واحدة.[13]في الأصل : التي.
[14]نقص في الأصل. وسيعود إلى قصّة الغار فيما بعد.
[15] أي مكّة في شهر رمضان (انظر رحلة ابن جبير ص 127).
[16] الإشفاع : هو الصّلاة شفعا أي ركعتين تليها ركعتين وهو ما يعرف اصطلاحًا بالتّراويح.
[17] نرجّح أنّه استعمل «يشفع» بمعنى يصلّي.[18] في الأصل متّجهين.

الشريفة ويختمون[1] من خمسة عشر إلى تسعة وعشرين[2] ، وأكثر ختمهم في ليلة القدر[3] خمس عشرة وسبع عشره وإحدى وعشرين ، وقس على ذلك [4].

والإمام الشافعي هو الأوّل - في جميع الأوقات - من الأئمّة [على المذاهب][5] الأربعة التي في الأربعة محارب (هكذا)[6] المتَوجّهة[7] وجوه[8] الكعبة الشريفة الأربعة: أوّل ما تقوم صلاة الشّافعي[9] قبالة باب الكعبة وراء مقام إبراهيم، والكعبة متوجّهُهُ[10] بالغرب، وظهره[11] [في اتجاه][12] مطلع الشّمس. فإذا سلّم الإمام [على المذهب][13] الشّافعي يقوم الإمام [على المذهب][14] المالكي متوجّها إلى الكعبة إلى ظهرها، ووجهه للكعبة متوجّها إلى مطلع **[138ظ]** الشمس وظهره إلى غروب الشّمس. فإذا سلّم الإمام المالكي أقام الصّلاة الإمام الحنفي ووجهه إلى حجر إسماعيل قبالة الجنوب وظهره إلى الشمال. فإذا سلّم أقام الصّلاة الإمام [على مذهب][15] أحمد بن حنبل [فهو][16] يصلّي آخر الوقت. [وتلك هي][1] المذاهب الأربعة في [صلاة][17] الصّبح، [يمتدّ وقتها][18] إلى طلوع الشمس بالحمرة، وكذلك[صلاة][19] العصر إلى الإصفرار وهو عنده في مذهبه أفضل. وكلّ إمام [يصلي] في بقية [الوقت حسب]مذهبه [في تحديد] الأوقات[20] . وعلى هذا اصطلح[21] أئمّة مكّة في ترتيب أوقات الصّلوات، يسلم [الإمام على مذهب][22] الشافعي أوّلا ووراءه[23] الإمام [على مذهب][24] مالك

---

(1) هل يقصد ختم صلاة التروايح.

(2) إذا كان المقصود هو «يوم» فالقاعدة النحوية محترمة، وإذا كان المقصود ليلة فيجب تذكير الجزء الأوّل من العدد.

(3) والمشهور أن تكون ليلة 27 من رمضان على الأرجح وقيل في العشر الأواخر من رمضان. أمّا المؤلّف فيرى أنّها تكون في النّصف الثاني من شهر رمضان في اللّيالي الفرديّة أي 15-17-19-21-23-25-27-29.

(4) أي إلى ليلة 29 من رمضان.(5) زيادة للتّوضيح والرّبط.

(6) المحراب في الفصحى تجمع على محاريب لا على محارب.

(7) أي متّجهة.(8) وجوه بمعنى حيطان.(9) أي على المذهب الشافعي.(10) أي اتّجاه.

(11) الضمير يعود على الإمام. (12) زيادة للتّوضيح. (13) زيادة للتّوضيح. (14) زيادة للتّوضيح.

(15) زيادة للتّوضيح. (16) زيادة للرّبط. (17) زيادة للتّوضيح. (18) زيادة للتّوضيح.(19)زيادة للتّوضيح.

(20) في الأصل : وكلّ إمام على بقيّة مذهب من الأوقات.(21) في الأصل : اصطلحوا.

(22) زيادة للتّوضيح. (23) أي بعده. (24) زيادة للتّوضيح.

ووراءه [الإمام على مذهب](1) أبي حنيفة ووراءه [الإمام على مذهب](2) أحمد بن **[139و]** حنبل الشيباني.

ووسع هذا الحرم الشريف في الطول أربعمائة خطوة على أربعمائة عمود من رخام مزيّنة بماء الذّهب، وعرضه ثلاثمائة خطوة وثلاثمائة سارية من **[139ظ]** رخام. له أربعون بابا غير واحد. وسأسمّي لك المشهور منها مثل باب بني شيبة، وباب العباس، وباب الجاير(3)، وباب علي، وباب البغلة(4)، وباب الصّفا وباب الشّرفاء وباب حزورة (5) من أين أُسري برسول الله ﷺ، وباب إبراهيم وباب العمرة، وباب العجم، وباب السّويقة، وباب اليمن، وباب صغير، وأبواب أخرى مفتّحة في هذه، داخلة في العدد، في البعض منها خمسة وأكثر(6) .

والحرم كلّه دائر بِطاقات(7) أعني السّقائف(8) ، وهي خزائن [مصنوعة](9) باللّوح والمسمار وماء الذّهب وأنواع المرم والرّخام ممّا بناه الأمير(10) عمر بن(11) الخطاب **[140و]** بدراهم الحلال المضروبة(12) من أطيب النّقرة(13) بالأمصار وشيّده وجعل الشّوارف(14) المبيّضة(15) كأنّه القصر العظيم يسع أهلَ مشارق الأرض ومغاربها من أمّة محمّد قبل المحشر. ومن أراد أن ينظر إلى كثرة أمّة محمّد يقف على الصّفا يوم الوداع يتنزّه ويقرّ عينه بالأمّة المجموعة بدعوة إبراهيم عليه السّلام، [وبها](16) يفتخرُ. ترى يوم الوداع الزّحام على بئر زمزم من كثرة تقصير(17) الثياب للأكفان ببيض الحرام مثل ما قصّر القصّار(18) . إنّنا آيبون تائبون لربنا حامدون، صدق الله وعده ونصر عبده

---

(1) زيادة للتّوضيح. (2) زيادة للتّوضيح.(3) لعلّه باب جياد (انظر رحلة ابن جبير ص 83).
(4) لعلّه باب العجلة (انظر رحلة ابن جبير ص 82). (5) في الأصل : حازرة.
(6) ما أمكن فهمه من هذه الجملة أنّ هذه الأبواب الرّئيسيّة تفتح من داخل الكعبة على أبواب أخرى ثانويّة قد يصل عدد بعضها إلى أكثر من خمسة، ويدخل تعدادها في 39 بابا التي ذكرها سابقا.
(7) في الأصل بأباقته، وطاقات مفردها : الطّاق مَا عُطف من الأبنية أي جُعِل كالقوس.
(8) في الأصل : أعني الخزائن.(9)زيادة للتّوضيح.
(10)يقصد أمير المؤمنين.(11)في الأصل : ابن.(12) في الأصل : المفقودة.(13)أي خالص المعدن.
(14)نرجح أنها جمع شُرفة وهذه تجمع على شُرُف لا شوارف.
(15) في الأصل : المبيّضات أي المطليّة بالجير الأبيض.(16)زيادة للرّبط.(17)في الأصل : تقصّر.
(18)لعلّه من قلّة القماش يقصرون ثياب الإحرام ويجعلونه كفنا.

وهزم الأحزاب وحده، يودّعون[1] الكعبة **[140ظ]** الشريفة ويقولون لها [لا] جعل الله آخر هذا العهد منك[2] يا بيت الله مطهّرَ[3] ذنوبنا ومكفرًا[4] [عن][5] ذنوبنا، لا جعل الله آخر العهد منك[6] ومردّنا إليك كما جعلك الله متوبة لنا، وينصرفون [وهم][7] يبكون على فراق البيت الشريف شائقون[8] إلى زيارة النبيء ﷺ.

قال المؤلّف رحمه الله : لو نصف [طوال][9] الأيام الباقية [من العمر][10] لا نبلغ وصف هذا الحرم الشريف[11] ، والله لقد جاورته وأهله سنة كاملة وأكثر، جازاهم[12] الله عنّا خيرا رجالا ونساء، ما أحسنهم وجوها وأحسنهم كلاما، وما أضبطهم عادة وسيرة حسنة في الرّجال والنّساء، **[141و]** ومن سيرتهم الحسنة أنّه لا يدخل أحد منهم الطّواف إلاّ بشيء يتصدّق به بعد طوافه ويزكّيه، وكذلك نساؤهم طوافهم[13] عند غروب الشّمس بين المغرب والعشاء الآخرة يدخلن[14] الطّواف بأثواب حسان الغالب عليها الأزرق الملوى، مزيّنات[15] بالحليّ والخلاخل من الفضّة ومقايس[16] الذّهب، هم وأولادهم الصّغار، يتمايَلْنَ[17] ويضربن[18] بالأقدام[19]، فقال تعالى ﴿وَلاَ يَضْرِبْن بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾[20] . ولهذا قال عليه السّلام «يَرَى الشاهد ما لا يرى الغائب، ولولا شهودنا[21] لم نعرف تأويل الآية الكريمة. ولهذا **[141ظ]** كان أهون على أهل الحجاز وعلمائها تأويل القرآن ومعانيه لشهودهم الشّيء[22]. أو كالذي [لا يعلم][23] إلاّ من حديث غائب لا يقوم به إلاّ عقل وافر وتدريس ياسر[24] ومشائخ حاضرون، ينقل بعضهم عن[25] بعض متواترون [26]، وعند ذلك حينئذ[27] يثْبتون[28]. والشهود بالعين والحضور بالنّفس والسّمع بالأذن والحفظ بالقلب أهون

---

(1) في الأصل : ويودّعون. (2)الصحيح : بك.(3)في الأصل : مطهّرُ.(4)في الأصل : مكفِر.
(5)زيادة يقتضيها التّركيب.(6)الصحيح بك.(7)زيادة يقتضيها التّركيب.(8)بمعنى متشوّقون.
(9)زيادة للتّوضيح.(10)زيادة للتّوضيح.(11)أي لا نوفيه حقّه من الوصف.(12)في الأصل جزاهم.
(13)الصّحيح : طوافهنّ.(14) في الأصل : يدخلون.(15) في الأصل : مزيّنين.
(16)مفرده مقياس، ومازالت الكلمة مستعملة في الدّارجة التّونسيّة للدّلالة على السِّوار.
(17) في الأصل : يوملون.(18) في الأصل : يضربون.
(19)هل بقيت هذه العادة رغم تحريم الإسلام لها ؟ (20) 24م. النّور، الآية 31، الآية 31.(21)بمعنى رؤيتنا.
(22)أي لرؤيتهم مكان الحدث.(23)زيادة للرّبط.(24)أي كثير (دارجة).(25)في الأصل : من.(26)أي بالتّواتر.
(27)تكرار لعبارتين لهما نفس المعنى.(28)دارجة بمعنى يتثبّتون في الأمر الذي شاهدوه.

على الطالب[1] من الغالب بالتعلّم[2]. وما شهدنا إلاّ بما علمنا. ولهذا يشترط في الشاهد ثلاثة : سمع بالأذن ومعرفة بالعين وحفظ حاضر بالقلب.

ثمّ نطلع[3] ونرجع إلى وصف مزارات هذا الحرم الشريف كما ذكرنا أوّلا في **[142و]** قصّة مزارة الغار قي جبل ثور، [وهو][4] الغار الذي دخل فيه النّبيء وأبوبكر، [و][5] الذي نسج عليه العنكبوت وعشّش عليه الحمام، اعلم أيّها القارئ أنّ [الموضع الذي][6] دخل النّبيء، هو شقّ[7] [منحوت][8] في الحجر الأصمّ : حجر مثل الفضّة فيه شقّ كيّله الحاج المذكور[9] [فوجده][10] شبرًا إذْ هو قدر شبره أو أقلّ.

قال المؤلّف : أوّل سرّ رأيتُه في ذلك[11] الغار [أنّي][12] كنت نحيف الجسم رقيقا[13] وعرّيتُ ثيابي، وأدخلت رأسي فلم يسِعْ[14] . ثمّ حوّلت رأسي على جهة الخدّين، ودخل رأسي وبَقي[15] جسدي لم يدخل، بقيتُ لا أنا داخل ولا أنا خارج، والحجر حجر صلب مثل الحديد. وكان[16] ورائي جماعة من أمراء الشّرق **[142ظ]** سمان غلاظ[17] ، فقال بعضهم لبعض : انظروا هذا المغربي نحيل الجسم [لا يطيق][18] الدّخول فكيف [لنا ذلك و][19] نحن غلاظ؟ ثمّ إنّي خفت على نفسي فقلت سبحان الله : هذا سرّ عظيم. فوالله ما أن أتممت الكلام إلاّ واتّسع ودخلتُ الغارَ بقدْرة العزيز الجبّار، وهذا سرٌّ من الأسرار. ثمّ والله لم يبق غليظ ولا رقيق إلاّ ودخل، وهو شقٌّ علو شبر[20] ولكنْ سرّ من الله.

ثمّ مزار جبل حِرَى[21] : وهو الموضع الذي شقّ فيه صدر رسول الله ﷺ[22]، ثمّ مسجد البيعة بيعة الصّحابة العشرة. ثمّ قبر خديجة بنت خويلد زوج النبيء ﷺ

---

(1)في الأصل : «على الغائب الطالب» لكن النّاسخ وضع علامة على كلمة «الغائب» يريد فسخها وشطبها.
(2)أي : من الغالب معرفته بالتّعلّم». (3)من الدّارجة ومعناها نغيّر الموضوع. (4)زيادة للتركيب.
(5)زيادة للرّبط. (6)في الأصل : من أين.
(7) في الأصل : شاق، بإطالة فتحة الشّين على عادة أهل الأندلس في إطالة بعض الحركات.
(8)زيادة للتّوضيح. (9)يقصد المؤلّف. (10)زيادة للتّوضيح. (11)في الأصل : تلك الغار. (12)زيادة للتّركيب.
(13)في الأصل : رقيق. (14)أي لم يسِعه الغار. (15)في الأصل : بقا. (16)في الأصل : فكان.
(17)غلاظ أي ضخام الأجسام. (18)زيادة للتّركيب. (19) زيادة للتّوضيح. (20)أي في ارتفاع شبر. (21)في الأصل : حِرَا.
(22)المشهور أنّه غار كان يتعبّد فيه الرّسول ونزلت فيه أوّل آية من القرآن وهي «اِقْرَأ باسم ربّك». ويقع خارج مكّة.

[143و]. ثمّ جبل أبي قُبَيْس(1) الموضع الذي أُمِرَ(2) الجانُ [أن](3) يسيروا إليه لِيُقْرأ(4) عليهم القرآن، فقرأ عليهم رسول الله ﷺ. فلمّا سمعوه(5) ﴿ **قَالُوا: أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ** (أي فرغ من القراءة) **وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ .قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى**﴾(6)قال أصحاب التّأويل : إنّ أولئك كانوا مشائخ الجنّ المؤمنين، وقد كانوا آمنوا بكتاب موسى، ولذلك قالوا من بعد موسى ولم يقولوا من بعد عيسى مع أنّ عيسى أقرب. ثمّ مزار مسلمة بن الزّبير عند باب المَعْلى(7)، وقبر عبد الله بن عمر عند باب المعلى. ثمّ مزار مولد النبي **[143ظ]** في مكّة، ثمّ دار خديجة، ثمّ خلوَة أبي بكر(8)، ثمّ زقاق المرفق ثمّ دار الخيزران(9) موضع ابتداء الإسلام والأذان [وفيها تمّ](10) إيمان عمر، وبيت حزورة من أين أُسْري بالنّبيء إلى المسجد الأقصى.

قال الرّواي رحمه الله: جاورنا هذه المقامات الكرام ووقفنا عليها وشَهِدْتُها وجاورناها(11) بعناية الله تعالى ومن كرمه [فـ](12) لله الحمد. جاورناها بدراهم حلال من ميراث الأبوين المرحومين، جاورنا سنة متوالية، ووقفنا وقفتين على عرفة، واعتمرنا إحدى عشرة عمرة(13) ، وحلقنا وقصّرنا في زمزم ثمانية وأربعين مرّة. وتطهّرنا ثمانية وأربعين مرّة، وفي البيت دخلنا. **[144و]** على عدد الجمعات في السّنة، تُفتح لنا في كلّ جمعة : يدخل الرّجال ثمّ النّساء، ويركع كلّ واحد [ويدعو](14) بما يشاء.

---

(1) في الأصل : البوقيس. قال ابن جبير: «وعلى الحرم الشريف جبل أبي قُبيس: وهو في الجهة الشّرقيّة مقابل ركن الحجر الأسود وفي أعلاه رباط مبارك فيه مسجد» (الرّحلة ص 85).

(2)في الأصل : أمروا.(3)زيادة للتّركيب.(4)في الأصل : فيقرؤوا.

(5)أيّ لما سمعوه.(6) 46 ك. الأحقاف، الآية 29، 30.

(7) والمَعْلى : هو المدخل الذي دخل منه المسلمون يوم فتح مكّة. وفيه الجبّانة. (رحلة ابن جبير ص 91، 115، 135).

(8) في الأصل : خالة. والخلوة مكان الاختلاء.

(9) قال ابن جبير : ومن مشاهدها الكريمة دار الخيزران، وهي الدّار التي كان النّبيّ ﷺ يعبد الله فيها سرّا مع الطائفة الكريمة المبادرة للإسلام من أصحابه رضي الله عنهم، حتّى نشر الله الإسلام منها على يدي : الفاروق عمر بن الخطاب. (الرّحلة ص 92).

(10)زيادة للرّبط.

(11)ينتقل من استعمال المفرد المتكلم إلى استعمال الجمع.(12)زيادة للرّبط.(13)في الأصل : عشرة عمرة.

(14)زيادة للتّوضيح.

قال : كلّ جمعة آليت على نفسي الطهارة[1] في زمزم والدّخول إلى[2] داخل الكعبة، نصلّي داخلها كلّ جمعة عشر[3] ركعات مدّة ثمانية وأربعين جمعة، فللّه[4] الحمد كثيرًا كما هو أهله. وآليت على نفسي الطّواف في كلّ يوم وليلة اثنين وثلاثين[5] أسبوعا في كلّ أسبوع سبعة أشواط، ولكلّ طواف ركعتان[6] خلف مقام إبراهيم الخليل، أعاننا الله تعالى على ذلك، فنسأل الله القبول، فوجب علينا أن نفتخر[7] بنعمته، وإنعامه علينا من فضله **[144ظ]** [إذْ][8] أنّ غيرنا أقوى[9] منّا ولم يصل إلى هذا الموصل[10]. ﴿ **ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنْ[11] أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ**﴾[12]. بل أنا أشكر مولاي وسيّدي وخالقي وربّ آبائي الأوّلين لا إله إلاّ هو وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله. وآمنت بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر. بهذا أشهد وأموت على هذه الشّهادة رجاءً في الله نسأله أن يُحييني عليها ويميتني عليها إن شاء الله تعالى. قال الله تعالى ﴿**وأَمَّا بنعْمَة رَبّكَ فَحَدَّثْ**﴾[13] ، وقال عليه السّلام : «إنّ الله يُحبّ أن يرى أَثَر نعمته على عبده إذا أنعم الله عليه بنعمته»، له الحمد والشكر **[145و]** ملء السّماوات والأرض وما بينهما.

قال المؤلّف رحمه الله : وصفنا هذه البلدة وحرمها، ونصف [الآن][14] إقليمَها وحدّ هذا الإقليم المبارك الذي جعله الله قبلة عباده وأطيبُ بلدة [فيه][15] مكّة[16] : موضعٌ بلا زرع ولا حرث إلاّ ما يُجلب إليها[17] من بلا بعيدة على مسيرة ثلاثة أيّام. وأكثر، عيشها من التمر والإبل والنّخل. ويدلّ على ذلك قوله تعالى في دعوة إبراهيم: ﴿**رَبَّنا[18] إنّي أَسْكَنْت مِنْ ذُرّيَتِي بوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْع عْندَ بَيْتِكَ المُحَرَّم رَبَّنَا لِيُقمُوا الصَّلاةَ فاجْعَلْ أَفْئدَةً تَهْوِي إلَيْهِمْ وارْزُقْهُم. مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُم يَشكُرونَ**﴾[19] . فأجاب الله دعوة إبراهيم **[145ظ]**، [فكان][20] يأتيها الزّرع من كلّ فجّ عميق.

---

(1)في الأصل : الطهور.(2)في الأصل : في.(3)في الأصل : عشرة.(4)في الأصل : لله.
(5)في الأصل : إثنا وثلاثون.(6)في الأصل : ركعتين.(7)في الأصل : نفتخروا.(8)زيادة للرّبط.
(9)في الأصل : أقوا.(10)دارجة بمعنى المكانة.(11) 12 ك. يوسف، الآية 38.(12)في الأصل : لاكن.
(13) 93 ك. الضّحى، الآية 11.(14)زيادة للرّبط.(15)زيادة للرّبط.(16)في الأصل مَكَّة.
(17)في الأصل : عليها.(18)في الأصل : ربّ.(19) 14 ك. إبراهيم، الآية 37.(20)زيادة للرّبط.

ثمّ نذكر حدّ الإقليم من مكّة إلى الطائف إلى أرض سبا من اليمن إلى مأرب إلى عدن(1) إلى صنعاء(2) إلى بحر الحبشة والهند إلى بحر القلزم بحر موسى الذي غرق فيه فرعون إلى نيل مصر إلى مدينة يثرب مدينة الرّسول ﷺ إلى اليمامة راجعا إلى مكّة(3). وجميع الأقاليم ناظرة إلى هذا الإقليم المبارك. وهذا كلّه بسمّى الإقليم اليماني : هو سرّة الأرض كلّها، إليه الأقاليم السّتّة تنظر.

قال المؤلّف رحمه الله : وصفنا فضائل هذا البيت المبارك بيت الله في أرْضه ونعم البيت في [146و] وسط الأرض ووسط هذا الحرم، مثله كمثل العروسة في حليها تتجلّى وتفتخر بالأوصاف(4) عند(5) أهل الشعر(6) واللّغات والفصحاء. والعرب والعجم، بفخرها تفتخر(7) على الرّوم والحبشة والصّابئة والمجوس. من فخرها في قلوبهم(8) قهر لا يقدرون على حرمتها وفخرها في جميع الأقطار. زعمت الحبشة أن تبني(9) مثلها فأهلكهم الله بطير أبابيل ترميهم بحجارة، حمى(10) الله بيته على طول العمر والسّنين والدّهور. وأهلها وملوكها شرفاء ونسبهم [إلى](11) ذرّية علي أبي زيد الرّضا الطاهر في النّسب والأرباب(12)، من خير البشر يُسمّون الشرفاء [146ظ] الزّيديّة الحسنيّة. يُنْسبون إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فيها المذكور والفارس المشهور أحمد بن عجلان شريف مكّة(13)، له سبعمائة عبد كلّهم شجعان أبطال، [وهو] حاكم عدل وجائر(14) على الظّالم، هو وجيشه كلّهم فوارس رجال، كلّهم فصحاء أفصح العربان. أهلُ مكّة أبطال لهم رجال وفرسان أصحاب العُدد(15) [كالسّيوف](16) القاطعة الهنديّة. لا يقوم مقامهم أحد من أهل الحجاز والجبال لشدّة

(1)في الأصل : عَدَان.(2)في الأصل صفنعًا.

(3)هذه الفقرة تدلّ على المستوى الثقافي الذي انحدر إليه الموريسكيّون.(4)في الأصل : في الأوصاف.

(5)في الأصل : من.(6)في الأصل: الشعار.(7) فاعل «تفتخر» : العرب والعجم.

(8) الضمير يعود على الرّوم والحبشة والصابئة والمجوس.(9) في الأصل : تمنّي.

(10)في الأصل : حما.(11)زيادة للتّركيب.(12) نرجّح أنّه استعمل كلمة «ربّ» بمعنى صاحب.

(13) أحمد بن عجلان أبو سليمان: من أشراف مكّة. استقلّ بإمارة مكّة بعد وفاة أبيه سنة 777/ 1375 واستمرّ إلى أن توفّي 1386/788 رغب كثير من التّجّار أثناء حكمه في سكنى مكّة لعدله. (الأعلام : 1/ 168).

(14)استعملها بمعنى الشدّة.(15)العدد جمع عُدّة : وهو ما يُعَدّ للحدث.(16) إضافة للتّوضيح.

شجاعتهم وكرمهم وفصاحتهم. وكلّهم شبّان شداد البأس على عدوّهم حيث ما كان(1) واحد منهم يردّ الجموع بحملة واحدة بالخفة(2) والسّرعة **[147و]** بالقوس المغربي رماة مصانعة(3) في الحرب. وجميع الخصال الغالبة عليهم السّرعة. [وهي](4) موروثة لهم من الجدّ الرّفيع إسماعيل وذريّته الكرام قدر(5) ربيعة ومضر وعدي وآل عدنان.

قال عبد الله [بن الصبّاح](6) عليها كثير من القرى(7) مثل بلدة الطائف على ثلاثة أيّام(8) ، فيها قبر الإمام الفاضل العالم الحسيب(9) الرّفيع العبّاسي عبد الله بن عباس(10)، عليه مقام عظيم ومزار جسيم(11) كما هو أهله، تعظّمه جميع عربان الحجاز كلّها أفضل التّعظيم.

[و](12) بلدة الطائف كثيرة الماء وكثيرة الشّجر، منها تأتي الفواكه إلى مكّة الشّريفة في زمان الفواكه، وعليها(13) بلدة بجيلة **[147ظ]** وزهران، يأتيها الزّبيب والعنب على مسيرة ثمانية أيّام، ويأتيها الزّرع من بلاد الحجاز من حرث السّمر(14) وبين أقوام صالحين لا يعلمون عددا ولا حسابا(15) ولا الشرّ ولا الخير(16) ، لباسهم جلود المعز المدبوغ بالعروق الطيّبة له رائحة طيّبة مثل الجودر(17) ، وحلفتهم(18) وحبالهم حلفة المسد. قال الله تعالى : ﴿**في جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ**﴾(19) يسوّقونها إلى مكّة للآبار والدّلو لاستخراج(20) الماء من الآبار، لأنّ مكّة مالها ماء إلاّ من الآبار: كلّ بئر طوله وعمقه(21) أربع(22) وعشرون قامة من حلفة المسد [و](23) هي جنس

---

(1)عبارة دارجة للدّلالة على الكفاءة.(2) في الأصل : الخيفة.(3)دارجة للدّلالة على المهارة.

(4) زيادة للرّبط.(5)استعملها بمعنى «مثل» أو للدّلالة على الكثرة بمعنى «مقدار».

(6)أي المؤلّف صاحب الرّحلة.(7)في الأصل : قرا.

(8)الطائف مدينة بالحجاز جنوب شرقي مكّة على بعد 120 كلم منها.(9)صاحب الحسب.

(10)عبد الله بن عبّاس بن عبد المطلّب : ابن عمّ الرّسول ﷺ، صحابي جليل : عالم بالحديث والتّفسير وأيام العرب. توفّي بالطائف سنة 625/59 (الأعلام 95/4).

(11)أي كبير.(12)زيادة للرّبط.(13)أي تتبعها.(14)هل يقصد بالسّمر العبيد أو من كان لونه أسمر؟

(15)أي علم العدد والحساب.(16)التعبير عن عظيم جهلهم.

(17)لعلّه نطق بالدّارجة للجاديّ وهو الزعفران.(18) نطق بالدّارجة للحلفاء.(19) 111 ك، الآية 5.

(20)في الأصل : لخروج.(21)أي عنقه.(22) في الأصل : أربعة.(23)زيادة للرّبط.

مـن أجناس(1) حلفة الحجاز، و[توجد](2) رحبة الزّرع **[148و]**بين(3) المسعى وحائط الحرم، رطلهم ستّة أواق، وكيلهم موافق(4) ، ودرهمهم فضّة وصرفهم فضّة وذهب وفلوس(5) . عيشهم الغالب لحوم الجمال، وإدامهم أكثره السّمن. والغالب عليهم تمر العجوة(6) المطمّر(7) يخزّنونه(8) ويدسّونه(9) مثل دسّ التّين، له حلاوة مثل العسل. وكلّ أرض وما خصّها الله [به](10) . [وهم](11) فرحون(12) بأوطانهم يزعمون أنّ [ليس](13) لهم في الفرح مثال(14) . وهكذا جميع البلاد والأوطان في أعين أهلها جنّة في المثال(15) .

(1)في الأصل : من جنوس.(2)زيادة للتّوضيح.(3)في الأصل : في.(4) موافق لاحق.
(5)الفلوس تكون من النّحاس.(6)أي التّمر المحشيّ في وعائه.(7)في الأصل : المتمّر، وطمّر : خزن.
(8)في الأصل : ويخزنوه.(9)في الأصل : ويدسّوه.(10)زيادة للتّوضيح.(11)زيادة للرّبط.
(12)في الأصل : فارحون.(13)زيادة للتّركيب.(14)أي ليس لفرحهم شبيه.(15)في التّشبيه.

[اليمن]

قال المؤلّف : هذا ما وصفناه في حرم مكّة المباركة، ونخرج إلى وصف مدائن اليمن وملوكها وخصائص اليمن وفضائلها : أوّل **[148ظ]** ما نصف مُلك حلي بن يعقوب اليماني (1) والأقربِ إلى مكّة. ذريّته أولاد يعقوب الشّريف الحسني في النّسب، قال النبيء عليه السّلام : «الإيمان إيماني والكعبة يمانيّة» فكأن اليمين والكعبة من(2) إقليم واحد وسط الأرض وأعلاها، بدليل قوله عائشة : لم أرَ في القمر أضوأ ممّا(3) رأيته بمكّة، ورأيت الفلك أقرب بمكّة، وعليه استوى في الفلك والشمس بدليل قوله عليه السّلام : «حرّ مكّة وجوع المدينة»، و(4) يكون الجنوب جدول من الشّمس، والشمول من الأرضي النّازلة الباردة، فهي على هذا أرفع البلاد وأعلاها بأربعين ذراعًا من الذّراع الهاشمي الكبير. وعلى هذا **[149و]** دليل أهل الكرة أنّ الأرض كرويّة(5) داخلة في قبة السّماء بطلوع الشمس من النّازل إلى [خطّ](6) الاستواء بالعلوّ ثمّ بالنّازل إلى أن تغرب إلى(7) الأدنى(8) .

قال المؤلّف رحمه الله : صفة أهل مكّة وأهل اليمن السّمرة(9) . والحمرة والخضرة، وهم كُحْل العيون، الرّجال والنّساء في ذلك سواء، ولكن(10) في الطّبع، اختلفت بينهم الطبائع : أهل مكّة أهل سرعة وأهل اليمن أهل عقول مهدّنة(11) [وهم](12) أقوام كلامهم ليّن، الرّجال [منهم](13) والنّساء، وأهل مكّة مسروعون(14) [في](15) الكلام، فصحاء اللّسان كثيرو(16) السّرعة في الفعل. وقتل الرّوح عندهم مثل

(1) في الأصل : حيّ. وحلي ابن يعقوب مدينة على ساحل البحر الأحمر (الخريطة الجغرافيّة).

(2)في الأصل : وهو.(3) في الأصل : ما.(4) في الأصل : ومنها.(5)في الأصل : الكورة.

(6)في الأصل : كرّية.(7)زيادة للتّوضيح.

(8)في الأصل : والأدنى. يذكر ابن الصباح معلومات فلكيّة تدلّ على المستوى العلمي المتدهور للموريسكيّين في ذلك الوقت.

(9)في الأصل : السّمورة.(10)في الأصل : لاكن.(11)من هدّن أي سكّن.

(12) زيادة للرّبط.(13)زيادة للتّركيب.(14)في الأصل : سارعين.(15)زيادة للرّبط.(16)في الأصل : كثيرين.

[قتل](1) روح العصفور. وأهل اليمن أصحاب العفّة والهُدْنة(2) في **[149ظ]** الكلام، والبيع والشّراء كلام واحد، ولكن لباس أهل مكّة وأهل اليمن، الرّجال والنّساء سواء، [يتكوّن من](3) مِزْقين(4) طول العمر. الرّجل رداء مشدود في وسطه ورداء آخر على منكبه. والشّعور(5) الكحل مزينةٌ بالحنّاء والكتم(6) ، لا يُرون(7) إلاّ بالشعور [قد طالت](8) إلى المناكب مكحّلن العيون بالكحل الأسود الإثمد(9) . إلاّ [أنّ](10) صفة للرّجال(11) والنّساء [أنهم](12) كثيرو(13) الشّفقة على الغريب.

لكن أهل مكّة فيهم السّرعة والغضب بخلاف أهل اليمن. وهذا دليل على أنّ الطبائع اختلفت بينهم(14) ، [ذلك](15) أنّ أهل مكّة من ذريّة إسماعيل وقيدار(16) وآل عدنان، وأهل اليمن [من](17) حمير وآل قحطان. فهم من العَرَب **[150و]** العاربة، وأهل مكّة والحجاز العرب المستعربة. وأهل اليمن أخوال أهل مكّة. وذلك أنّ إسماعيل تزوّج امرأتين من مضاض بن جرهم(18) بن قحطان، فاختلفت بينهم الطبائع دون العادة والألوان، فإنّها واحدة بدليل قوله عليه السّلام : «العرق دسّاس».

قال الرّاوي ابن الصبّاح رحمه الله : ولقد رأيت أهل اليمن معنا مجاورين في مكّة شرّفها الله، يجاورون في مكّة سبعة أشهر بعد انصراف الحاجّ(19) حتّى يزوروا(20) قبر النّبيء عليه السّلام، ويرجعوا(21) إلى مكّة وينصرفوا(22) إلى بلادهم اليمن بعد

(1)زيادة للتّوضيح.(2)المصالحة، والهدوء.(3)زيادة للرّبط.(4)المزق مفرده مزقة وهي القطعة من الثّوب.
(5)الشعور مفرده شعَر.(6) الكتم : نبات يخضّب به الشّعر ويصنع منه المداد.(7)في الأصل : ما يُروا.
(8)زيادة للتّوضيح.(9)اعتبرنا الجملة المبتدئة بـ «لا يُرون» خاصّة بالنّساء دون الرّجال.
(10)زيادة للتّركيب.(11)في الأصل : الرّجال.(12) زيادة للتّركيب.(13)في الأصل : كثيرين.
(14)في الأصل : على أنّ اختلفت بينهم الطبائع.(15)زيادة للرّبط.
(16)في الأصل : قيدر، وقيدار قبيلة عربيّة سكنت ربوع تدمر ومنطقة الجنوب الشّرقي من دمشق (المنجد في اللّغة والأعلام ص 422).
(17)زادة للرّبط.
(18)في الأصل مضاضن بن جرهم. وجرهم : قبيلة عربيّة قديمة قيل إنّها جاءت من اليمن وأقامت في مكّة وهلكت كما هلك أهل عاد وثمود وكانت من العرب العاربة (المنجد في اللّغة والأعلام ص 169).
(19)في الأصل : الحجّ.(20)في الأصل : يزورون.(21)في الأصل : يرجعون.(22)في الأصل : ينصرفون.

خمسة أشهر على طريق حلي ابن يعقوب [الذي](1) بينه وبين مكّة خمسة عشر يوما، ومنه يسير النّاس إلى جميع اليمن : [و](2) حلي ابن يعقوب هو أوّل أراضي تهامة، وهي في اللّغة كُدى الرّملِ وفي لغة أخرى الأحقاف وفي لغة أخرى الجبال(3) ، ودليل ذلك قوله تعالى ﴿واذْكُرْ أَخَا عَادٍ(4) إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بالأَحْقافِ﴾(5) فكانت بيوتهم على كدى الرّمل. لأنّ الرّمل في الحجاز واليمن غالب على أكثر بلادهم.

ثمّ نذكر ملك حلي وهم أهل الحرث والنّسْلِ والرّخاء والسّمن، والغالب على بيوتهم بيوت الشَعر، وبُنْيانهم قليل. إنّهم كلّهم(6) عرب، والعرب لا ترى بالبناء إلاّ ترحل وتنزل(7) ، وأنّهم لا يرون إلاّ بالخيل والجمال. أناس بادية كثيرو(8) الخيرات، أصحاب الأمر بالمعروف **[151و]** والنّهى عن المنكر على السّنّة والجماعة. ثمّ نذكر مَلِك بني الصبّاح الأوّل [و]مُلْكهم وبلادهم التي جاء(9) منها أجدادنا إلى الأندلس وانتشروا فيها قبائل كثيرة من بلاد تهامة اليمن [المقابلة لـ](10) لساحل بحر الحبشة. وجبال بلاد تهامة(11) في(12) ملك واسع سهلا ووطا(13) . [وهي](14) جبال عالية لا يقدر عليها فارس ولا حارس، أرض في نعمة(15) ، شاملة على الماء، يحرثون القمح والشعير والقطانية(16) البيضاء والبَيْنَج(17) الأخضر. وجميع الزّرع عندهم، والفواكه على أنواعٍ، أرض معتدلة الماء والهواء معدودة من مساكن(18) أرض سبا، قال(19) تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسَاكِنِهِمْ **[151ظ]** آيَة جَنَّتَانِ عَنْ يَمِنٍ وَشِمَالٍ(20) ﴾. وهذه البلدة متّصلة ببلاد مأرب(21) موضعُ السدّ وقلعة العرش. ومن طرف مكّة حدّها بلاد الطائف. وتلك المياه التي في الطائف من بركة هذه البلدة الطيّبة. أرض مأرب [هي أرض](22) سبأ ين حميرَ و[أرض] كهلان آل قحطان اليمن، فيها اليوم ملوك بني صالح

(1)زيادة للتّركيب.(2)زيادة للرّبط.(3)يورد المؤلّف أسماء مختلفة، وقوله في لغة أخرى أي تسمية أخرى.
(4) هو النبيء هود عليه السلام.(5) 46 ك، الأحقاف، الآية 21.(6)في الأصل : إنّ كلّهم.
(7)تعبير دارج للدّلالة على أنّ العرب الرّحل لا يُعرفون بالبناء وهم معروفون بالتّنقّل.
(8)في الأصل : كثيرين.(9)في الأصل : الذي جاءه.(10)زيادة للتّوضيح.(11)في الأصل : جبالها بلاد تهامة.
(12)في الأصل : و.
(13) الوطا في الدّارجة هي الأرض المنبسطة.(14)زيادة للرّبط.(15)في الأصل : ينعمه.
(16) في الأصل : القطنية.(17)لعلّه البيبونج. : وهو نبات مخدّر للتّبنيج.
(18)في الأصل : مساكِينهم، على عادة تطويل بعض الحركات، وهنا الكسرة في الكاف.
(19)في الأصل : قوله.(20) 34 ك. سبأ، الآية 15.(21)في الأصل : قارب.(22)زيادة للتّوضيح.

الأصبحيّون الكرام، وهم إثنان(1) من الأخوة محمد وأحمد، ملوك الزّمان فيهم(2) الكرم الجزيل والضّيوف لا(3) ينقطعون عليهم في اللّيل والنّهار :ذبائح للغنم للضّيوف، [هم](4) فوارس ورجال(5) . مساكين وأغنياء كلّ الحضور يأكل عندهم الطعام من أنواع الألوان. ملوك تهامة كلها من ساحل بحر الحبشة **[152و]** إلى جبال مأرب كلّهم عرب بادية بالحرث والنّسل. بلاد تهامة وأرض مأرب هي أرض سبا بن يحشب من يعرب من مضاض بن جرهم بن قحطان بن هود عليه السّلام [و](6) هي بلاد حمير وكهلان، ومنها انتشرت إلى يثرب مدينة النّبيء ﷺ، [فيها](7) الأوس والخزرج وهم الأنصار، مشيخة أبي أيّوب الأنصاري ورجاله من اليمن المذكور(8) . بلاد الصبّاح فيها كان أبرهة بن الصبّاح والفارس المذكور بالفروسيّة والشجاعة في جميع الكتب إلى اليوم، أمثاله تضرب في جميع الكتب المذكورة بالحرب، [وهو](9) صاحب جيوش الحبشة والفيلة والقوّة والفطانة **[152ظ]** والكياسة والصّناعة في الحرب والضّرب والبطش الشّديد، تضرب به الأمثال عند العرب والعجم والحبشة والسّودان وملوك كسرى والقياصرة والهراقلة وملوك والهند والصّين الأقصى. به الأمثال تضرب في الشّجاعة بملك تهامة وجميع اليمن(10) [في](11) الحرب بالقتل والقهر والحيلة والسّياسة والرّياضة والفطنة(12) . وأيّام السّعادة مكتوبة مؤجّلة محتومة في كلّ بنية اللّوح المحفوظ مخطوط بالقلم : ما جرى وما [سـ](13) يجري على الكائنات إلى آخر الزّمان. فكان من هذا الملك الصّباحي المشهور والفارس المذكور [و]من علامة **[153و]** فطنته مع الملك النّجاشي الحبشي في قصّة يطول حديثها في قصّة الكنيسة

(1)في الأصل : اثنين .(2)عادة ما يعتبر المؤلّف المثنى جمعا تأثّرا باللّغة الإسبانيّة.(3)في الأصل : ما.
(4)زيادة للرّبط.(5)رجال (دارجة) بمعنى يتصفون بالرّجولة والشّجاعة.(6)زيادة للرّبط.(7)زيادة للرّبط.
(8)في الأصل : المذكورة.(9) زيادة للربط.
(10)في الأصل : «شجاعة الحرب ملك تهامة وجميع اليمن» ، بتقديم كلمة الحرب تأثرا باللّغة الإسبانيّة ممّا يدلّ على أنّ المؤلّف يفكّر باللّغة الإسبانيّة ويكتب باللّغة العربيّة.
(11)زيادة للتركيب.(12)في الأصل : الفطنة.(13)زيادة للتّوضيح.

المسمّاة بلقليس في اليمن للملك الحبشي نجّسها تجّار من عرب مكّة(1) فكان ذلك سببا في حركة أبرهة الملك الصباحي بن الصّباح : عجائب سابقات في علم الله في الأزل. جعل سبب تنجّس تلك الكنيسة من آل عدنان(2)، حتّى أنّ الملك الحبشي غضب فأرسل إلى الملك أبرهة ابن الصبّاح [قائلا](3) : إن أُنت لم تنفّذ أمري في هؤلاء العرب الذين أهانوا حرمتي في كنيستي أحلف أنّي أطأ رأسك وأخرّب ملكك وأحلّق شعر رأسك وشعر لحيتك.

قال [المؤلّف] : انظر **[153ظ]** أيّها القارئ والمستمع إلى فطنة هذا الرّجل وسياسته [في](4) مملكته [و](5) حفظها من الأسوإ والمضرّة، كي لا يطأ بلاده ملك الحبشة : قام أبرهة ابن الصبّاح وحلق(6) شعر رأسه ولحيته وربطه(7) في خرقة حرير وملأ مزودًا من تراب اليمن وأرسل رسوله إلى الملك الحبشي في مركب في البحر الكبير، وكتب للحبشي كتابا يقول فيه : أيّها الملك المعظّم في أقطار الأرض إن كنت حلفت على وطء(8) تراب أرضي وحلق رأسي ولحيتي، فهذا تراب فَطَأْه(9) بأقدامك وهذا شعر لحيتي ورأسي واخرج عن يمينك(10)، واقعد في بلادك، وعليّ إنفاذ **[154و]** أمرك، لكن تمدّني بالجيوش والفيلة ونسير إلى مكّة، إلى بيت العرب وقبلتها ونأخذ ثأرك من آل عدنان(11)، قال : فسُرَّ بذلك الملك الحبشي، وقال قد : عفوت عن إيطاء بلادك(12). ﴿إِنَّ المُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾(13) كما جرى في قصّة بلقيس في خبر الهدهد(14) مع سليمان بن داود عليه السّلام.

(1) في الأصل : قصّة كنيسيّة المسمّاة باليمن الملك الحبشي من تاجر من نتجوسها من عرب مكّة.

(2) المقصود : جعل الله تنجيس الكنيسة من طرف آل عدنان سببا في غضب ملك الحبشة وأمْره مَلِكَ اليمن الحبشي أبرهة بتهديم الكعبة ليتحوّل العرب فيصبح حجّهم إلى كنيسته في صنعاء (انظر سورة الفيل في «تفسير التحرير والتّنوير لابن عاشور ج 30/ص 546).

(3)زيادة للرّبط.(4)زيادة للرّبط.(5)زيادة للربط.(6)في الأصل : حلق.(7)في الأصل : ربطها.

(8)في الأصل : وطإ.(9)في الأصل : فأطأها.(10)أي : أبَرَّ بيمينه، والعبارة في النص من الدّارجة.

(11)مدنّس الكنيسة كما جاء في تفسير التّحرير والتّنوير ج 30 ص 546 هو أحد بني فُقيم من بني كنانة وكانوا أصحاب النّسيء في أشهر الحجّ. والنّسيء : من قولهم نسأ فلان الشيء نَسْأً، أخّره. والمراد تأخير حرمة الشّهر إلى شهر آخر، يفعل ذلك القويّ خوفا من إفلات خصمه إذا أوقف قتاله احتراما للشهر الحرام. والنّسيء كفر كما جاء في 9م. التوبة، الآية 37 وهو من عادات الجاهلية.

(12)من أوطأ فلانا أرضا : جعله يطؤها.(13) 27 ك. النّمل، الآية 34. (14) في الأصل : بنت الهدهد.

قال المؤلّف : كانت هذه النازلة(1) في حياة عبد المطلب جدّ النبيء ﷺ. قال: فأخذ الحبشي في جمع(2) الجيوش والفيلة والمراكب، وأرسل إلى أبرهة الملك، ملك أعراب اليمن وتهامتها أي رملها وعمرها(3) **[154ظ]**، وجيّش الجيوش إلى اليمن ووكّل عليها حبشيّا أمّره عليها، وكتب إلى أبرهة : أنت موكّل على أمري وجيشي فأنفذ أمري في هؤلاء العرب أهل هذا البيت وانقله حجرا حجرا إلى موضع كنيستي وآتني بحجارتها(4) أبني بها كنيسة(5) أخرَى جوار كنيستي، حتى تكون رفعة لي وتهاونا(6) بهم إلى آخر الزّمان ومثلة(7) بين ملوك العرب والعجم.

قال [المؤلّف](8) لمّا سبق في علم الله تعالى شقاوة الملك أبرهة بن الصبّاح، ختم [الله](9) على قلبه بالجهل والعصيان. وكان من أهل الشقاء، وزيّن له الشّيطان أن ذلك رفعا له. قال المؤلّف : أبرهة بن الصبّاح [له] معارك مع جملة من **[155و]** الملوك. وكان يغلبهم بالشدّة والقوّة والخدعة حتّى كان له مع أمير الحبشة معركة، فزرقه الحبشي بالمِزْراق(10) على جبهته وأنْفه وشفته فشقّها، فكان أبرهة أشرم(11) . فقام الملك أبرهة بأمر الملك الحبشي قياما [حسنا]: بالجموع والجيوش والفيلة والعدد يقود الجيوش إلى مكّة جميعا(12) . ولم يعلم أبرهة بن الصبّاح أنّه في وفوده(13) إلى بيت الله الحرام، أنّ له من يحميه ويطرد عنه من هو أكثر من أبرهة جمعًا. قال [المؤلّف](14) : فوصل الملك ابن الصبّاح إلى جبل عرفة الواسع الصّرام(15) فنزل بالجيوش الحبشية ومن معه من عرب اليمن تحت **[153ظ]** طاعته جميعا، وغارت الغارة بالخيول والدّروع والبيضات(16) العادية(17) والخيل اليمانيّة السبق العربيّات(18) والفيلة الحبشيّة على

---

(1)النّازلة (دارجة) بمعنى الحدث.(2)في الأصل : جمع.(3)أي البادية، والحضر بما فيه من عمران.
(4)في الأصل : حجارها.(5)في الأصل : كنيسيّة.(6)أي رفعة لقدره ومذلّة لهم.
(7)مثلة : استعملها بمعنى عبرة.(8)زيادة للتّوضيح.(9)زيادة للتّوضيح.
(10)زَرقَه أي رماه بالمِزْراق. وهو الرّمح القصير.
(11)شرَم الشيء شَرْما : شقّه، والأنفَ قطع أرنبته فصاحبه أشرم.
(12)التركيب يجب أن يكون كالآتي : يقود الجيوش جميعا إلى مكّة.(13)في الأصل : إفادته.
(14)زيادة للتّوضيح.(15)أي الواسع الأرجاء، ومنه الصّرماء : المفازة.
(16)مفردها بيضة وهي الخوذة من الحديد تلبس في الحرب لوقاية الرّأس.
(17)العادية وصف للخيل لا للبيضات.(18)وصف للخيول العربيّة اليمنيّة السّبّاقة.

أموال(1) أهل مكّة فجمعتها جمعًا وكان فيها [لِـ](2) آل عبد المطلب من(3) مال أهل مكّة جملة جمال، بما يسوق ويحلب بها لعياله(4) . فكان [هجوم أبرهة](5) على أهل مكّة بأسًا شديدا وخوفا كثيرًا لم يروه قطّ. وكان عبد المطلب ظهر له في ذلك الوقت شأن عظيم وكرامات من عند الله ببركة المولود في ذلك العام محمّد المصطفى ﷺ، فقام عبد المطلب يطلب من أبرهة الملك [استرجاع](6) جماله **[156و]** التي أُخذت له في الغارة(7) .

قال المؤلّف : فقال له الملك : يا عجبا منك يا هذا الرّجل، ظننت أنّك ترغب في بيتك وحدك(8) وأنت تطلب منّي ردّ جمالك إنّ هذا لشيء عجيب، فقال له عبد المطلب : إنّ الجمال أنا ربّها وإنّ البيت له(9) ربّ يحميه.

قال المؤلّف : وكان عبد المطلب رجلا حسن الوجه، حسن اللّغة مكمول(10) القدّ، يخرج من جبينه نور ساطع وضياء لامع كأنّه البرق اللاّمع. قال : فبقي أبرهة ينظر إلى عبد المطلب، ووقع له في قلبه حبّ له وذلك ببركة محمّد ﷺ. فقال أبرهة: أعطوه ما طلب، فرجع عبد المطلب إلى مكّة بجماله فرحا(11) مسرورًا. فلقيه(12) أهل مكّة [وهنّؤوه](13) ودعوا بسَلامة(14) **[156ظ]**مكّة. [وبعد](15) يوم واحد خرج(16) جميع أهل مكّة كبارًا وصغارًا ورجالا ونساء حتى خلت مكّة، يجمعون عدّة(17) الحرب وآلة جيوش الحبشيّة واليمن [بعد هزيمتهم] (18) ، واستغنَى(19) أهلُ مكّة(20)، وزال عنهم الخوف والعناء. والله إنّه كان على أهل مكّة خوف عظيم [لا](21) يرى الخائفون أشدّ

(1)يستعمل كلمة أموال للدّلالة على ما يملك العرب من الجمال.(2)زيادة للتركيب.(3)في الأصل : في.
(4)أي هي قوام تجارته وقوت عياله.(5)زيادة للتّوضيح.(6)زيادة للتّوضيح.(7)في الأصل : في الغار.
(8)أي: ترغب وحدك في حفظ البيت الحرام الذي جاء أبرهة لحمل حجارته.
(9)في الأصل : لها، وفي ذلك الوقت يعود الضّمير على معنى «البيت» أي الكعبة.
(10)المقصود كامل القدّ.(11)في الأصل : فارحا.(12)في الأصل : فلاقته.(13)زيادة للتّوضيح.
(14)في الأصل : بالسّلامة.(15)زيادة للرّبط.(16)في الأصل : وخرجوا.(17)في الأصل : عدد.
(18)زيادة للتّوضيح لأنّ المؤلّف اختصر قصّة هجوم أبرهة على مكّة : فقد انتقل بسرعة من هجومهم على الكعبة إلى هزيمتهم وفرح أهل مكّة لانكسارهم وخيبتهم.
(19)في الأصل : استغنوا.(20)استغنوا من كثرة السّبي والغنائم.(21)زيادة للتّوضيح.

منه لأنّه كان خوفا من أقوام خُشْن، لا يعرفون لهم كلاما. أمّا لو كان خوفهم من عرب مثلهم ما كان عليهم شديدا لأنّ العرب تَعرف بعضها بعضا، وإنّما كان ذلك الخوف لأنّهم أقوام عجم غشام[1] ظالمين نصرانيّين أعداء لقريش، فكان لهم منهم خوف شديد.

قال المؤلّف **[157و]** عبد الله بن الصبّاح رحمه الله : لمّا خرج[2] أهل مكّة بلفّها[3] وجمعها وكثرتها، ولم يبق في جوار البيت الحرام أحدٌ ذمّهم الله تعالى بقوله **﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا البَيْتِ الذي أَطْعَمَهُم مِن جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾**[4] أي خوف أبرهة والحبش وجيوش الفيلة في القصّة المشهورة[5] .

قال المؤلّف : إنّ أحسن ما يُثبت من القصص وأولى ما يتّبع ما ورد بأفصح لسان وأبين كلام وأحسن نظام من لفظ نبيّنا المعصوم من الزّيغ والخطإ وكلام من لا تخالطه الظّنون[6] » قوله تعالى **﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ [157ظ] فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الفِيلِ﴾**[7] إلى قوله: **﴿مأْكُول﴾**. قالت جماعة من أهل التّأويل والتّفسير : إنّ سورة **﴿أَلَمْ تر﴾** وسورة **﴿لإيلاف قريش﴾**، إنّهما سورة واحدة[8] ، ودليلهم من[9] هذه القصّة المتّصلة: في يوم واحد ووقت واحد خرج[10] أهل مكّة من بلادهم، في ذلك اليوم فرحا حتّى لم يبق بجوار البيت المتعبّد[11] في الجاهليّة والإسلام أحدٌ، فدلّت[12] على ذلك هذه الألفاظ المتشابهة بالمعنى[13] أنّ الله ذمّهم على خروجهم وتفريطهم[14] [في][15] عبادته[16].

---

(1)استعملها جمعًا لغاشم وهو الظّالم.(2) في الأصل : خرجت .(3)في الأصل : بألْفها.

(4) 106 ك. قريش، الآية 4 - 63.

(5)لم نجد لدى المفسّرين مَن أشار إلى الذّم، أو بيّن أنّ الخوف المذكور في الآية هو الخوف من أبرهة.

(6) جاءت هذه الفقرة في الأصل على النّحو التّالي : قال المؤلّف : « إنّ أحسن إثبات القصص وأولى ما يُتبع، وأفصح لسانا وأبين كلاما مشروحا وأحسن نظاما منظوما ولفظ نبيّا معصوما، كلامُ نبيّنا، معصوما من الزّيغ والخطإ من بيات الأبيات والنّظم المنظوم.

(7) 105 ك . الفيل، الآية 1.

(8)فعلا جعلها أبيّ بن كعب مع سورة الفيل سورة واحدة، ولكنْ وقع الاجماع على أنّهما سورتان (تفسير التّحرير والتّنوير 30/ص553).

(9)في الأصل بهذه.(10)في الأصل : وخروج.(11)أي المتعبّد فيه.(12)في الأصل : دلّ.

(13)في الأصل : بالمعنا.(14في الأصل : تفريط.(15)زيادة للتّوضيح.

(16)تأويل لم نجد له أثرا في كتب التّفسير.

وذكّرهم نعمته التي أنعم عليهم، [وذلك][1] أنّهم كانوا إذا جاعوا زادهم الله قوّة فكان جوعهم إطعاما. وذكّر خوفهم[2] [من][3] عدوّهم **[158و]**، وشدّة خوفهم منه، فأمّنهم الله من عدوّهم، وعاد خوفهم أمْنا، وهذا وجه صحيح وكلام مرتّب.

قال المؤلّف : نرجع إلى قصّة أرض تهامة وبلاد اليمن الطّيّبة المباركة العربيّة النّقية من جميع طوائف اليهود والنّصارى والمجوس، نقيّة على دين الحنفيّة لا يخالطهم دينُ غيرهم، ولا يسكن إقليم اليمن والحجاز كلّه إلاّ العرب، كلّهم على دين الحنفيّة، ولا يسكن فيها يهودي ولا نصرانيّ ولا مجوسي[4] أبدًا، وهذا من خصائص إقليم اليمن والحجاز. وهذا ببركة النبي الشّريف حيث أمره الله أن يُخرج أهل الكتاب لأوّل الحشر[5] **[158ظ]** من الشّام. فخرج جميعُ الطّوائف، ومن كان على غير دين الإسلام من جميع العجم.

قال المؤلّف رحمه الله : صفة بلاد اليمن : أرض كريمة طيّبة وكفى بها أنّ الله تعالى سمّاها بلدةً طيّبةً، وهو[6] أرض سبأ، وملكه[7] ملك التّبابعة القحطانيّين الحميريّين[8]. بلاد اليمن خصّها[9] الله بالمياه الطيّبة والهواء الطيّب المعتدل. انظر أيها القارئ والمستمع[10] : من طيب هذه البلاد [أنّ أهلها][11] يحصدون الزّرع مرّتين وثلاث ويخلّف[12] حتّى يستوي على سوقه. ومن خصائص هذه البلاد أرض مأرب المخصوصة بالفضل والكرم، أنّ فيها[13] السدّ وقلعة العرش والجنّتين المذكورتين في القرآن عن يمين وشمال[14] **[159و]**. هي بلاد مأرب باليمن، سكّانها اليوم آلُ قحطان العرب العاربة القديمة[15]، وآل حمير وآل كهلان سكنوها أوّلا وسبا. منهم اليوم ومن ذرّيتهم قبائل الصبّاح وقبائل قحطان، ومنهم عمارة اليمن كلّها، ومنهم

---

(1)زيادة للرّبط.(2)في الأصل : خوف.(3)زيادة للرّبط.(4)في الأصل : يهوديا ولا نصرانيا ولا مجوسيا.
(5)أي إلى يوم الحشر.(6)الضّمير يعود على اليمن.(7)الضمير يعود على اليمن.
(8) في الأصل : القحطانيّون الحميريّون.(9)في الأصل : أخصّها.
(10)هذا يدلّ على أن المؤلّف أملى رحلته وبعض المستمعين كتبوها.(11)زيادة للتّوضيح.
(12)أي يعود وينبت ثانية.(13)في الأصل : فيها هو.
(14)ذكرت كلمة «جنتين» في القرآن ثمان مرّات، والإشارة إلى سورة سبأ رقم 15، الآية 34.
(15)في الأصل : عرب العاربة.

الملك ابن ذي يزن[1] ، أولاد صفيّ الحميري، ومنهم أبرهة ابن الصبّاح، وكان له ابنه قيسوم، يُعدّ [وهو][2] على سرجه بألف فارس. وهؤلاء الأصباحيّون الذين[3] هم اليوم ملوك تهامة ومشائخ عرب البادية والجبال كلّهم من ذريّة قيسوم بن أبرهة ابن الصبّاح صاحب الفيل في الجاهليّة. منهم انتشر[4] بنو الصبّاح في المغرب والمشرق والأندلس، ومنهم **[159ظ]** الفقيه مالك عالم مدينة يثرب، مدينة رسول الله ﷺ، ومنهم بلقيس زوج سليمان بن داود عليه السّلام. وهي[5] آخر ملوك التّبابعة من ملوك حمير وملوك اليمن. ولقد كان في هذه القبائل من الفضائل في الجاهليّة والإسلام : في الجاهليّة مثل الملك سيف بن ذي يزن[6] على عهد عبد المطلب. وكان عبد المطلب يعطيه سيفُ بن ذي يزن[7] ملكُ اليمن عولتَه[8] كلّ عام كرامة فيما كان يجد عنده[9] من ولادة النبي عليه السّلام.

قال المؤلّف : لقد كان هذا القبيل قبيلا مباركا في الجاهليّة والإسلام حتّى طلع منهم في الإسلام **[160و]** الإمام الحافظ والفقيه الماهر والنّبيل الفهيم إمام المدينة ومُلاَزِمُ محراب الخلافة[10] وملازم حديث رسول الله ﷺ، يضبط[11] السّنة، اقتدت بفقهه المشارق والمغارب، ويُبعث له في مذهبه الأربعة مذاهب[12]. وكفى بمذهبه القاهر بالسّيف على الخارج[13] من بشّر بهم أهل التّاريخ من علماء آخر الزّمان الذين ما بعدهم مجتهد ولا طالب: [و][14] الأيمّة الأربعة أيمّة السنّة في المشارق والمغارب، وذلك[هو][15] مالك بن أنس الخير بن مالك بن عامر بن الصبّاح الأصبحي[16] فقيه

---

(1)في الأصل ابن ذي مزن.(2)زيادة للتّوضيح.(3)في الأصل : الذي.

(4)في الأصل : انتشروا.(5)في الأصل : هي.(6)في الأصل : ذي يزان.(7)في الأصل : يازان.

(8)العولة والعويل : رفع الصّوت بالصّياح. وهنا استُعملت للدّلالة على «قوت عام» يحضره المرء أو يهدى إليه، من عَالَ يَعُول عائلتَه : كفاهم عيشهم. والكلمة مستعملة إلى اليوم في الدّارجة التّونسيّة.

(9)أي يتنبّأ، وهذا من الأساطير.

(10)تسمية من المؤلّف للمحراب الموجود في مسجد الرّسول. وكان مالك يجلس فيه أو بجواره لإلقاء دروسه، ويبدو أنّه جرت العادة أن يصلّي فيه من يزور قبر الرّسول من السّلاطين والأمراء تبرّكا.

(11)في الأصل : يظبط.(12)يقصد أنّ عن مذهبه تفرّعت المذاهب السّنّيّة الأخرى.

(13)لعلّه يشير إلى مقاومة أصحاب المذهب المالكي أهل البدع والخارجين عن السّلطان.

(14)زيادة للرّبط.(15)زيادة للرّبط.

(16)هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمر بن الحارث بن خيثل بن عمر بن الحارث الأصبحي (EI / 2). ج VI / 247.

المدينة ومؤلّف الموطّأ والمدوّنة(1) وكفى بهما من شرف لقبيل(2) الصبّاح والأصبحيّين في الإسلام **[160ظ]** ونعم الشرف(3).

قال المؤلّف : ثمّ كذلك نذكر عجائب سبأ(4) والد حمير وكهلان، ومنهم الأنصار. قال المؤلّف رحمه الله : لمّا كانت لسبأ البلاد وقَهْر العباد، طلع على منبره يخطب في قبائل العرب وملوكها قال(5) : معشر(6) العرب هل علمتم ما أريد [أن أقوله](7) بهذه الخطبة. قالو : لا علم لنا أيها(8) الأمير، قال : إنْ عقلٌ يمشي عن شمالي وعقلٌ(9) يمشي عن يميني فقطع(10) الواحد [منهما](11) الآخر [بالسّيف](12) ماذا كنتم فاعلين؟ قالوا نحول(13) بينهما أيها(14) الأمير. قال : حزاكم الله عنّي خيرا، إنّما أردت بيميني هذا ابني حمير، وشمالي ابني هذا كهلان، وكانا معه(15) على المنبر واحد عن بيميني والآخر عن **[161و]** شماله، [و](16) إنّي أرى الزّمان والدّهر أهلكا(17) من كان قبلنا، وإنّي أريد أن أقسّم اليوم ملكي بين ولديّ(18) : حمير وكهلان. وكان حمير هو الكبير. قال فانظروا ماذا يصلح للشمال فاعطوه مَن على شمالي، وانظروا ماذا يصلح لليمين فاعطوه مَن على يميني(19) قالوا : أيّها الملك : يصلح لليمين(20) : السّيف والقلم والتّاج والعلم والسّياسة والرّمي(21) والملك، وأن يكون فاتقا راتقا(22) سيّسا(23) وسيما(24)، كريما مُرَيّضا(25) عالما بالأمور، مفصّلا(26) بالحقّ. فنظروا

(1)هو مؤلّف الموطّأ أما المدوّنة فلسحنون فقيه القيروان.(2) في الأصل : لقيل.
(3)في الأصل الشراف.(4) يستعمل «سبأ» اسما لشخص لا لبلد.(5)في الأصل : وقال.
(6) في الأصل : معاشر.(7)زيادة للتّوضيح.(8)في الأصل : أَيُّهَ.(9)في الأصل : عقلا.
(10)في الأصل : فقطع.(11)زيادة للتّوضيح.(12) زيادة للتّوضيح.(13)في الأصل : نحولوا.
(14) في الأصل: أيُّهَ.(15)في الأصل: على.(16) رزيادة للرّبط.(17) في الأصل: أهلك. (18) في الأصل: أولادي.
(19)التعبير سقيم ولكن المعنى واضح ، فالملك أراد من الرّعيّة أن تنظر في شخصية ولديه فتسند إلى كلّ واحد منهما المهام التي يستطيع القيام بها.
(20)أي يصلح لمن كان على يمينك. (21)هذه الكلمة لا تنسجم مع السّياق، ولكنّها واضحة في النصّ .
(22)عبارة للدّلالة على السّلطة المطلقة، واليوم نقول في الدّارجة التّونسيّة : فاتق ناطق.
(23)في الدّارجة التّونسيّة نقول اليوم : فلان سيّس أي لطيف في سلوكه.(24) في الأصل : سيفا.
(25)بمعنى هادئ، والكلمة المستعملة اليوم هي «رايض» وسيوردها المؤلّف بعد قليل عند ذكر أوصاف حمير.
(26)بمعنى يفصل بين المتخاصمين بالحق.

[في](1) هذه الخصال فوجدوها في حمير، فأعطوا(2) حمير السّيف والقلم والملك والتّاج، وأعطوا(3) كهلان القوس والدّرقة والعنان، فصارت الأرض قصبة ممهّدة، كهلان **[161ظ]** بالجيوش وحمير يمدّه بالخيل والرّجال(4) . فكان حمير ملكا كريما وسيما رايضا(5) ، قهر المشارق والمغارب حتّى قاتل ياجوجا وما جوجا، وكانت مملكتُهم سعيدة(6) [إلى](7) آخر [ملكة وهي](8) بلقيس بنت أبي عمرو الهدهد. [و](9) كانوا يتبعون [في](10) الملك بعضهم بعضا(11) ، ولذلك سمّي قومهم قوم تبّع، [و](12) كانوا أفصح العرب لسانا، قدّمهم الله على قريش في الفضل والفصاحة والقوّة في الملك والسّعة في الرّزق فقال تعالى ﴿**أَهُمْ خيرٌ**(13) **أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ**﴾ إلى قوله ﴿**أَهْلَكْنَاهُمْ**﴾(14) . وكانت قريش مثل معاوية(15) وابن عبّاس. [وغيرهم](16) يفسّرون القرآن في اللّغة بأبيات [من شعر] تبّع لفصاحتهم.

قال المؤلف : لو نصف قصص اليمن **[162و]** وملوكها وخصائص بركاتها ما نبلغ(17)، ولكن نذكر باختصار من كلّ شيء، وكفى بها [بلدًا](18) من بلاد الله تعالى سمّاها «بلدة الطيب والرّزق» [كما في](19) قوله ﴿**كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ، وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ**﴾(20) وهي أرض مأرب من أرض سبأ باليمن. ومن خصائص هذه الأرض : لم يَكن [جوّها](21) حارًّا ولا باردا(22) : الحرّ والبرد سواء، معتدلة الهواء والماء. و[من](23) خصائصها [أنّه](24) لم يكن فيها ذباب ولا حيّات ولا هَوَايش(25)

(1)زيادة للتّوضيح.(2)في الأصل : أعطوْ.(3)في الأصل : أعطو.
(4)أي أنّ الرّعية اختارت كهلان لقيادة الجيش، وحمير للملك.(5)انظر التّعليق رقم 25 ص 148..
(6) الخبر جاء مقدّما عن اسم كان في أصل النصّ.(7)زيادة للربط.(8)زيادة للتّوضيح.(9)زيادة للرّبط.
(10)زيادة للتّوضيح.(11)في الأصل : بعضهم من بعض.(12) زيادة للرّبط.(13) في الأصل : خيرا.
(14)الآية كاملة هي : ﴿ **أَهُمْ خيرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّع والذِينَ مِنْ قبلهم أهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُم كَانُوا مُجْرِمِينَ**﴾ (44 ك. الدّخان الآية 37).
(15)لعلّه يقصد معاوية بن أبي سفيان وكان من كتّاب الوحي .(16)زيادة للتّوضيح.
(17)أي لا نصل إلى إيفائها حقها من الوصف.(18)زيادة للتّوضيح.(19)زيادة للرّبط، وفي الأصل: ولوله تعالى.
(20)تبدأ الآية بقوله تعالى : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جنّتان عَنْ يَمِينٍ وشِمال كلوا....**﴾ (15 ك. سبأ ، الآية 34).
(21)زيادة للتّوضيح.(22)في الأصل : حرٌّ ولا برد.(23)زيادة للرّبط.(24)زيادة للتّركيب.
(25)كلمة دارجة للدّلالة على الحشرات السّامة.

مثل غيرها من البلاد. وكانت خصائصها كثيرة لا توصف(1)، فلمّا كفروا وبدّلوا وغيّروا أرسل الله عليهم السّيل العرم فأهلكهم الله وأهلك حياتهم(2) ، ولكن بقي(3) فيها اليوم بقيّة من تلك الرّائحة **[162ظ]** التي كانت تهبّ عليهم من رائحة الجنّة ، ولذلك سمّيت بلدة طيّبة لأنّها كانت تهبّ عليها من رياح الجنّة(4) ، بلاد سبأ لم يصفها الواصفون(5). ثمّ نذكر ملوك زماننا هذا(6) .

قال المؤلّف : اليوم فيها(7) أربعة ملوك. ملكا حلي أبي(8) يعقوب، وهما إثنان إخوة محمد وأحمد [و](9) هم(10) اليوم مشائخ العرب العاربة، وفيها ملك مدينة صنعاء الملك المطهّر الشّريف(11) ، وفيها ملك أولاد أيّوب من التّرك، يسمّى ملكهم ملك الشّوافع لأنّهم على مذهب الشافعي(12). واليمن مُلْك واحد ولكن افترقت عليها الملوك بالسّيوف(13) ، والأرض لله ولمن غلب.

ثمّ نصف معايشهم ومعايش **[163و]**(14) ملّتهم وعمائرهم و أسعارهم وتجارتهم وكثرة أموالهم : أمّا ما كان من تجّارهم فلا يكون في الأرض أكثر منهم في التّجارة،

(1)أي لا يقدر الواصف على استيفائها.
(2)تعبير من اللّغة الإسبانيّة لأنّ في العربيّة كلمة أهلك كافية للدّلالة على المعنى.(3) في الأصل : بقا.
(4)يرى المؤلّف أن وصف بلاد اليمن بالطيّبة راجع إلى أنّ رائحة أزهارها وأشجارها وتربتها كرائحة الجنّة : وهذا تفسير لا يوجد في كتب التفاسير الكثيرة.
(5)العجز ليس في الوصف وإنما في استيفاء الوصف لكثرة محاسن هذه الأرض وخصائصها.
(6)أي زمان قيامه برحلته.
(7) في الأصل : كان اليوم فيها. أي أنّه يوجد في اليوم الذي زار فيه هو اليمن أربعة ملوك، وهذا يعني أنّه أملى رحلته بعد مدّة طويلة من عَوْدَته : لقد رحل في شبابه وأملى رحلته في شيخوخته.
(8)في الأصل : حيّ أبا.(9) زيادة للرّبط.
(10)التّثنية كالجمع عند المؤلّف ممّا يدلّ على أنّه متأثّر باللّغة الإسبانيّة.(11)أي من ذريّة آل البيت.
(12)المشهور عن الأتراك أنّهم أحناف.
(13)يشير المؤرّخ إلى أنّ الاختلاف بين ملوك اليمن أدى إلى الحرب بينهم.
(14)في أوّل الصّفحة شطب لكلمتي «وملوكهم وخصائص»، وهما بداية الصفحة 162، ممّا يدلّ على أنّ النّاسخ كان ينقل عن نسخة أخرى فأخطأ وكاد أن يعيد كتابة نفس الصفحة ثمّ تفطن فشطب الكلمتين وانتقل إلى الصفحة الموالية أي صفحة 163.

هي مجمع التجار، فيها تجّار الحبش [و](1) فيها تجار الأكارع(2) [و](3) فيها تجار الهند [و](4) تجار السّند [و](5) فيها تجّار اليمن الأقصى(6)، [و](7)فيها أنواع السّلاع [التي](8) لا تحصى وأموال لا تنحصر، وفيها مدائن عدنان وفيها الحُرّ(9) الأبيض. حكاية إرم ذات العماد وهي الجنّة(10) التي أواهم هود الرّسول [فيها](11)، ثمّ خفيت(12) عن أعين الناس إلى يوم القيامة [و](13) تكون جنّة من الجنّات في الآخرة(14). ولقد(15) ذكرنا طبائع أهلها [مثل](16) ليّن الكلام وألوانهم [بسبب](17) قرب الفلك(18) **[163ظ]** من(19) أرضهم. وكسوتهم من الحرير الأخضر، والحلل اليمانيّة من الحرير الأخضر، وألوان الكتان البالوني يعني المصري، وأقوام قديمو(20) العافية والمال الموروث من الأجداد، لم ينتقلوا من أرضهم وأوطانهم، مؤسّسين(21) بالمال الموروث والمكسوب(22)، آمنين ﴿**لاَ خوفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون**(23) ﴾ فيهم العلماء والقرّاء والفصحاء واللّغة الحسنة والحلية المليحة واللّسان الفصيح والوجه المليح : الرّجال والنساء [سواء](24)، فيهم الشّفقة على الغريب، أناس قانعة(25) الأنفس شبعانين القلوب(26)، أهل حسب(27) الرّجال والنّساء، مواسمهم(28) ملاح وأعيادهم أعياد حسنة ولباسهم لباس الإسلام،

---

(1)زيادة للرّبط.

(2)الأكارع جمع كُراع، والمؤلّف يشير إلى تجّار الماشية. ومن الألقاب الموجودة اليوم في اليمن «الأكوع» بالواو بعد الكاف. فهل أنّ كتابتها بالرّاء - وهي واضحة في النصّ - من أخطاء النّاسخ؟

(3)زيادة للرّبط.(4)زيادة للرّبط.(5)زيادة للرّبك.(6)أي داخل اليمن في أطرافه البعيدة.(7)زيادة للرّبط.

(8)زيادة للتّركيب.(9) في الأصل : حرّ أبيضا. والمقصود : الأحرار البيض.

(10)في الطرّة وبالمداد الأسود وبخطّ أصغر من النصّ ولكن يشبهه قوله : « وهي الجنّة الخ... هذا غلط عظيم».

(11)زيادة للرّبط.(12)أي اختفت.(13)زيادة للرّبط.

(14)في الطرّة وبالمداد الأسود وبخط» أصغر من النصّ ولكنه يشبهه نجد «وقوله : تكون جنّة الخ... بل هذا فاحشة عظيمة».

(15)في الأصل : وقد.(16)زيادي للتّوضيح.(17)زيادة للرّبط.

(18)في الأصل : الفلاك. والمؤلّف يبيّن سبب سمرة أهل اليمن ويعزو ذلك إلى وقوع البلد في خطّ الاستواء وبذلك تكون أشعّة الشمس (الفلك) عموديّة على هذه الأرض.

(19)في الأصل : ب.(20)في الأصل : قدم.(21)لعلّه يقصد بمؤسّسين : معتمدين.(22)في الأصل : الكسوب.

(23)تضين لجزء من الآية 262 من سورة البقرة مدنيّة رقم2).(24)زيادة للتّوضيح.(25)الصحيح : قانعو.

(26)تعبير دارج مستعمل إلى اليوم بتونس للدّلالة على الكرم والسّخاء.(27) في الأصل : حسبًا.

(28)للدّلالة على الوجوه.

ما فيهم لا بدعة [164و] ولا إشكال، وكيف لا وهم ابتداء الإسلام، منهم بدأ الإسلام وإليهم يعود، وكيف لا ومنهم أبو ذرّ الغفاري(1) صاحب رسول الله ﷺ الذي ابتدأ الإيمان [على يديه] باليمن مع قومه ملوك الوقاد(2) الغفاري. وقصتهم في حديث(3) يطول يسمّى فتوح اليمن(4) في هذا الزّمان.

قال المؤلّف : خصائص بلاد اليمن كثيرة ولكن نذكر منها [على](5) الاختصار. المشهور فيها قبور الأنبياء والصّالحين مثل سيّدنا هود الرّسول إلى عاد الأولى، وقبره بالأحقاف قبالة حضرموت اليمن، وهو على سرير من ذهب في مغارة من المرمر الأبيض، ممدود عليه أثواب من [164ظ] حرير أخضر. إذا دخلت عليه قام معك الخوف والفزع(6) إذا تمسّه بيدك، كأنّه حيّ [في](7) شكله، وجسده رطب سخون لم يتغيّر . ودليل حقيقة(8) هذا أن النبيء ﷺ قال: لحم(9) الأنبياء محرم على التّراب، كأنه لو كلمته يتكلّم من [سلامة](10) جلده وجمال لونه. وأيضا فيها من الصّالحين أويس القرني(11) الذي قال فيه النبيء ﷺ : يشفع من أمّتي رجل أغبر القدمين أشعث الرّأس واللّحية مثل أويس القرني، يشفع في مثل ربيعة ومضر.

وفي اليمن من الملوك المشهورين بالملك والصلوحيّة الملك حمير، قبره بالأحقاف في جبل عيقار في مغارة واقف بين بلاطتين [165و] من المرمر. هو [و]جميع أمّته ثيابهم من الحرير الأخضر وعليه السّلاح وعدّة الحرب على زمانه لم يضيّع منها أثرا. أوصى بذلك حين موته أن لا يُضْجِعَهُ مَلك [مِنْ] ذريّته مِنْ بعده : هذه عادة ملوك حمير(12) .

(1) اسمه جندي بن جنادة توفّي بالرّبذة بجوار المدينة 32 / 652 (المنجد في اللّغة والأعلام ص 269).

(2)المشهور من النّسبة لهذا الاسم : الواقدي. كالمؤرّخ محمد بن عمر الواقدي (ت 207/ 822) صاحب كتاب فتوح الشام. (المنجد في اللّغة والأعلام ص 552).

(3)يقصد بحديث كتابا.(4)كتاب مطبوع (انظر معجم المطبوعات العربيّة ج I / 578).(5)زيادة للرّبط.

(6)بمعنى شعرت بالخوف والفزع.(7)زيادة للتّوضيح.(8)في الأصل : تحقيق.(9)في الأصل : لحوم.

(10)زيادة للتّوضيح. (11) من التّابعين ت 37/ 657 (الوافي بالوفيات : 9/ 456).

(12)ما يفهم من النّص أنّ ملك حمير أوصى بحفظ لباسه وسلاحه كما أوصى بألاّ يدفن بل يُوضع في مغارة من المرمر على سرير ملكه واتّبع أبناءه هذه العادة. وهذا أمر أقرب إلى الأساطير منه إلى التّاريخ الصّحيح.

وفيها قبر أبي هريرة صاحب رسول الله ﷺ، عليه موسم عظيم وصدقات ومعروف من أوقاف(1) وحبس(2) الملوك،(3) ملوك حمير، هو أبو هريرة اليماني النّسب(4) . فالمشهور فيه(5) جملة من الصّحابة أنجاد الدّار والأقمار(6) .

قال المؤلّف : في أرض مأرب(7) من اليمن أرض سبأ قلعةٌ هي قلعة غُمدان(8) وبها عرش بلقيس بنت عمرو الهدهدي **[165ظ]** وهي قلعة ملوك حمير. كان كلّ ملك يزيد فيها البنيان من ألوان المرمر والحجر [بلون الزّمرّد](9) ، ومن جميع ألوان الحجارة الملوّنة إلى زمان بلقيس، صنعت فيها قصرًا كان فيه عرشها، وصنعت فيه ثلاثمائة [وخمسة وستّون](10) طاقة لمطالع الشّمس تدخل في كلّ يوم من طاقة عند انتقال الشّمس في منازلها وأبراجها، لأنها كانت من عباد الشّمس وكانت تسجد لها من دون الله، إنّها كانت من قوم كافرين.

قال المؤلّف : كفى بلاد اليمن قول النبيء ﷺ: «الإيمان يمان والكعبة يمانية»، قالت جماعة من أهل التّفسير(11): هذا الحديث فيه وجهان في التأويل، الأوّل أنّه أراد بقوله هذا: إنّ أوّل من ابتدأ الإسلام **[166و]** بعد المهاجرين والأنصار كان أبا ذرّ الغفاري اليماني(12)» . ويحتمل(13) أنّ اليمن يُمْن(14) الأقاليم وقَبَلَها(15) والكعبة قِبلة الأقاليم كلّها، ومكّة والكعبة من إقليم اليمن، ويحتمل أنّه يمين القلب [و](16)

(1)في الأصل : وقوف.(2)في الأصل : حبوس.(3)في الأصل: ملك.

(4)أبو هريرة : عبد الرّحمان بن صخر : صحابي ومحدّث. توفي بالمدينة 679/59 لم ينسبه أحد إلى اليمن (الأعلام : 308/3).

(5)في الأصل : فيها. والضّمير يعود على اليمن.

(6) قد يكون المعنى : هم من منطقة نجد، أو من النّجدة: وهي من الفضائل التي يفتخر بها العرب.

(7) في الأصل : مآرب. (8) في الأصل : همدان.(9)زيادة للتّوضيح.(10)زيادة للتّوضيح.

(11)أي تفسير الحديث.

(12)الجملة من «وأراد بقوله... اليماني» حملة مقحمة. وأبو ذرّ العفاري من قبيلة غفار وهم فرع من معدّ. ولم يُذكر أنّه من اليمن، وإنّما ذكر أنّه خامس من أسلم بالنبيء، فهو من الأوائل الذين آمنوا برسالة محمّد. وهذا ما أراد قوله المؤلّف بتعبير غير سليم. (انظر EI (2) ج I / ص 118).

(13)هنا رجع المؤلّف إلى قولة النبي ليشرحها.

(14)اليمن : السّعادة أرمائيتفاءل به، لهذا سمّوا اليمن باليمن السّعيد. (15) القَبَلُ : المرتفع من الأرض.

(16)زيادة للرّبط.

فيه يسكن الإيمان. [و](1) على كلّ وجه(2) [من الوجهين] هي يمانيّة، وقيل إنّ اليمن سمّي باسم رحل من ذريّة سام بن نوح كان اسمه يمنا(3)، وكان أوّل من عمّرها من ولد سام فسمّيت باسمه، قيل لِمَا(4) أنها رأس البلاد وأفضلها، وأفضل ما أعطي بني آدم الإيمان وأسكنه الله في القلب. والكعبة أفضل الأرض والبلاد فسُمّيت [كذلك](5). لكن المشهور عند أهل التّاريخ أنّ اليمن خير البلاد لأنّها مفضّلة بالكعبة **[166 ظ]** الشّريفة والبلد الأمين، وأنّها أوّل بيت وضع على وجه الأرض، وأنْ لَمْ يُرْسِلْ رسولا نبيّا من يقصد هذا البيت لحاجة وأنّ جميع أهل الجاهليّة والإسلام وجميع ملوك الجبابرة لا تطيق(6) عليه ولا تصله(7) كما وصلت غيره مثل بيت المقدس وغيره من الأرض المقدسة وهي أرض الله المطهّرة وإليها المحشر والمصير. وهذا ما بلغنا من فضائل مكّة والحمد لله ربّ العالمين.

قال المؤلّف رحمه الله : حدود اليمن(8) من بحر الحبش إلى بحر القلزم(9) وإلى بحر الصّين إلى بحر قلزم الخطّ الذي إلى السّند(10)، إلى قلزم العراق. وهذا الإقليم الثاني من الأقاليم السّبعة **[167و]** كلّه جزر بين البحر الكبير الذي يأتي [منه] البحر المحيط(11)من (12)مطلع الشمس. والغالب على ألوانهم الحمرة من [أثر](13) أشعة الشّمس(14)، كما هو البياض غالب على ألوان أهل الشمال(15) [لأنّه](16) لا تلحقهم الشمس إلاّ في الصّيف.

قال ابن الصبّاح : أعني بالقلازم الأبحر الأربعة : قلزم إصفهان الفارسي وقلزم بحر الرّوم من «أسف بني ماقر»(17) إلى البحر الأزرق(18)ويفرغ(19)، وقلزم بحر غرق

(1)زيادة للرّبط.(2)بمعنى : احتمال.(3)في الأصل يمان.(4)بمعنى : بسبب.(5)زيادة للتّوضيح.

(6)بمعنى لا تقدر عليه.(7)في الأصل : توصله.(8)في الأصل : حدود.

(9)من هنا يبدأ المؤلّف في تقديم معلومات عن بعض البحار سمّاها بالقلازم جمع قلزم : وهو بحر أطلقه العرب قديما على البحر الأحمر نسبة إلى مدينة قليزمة بالقرب من مدينة السّويس (المنجد في اللّغة والأعلام ص 914).. وهي معلومات فيها خلط كثير وبتعبير سقيم.

(10)في الأصل : السدّ.(11)لعلّه يقصد المحيط الهندي.(12)في الأصل : في.(13)زيادة للتّوضيح.

(14) في الأصل : مطلع.(15) في الأصل : لأهل الشمال.

(16)زيادة للتّوضيح.(17)تسمية غامضة.(18)في الأصل : بحر الأرزاق.(19)أي ينتهي.

فرعون ونجاة(1) بني إسرائيل ويسمّى بحر السّويس وهو على مصر، وقلزم بحر الهند والصّين إلى العراق، وقلزم بحر الشمال(2) تحت خط القطب. فهي أربعة أذرع داخلة من الكبير التّرابي إلى البحر المالح(3). وعِمارة بني آدم بينهم. وهذه حزم القرى(4).

قال ابن الصّباح : فرغنا من **[167ظ]** وصف اليمن، وننزل إلى بلاد بجوارها : بلاد اليمامة وأرض نجد بني هلال الأخيار في آخر الزّمن من ربيعة ومضر، مسكنهم أرض نجد بصحّة الآثار(5). بلاد نجد كثيرة النّخل والرّكاب(6)، وكثرة الماء من العيون. جبالها وحجرها أكحل وفيها زرع وأرض نخل، مدائنها بادية، عمارتها العرب، [وهم](7) أحرار عربان(8) [أهل](9) خير وحسب و(10)، كرام(11) شجعان(12)، [لهم](13) خيل ورجال، ونساؤهم أحرارُ النّساء، وأَسترُ الحرام على وجه الأرض [في](14) أهل نجد. أرضها قليلة(15) وعمارة كثيرة، أهلها لا يرون(16) لا بالبيع ولا بالشراء، والأكل المُشتَرَى هو عندهم عيب حتى يكاد أن يكون عندهم **[168و]** الطعام المشترى حراما(17) من قلّة معرفتهم بكياسة البيع والشّراء، ولأنّ البيع والشّراء موقع الرّبا ومحلّه(18)، وإنّما [يتمّ بينهم الأمر](19) بالسّلف وقضاء الحاجة كأنّهم من بيت واحد سواء. وبينهم الرّحمة والشّفقة، أهل صدقات ومعروف واجتهاد بالّسنة والصّلاة، أقوام هم(20) رحماء على الغريب، يختصمون على الضّيف إذا ورد عليهم عند مشائخهم، فيهم النّجدة والقوّة والفخر بالنّفقة والعلوّ بالرّفعة والفخر بالحسب والعمل، أجواد أبطال قيام(21) على سيوفهم، ركّاب(22)على خيولهم مدرّقون(23) بدرقهم(24) مقلّدون(25)سيوفهم، مزاريقهم(26) بأيديهم لا يخافون **[168ظ]** ولا يحزنون، ولا يأخذهم وجل ولا فزع ولا

(1)في الأصل: نجوا.(2)ذكر المؤلّف خمسة قلازم وقال إنها أربعة، ويمكن أن يكون اثنان منهما هو قلزم واحد.
(3)في الأصل : المالح.(4)عبارة غامضة، ولعلّه يقصد مجموع القرى التي عمّرها بنو آدم.
(5)أي بالاعتماد على المصادر الصّحيحة.(6)يقصد كثيرة الحيوانات التي تركب.(7)زيادة للرّبط.
(8)في الأصل : عربانا.(9)زيادة للرّبط.(10)زيادة للرّبط.(11)في الأصل : كراما.(12)في الأصل : شجعانا.
(13)زيادة للرّبط.(14)زيادة للتّوضيح، وهنا يشير المؤلّف إلى قوله تعالى... ﴿وإذا عَصَيْتُمْ فاسْتَتِرُوا﴾.
(15)غريب هذا الوصف لأنّ نجداً بلاد مترامية الأطراف، لعلّ المؤلّف يصف فقط القسم الذي زاره.
(16)لا يرون بمعنى لا يستعملون.(17)في الأصل : حرام.(18)أي يقود إلى الرّبا.(19)زيادة للتّوضيح.
(20) في الأصل : بينهم.(21)في الأصل : قياما.(22)في الأصل : ركبانا.
(23)في الأصل : مدّرقين. والمدرّقة : لابسو الدّرقة جمع دَرَق : الترس من الجلد.
(24)في الأصل : بدراقهم.
(25)في الأصل : مقلّدون.(26)مفرده مزراق : وهو الرّمح القصير، وفي الأصل : مزارقهم.

خوف ولا هلع يحبّهم الله ويحبونه، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون في الله لومة لائم.

قال ابن الصباح رحمه الله : هؤلاء أقوام بقيّة من بني هلال الأحرار الذين خرجوا من هذه البلاد [و](1) هي نجد. [وسبب ذلك] (2) أنّ بلادهم أمحلت عليهم الأعوام، واشتدّت عليهم الأزمان حتّى أكلوا(3) الخيل والحَجَفَ وهي الدّرق من جلود اللّمط(4)، فاشتدّ بهم الحال حتّى خرجوا من بلادهم في عدد لا يحصى وأعلام(5) لا تنكسر وقوّة لا تغلب حتّى وصلوا إلى مصر فوجدوا مواكلها(6) بالبيع والشّراء والأخذ والعطاء بالدّرهم **[169و]** والدّينار ، فعظم الأمر عليهم أعظم البلاء، [لأنّهم](7) أقوام لا يعرفون بيعا ولا شراء، فخرجوا من مصر وهجوها هجاء فاحشا وذمّوها مذمّة، وعملوا في أهل مصر أبياتا من الشّعر، و[فيها](8) إلى مذمّة أهل مصر وسكّانها [أشاروا](9) مثل أنّهم حضر(10) لا فيهم كرام: لا في الصّغار ولا في الكبار، ولا فيهم سخاء(11) ولا فيهم نظر. لُعِنت(12) بلاد يؤكل فيها الطعام بالدّينار والدّرهم والنّحاس الأحمر. وأهلها لا يعرفون الضّيف ولا يكرمون الخُطّار(13). قال [المؤلّف](14) فرحلوا منها إلى بلاد قابس من بلاد إفريقيّة فنزلوا فيها ووجدوها مثل بلادهم بالماء(15) والنّخل والحشائش(16) ولجمالهم سكنوها إلى اليوم، **[169ظ]** وازدادوا فيها غرامًا بالنّخل لكثرة الثّمار(17). فهي اليوم بلادهم ونعم البلاد، يسمّونها بلاد الجريد أي جريد النّخل.

قال المؤلّف : ننقل(18) عن سيدي الشريف محمّد الصّلدي(19) مؤرّخ برقوق(20) سلطان مدينة مصر أنّ بني هلال خرجوا من نجد في ألف راوبة كلّ راوبة تسقي(21)

(1)زيادة للرّبط. (2)زيادة للتّوضيح.(3)في الأصل : يأكلون.(4) في الأصل : الأمط.(5)في الأصل : علام.
(6)أي المآكل.(7)زيادة للرّبط.(8)زيادة للتّوضيح.(9)زيادة للتّوضيح.(10)في الأصل : حضرا.
(11)في الأصل : سخى.(12)في الأصل : لَعُنت.(13)أي القادمون عليهم.(14)زيادة للتّوضيح.
(15)أي فيها الماء.(16)أي الأعشاب.

(17) إنّ ما ذكره ابن الصبّاح من أسباب خروج بني هلال من الجزيرة العربيّة إلى مصر ثمّ إلى إفريقيّة لا يمت بصلة إلى التاريخ. أمّا ذمّ بني هلال لمصر فكان في القرن 5/ 11، ومدحه لها كان في القرن 9/ 15.

(18)في الأصل : تنقله.(19) هو إبراهيم بن محمد وعرف بابن دقماق مؤرّخ السلطان برقوق، توفّي 809/ 1406 (الأعلام 1/ 64).

(20)برقوق الملك الظّاهر أوّل من ملك مصر من الشّراكسة، حكم مصر 12 سنة، وتوفي 1398/801 (الأعلام 48/2).(21) في الأصل : راية.

عشرة بيوت من بيوتات الشّعر. انظر أيّها القارئ والمستمع[1] كم يطلع[2] هذا العدد من خلق هذه البيوت العربيّات: بيوت الشعر، وكم من ألوف، وكم سكّان البيوت، وكم من عبيد، وكم من رجال وكم من نساء وبنين وبهائم وجمال وخيل، عدد لا يُحصى[3]. رحلوا من بلادهم **[170و]** مدّة عامين[4] ولم يرضوا بالعار حتّى أتوا إلى ما كانوا فيه من السّعة والرّزق والصّدقات وإكرام الضّيف والماشي والجيّ[5] من جميعُ الخطّار.

قال عبد الله بن الصبّاح رحمه الله : الحرّ حرّ وإن مسّه الضرّ إلى يوم البعث والحشر. بنو هلال خيار العربان وخير من يذكر[6]. لو نصف في[7] بني هلال، وكرمهم وجودهم وفضائلهم [مدّة][8] ألف ألف عام لم نبلغ آخر الوصف بالخبر[9].

(1)يخاطب المستمع لأنّه كان يملي رحلته.(2)بمعنى يبلغ.(3)في الأصل : وعدد لا تنحصر.
(4)في الأصل : عامان.(5) في الأصل : المجي.(6)في الأصل : يتذكّر.
(7)حرف الجرّ «في» زائد.(8)زيادة للتّوضيح.(9)المبالغة تجسّم العقليّة الخرافيّة للمؤلّف.

[الخروج إلى المدينة المنوّرة](1)

ثمّ ننصرف إلى مدينة يثرب مدينة خير البشر محمّد سيّد الأوّلين والآخرين وشفيعنا يوم الدّين ﷺ وعلى جميع النبيئين آمين يا ربّ العالمين.

[171و] قال المؤلّف رحمه الله : بين مكّة وهذا الحرم ثمانية عشر يوما. من مكّة إلى المدينة تسع مراحل سيرًا باللّيل والنّهار: من مكّة إلى بطن(2)، ومن بطن إلى مدارج علي إلى خليص(3) إلى البزرة إلى بدر إلى وادي الصّفراء إلى وادي الغزالة التي كلّمت النبي عليه السّلام إلى وادي العقيق إلى ذي الحُلَيفة ميقات أهل المدينة أعني ميقات الإحرام وتسمّى أبيار علي إلى قباء إلى منزلة المصري باب المدينة المباركة والحجرة الشّريفة والبقعة الفاضلة . جئناها في تسع مراحل(4).

قال المؤلّف : والله لقد أشرقت [وجوه](5)الجمال والنّياق – أعني إناث الجمال – لمّا أشرفت على وادي العقيق [مكان إراحة](6) الجمال **[171ظ]** [وهي](7) رائحة [إلى](8) المدينة . واقترابها(9) [من](10) قبر الرّسول ﷺ. كنتُ أسمعها(11)[وهي](12)تبكي وأنا لا أصدّق حتّى وصلنا وادي العقيق. قال لي رفيق [هو](13)أحمد الحدّاد من قليوش(14): يا حاج عبد الله : أما ترى النّياق والجمال كيف هي تحنّ وتبكي. فقلت

---

(1) يبدو أنّ المؤلّف لمّا خرج من مكّة في المرّة الأولى زار اليمن ثمّ رجع إلى مكّة ومنها غادرها إلى المدينة. أو أنّ المعلومات التي ذكرها عن اليمن أخذها من أفواه الحجّاج عامّة واليمانيّين بصفة خاصّة.

(2) بطن مرّ : وادٍ خصيب (رحلة ابن جبير ص 161 س 14). (3)في الأصل : خصائص.

(4) هذه المراحل ذكرها ابن جبير ص 161 إلى 168، وذكر بعضها العبدري ص ص. 220- 201.

(5)زيادة للتّوضيح.(6)زيادة للتّوضيح.(7)زيادة للرّبط.(8)زيادة للرّبط.

(9)في الأصل : وقروب.(10)زيادة للرّبط.(11)في الأصل تسمع لها.(12)زيادة للرّبط.(13)زيادة للرّبط.

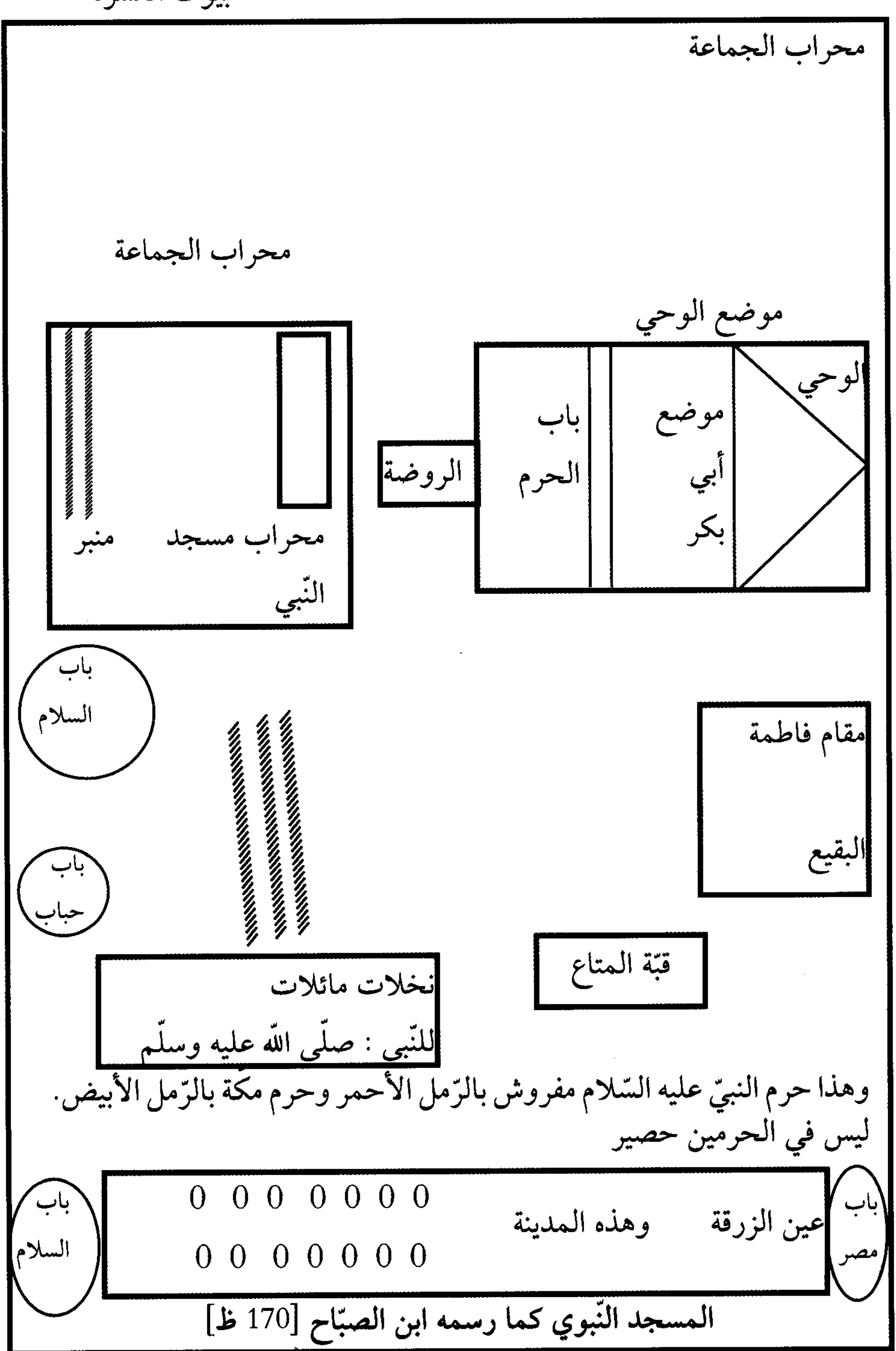
(14) في الأصل : قيلوجَه، وهي على 6 أميال من أريولة بالأندلس (معجم البلدان، مختارات نبهان ص 335).

سبحان الله : أحقٌّ هو، قال لي : انظر و[سـ](1)ترى، فنظرت إليها فإذا هي تجدّ في السّير وتحنّ وتبكي مثل بني آدم، ويسمع لها حنين مثل الباكي والمنتحب بقوّة(2)، يسمعها القريب والبعيد، فإذا رآها(3) الحجّاج جدّوا في السّير : هي تحنّ(4)فيعلمون(5) أن قد قرب قبر النّبيء ﷺ فيستبشر(6) بذلك الحجّاج. والله لقد رأيت دموع الجمال الكبار **[172و]** والصغار والذّكور والإناث تحنّ مثل المتوجّع(7)، والدّموع تنهمر على خدودها مثل المطر، وما كنت أظنّ أن ذلك [يصير](8) من البهائم حتّى رأيت ذلك العجب في محبّة رسول الله ﷺ [مع أنّ](9) معجزاته قليلة. وذلك أوّل ما رأيت من معجزاته [بسبب[فضل البقعة الشّريفة والنبيء الشّريف.

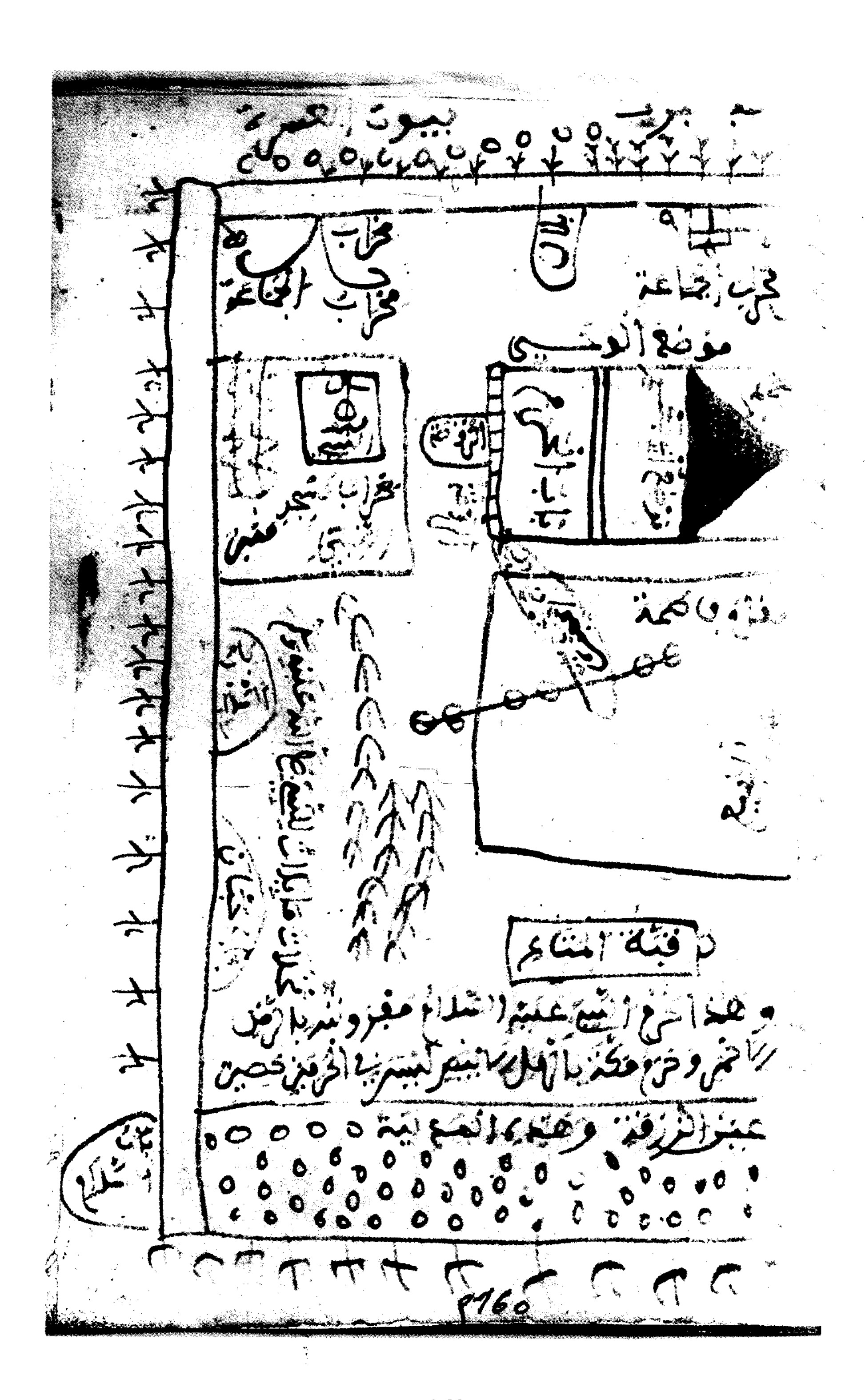
قال عبد الله بن الصبّاح : قد وصلنا ورأينا البقعة الشّريفة [فـ](10)وجب علينا وصفها ونشر فخرها . ونصف إن شاء الله فضلها وشرفها على سائر البقاع ومعجزاتها وكراماتها(11)عند الله وسبب ابتداء بنائها وعمارتها وأصل عمارتها وقدمها في الإيمان، وفضل أهل الهجرة **[172ظ]** إليها وفضل أهلها على المهاجرين والأنصار(12) حتّى يستضيء(13) إن شاء الله العاقل الفَهِمُ(14)، ويتبيّن للجاهل البَهَيم(15) فضلها وشرفها ومعجزة النبيء عليه السّلام.

قال الشيخ المؤلّف ابن الصبّاح رحمه الله : أوّل من تبوّأ الدّار حسّان بن أسعد(16) أبي كرب التّبّعي (17) الحميري وهو أوّل من بنى مدينة يثرب وأوّل من تبوّأ الإيمان من العرب الأربعمائة الذين جاؤوا معه من بلاد اليمن، كان سبب مجيئهم أنّ حسان بن

(1)زيادة للتّوضيح.(2)في الأصل : النّحيب القويّ.(3)في الأصل : رأوّها.(4)في الأصل : وتحنّ.
(5)في الأصل : ويعلموا.(6)في الأصل : فيستبشروا.(7)في الأصل : الواجع.(8)زيادة للتّوضيح.
(9)زيادة للتّوضيح.(10)زيادة للرّبط.(11)يقصد المعجزات والكرامات التي تمّت للنبيء وهو في المدينة.
(12) سهو من المؤلّف لأنّ الأنصار هم أنفسهم أهل المدينة.
(13)في الأصل : يضيء، والمقصود هو : يستنير.(14) الفَهِمُ : السّريع الفهم.
(15) في الأصل : الباهيم، والكلمة من الدّارجة وتعني الغبيّ وتنطق : البَهيم، وإطالة حركة الباء هو من عادة أهل الأندلس.
(16) في الأصل : السّعد أبوبرك التّباعي، لكن تاريخيّا المقصود هو حسّان بن أسعد أبي كرب الحميري من أعاظم تبابعة اليمن في الجاهليّة. وهو الذي آمن بالتّوحيد وقاوم الوثنيّة (الأعلام 2/ 175).
(17) أي من التّبابعة، والنّسبة إليها تبّعي، وتبّع لقب ملوك اليمن ككسرى لملوك الفرس وقيصر لملوك الرّوم.



المسجد النّبوي كما رسمه ابن الصبّاح [170 ظ]


محراب الجماعة

أسعد أبي كرب التّبّعي الحميري كان ملكا عظيما عارفا كريما، ملك البلاد وقهر العباد شرقا وغربا. قال أهل التّاريخ: إنه كان أوّل تبّع اليمن وأكبرهم ملكا وأشدّهم بطشا **[173و]**، وهو أوّل من كسا الكعبة الشّريفة وعمل لها الأبواب وجعل لها الخدّام. وكان يبني عمارتها ويصلح أمر البيت كلّ عام بالكسوة والعمارة. و البنيان وإجراء النّفقة في زمانه وحياته . وبقيت ذلك عادة في التّبابعة وملوك اليمن حتّى [وصلوا] إلى وادي يثرب بعد سنين وأعوام بسبب ممّا سبق في القدم.

قال المؤلّف رحمه الله : كان سبب مجيء حسان بن أسعد أبي كرب التّبّعي إلى وادي يثرب أنّه أتى إلى بلاد الحجاز [و](1) كانت [قد](2) عصته بعض من أريابها(3) وبعض حصونها والبعض من مدائنها ، فأتى إليها ليطوّعها. فلمّا قضى مآربه وحاجته من البلاد **[173ظ]** أتى إلى مكّة شرّفها الله ونزل في بطاحها(4)خارج مكّة(5) على باب المعلاّة(6)، فبقي ثلاثة أيّام مقيما، فلم يخرج إليه من مكّة أحد من أربابها يلاقيه(7)ويضيّفه(8). فقال: عليّ بالحكماء وأشياخهم وكان معه في عسكره أربعمائة رجل حكماء من بلاد اليمن مؤرّخين(9) [عارفين](10) بالتّواريخ من آدم إلى آخر الزّمن(11): عندهم تاريخ كلّ نبي متى يطلع وفي أيّ زمان يتّبع، وعندهم في تاريخهم(12) صفات كلّ نبيء وعلامته ومعجزاته وصفات قومه وصفات زمانهم وموضع أوطانهم ومعرفة بقاع بلادهم وأرضهم.

قال ابن الصبّاح رحمه الله: ترفع الرّواية بصحّة نقلها عن **[174و]** محمد بن المثنّى بن الصبّاح (13) أنّه كان يقول : كان مع حسّان بن أسعد أربعمائة رجل من

(1)زيادة للرّبط.(2)زيادة للرّبط.(3) يقصد بالأرباب : أصحابها من الشّيوخ.(4) في الأصل : أبطاحها.
(5)في الأصل : خارجا من مكّة.
(6) في الأصل : المُعلا. وجاء في رحلة العبدري ص 173 أنّ لمكّة ثلاثة أبواب : باب المعلاّة من أعلاها وباب الشبكة من أسفلها والثالث باب اليمن من جهة الجنوب.
(7)يلاقيه بمعنى يحتفي به.(8) في الأصل : لا يضايفه، و«لا» النافية لا معنى لها.(9)في الأصل : المؤرّخين.
(10)زيادة للتّوضيح.(11) فهم مؤرّخون متنبّئون.(12)يقصد كتبهم.
(13) يذكر ابن خلدون في المقدّمة محدّثا باسم المثنّى بن الصبّاح ويصفه بالضّعف (المقدّمة. ط بيروت 1967 ص 574).

حكماء اليمن وكان شيخهم جدّ أبي أيّوب الأنصاري [1]. وهم الذين تبوّؤوا الدّار والإيمان من قبل : وهم الأوس والخزرج من قبائل اليمن من ذريّة كهلان بن سبأ أخي حمير، وهم الذين من ذرّيتهم الأنصار أهل المدينة : مدينة يثرب.

قال [المؤلّف] : فلمّا جاءت مشائخ الحكماء، قال الأمير حسّان بن أسعد أبو كرب : ألا ترون أهؤلاء أهل هذه البلاد أعني مكّة لم يستضيفونا ولا أدُّوا[2] [واجب][3] حرمتنا[4]، لقد أهانُوا حرمتنا[5] وأبوا عن كرامتنا[6]، ولكن إذا أصبحنا[7] يأتيهم أمرنا، فقال له جدّ أبي **[174ظ]** أيّوب الأنصاري وهو كبير الحكماء وشيخها : أيّها الأمير إنّ أهل هذه البلدة قومٌ ضعفاء ما عندهم إلاّ الزّاد المجلوب من اليمن وبلاد الرّوم بالشّام والعُولة[8] عندهم قليلة، وإنّما هم ساكنون[9] هنا ببركة هذا البيت وحرمته، قال فلمّا انصرفوا من عنده الحكماء نوى[10] حسّان بن أسعد، أبو كرب التّبعي أنّه إذا أصبح يهدم الكعبة ويفسد عليهم بيوتهم وينفيهم من مكّة ويجعلهم مثلا[11] وسَلفا[12] للآخرين.

قال المؤلّف : ففي تلك اللّيلة ابتلاه الله بوجع في رأسه ودماغه، وبات يصيح طول ليله. فلمّا رأى ذلك **[175و]** قال : عليّ بشيخ الحكماء، فأوتي بجدّ أبي أيوب الأنصاري [وقالوا له هذا][13] شيخ الحكماء. فقال له : انظر في حكمتك وأدويتك التي[14] تشفيني من الذي أصابني في رأسي. قال [المؤلّف][15] : وكان [جدّ] [16]أبي أيّوب الأنصاري خبيرًا بصيرًا بأمور الخَير والشرّ وعارفا بحقّ[17] الكعبة وحرمتها عند الله، ففطن الشيخ بأنّه نَوى سوءا للبيت الشريف، فقال له : أيّها الأمير نويت لهذا البيت

(1) أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري : صحابي، له 155 حديثا توفّي سنة 672/52 (الأعلام 2/ 295).

(2)في الأصل : أدو.(3)زيادة للتّوضيح.(4)استعمل الحرمة هنا بمعنى الاحترام.

(5)الحرمة هنا بمعنى : الذمّة والمهابة.

(6)أي أعرضوا عن إكْرامنا إهانة.(7)في الأصل : أصبح.

(8)في الأصل : العيلة، والعُولَة (دارجة) يقصد بها ما يدخّر ليُقتات به خلال السّنة.(9)في الأصل : ساكنين.

(10)أي نوى الشرّ لأهل مكّة.(11)أي عبرة لغيرهم.

(12)والسّلَف جمع سالف : الماضي المتقدّم : أي يجعلهم كالأمم التي أتى عليها الدّهر.

(13)زيادة للرّبط والتّوضيح.(14)في الأصل: الذي.(15)زيادة للتّوضيح.(16)زيادة للتّوضيح.(17)زيادة للتّوضيح.

وأهله سوءا، قال حسّان بن أسعد : بلى(1) نَويت له ولأهله سوءا، قال الشيخ : أيّها الملك، انحلّ من عقيدتك (2) تبرأ بإذن الله. قال [الرّاوي]: فخرج الأمير عن نيّته وبرئ من ساعته بإذن الله. فلمّا برئ قال : والله إنّي إذا أصبحت **[175ظ]** أطوف بهذا البيت وأكسيه كسوة حرير وأجري النّفقة على أهله طول زماني، ففعل ما نذر، وأمر بالكسوة من اليمن، والنفقة والأبواب والخدّام للبيت الحرام الشّريف المكرّم، فبقيت تلك عادة إلى آخر الزّمان حتّى إلى زمان تغلّبت(3) [فيه](4) مملكة التّرك على(5) مصر والشام وصيّروا إعداد الكسوة [للكعبة](6) إلى ملوك مصر، وإعداد كسوة قبّة النّبي بالمدينة إلى ملوك الشّام.

قال المؤلّف رحمه الله ثمّ رحل حسّان بن أسعد إلى وادي يثرب، ونزل به، وأقام ثلاثة أيّام ، ثمّ أمر بالرّحيل، قال: فلمّا رحل الناس تخلّفت جماعة الحكماء **[176و]** وأشياخها عن الرّحيل [ف]قال له صاحب الرّكاب – [وهو](7) الذي يمشي عند ركابه -: أيّها الأمير، إنّ الحكماء تخلّفوا عنك. قال حسّان بن أسعد : ولِمَ(8)ذلك؟ قال له: أيّها الأمير يزعم الحكماء أنّ النبيء الذي يأتي في آخر الزّمان يظهر دينه وشريعته في هذا الوادي المسمّى بوادي يثرب. وهو منزلنا(9) هذا الذي رحلنا منه وتخلّفت فيه الحكماء ينتظرون فيه هذا النبيء كما هو في كتبهم وتاريخهم، قال [المؤلّف]: فولّى الأمير حسّان بن أسعد عنان فرسه، وقال : عليّ بالحكماء ، فأوتي بهم، فقال لهم: ما شأنكم و[لماذا] (10) تخلفتم عنّا؟ قالوا: أيّها الأمير عندنا عِلم **[176ظ]** سائر وتاريخ قديم يظهر لنا منه شأن عظيم وخطب جسيم تذهل منه العقول وتحنّ إليه القلوب وتذرف منه العيون وتلين منه الجلود. فقال حسّان بن أسعد : هاتوا برهان ما تزعمون، قال له شيخ الحكماء أبو أيّوب الأنصاري : أيها (11) الأمير المعظّم والملك المكرّم: إنّ هذا [المكان](12) وفي هذا الوادي يشتهر دين هذا النّبيء الذي في آخر الزّمان

---

(1)في الأصل : بل.(2) استعمل العقيدة بمعنى النيّة.(3)في الأصل : غلبت.
(4)زيادة للرّبط.(5)في الأصل : من.(6)زيادة للرّبط.(7)زيادة للرّبط.(8)في الأصل : ولما.
(9)أي مكان نزولنا.(10)زيادة للتّوضيح. (11)في الأصل : أيّة. (12)إضافة للتّوضيح.

ينتظر، ونحن نرى(1) أنّ الوقت قد اقترب والأمارات قد ظهرت(2)، ومرادنا ويغيتنا أن نلتقي(3) نحن وذرّيتنا بهذا النبيء الذي يجده(4) اليهود في توراتهم والنّصارى **[177و]** في إنجيلهم وأخبرت به الأحبار ووصفته الرّهبان بما تنبّأ(5)لهم المسيح المطهر، قال : فأمر بالنّزول وأن تربط الخيول [و](6)قال : إن كان هذا هو الحقّ كما تقول الحكماء ، فإنّي أبو(7) هذا المكان و[سـ](8)أبنيه بنيانا حتّى يأتي ذلك(9) الزّمان. قال [الرّواي](10): فأمر ببناء(11)أربعمائة بيت على عدد الحكماء، وأمر أن يؤتى(12)بالنّخل للغرس(13)من اليمن، فغرست، وأمر بالأبيار(14) ففتحت والحرث(15)فحرثت والسّقي(16) فسقيت، وأجرى(17)عليهم النفقة من اليمن حتّى أطعمت النّخل وعمّت.

قال المؤلّف رحمه الله : ثمّ كتب كتابا [فيه](18)تاريخ فعله وأرّخ(19)قصّته وسبب بنيانه **[177ظ]** وغراسة النّخل وإجراء النّفقة من اليمن وحفره الآبار(20) وتخلّفه [مع](21)الحكماء(22) وإيمانه(23)وتصديقه بما قالت الحكماء. والتّاريخ [الذي كتبه موجود](24)في صحيفة من نحاس بسبب [ما يتوقّعه من](25) طول الزّمان، لئلاّ يبلى الخط الحميري ولا يندرس. قال [الرّاوي](26): وكتبه(27)بخطّ حميري وزيّنه بماء الذّهب كرامة ليلحقه(28)بزمان النبيء الشّريف المنتظر. قال : وكتب أبياتا بالحميريّة بأفصح العربيّة،(29) وأنشد وهو يقول : أنا اسمي(30) السّعدي والسّعد طوالع، وعسى أن أسعد بنبيء اسمه أحمد. إن طال عمري إلى عمره(31)فسأكون(32) له أخ أو ابن عمّ ولأنصرنّه نصرًا عزيزًا [فـ](33)خير الملوك من ينصره. ألا والله **[178و]** لأفتخرنّ

(1)في الأصل : نَروا. (2)في الأصل : قد ظهرت أوقات الأقرب.(3)في الأصل : نلتقي به.
(4)في الأصل : يجدونه.(5) في الأصل : تعجّت.(6)زيادة للرّبط.(7)في الأصل : أبوا.(8)زيادة للرّبط.
(9)في الأصل : تلك.(10)زيادة للتّوضيح.(11)في الأصل : ببنيان.(12)في الأصل : يُؤتا.
(13)أي النّخل الفسيل المعدّ للغرس.(14)جمع بئر ونقول بالفصحى آبار لا أبيار.
(15)أي الأرض المعدّة للحرث.(16)يقصد ما هو محتاج إلى السّقي.(17)في الأصل : أجرا.
(18)زيادة للرّبط.(19)في الأصل : وورّخ.(20)في الأصل : الأبيار.(21)زيادة للرّبط.
(22)أي اتباع الحكماء في التخلّف عن الرّحيل من الحجاز إلى اليمن.(23)في الأصل : أمانة.
(24) زيادة للتّوضيح.(25)زيادة للتّوضيح.(26)زيادة للتّوضيح.(27)في الأصل : كتب.
(28)أي ليبقى إلى ومن الرّسول.(29)الحسيريّة : هي لغة عربية فكتب ما كتب بأفصح عبارة فيها .
(30) في الأصل: سميه.(31)أي إلى عهده.(32)في الأصل : إلاّ وأكن.(33)زيادة للرّبط.

فخرا بيّنا [بما بنيته][1] من دار للمهاجرين والأنصار ومن غراسة نخل طاعمة[تمرا][2] يُطعمه[3] أهلُ هذه البلدة لزوّار محمّد نبيء آخر الزّمان الذي أتى وتجمّع [حوله][4] النّاس، وإنّا نرتجي شفاعته، قال [الرّاوي][5]: ثمّ استودع [السّعدي][6] التّاريخ والأبيات عند جدّ أبي أيّوب الأنصاري وودّع ورحل إلى اليمن وأنشد في رحلته وهو يقول: ألا يا معاشر الحضّار الكرام من لحق منكم هذا النبيء أحمد فبالله عليكم يبلغه منّي السّلام. قال [الرّاوي][7]: فلمّا هاجر رسول الله ﷺ إلى مدينة يثرب على زمان أبي أيّوب الأنصاري وخرج[8] أهل المدينة يلاقونه[9]ويسلّمون عليه[10] وهو راكب ناقته الصّفراء **[178ظ]**، [وكلّ واحد][11]يقول : عندي [ينزل الرّسول][12]، فقال عليه السّلام: هي[13] مأمورة خَلُّوا عنها ، حتّى أتت إلى باب أبي أيّوب الأنصاري وبركت بباب بيت أبي أيوب الأنصاري[14] ورحّب به[15]. وفي[16]الصّباح قام رسول الله ﷺ فقال أبو أيّوب[17]: يا رسول الله، من أين [آتي][18]لك بالأمانة وبالوديعة، قال له عليه السّلام: انظر في خزائن أبائك وذخائرهم، قال [الرّاوي][19]: فقام أبو أيوب إلى خزائن أبويه واستخرج الصّحيفة من ذخائر أبويه، وإذا هي تفوح مسكا مكتوبة بخطّ حميري، وإذا تاريخها ألف عام قبل الهجرة.

قال المؤلّف : قرأت في تأويل **[179و]** قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[20] إلى آخر الآية. أنّ بني أميّة: تبؤؤوا وبنوا الدّار وأشهروها، وبيّنوا الإيمان والإسلام في[21] تلك الدّار، والعرب تقول للمدينة دارًا في اصطلاح اللّغة، وبيوت الشعر تسمّى بيوتا[22] [و][23] مدائن الجدار تسمّى دارًا. ألم تر أن الله

---

[1]زيادة للتّوضيح. [2]زيادة للتّوضيح. [3]في الأصل : تطعمه. [4]زيادة للتّوضيح. [5]زيادة للتّوضيح.
[6] زيادة للتّوضيح. [7]زيادة للتّوضيح. [8]في الأصل : خرجت. [9]في الأصل : يلاقوه.
[10]في الأصل : بالسّلامة. [11]زيادة للتّوضيح. [12]زيادة للتّوضيح. [13]أي النّاقة.
[14]تكرار مقصود لتعظيم هذه الشّخصيّة. [15]أي رحّب أبو أيوب بالرّسول. [16]في الأصل : إلى.
[17]في الأصل بأبي أيّوب. [18]زيادة للتّوضيح. [19]إضافة للتّوضيح.
[20]الآية كاملة هي : ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الآية 9 من سورة الحشر 59.
[21]في الأصل : من. [22]في الأصل : بيوت. [23]زيادة للرّبط.

تعالى يقول ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾(1) أَيْ في بيوتهم، وأيضا في قوله تعالى : ﴿فأصبحوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِن﴾(2) ، أي في بيوتهم.

قال المؤلّف رحمه الله : وصفنا ابتداء [بناء](3) الدّار. [و](4)وجب علينا [الآن](5)وصف فضلها وذكر صفاتها مثل ما صوّرناها في الورقة. نذكر كلّ واحد في موضعه **[179ظ]** ونذكر فضل الحجرة الشّريفة والبقعة الفاضلة المشرّفة على جميع بقاع الأرض التي (6) ضمّت أعضاء رسول الله ﷺ والتّربة التي لصقت بأعضائه ﷺ.قال المؤلّف : والله لقد سمعت علماء مكّة وعلماء المدينة يختصمون في فضل بقاع مكّة وبقاع المدينة «يثرب»، فأهل مكّة يقولون : بقعتنا أفضل بشرف البيت الحرام، وأهل المدينة يقولون : بقعتنا وتربتنا أفضل، مسّتها(7) أعضاء رسول الله ﷺ أشرف الخلق.

قال الرّاوي : سمعت أهل مكّة يبايعون(8) ويسلّمون(9) **[180و]** لأهل المدينة [بشرف](10) التربة التي لصقت بأعضاء رسول الله ﷺ خاصّة(11) و[أمّا](12) غيرها فيقولون: لا نسلّم(13) [لكم بشرفها](14). فقال أهل المدينة : سلّمتم بشرف التّربة(15) اللاّصقة بأعضائه ﷺ وهذا مرادنا منكم. ونحن نقول(16): إنّ التربة بالتربة لاصقة بعضها ببعضٍ إلى آخر الحرم، لذا فحرمنا أفضل. وبقيت بينهم إذاية كثيرة ومنازعة عظيمة.

قال المؤلّف : لقد أتى(17) أهل المدينة يقولون : رسول الله ﷺ وقد خرج من مكّة ومعه أبوبكر الصدّيق وطلب من الله أين يتوجّه هو وأبوبكر، وقف عند الحجر الذي هو خارج مكّة **[180ظ]** بباب اليمن وردّ(18) وجهه المبارك ينظر به إلى مكّة متأسّفا على فراقها لأنّها وطنه وموضع ولادته ﷺ [وفيها](19) صحبته من أهلها، [وهي](20) أرض أبيه ونسائه، فيها مسقط رأسه، ومحبّةً لها وتأسّفا عليها قال: (21)اللاّهمّ كما أخرجوني

(1)هذه الآية نجدها في سورة الأعراف 57، آية 78 وآية 91، وكلمة «دار» ذكرت بالافراد : «دارهم».
(2) سورة هود 11ك، آية 67 وآية 94، وكلمة دار ذُكرت جمعا : ديارهم.
(3)زيادة للتّوضيح.(4)زيادة للرّبط.(5)زيادة للتّوضيح.(6)في الأصل: الذي .(7)في الأصل : ومسّتها.
(8)في الأصل : يبايعوا.(9)يسلّموا.(10)زيادة للتّوضيح.(11)بمعنى فقط.(12)زيادة للرّبط.
(13)في الأصل : لا نسلّموا.(14)زيادة للتّوضيح.(15)في الأصل : في التّربة.(16)في الأصل : نقولوا.
(17)في الأصل : أتوا.(18)أي أدار وجهه.(19)زيادة للرّبط.(20)زيادة للرّبط.(21)في الأصل : فقال .

من أحبّ البقاع إليّ، اسكنّي أحب البقاع إليك، فأمره (1) الله بالهجرة إلى مدينة يثرب فأثبت (2) أهل المدينة أنّها أحبّ البقاع على العموم ولأهل مكّة على الخصوص. وكلاّ من هذين (3) الحرمين الشريفين مفضّل (4) على سائر بقاع(5) الأرض كلّها إلاّ ما كان من المسجد الأقصى والأرض المقدّسة فإنها **[181و]** مشتركة معهما في الفضل لقول النبي ﷺ: «لا تشدّ الرّجال إلاّ لثلاث إلى بيت الله الحرام وإلى مسجدي [هذا](6) وإلى المسجد الأقصى». فظهر الاشتراك في الفضل. ولكن المبالغة [في تفضيل الأوطان كانت](7) وما تزال(8) إلى الأبد، والله أعلم. [وهو الذي](9) يعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء، بيده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلاّ هو.

قال المؤلّف رحمه الله: نصف(10)صفات وعادات أهل يثرب وماءهم وهواءهم(11) ومعاملاتهم(12)وملوك مدينتهم. عمارتها من المجاورين(13) وأهل البلد من عربه،(14) [من](15) ذريّة الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. سكان أهل مدينة يثرب عربان من أفصح العرب، و[بها](16) موطنهم. الغالب على قوتهم **[181ظ]** التّمر من تلك الغيضة(17)التي وصفناها من غراسة السّعدي أبي كرب. قيل : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فوصف ذكر(18)السّعدي أبي كرب التّباعي عند رسول الله ﷺ فسبّه أناس، فقال عليه السّلام: «لا تسبّوا السّعد إنّه كان مسلما» فأمسكوا. ثمّ نذكر مواضع(19) الوحي التي نزل القرآن فيها على رسول الله ﷺ. إنّ المدينة [هي](20) موضع الوحي ومحلّ نزول القرآن وموضع نزول جبريل عليه السّلام بالأمر والنّهي، فوجب علينا أن نذكر(21) [ذلك](22) ونفتخرُ(23) وننشر(24) مفاخر خير ما ذكرت(25)، وبذكر(26) مقامات(27) **[182و]** سيّد الثّقلين ونبي الحرمين وصاحب الشفاعة وزين[يوم](28)

---

(1)في الأصل : فأمر.(2)في الأصل : فأثبتوا.(3)في الأصل : هؤلاء.(4)في الأصل : مفضّلة.
(5)في الأصل : البقاع.(6) زيادة للتّوضيح.(7)زيادة يقتضيها المعنى.(8)في الأصل : لا تزال.
(9)زيادة للرّبط.(10)في الأصل : يوصف، واستعملها بمعنى يذكر.(11) في الأصل: مأواهم وهواهم.
(12)في الأصل : معاملتهم.(13)من المجاورين لقبر الرّسول.(14)في الأصل : عرابه.(15)زيادة للرّبط.
(16)زيادة للرّبط.(17)الغيضة : الأجمة والمقصود أرض بها أشجار كثيرة.(18)أي أورد أخبار السّعد.
(19)في الأصل : موضع.(20)زيادة للرّبط.(21)في الأصل : نذكروا.(22)زيادة للتّوضيح.
(23)في الأصل : نفتخروا.(24)في الأصل : ننشروا.(25)أي الأماكن التي ذكرها.(26)في الأصل : نذكروا.
(27)أي الأماكن التي أقام فيها رسول الله بالمدينة.(28)زيادة للتّوضيح.

القيامة، صاحب الجمعة والجماعة وخير من وطئ(1) التّراب وأكرم [ذوي](2)الألباب، وخاتم النّبيئين وسيد المرسلين وصاحب الوجه المليح واللّسان الفصيح والجبين المليح وصاحب النّور المبين مَنْ رأينا نورَه في الدّنيا يتشعشع ويتلألأ ويتّسع حتى يراه الكبير(3)، يخرج من داخل تلك القبّة في كلّ وقت مثل البرق يضيء ويلمع(4).

قال المؤلّف : والله لقد وقفت في أوّل ليلة من دخول المدينةّ ليلة جمعة، وكان الحرم ملآنا (5)بالنّاس في وقت [توجد فيه](6) جميع الرّكائب(7). وكان النّور يطلع على قبّة القبر مثل البرق حتّى يعمّ الضوء(8) الأفق ويَقوم **[182ظ]** جميع النّاس بالصّياح [وهم](9) يقولون : الصّلاة والسلام عليك يا رسول الله حتّى ما تسمع بأذنك(10) من كثرة الصّلاة والصّياح. وجاورته أيّاما فكان [الضوء](11) كل ليلة يطلع ويتّسع ويضيء ويلمع كالنّهار من فلق الصّبح(12). تهب علينا رياح المسك لا تشبه الرّياح [وجاورته](13) مجاورة في كلّ صلاة من الصّلوات الخمس. يَهبّ(14) عليه نسيم الأفواح(15) لا يشبه المسك الأذفرُ(16) ولا الغبار(17) بخلاف رائحة الدّنيا التي تنقطع وتنضح(18)، ونور [قبر](19) رسول الله ﷺ [مستمرّ ولهُ](20)رائحة تدوم. ومَالي لا ننشر(21) مفاخر النبيء الشّريف ونظفر(22)ونفرح ونشكر الإله وهو إله الخلق أجمعين على ما **[183و]**منّ عليّ

(1)في الأصل وطأ.(2)زيادة للتّوضيح.(3)يقصد كبير السنّ وعادة ما يكون ضعيفَ البصر.

(4)في الأصل : يدفع.(5)في الأصل : ملئانا.(6)زيادة للتّوضيح.(7)يقصد جميع الوافدين لزيارة قبر الرّسول.

(8)في الأصل : ضوء.(9)زيادة للرّبط.

(10)تعبير باللّغة الدّارجة للدّلالة على قوّة الأصوات المؤدّية لعدم السّماع.

(11)زيادة للتّوضيح.(12) لغة نقول : فلق الله الصبحَ : كشف الظّلام وأظهر الصّبح.(13)زيادة للرّبط.

(14)في الأصل : تهبّ.

(15)الأفواح من فاح يفوح فوْحًا الطيب : انتشرت رائحته، والكلمة من الدّارجة وأصبحت اليوم «لُفّاح» أي الطيبب بأنواعه.

(16)الأذفر من ذفِرَ يذفَرُ ذفرًا الشيء: ظهرت رائحته طيّبة أو خبيثة وغلب على الخبيثة فهو ذفر وأذْفَرُ. والمقصود هنا الرّائحة الطيّبة.

(17)الكلمة في الرّسم واضحة، وجمع المؤلّف بينها وبين المسك فيه غرابة.

(18) في الدّارجة نقول «البير ينْضَح أي يقلّ ماؤه. والبحر ينْزَح» أي يتراجع.(19)زيادة للتّوضيح.

(20)زيادة للتّوضيح.(21)غيّر الضمير من المتكلّم إلى الجمع.(22)نظفر : بمعنى ننال محبته وشفاعته.

من العطف والنّعمة الجزيلة التي لا تحصى ولاَ مِنْهَا يُشْبَع[1]. هذا كلّه من فضل ربّي وبركة هذا النّبيء المشفّع.

قال المؤلّف رحمه الله : إنّها حجرة[2] عظيمة وشريفة كريمة ومقام عظيم. والله مَتَى دخلت الحرم لتسلّم[3] على نبيّك تأخذك الهيبة والرّهبة[4] وتقشعرّ الجلود وتلين القلوب ونقول : «هُنا نحِبْ نْمُوتْ»[5] . ونستغني عن الطّعام والشراب : آه، آه نحن الذين[6] لم نر إلاّ الحجرة والقبّة على القبر الشّريف نرضى بالموت عند التّربة التي وطئت[7] أقدامه وأقدام أزواجه وأقدام ذرّيته ومواضع مساكنهم. وتحنّ لهم قلوبنا **[183ظ]** وتشفِقُ[8] عليهم[9] أفئدتنا وقلوبنا، فكيف من رآه بالعين ولم يؤمنوا به!؟ الويل لهم ثمّ الويل . طوبى لعين رأته وآمنت به، وويل لعين رأته ولم تؤمن به.

قال المؤلّف رحمه الله : هذه الحجرة محفوظة من الله، وهي بيت عائشة أمّ المؤمنين. كانت ليلتها[10] ، فمرض في بيتها وفيه مات ﷺ. وقالت عائشة رضي الله عنها : مات رسول الله ﷺ ورأسه تحت ذقني وهو جالس بين ذراعيّ[11] ، وكان سبب قبره[12] في بيت عائشة أنّه لما مات ﷺ بقي الصحابة باهتين حائرين أين يحفرون[13] قبرا له حتّى جاء عمّه العبّاس فقال : ما لي أراكم **[184و]** لا تحفرون [قبرا][14] لابن أخي، فقالوا : هذا نبيّ ولا يدفن مع النّاس في البقيع ، قال العبّاس: أنا سمعت من ابن أخي هذا – وأشار إلى النبيء ﷺ – أنّه قال : قبر كلّ نبيّ حيث هلك، وابن أخي هالك على فراش عائشة. فنحّوا[15] مضرّة [تأتي][16] من اليهود والنّصارى أو تصل أصحابه مَضرّة الرّوافِض[17] الذين يبغضونهم[18] ويبغضون أبا بكر وعمر وهما[19] معه في الحجرة[20] كما ترى أيّها القارئ والمستمع.

---

(1)عبارة دارجة.(2)هي الحجرة التي دفن فيها الرّسول وهو بيت عاشة.(3)في الأصل : لتسلّم.
(4)في الأصل : الرّعبة: أي الرّعب.(5)عبارة دارجة.(6)في الأصل : الذي.(7)في الأصل : أطأت.
(8)أي تعطف وتحنّ.(9)في الأصل : إليهم.(10)هذا من عدل الرّسول ﷺ بين زوجاته.
(11)في الأصل : أضرعيا.(12)قبْره أي دفنه.(13)في الأصل : أن يحفروا.(14)زيادة للتّوضيح.
(15)أي المسلمون بصفة عامّة.(16)زيادة للتّوضيح.(17)أي الشيعة.(8)أي يبغضون الصّحا.
(19)في الأصل وهم.(20)أي مدفونان معه في نفس الحجرة وهي بيت عائشة.

قال المؤلّف: رحمة الله (1) على النبيء محمّد العربي الهاشمي العدناني. قال ابن الصبّاح المذكور(2) : حضرت موطن الوحي ونزول القرآن على رسول الله ﷺ. أوّلُ [موضع](3) البيتُ الحرام نزل فيه **[184ظ]** [قوله تعالى](4) : ﴿**فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا**﴾(5) والثاني موضع [نزول](6) قوله [تعالى](7) : ﴿**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ**﴾(8) ، وموضع [نزول قوله تعالى](9) ﴿**وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ** (10) ﴾(11)، وموضع نزول قوله [تعالى](12) : ﴿**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ**﴾(13)، وموضع [نزول](14) قوله تعالى : ﴿**رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ**﴾(15) وموضع [نزول](16) قوله تعالى ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**﴾(17) و[موضع](18) نزول قوله تعالى : ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ**﴾(19)، وموضع [نزول](20) قوله [تعالى](21) : ﴿**فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ**﴾(22)، وموضع نزول سور الحواميم(23) .

قال الحاج(24) : وحضرت مواضع ومواطن نزول المكّيّ كلّه من سور(25) القرآن بمكّة وخارج مكّة، ومواضع نزوله بالمدينة وخارج المدينة. وسوف أسمّيهم واحدًا بعد **[185و]** واحد [وهي](26) المواطن والمواضع المذكورة [و](27) المشهورة بـ[فضل](8) نزول القرآن على رسول الله ﷺ[فيها](28) .

قال عبد الله بن الصبّاح : كلّ من دخل مكّة فقد حضر مواضع نزول القرآن [فيها](29) ، وكلّ من دخل المدينة فقد حضر مواضع نزول القرآن [فيها](30). ولكن بين ما ذكرناه من سور نزلت بمكّة وسور نزلت بالمدينة [فروق](31) [و](32) الفرق

---

(1) في الأصل: رحمه.(2)أي المؤلّف وقد ذكره في أوّل الفقرة.(3)زيادة للتّوضيح.
(4)زيادة للرّبط.(5) 3م.آل عمران، آية 97.(6)زيادة للتّوضيح.(7)زيادة للتّوضيح.(8) 2م. البقرة، الآية 127.
(9)زيادة للتّوضيح.(10)القائمون بالطوّاف حول الكعبة.(11)22م. الحج، الآية 26.(12)زيادة للتّوضيح.
(13) 2م. البقرة ، الآية 158.(14)زيادة للتّوضيح.(15) 14ك. إبراهيم، الآية 37.(16)زيادة للتّوضيح.
(17) 3م. آل عمران الآية 97.(18)زيادة للتّوضيح.(19) 3م. آل عمران، الآية 96.(20)زيادة للتّوضيح.
(21)زيادة للتّوضيح.(22) 3م. آل عمران، الآية 97.(23)المقصود: السّور التي تبدأ بحروف كالحاء والواو والميم.
(24)الحاج يقصد المؤلّف.(25)في الأصل : نزول.(26)زيادة للرّبط.(27)زيادة للرّبط.(28)زيادة للرّبط.
(29)زيادة للتّوضيح.(30)زيادة للتّوضيح.(31)زيادة للتّوضيح.(32)زيادة للتّوضيح.

[الأهم](1) بينهما : أن القرآن منه مكّي ومنه مدني : كلّ ما نزل في مكّة قبل الهجرة خلال(2)ثلاث عشرة سنة قبل الهجرة فهو مكّي بلا خلاف، وكلّ ما نزل عليه(3)بالمدينة بعد الهجرة في شأن مكّة أو غيرها فإنّه مدني بلا خلاف.

قال المؤلّف : والدّليل على(4) الذي ذكرناه [نجده](5) في (6)جمع **[185ظ]** عثمان رضي الله عنه السّور ونسخ زيد بن ثابت [لها](7). وقد تكون بعض السّور مكّية وفيها آيات مدنيّة، وتكون [بعض] السّور مدنيّة وفيها آيات مكّية. وهذا يدلّ على أنّ كلّ ما نزل في مكّة قبل الهجرة فهو مكّي، وكلّ ما نزل عليه في المدينة بعد الهجرة فهو مدنيّ. قال [تعالى](8) : ﴿**وَفِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ**﴾. قال أهل التّأويل(9) : آياته(10)أنّ الشمس لا تفارقه [زمن] الصيف والشتاء، تبزغ(11) في مطالعها من الرّكن الشّرقي الجنوبي ثمّ تعود إلى الرّكن الشرقي الشمالي الشّامي. وهي دائرة بين هذين الركنين(12)الإثنين.في مطالعها من الرّكن الشرقي الجنوبي ثلاثمائة...(13) **[186و]** مبنيّة عليهم(14) لا يصل إليهم أحد، إذ القبّة مطبوقة عليهم مبنيّة بالمرمر المنوّع : أبيض وأحمر وأكحل وأخضر، وسقف القبّة باللّوح والمسمار، وفوقه ألواح الرّصاص مضروبة بالمسمار لا يدخل عليهم(15) بشر، ولا يصل إليهم لا ريح ولا شمس إذْ لا حاجة لهم بأحد من الخلق، لأنّهم هم أقمارُ القدوة، وكفى بالنبيء [وأصحابه](16) أقمارًا. ولكن للزّائرين له قبالة رأسه خارج البنيان تابوتٌ من عود اليمن مُزَيَّن بالذّهب والفضّة مملوء بالمسامير المزيّنة بالفضّة والذّهب، [و](17) قبالة رأس أبي بكر مسمار من فضّة مقرون في الحائط علامة

(1)زيادة للتّوضيح.(2)في الأصل : منزله في. (3)أي الرّسول.(4)في الأصل : في.(5)زيادة للتّوضيح.
(6)في الأصل : أنّ في.(7)زيادة للتّوضيح.(8)زيادة للتّوضيح.(9)يقصد أهل التّفسير.
(10)الضّمير يعود على قبر الرّسول.(11)في الأصل : تبلع.(12)في الأصل : بين هذه الأركان.
(13) هناك نقص لا نعرف مقداره بدليل أنّ الكلمة الأخيرة في ص 185 ظ لا تتماشى مع بداية الصفحة 186و.
(14)الضّمير يعود على النبي ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر. ويعود المؤلّف للحديث عن الرّوضة المقدّسة والقبّة المبنيّة فوقها.
(15)في الأصل : يدخلهم.(16) زيادة للتّوضيح. (17)زيادة للرّبط.

له، وقبالة رأس عمر سارية من مرمر **[186ظ]** أخضر، وتلك(1) [السّارية](2) علامته. كلّ هذه العلامات خارج الحائط، والحجرة دائرة بالقبّة متّسعة عن القبّة التي(3) فيها، ودائرها(4) القبور على قدر اثني(5) عشر قدم مبنية بالخشب على صنعة نوع الشبّاك(6)، بها بابان(7) بأقفال الحديد تفتح للزّائرين في أوقات الصّلوات. يدخلون ويقفون قُبالة تابوت الرّسالة الذي هو قبالة رأس رسول الله ﷺ ويسلّمون [عليه](8) بما يُلْهم [به](9) الإنسان وما تيسّر له ممّا يُرضي به الله ورسوله . ثمّ ينتقلون إلى قبالة رأس أبي بكر [أي](10) قبالة مسمار(11) الفضّة ويسلّمون ويدعون بما تيسّر، ثمّ ينقلون [إلى قبالة رأس عمر](12) ويدعون بما تيسّر **[187و]**، يقتدون بالعلامات خارج الحائط.

ثمّ إذا قَضى النّاس الزّيارة أَغلق(13) الحجرةَ الخدّامُ. وهذا لحرمة(14) [المكان](15). وخوفا من الظلاّم الخوارج [و](16) الرّوافض(17) لهذا يُحتاج للضّبط والحرز والحفظ من شأن(18) الطوائف المبغضين(19) للصحابة(20) الأخيار، [وهكذا](21) لا يصل إليهم إلاّ مَن يكون من أهل الخير، ولا يصل إليهم الأشرار، حجبوهم(22) عن خلاف القدوة(23) بالبنيان المشيّد والحرز(24) وبالنظّار(25) والخدّام والذين لا يغفلون عن أحد إذا تأخّر في الحجرة، حتّى [إذا تأخّر أحدهم](26) يخرجه الخدّام بالدّفع والضرب بالقضبان لأنّ زيارة النبيء ﷺ [يجب أن](27) تكون هيّنة خفيفة. ورحم الله عبدًا زار وانصرف.

قال ابن الصباح رحمه الله **[187ظ]** : والله لقد رأيت الطوّاشيّة(28) والحبشيّة يدفعون المتثاقلين(29) في الزّيارة، يضربونهم بالقضبان ويقولون لهم : اخرج رحم الله

---

(1)في الأصل: ذلك.(2)زيادة للتّوضيح.(3)في الأصل : الذي.(4)لفظة من الدّارجة.(5)في الأصل : إثنا.
(6)أي في مثل شكل الشبّاك.(7)في الأصل : بابين.(8)زيادة للتّوضيح.(9)زيادة للتّوضيح.
(10)زيادة للتّوضيح.(11)في الأصل : المسمار.(12)زيادة للتّوضيح.(13)في الأصل : أغلقت.
(14)في الأصل : للحرمة.(15)زيادة للتّوضيح.(16)زيادة للتّوضيح.
(17)في الأصل : الأرفاض واستعملها نعتا للخوارج. وهذا خطأ لأنّ الأرفاض أي الرّوافض هم الشيعة.
(18)من شأن : دارجة معناها : بسبب.(19)في الأصل : المبغضون.(20)في الأصل : في الصّحابة.
(21)زيادة للرّبط.(22)الضمير يعود على النّبيء وصاحبيه أبي بكر وعمر.
(23)القدوة : صفة لأصحاب الرّسول، وخلاف القدوة : هم الخوارج والشّيعة الذين هم في خلاف معهم.
(24)الحرز : الموضع الحصين.(25)في الأصل : النّظائر.(26)زيادة للتّوضيح.(27)زيادة للتّوضيح.
(28)الطواشية جمع لطوّاشيّ : الخصيّ.(29)في الأصل : المثقلون.

عبدًا زار وانصرف كما هو الحقّ(1)، لأنّ ذلك الموضع إذا رايته تأخذك الهيبة والرّهبة، تكاد نفس الإنسان(2) أن تزهق منه من الهيبة حتّى تقول(3) : إنّ النّبيّ وأبا بكر وعمر يسمعون [و](4) لهم جيش(5)، ولا يقدر أحد [أن](6) يثبت(7)ويكون(8) في المقام لهيبة المقام الشّريف.

ونخرج إلى الرّوضة ومسجد الرّسول والمحراب والمنبر، وبينها(9) وبين القبر عشر خطوات، والمحراب معطّل لا يُصَلَّى فيه أبدًا إلاّ المنبر يُخطب عليه يوم الجمعة.

قال **[188و]** ابن الصبّاح رحمه الله : محراب النّبيء ﷺ معطّل لا يزار، قدّام المحراب [هناك](10) حفيرة يجعل الزّائر رجليه فيها ويقبّل أين كان النبي ﷺ يجعل رجليه(11)، ويزور المنبر الذي على موضع الجذع الذي حنّ لرسول الله ﷺ. [في](12)الوقت الذي صنعوا المنبر حنّ جذع النّخل – الذي كان يخطب عليه [الرّسول](13) قبل صنع(14) المنبر – لقول رسول الله ﷺ(15) ، فأمر النبي أن يجعل المنبر على الجذع حتى سكن الجذع عن الحنين(16) ، فهو اليوم المنبر يخطب عليه إلى يوم القيامة.

قال المؤلّف : قبور الأنبياء كلّهم لم يثبت لها [مكان](17) إلاّ قبر **[188ظ]** رسول الله ﷺ فإنّه لم يتغيّر بالحفز والحرز وتواتر الخلفاء وكلّهم [من]أصهاره(18) وأولاد عمّه(19) إلى اليوم وإلى يوم القيامة لا يتغيّر. وقيل كلّ نبيء ينزل عليه النّور من السّماء وقبر نبيّنا [ﷺ](20) يطلع النّور من قبره إلى السّماء، ولا يُعرف – يوم تبدّل الأرض- قبره إلاّ بالنّور الذي يطلع من الأرض إلى السّماء. وقصّة النّور والقبر في حديث يطول [لما فيه من ذكر](21) للفضائل والعجائب ولكن اختصرنا بعضها(22). والله إنّه يطلع

(1)الحق بمعنى للواجب.(2)في الأصل : الإنسن.(3)عبارة دارجة بمعنى . حتّى يُخيّل إليك.(4)زيادة للرّبط.
(5)جيش من الملائكة وهو الذي يثير الهيبة في النّفوس.(6)زيادة للرّبط.(7)يثبت أي يثبت في مكانه.
(8)يكون بمعنى : يستمرّ.(9)في الأصل : بينهم.(10)زيادة للتّوضيح.(11)في الأصل : رجلاه.
(12)زيادة للرّبط.(13)زيادة للتّوضيح.(14)في الأصل : صنعة.(15)في الأصل : وسلّم عنه.
(16)في الأصل : الإحنان.(17)في الأصل : قبر.(18)هل يقصد أزواج بناته كأبي بكر وعمر؟
(19)هل يقصد بني العبّاس وخلافتهم مشهورة؟.
(20)في الأصل بياض لا يكفي لكتابة الصّلاة والسّلام على الرّسول.(21)زيادة للتّوضيح.(22)في الأصل : البعض.

[نور](1) من قبره حتّى يعمّ الآفاق ثمّ بيوت العشرة المهاجرين من وراء ظهر حائط الحرم وقبلة محراب النبي عليه السّلام لأنّ قبلة محراب النبي قبلة وحي، **[189و]** وقبلة مكّة عيان(2) ، وقبلة محراب عمرو بن العاص بمصر وباقي قبلة أهل الأرض قبلة تقليد، وقبلة النبيء بالمدينة قبالة ميزاب الكعبة بمكّة شرّفها الله.

وعلى هذا القبر الشّريف والحجرة الشريفة للزوّار أربعمائة صاع من التمر الذي في غِرى(3) من المدينة ودائرتها، [وهو](4) وقف وحبس على الزّوّار الذين يزورون في كلّ عام، وعلى المجاورين، مجاوري(5) النبي عليه السّلام، ولحجرته وقبره فتوح(6) كثيرة للخدّام وعمارة الحرم وقبّة [البيت](7). [وهناك](8) الهدايا والأوقاف تأتي وتَجي من مشارق الأرض ومغاربها حتّى يفيضَ على الحرم الخير [وعلى](9) عمارته وخدامه بالنفقة والكسوة **[189ظ]** والهدايا الكبيرة(10) من الذّهب والفضّة وأنواع الأثواب من الحرير والخزّ بأنواع الألوان(11) من كلّ إقليم من عمائر المسلمين(12) [ومن](13) أهل الهند [يأتون](14) بأنواع الهدايا [من](15) بلادهم. وأعظم حوائجهم(16) يهدونها للنبي عليه السّلام. وأهل كلّ إقليم [يقدّمون](17) ممّا عندهم أرفع الهدايا وأعظمها من [خيرات](18) الأرض كلّها. وتْجِيهْ(19) من الهدايا ما لا ينحصر عددها [ولا يضبط](20) وزنها. يعطى منها للغرباء على الحجرة الشّريفة وللفقهاء والعلماء المجاورين عنده بالمدينة، والفقراء والمساكين. وأهل المدينة قوتهم من نخلهم : نخل المدينة كثير(21) تبلغ غراستها(22) في الطول ستّة أميال **[190و]**وفي العرض ثلاثة أميال : غابة كبيرة من بقيّة غراسة السّعدي أبي(23) كرب التّباعي. وهم يجدّدونها في كلّ عام .

(1)زيادة للتّوضيح.(2)أي مشاهدة للكعبة.

(3)الغِرَى هي الغرائر مفردها غرارة وهي الجوالق من صوف أو شعر. وجمع غرى لا يوجد في الفصحى فهو من الدّارجة.

(4)زيادة للرّبط.(5)في الأصل : مجاورين.(6)فتوح أي صدقات من بلاد المسلمين.

(7)زيادة للتّوضيح.والمقصود : قبة البيت الذي دفن فيه النبيء.(8)زيادة للرّبط.(9)زيادة للرّبط.

(10)في الأصل : الكبار.(11)في الأصل : أنواع الألوان. والمقصود : بمختلف الألوان.

(12)العمائر هنا بمعنى المناطق التي عمّرها المسلمون.(13)زيادة للرّبط.(14)زيادة للرّبط والتّوضيح.

(15)زيادة للرّبط.(16)كلمة دارجة المفصود منها الأشياء من لباس وحلي.(17)زيادة للرّبط.

(18)زيادة للتّوضيح.(19)كلمة دارجة معناها : تأتيه، والضمير يعود على قبر النبيء.(20) زيادة للتّوضيح.

(21)في الأصل : كثيرة.(22)أي مساحة غراستها.(23)في الأصل : أبو.

قال ابن الصبّاح رحمه الله : مدينة يثرب في وسط النّخل يمينا وشمالا(1) ، تسقى بماء العين الزّرقاء(2) وماء الآبار وتطعم الكبار والصغار. مدينة يثرب [توجد](3)بين جبلين: جبل أحد وجبل رومة الحمراء التي تلي مسجد القبلتين وبين بئر عثمان، وعرض ما بين الجبلين مسيرة يوم. ومدينة يثرب في دورة سورها وحفيرها دورة ضحوة من النّهار(4)، لها(5)من المزارات : قبر حمزة بن عبد المطلب الشّهيد يوم أحد، وقبره(6) على ضحوة من مسجد الرّسول، **[190ظ]** يشفي بتربته مرضى العينين، ومسجد قباء والعين الزّرقاء وبئر إدريس، وبئر النبيء عليه السّلام الذي يتطهّر(7) فيه كلّ جمعة، وكلّها(8) في قباء وقرية أبي بكر الصدّيق على ضحوة من النّهار(9)، ومسجد النّفاق نحو(10) قباء برمية قوس مرّتين(11)في حجارة سوداء(12).

قال ابن الصبّاح : اختلف في مسجد قباء ومسجد النبيء بالمدينة في الفضل فتاوة يأتون(13) بمسجد النبيء بالمدينة ومرّة بمسجد قباء. الخلاف في قوله تعالى: **﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾**(14). قيل نزلت في مسجد النّبيء، وقيل نزلت في مسجد قباء **[191و]** وأمّا مسجد النّفاق الذي على شفا جرف هاو(15) فقصّته(16)في حديث يطول.

قال المؤلّف : كلّ موضع نذكر لك أيّها القارئ والمستمع [هو](17) من مواضع ومواطن مدينة يثرب وحرم النّبي عليه السّلام. وجميع جبالها وسهلها ووعرها كلّها(18)مواطن الوحي ونزول القرآن. والله إنّ الغالب على سورة آل عمران أنها نزلت في غزوة أحد وفي من حضرها(19) وأنّ الغالب فيها ذكر حمزة ورجال يوم

---

(1) في الأصل : يمين وشمال.(2)في الأصل : الزّرقا.(3)زيادة للرّبط.

(4)المقصود أنّ محيط سور مدينة يثرب وحفيرها هو ما يمكن قطعه سيرًا من طلوع الشّمس إلى الضحى.

(5)في الأصل: عليها.(6)في الأصل : وفيه هو قبره.(7)في الأصل : يطّهر.(8) في الأصل: كلّهم.

(9) أي مسافة ما يقطعه الرّاجل من طلوع الشّمس إلى الضّحى.(10)أي في اتجاه مسجد «قباء».

(11)أي يبعد هذا المسجد عن قباء مسافة ما يقطعه السّهم عند ما يُرمى مرّتين.(12)في الأصل : سودًا.

(13)أي يأتون به في الرتبة الأولى.(14)9م. التّوبة، الآية 108.(15)في الأصل : هار.

(16)في الأصل : قصته، أضفنا الفاء للرّبط.(17)زيادة للرّبط.(18)في الأصل : كلّهم.

(19)في الأصل : والله إن لوقعة غزوة أحد أنّ الغالب على سورة آل عمران نزلت فيه وفي من حضره.

أحد[1]، وأنّ[2] الغالب عليها تسلية لقلب النبيء وقلوب الأوس والخزرج والمهاجرين والأنصار. يأخذ الله بقلوبهم بالتّسلية والصّبر **[191ظ]** على ما أصابهم في مصائب رسول الله عليه السّلام. وأصحابه أصيب منهم أربعة وستّون رجلا من الأنصار وستّة رجال من المهاجرين. واستشهد فيه[3] حمزة ابن عبد المطلب. [مكان][4] قبور الشّهداء بأحد اليوم مزار[5]، وكفى[6]بالمدينة [فخرًا][7]أنّ منها غزا رسول الله ﷺ [ومنها خرج إلى][8] جميع مغازيه المشهورة [و][9] أوّلها غزوة بدر ثمّ أحد ثمّ غزوة بني قينقاع اليهود أعداء بني قريضة وبني النّظير، ثمّ غزوة بني النّظير اليهود، ثمّ غزوة بني المصطلق ثمّ عزوة الخندق، ثمّ غزوة بني فريضة **[192و]** اليهود، ثمّ غزوة سفر عائشة أمّ المؤمنين التي كثر فيها [كلام][10] أصحاب الإفك. في تلك السّفرة نزلت آية التيمّم، ثمّ غزوة خيبر اليهود، ثمّ عزوة فتح مكّة ، ثمّ غزوة حنين ثمّ عزوة الطائف، ثمّ غزوة الأحزاب والنّعاس[11]، ثمّ غزوة الحديبية، ثمّ غزوة وادي النّخلة، ثمّ غزوة العشرة[12]، ثمّ غزوة تبوك الرّوم في ساعة العسرة[13]. وفيها نزلت [سورتا][14] براءة والأنفال – الأقلّ من سورة الأنفال- حاصرها[15]الرّسول ﷺ ثلاثة أشهر، [و][16] فيها نزلت واكتملت براءة والأنفال في تلك الثلاثة أشهر، وفيها عين ماء اغتسل فيها **[192ظ]** رسول الله ﷺ فامعان[17] وجرت بعد أن كانت لا تجري، وكان السّفر إليها في[18] الحرّ ونزل قوله [تعالى][19] ﴿ **وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ** ﴾[20].

وغالب نزول القرآن من المدني نزل بحرم النبيء بالمدينة والباقي من المدني نزل في مغازي رسول الله ﷺ المذكورة المشهورة عند أهل السّيرة[21] المتواترة بالأخبار.

---

(1)في الأصل : وأنّ سورة آل عمران الغالب فيها ذكر أهل حمزة رجال يوم أحد.
(2)في الأصل : أنّها.(3)الضمير يعود على جبل أحد.(4)زيادة للتّوضيح.
(5)في الأصل : هم اليوم مزار قبور الشهداء بأحد.(6)في الأصل : كفا.(7) زيادة للتّوضيح.
(8)زيادة للرّبط.(9)زيادة للرّبط.(10)زيادة للتّوضيح.(11)الكلمة واضحة والتّسمية غربية.
(12) في الأصل : العيشرة.(13)غموض رغم وضوح الكلمة.(14)إضافة للتّوضيح.
(15)الضمير يعود على «تبوك»(16)زيادة للرّبط.(17)كلمة فيها غموض. ولعلّها : فأمعن.
(18)في الأصل : سفرها ، والضمير يعود على تبوك.(19)زيادة للتّوضيح.(20) 9م. التّوبة، الآية 81.
(21)في الأصل : السّيرات.

قال المؤلّف رحمه الله : وصفنا الحرم والحوز، ونصف[1] البقيع الشّريف خارج الحرم، وداخل سور المدينة، وهو ملاصق لحائط[2] الحرم من الخارج[3] [في اتجاه][4] الشّرق، بينه [وبين الحرم][5] قدر خمسين خطوة ومتّصل بعمارة الحرم **[193و]**. وفيه[6] قبّة العبّاس وداخلها قبور الحسن والحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والعبّاس عمّ النبيء ﷺ، وبجوارهم قبر عُقيل أخي علي وقبر إبراهيم ابن النبيء ﷺ، وقبر مالك الفقيه عالم المدينة ومفتي الأمّة الفاضل في الحسب والطّويل النّسب، وخير أولي الألباب: إنّه[7] مالك بن أنس بن مالك السّخيري بن عامر الأصبحي رضي الله عنهم[8]، وقبر عثمان بن عفّان صهر النّبيء عليه السّلام وقبر أمّ علي بنت أسيد[9] في قاع النّخيل، وقبر صفيّة بنت عبد المطلب وقبر فاطمة ببيت الأحزان [10] من وراء ظهر قبة العبّاس **[193ظ]** بن عبد المطلب.

وتربة المدينة سبخة ثرّى[11] [كانت و][12] ما تزال[13]، إلاّ أنّها أرض النّخل، والنّخل أرض الوحل أي الطّين بدليل قوله عليه السّلام : «أكرموا عمّاتكم النّخل المنبتة في الوحل المطعمة في المَحل» أي في القحط. وقال عليه السّلام: «لا يجوع بيت فيه التّمر».

قال المؤلّف رحمه الله لقد ودّعنا قبر النبي ﷺ وقلوبنا تنفطر من التأسف على فراق ذلك الحرم الشّريف والقبر الشّريف والحجرة الشريفة[14]، والله : إنّ على تلك المدينة الشريفة الضّياء والنّور، وتبقى النّفسُ فيها متمتّعة وفرحة[15] دائما أبدًا وتأنس[16] بأنس ذلك الحرم و[تلك][17] الحجرة والقبور وتنسيك[18] تلك **[194و]** المواضع جميع هموم الدّنيا وتصغر الدّنيا في عينك وتقرب الآخرة من بالك، والقلب فيها متهلّل اللّيل والنّهار أبدا دائما بأنس رسول الله ﷺ وأصحابه وموطن الوحي بنزول القرآن.

---

(1)في الأصل : نُوصِفُ.(2)في الأصل : بحائط.(3)في الأصل : خارج.(4)زيادة للتّوضيح.
(5)زيادة للتوضيح.(6)الضّمير يعود على البقيع.(7)في الأصل : ذلك.
(8)ينتمي مالك صاحب المذهب – حسب زعم المؤلّف– إلى عائلة ابن الصبّاح.
(9)الكلمة مطموسة بالحبر وفيها غموض.(10) في الأصل: وبيت فاطمة بنت الأحزاب.
(11)في الأصل : صبخ ثرا.(12)زيادة للتّوضيح.(13)في الأصل : لا يزال.(14)المقصود بيت عائشة.
(15)في الأصل: فارحة.(16) في الأصل : تلتبس.(17)زيادة للرّبط.(18)في الأصل : تذكرة.

قال المؤلّف رحمه الله : لو نصف هذه المدينة مقدار عمر نوح صاحب السّفينة ما نبلغ وصف معجزة فضلها وكرامتها عند الله. ولولا أنّ الله تعالى ختم الآجال وقسّم الأرزاق وأشتتها(1)في البلاد واضطرّ(2) العبادَ إلى ما قسّم وختمَ من رزق وتربة وجعل الرّزق والأجل متساويين(3)، وزيّن مواضع الرّزق لأصحابها : إمّا لرزق جزيل أو لعمر طويل حتّى [194ظ] ينفذ ما ختم ويفرغ ما قسم ولكلّ امرئ تربة معلومة في مكنون الغيب والعبد مسيّرٌ إليها(4)[منقاد](5) بأسباب الرّزق وتربة المختوم في المكنون(6)، [لولا ذلك](7) لكان [أفراد](8) جميع أمّة النبيء الشريف أولى بالسّكنى(9)قرب قبره وحجرته وحرمه ودار هجرته. [فهي](10)أولى من جميع جنّات مصر والشام واليمن [بالمحبّة](11). لكن ما يزال(12) قلب المؤمن برسالته والمهدي إلى محبّته و[محبّة](13)أصحابه متعلّق [بهذا](14) الحبّ، وصورة قبره وحجرته وحرمه ودار هجرته بين عيني (15) الحاج الفهيم والفقيه النّبيل والعالم الجزيل العارف بمعرفة الله ورسوله حتى يلقاه(16) إن شاء الله في حياته الباقية التي لا موت بعدها أبدًا [195و]، وترجو قلوبنا ذلك وتقرّ عيوننا(17) بها إن شاء الله تعالى وحسبنا الله ونعم الوكيل .

قال المؤلّف : لنا دليل واضح يدوم به القلب فارحًا(18) وينشرح الصّدر انشراحا(19)، وحديث ثابت وكلام ثابت متواتر مقرون بَاينٌ(20) لا يخالطه الشكّ ولا الظّنون، [وهو](21)قوله عليه السّلام : «من زارني في مماتي فكأنّما زارني في حياتي». قالت جماعة من أهل التّأويل : إنّ لفظه عليه السّلام أراد به : فقد يزروني في حياته الباقية(22)[التي](23) لا موت بعدها [أو](24) هي [زيارة](25) في حقيقة الحياة(26) التي

(1)المقصود وزّعها.(2)أي الله جعل العباد مضطرّين.(3)في الأصل: مستويان.
(4)أي كلّ امرئ مقدر له منذ الأزل في أيّ تربة سيدفن.(5)زيادة للتّوضيح.
(6) أي في المكان الذي قُدّر له أن يموت فيه.(7)زيادة للرّبط.(8)زيادة للتّوضيح.
(9)في الأصل :أولا بالسّكنا عندها في.(10)زيادة للرّبط.(11)زيادة للتّوضيح.(12)في الأصل : لا يزال.
(13)زيادة للتّوضيح.(14)زيادة للرّبط.(15)في الأصل : عينين.
(16)في الأصل : يلقا. والضمير يعود على الرّسول ﷺ.(17)الضمير يعود على الحياة الباقية.
(18) في الأصل : فارح. (19)في الأصل : شارح.(20)المقصود واضح.(21)زيادة للرّبط.(22)أي الدّنيا الآخرة.
(23)زيادة للرّبط.(24)زيادة للرّبط.(25)زيادة للتّوضيح.(26)أي الحياة الدّنيا.

لفظ بها عليه السّلام [قولته](1). وقد يحتمل [الأمر](2)الوجهين من الزّيارتين : فرحة بزيارة الموتى(3)، وله فرحة **[195ظ]** أخرى بزيارة أهل الجنّة. يزورون(4) قبّته في الجنّة من رفعة درجاته بالوسيلة، وهي أرفع درجة في الجنّة(5). وتزوره أمّته [في الدّنيا](6) يتحمّلون السّير إليها(7). والثقيل(8)من الحجّاج [هو الحاج](9) الذي يحجّ ولا يزوره، حرمه(10) الله الأجر الكبير وأورثه الحسرة والنّدامة في الدّنيا والآخرة. بئس الحاج الثّقيل البطن(11) العطول.

(1)زيادة للتّوضيح.(2)زيادة للتّوضيح.(3)أي زيارة الموتى في الحياة الدّنيا.(4)في الأصل : يزوروا.
(5)المقصود : يزورون الرّسول وهو في أعلى علّيين في جنّة الخلد، لا يمكن الوصول إليه إلاّ إذا كان المؤمن هو الآخر رفيع الدّرجة.(6)زيادة للتّوضيح.(7)أي الحجرة التي فيها قبره.(8)في الأصل : الثّقل.
(9)زيادة للتّوضيح.(10)في الأصل : أحرمه.(11)في الأصل : و.

[الخروج من المدينة إلى الشّام]

قال المؤلّف : ننصرف من مدينة الرّسول ﷺ إلى الشّام(1) [وهي](2) البلاد المطهّرة والأرض المقدّسة، ونودّع ونبكي وننوح طول عمري على فراق نبيء نشهد حجرته(3) طول يومي وليلتي في كلّ الصّلوات الخمس . نزوره **[196و]** ونسلّم عليه ونبكي ونرثي(4). كيف لا أنوح على فراق بلدة فيها النبيء محمّد وجبريل يمشي [فيها](5)؟ ونعم الأرض والبلدة والتّربة التي فيها أصحابه، للذلّ تِمْشِي(6)!: آه، آه يا حاج ما أقسى قلبك(7)، فارقت منازل العزّ وإلى الذلّ تِمْشي حرمت(8) البعض من عُمرك من نور طلعة(9) لا تماثلها الشّمس، وخلّيت أنس رسول الله ﷺ وأنس عمر الفاروق وأبي(10) بكر الصدّيق: أستأنس بأنفسهم(11) في تلك الحجرة والقبّة العالية القدر وأسلّم عليهم عندما تفتح الحجرة بأفضل التّسليم وأعظم القدر.

قال المؤلّف رحمة الله : والله لمّا ودّعنا **[196ظ]** رسول الله ﷺ كانت قلوبنا مستأنسة به(12) ومستغنية(13) وبأصحابه وبالمنازل وبمواطن الوحي(14) وأخبار السّماء، وموطن(15) أقدام رسول الله ﷺ وأصحابه وحضرة(16) جبريل وحضرة السّفرة(17) الكرام والصحابة الكرام [عن كلّ مباهج الحياة] مادامت أعيننا تنظر إلى الحرم. فلمّا غاب عنّا اسودّت قلوبنا وعشيت أبصارنا من البكاء حتى كادت أرواحنا تزهق، ويُسمع(18) للأدميّين ضجيج وتأسّف وندامة وبكاء من أهل الحقيقة(19) والعلماء، كلّ

---

(1) الشّام : هي فلسطين وسوريا ولبنان اليوم.(2) زيادة للرّبط.(3) الحجرة التي فيها قبره ﷺ.
(4) المقصود : نرثي لحالنا.(5) زيادة للتّوضيح.(6) في الأصل : للدّار تمشي.
(7) المؤلّف يناجي نفسه ويتحسّر على فراق المدينة.(8) في الأصل : أحرمت.(9) في الأصل : وطالعة.
(10) في الأصل : أبو بكر.(11) أي بأرواحهم.(12) أي تجد الأنس معه وبجواره.(13) في الأصل: غنيّة.
(14) في الأصل : والوطن أوطان الوحي.(15) في الأصل توطئة.(16) في الأصل : حضرته.
(17) هل يقصد بهم الملائكة؟ (18) في الأصل : تسْمع.(19) هل يقصد بهم أهل السّنة؟

ذلك على فراق المصطفى ﷺ. ولم تزل قلوبنا كئيبة حزينة حتى دخلت **[197و]** إلى بيت المقدس، عند ذلك اشتغلت قلوبنا بموطن الأرض المقدسة وبزيارة إبراهيم خليل الرّحمان وقبور الأنبياء بالشام، في ذلك (1) الوقت انجلى(2) [الحزن من](3) قلوبنا من فراق المصطفى ﷺ ووطنه.

قال المؤلّف : لمّا كنّا بين تبوك والمعلّى (4) جرت علينا ريح عاصفة زمهرير، مات منّا أناس كثيرون [من الفقراء](5) العراة ممّن يبّستهم الرّيح الباردة : زمهرير يحرق من [شدّة] البرد كما يُحرِق من [الهيب](6)النّار، وأضحت وجوه الخيل مسودّة(7)مثل الدّخان.

قال المؤلّف : خرجت من المدينة من(8) الباب الشامي نريد الشّام إلى تبوك الرّوم: [مسافة](9)ثمانية أيّام، إلى المعلّى ومدائن صالح الرّسول، **[197ظ]**، [وهي](10)مدائن ثمود فيها بئر النّاقة، ماؤه عذب لأصحاب الحجلا، [وفيها](11) نخيل، إلى بريّة عقبة السّودان، إلى معان (12) وهو أوّل الحشر إلى الشام. من المدينة إلى أوّل عمارة الشام مسيرة خمسة عشر يوما بلياليها. ودخلنا الشام ومدائنها الكثيرة الخير، أمّنها الله : هي بلاد البلقة(13) [و](14) بلاد الكهف والرّقيم، إلى أريحة الغور إلى الطور الذي رُفع منه عيسى عليه السّلام، إلى بيت المقدس [مسافة] ثمانية أيّام والحمد لله على سلامة الحجّ من المفاوز(15) والقفار. الحمد لله رب العالمين.

---

(1) في الأصل: تلك.(2)في الأصل : انجلات. (3)زيادة للتّوضيح.(4) انظر رحلة العبدري ص 220 س 16.
(5)زيادة للتّوضيح.(6)زيادة للتّوضيح.(7)في الأصل : تسودّ.(8)في الأصل : على.(9)زيادة للتّوضيح.
(10)زيادة للرّبط.(11)زيادة للتّوضيح.
(12) في الأصل : عمان.
(13) يقصد البلقاء في الأردن.(14)زيادة للرّبط.(15)في الأصل : المفاويز.

[بيت المقدس ومدينة الخليل]

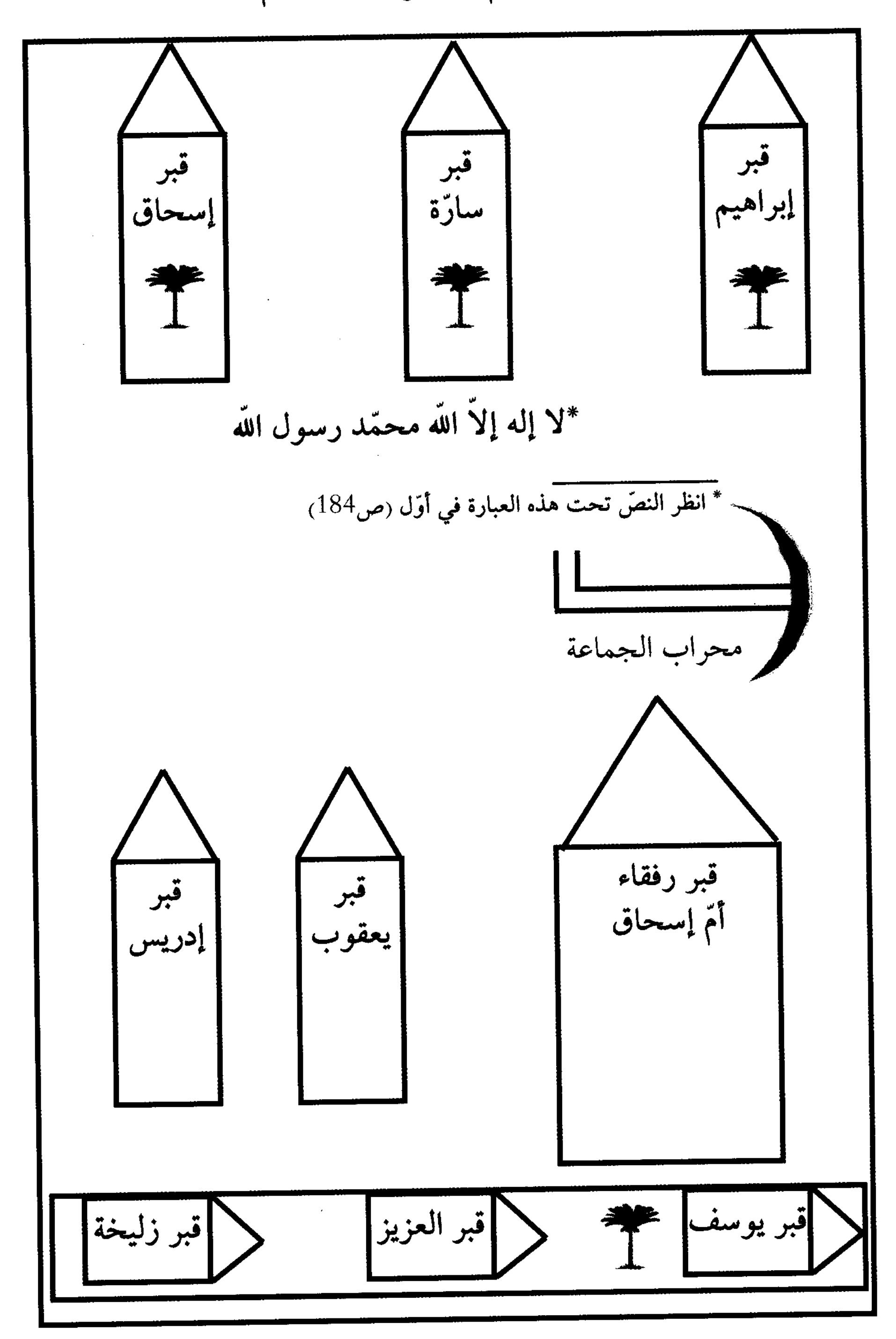
قال عبد الله بن الصبّاح رحمه الله : لقد(1) بلغنا من الأرض المقدّسة وادي **[198و]** موسى الذي كلّم الله [فيه](2) موسى [في البقعة المباركة](3) من الشجرة، [وكان موسى قد ذهب ليأتي إلى أهله بجذوة](4) من النّار [رآها من جانب الطّور. فأمره الله بأن يلقي عصاه](5) فألقى [موسى](6) العصا(7). [هذا المكان](8) هو أوّل الأرض المقدّسة ممّا يلي مدينة يثرب. [ثمّ](9) بلاد الخليل مدينة حبرون(10) فيها قبور الخليل وذريّته. [و](11) حبرون واد في جبل بيت المقدس، بينه وبين بيت المقدس مسيرة من الضحوة إلى الظهر، [وهي](12) كلّها عمارة وحرث وقرى ونسل. كلّ جبال الأرض المقدّسة عمارة كلّها، بخلاف بلاد الحجاز، فالغالب عليها خلاء(13).

أصوّر لك أيها القارئ والمستمع صفة حرم الخليل بوادي حبرون بالأرض المقدّسة شراء بماله وحلاله محبّسة على السّماط. ثلاثمائة وستّون قرية للحرث والزرع والإطعام إلى يوم القيامة(14). وهذه المواضع الطبلة(15)، يأتي النّاس إليها للطعام ويأكلون **[198ظ]** (16).

---

(1)في الأصل : ها.(2)زيادة للتّوضيح.(3)زيادة للتّوضيح.(4)زيادة للتّوضيح.(5)زيادة للتّوضيح.
(6) زيادة للتّوضيح.
(7)قام المؤلّف بتلخيص الآيات 29، 30، 31 من سورة 28ك. القصص فحاولنا إكمال النّص معتمدين على هذه الآيات الثلاث للتّوضيح.
(8)زيادة للتّوضيح.(9)زيادة للرّبط. (10)حبرون هي مدينة الخليل. (11)زيادة للرّبط. (12)زيادة للرّبط.
(13)في الأصل : خلا الغالب منها.
(14) النّص مقتضب ومعناه أنّ الخليل اشترى من ماله الحلال قرى عديدة وأوقفها على الفقراء الذين يأتون إلى مكان في حرمه يعرف بالسّماط يطعمون فيه ثلاث مرّات في اليوم كما يُفهم من الصّورة والكتابة التي رسمها وخطها المؤلّف في الورقة الموالية.
(15) الطبلة هي المائدة بلهجة أهل الأندلس من الكلمة الإسبانيّة Tabla. ويستعملها ابن الصّباح مع الكلمة الفصيحة «السّماط» لنفس المعنى. (16) انظر رسم حرم الخليل ص 183.

صفة حرم الخليل عليه السّلام



198 ظ

صفة حرم الخليل عليه السلام

قبر ابراهيم

نخلة نخلا

قبر سارة

نخلة نخلا

قبر اسحاق

نخلة نخلا

لا اله الا الله محمد رسول الله

وهذا سماط الخليل يطعم فيه
الناس كل يوم اثنا عشر الف رغيف
بالزيت والعدس بعد الضحى وبعد
الظهر وبعد العصر وياكلوا جميع
الناس الكبار والصغار ويشطح
ويفسح بالغياط والصلاة والسلام
على الخليل عليه السلام ويضرب الطبل
والشبابيب ويطبه ويرقص ونسليم على
الخليل

قبر رفقة ام اسحاق

قبر يعقوب

قبر ام ...

وخدام هذا السماط ثمانين
من الخليل يدخلوا ويخرجوا
وياكلوا ويتفقهوا من السماط
ثمان ... من الخليل ...

***لا إله إلاّ الله محمد رسول الله**

وهذا سماط الخليل يطعَم فيه النّاس كلّ يوم اثني(1)عشر ألف رغيف بالزّيت والعدس بعد الصّبح، وبعد الظّهر وبعد العصر يأكل(2) جميع الناس الكبار والصغار، ويشطح و[يقع](3) تهييج بالعياط(4) والصّلاة والسّلام على الخليل عليه السّلام ويُضرب الطّبل وينفخ في الشبايب(5)ويُهيّج [الحضور](6) ويرقص [الجميع](7) و[يُسمع](8) تسليم على الخليل.

وخدّام هذا السّماك مماليك(9) [من](10)شراء الخليل يرحون(11)ويعجنون(12) ويأخذون(13)نفقتهم من [حبس](14)السّماط. مماليك نضوى(15) [من](16) شراء الخليل عليه السّلام.

قال المؤلّف : من(17)عسل جبل القدس عسل الخرّوب يعملون منه حلوى بيضاء مثل عسل النّحل، طيّبة.

[199و] قال المؤلّف : وصفنا وصوّرنا حرم الخليل، وجب علينا [الآن أن](18) نذكر مواطن البقعة المباركة : وادي حبرون المشهور بالاسم المذكور في التّوراة والإنجيل والزّبور والفرقان لم تتغيّر وجوه نُعوته في جميع النّسخ القديمة(19)، وممّا تواترت به الأخبار وما فيه من الفضل والقبور والمزارات وصدقات الخليل ما به يفتخر على جميع الخلق من الطّوائف. إذا ذكر ووُصف ترى جميع النّصارى واليهود تتقهّر(20) على ملكيّة أهل الإسلام [له](21)بالسّيف **[199ظ]** والقهر. وببركة سيّد البشر صارت اليهود والنّصارى تحت الذّمّة والجزية والذلّ والصّغار.

[إنّ](22) سماط الخليل خليل الرّحمان مشهور محبور(23) على طول الدّهر، له اثنا عشر ألف رغيف في كلّ يوم مطعمة إلى آخر الدّهر.

---

(1)في الأصل : اثنا.(2) في الأصل : يأكلوا.(3)زيادة للتّوضيح.(4)العياط : الأصوات المرتفعة.
(5)كلمة دارجة ومفردها الشّبّابة (فصيحة).(6)زيادة للتّوضيح.(7)زيادة للتّوضيح.(8)زيادة للتّوضيح.
(9)في الأصل : ممالك.(10) زيادة للرّبط.(11)في الأصل : يرحوا.(12)في الأصل : يعجنوا.
(13)في الأصل : يأخذوا.(14)زيادة للتوضيح.(15)في الفصحى نِضوة وهو المهزول من الحيوان.
(16)زيادة للرّبط.(17)في الأصل : على.(18)زيادة للرّبط.(19)في الأصل : من القدّام.(20)أي تتحسّر.
(21)زيادة للتّوضيح.(22)زيادة للرّبط.(23) المحبور من تحبّر السّحاب : ظهر وانتشر.

قال المؤلّف : على هذا السِماط اثنا عشر ألف رغيف، كلّ رغيف من ستّة أواقٍ[1]، تصرف على الأغنياء والفقراء والدّاخل والخارج من أهل البلد وغيرهم، يفرّقونها وقت الضّحى الأعلى على أهل الرّواتب والمراتب والفقهاء والعلماء والقرّاء والخدّام خدّام الحرم الشّريف. وأهل البلدة : بلدة الخليل يأخذون الرّاتب من سماط الخليل : الكبير والصغير **[200و]** والمرأة والبنت والذّكر والأنثى. كلّ أهل مدينة الخليل يستفيدون[2] من خير الخليل، يأخذونه وقت الضّحى الأعلى. والواردون يأخذونه في وقت العصر، فبعد صلاة العصر يفرّق السّماط بالعدس والزّبيب والسّلق[3] بالخضرة: يأخذ الوارد رغيفين اثنين سُخْنَين[4]وَزُلاَفة[5] عدس مطبوخ بالقدّيد والسّلق[6]يصب عليها الزّيت. وبعد صلاة الصّبح زلافة بدشيش القمح مطبوخ بالإدام، وأيضا بعد صلاة الظّهر من ذلك[7] الدّشيش المذكور. وسماط الخليل ينصب ثلاث مرّات كلّ يوم كما ذكرنا. وأهل الرّواتب والمجاورين يأخذونه[8] وقت الضّحى الأعلى خبزا باردا من أمس، **[200ظ]** كلّ واحد على قدر راتبه. ورجل واحد يعرفهم كلّهم[9] وإن كانوا ألفا، في رأسه زمام العدد وأوْهامه[10]، يميّزهم ميزا بيّنا بالاسم والعين، ولا يشكل عليه منهم أحد، ولا يقدر يعاود مرّتين إلاّ يعرفه[11]. حافظ بالأشياء كلّها، مأمون عليها، يُعطي ولا يغلط، بارك الله فيه من رجل.

قال المؤلّف : بين القدس والخليل قبر راحل أمّ يوسف، عليه قبّة من واحد مصنوع [12]، يدخل الرّجل واقفا. وبجوارها بيت لحم الذي ولد فيه عيسى عليه السّلام

---

[1] الأواقي جمع أوقية : سدس نصف الرّطل أي أنّ وزن الرّغيف هو نصف رطل.

[2] في الأصل : مزتبيد. [3] في الأصل : الصّلق. [4] في الأصل : سحنون.

[5] الزّلافة : هي أكلة مازالت إلى اليوم في الجنوب التّونسي وتسمّى «الطبيخة».

[6] في الأصل : الصّلق. [7] في الأصل : نلك. [8] الضّمير يعود على الطعام المأخوذ في السّماط.

[9] في الأصل : الكلّ.

[10] في الأصل : زحام العدد وأهوامه. ويقصد المؤلّف أنّ هذا الرّجل قادر على حفظ عدد المنتفعين بأسمائهم ووجوههم. والجملة الموالية توضّح ذلك.

[11] لا يستطيع أي أحد معالطته فيأخذ الأكل مرّتين. [12] الخطّ واضح والمعنى غامض.

[و](1)هو اليوم مزار للنّصارى ويعطون [لزيارته](2) الذّهب للسّلطان. وكذلك كنيسة القيامة(3) يُعطى(4) عليها ليدخل(5) النصارى **[201و]** دينار على كلّ رأس.

قال المؤلّف رحمه الله : نذكر ما في(6) مدينة الخليل من المزارات والقبور الشّريفة والمواضع المشهورة بالأنبياء. قال المؤلّف : مكّة والمدينة بهما مواطن الوحي ونزول القرآن، والشام به مواطن الأنبياء وتربتهم، والعراق به مواطن الألوياء: الأوّل(7) على ضحوة من النّهار(8) في الجبل المذكور [باسم](9) حبرون، سمّي حبرون لأنّه(10) كان فيه الغالب من أحبار بني إسرائيل(11). وفيه مزار[وهو](12) موضع تعَرّض(13)إبرهيم إلى حيريل، وفيه نزل [قوله تعالى](14) : ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ اعْرِضْ عَن هذا﴾(15). وبجواره قرية لوط الرّسول ابن أخي إبراهيم، فيها قبره وعليه مقام عظيم، وأعلى الجبل جبل حرم الخليل عليه **[201ظ]** السّلام، مزار قبر يونس بن متّى عليه السّلام [و](16) تسمّى قرية يونس (17) على طريق القدس. وكلّ جبل الخليل بوادي حبرون، الغالب فيه شجر الزّيتون والعنب والزّرع والقمح، وكلّ الجبل(18)حجارة ولكن هي أرض البركة تعمّ أهلها بالزّرع والفواكه. ومشرب أهل مدينة الخليل من عيْن ماء يأتي من رأس الجبل يسوقونه(19) حتّى يدخل مدارج الحرم الشّريف. هم أقوام بادية صنعتهم الحرث والنّسل(20) والزّرع والحصاد، يكرمون(21) الضّيف مشفقين على الغريب. الرّجال والنّساء أعراب أحرار، قبائل قديمة(22) في الحسب والنّسب، عمارتهم من وقت فتوح الشام. وبلاد القدس والخليل **[202و]** وجبالهما خضرة مثل الزّمرّد الأخضر : فيها الماء والعيون والعمائر والأشجار و[هي](23) بلاد الثّلج والمطر، وكلّ أرض لها خصائصها

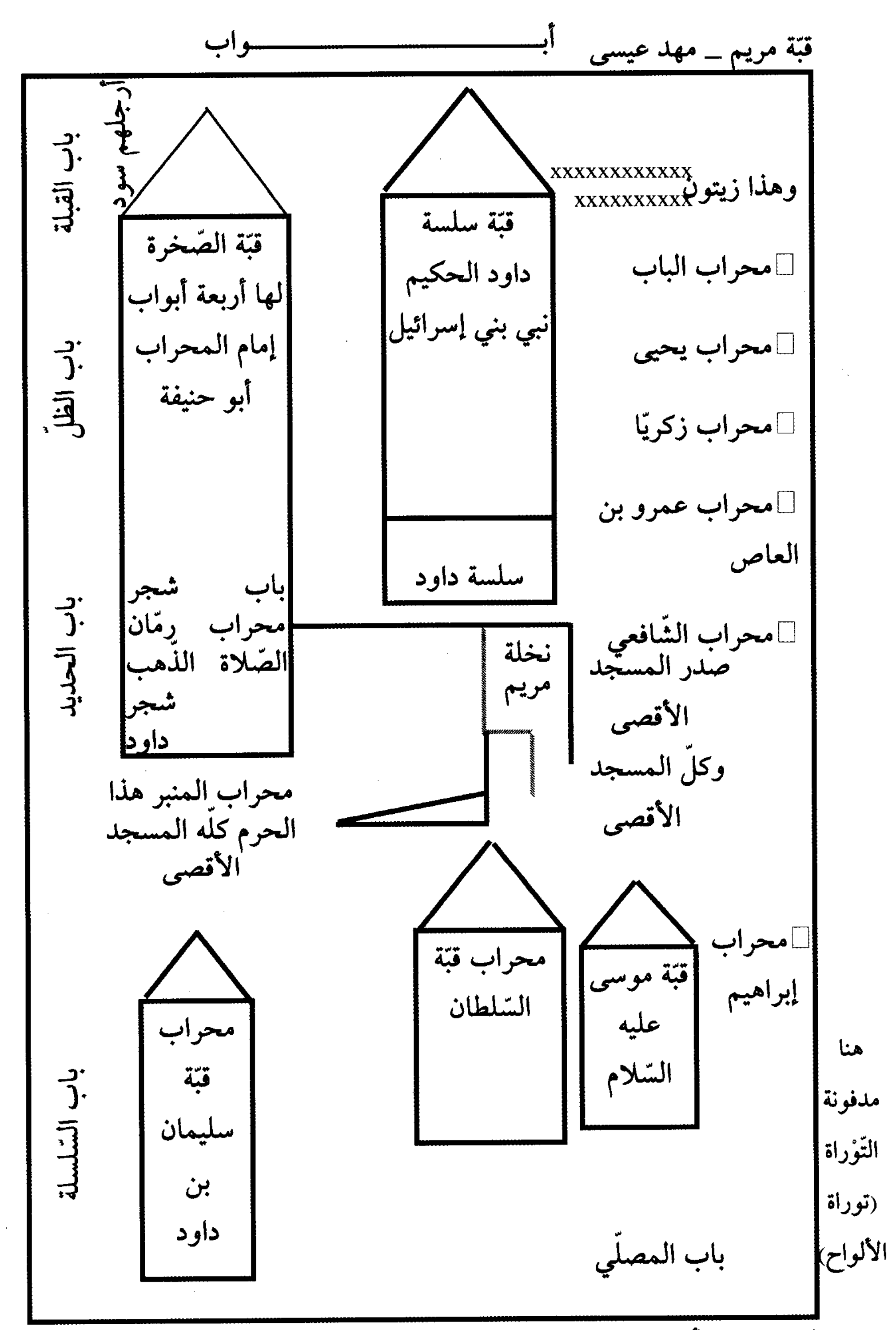
(1)زيادة للرّبط.(2)زيادة للتّوضيح.(3)في الأصل : العمامة.(4)في الأصل : يعطا.(5)في الأصل : ويدخلوا.
(6)في الأصل : على.(7) أي الأول من مزارات مدينة الخليل.
(8)أي يبعد مسافة ما يقطعه الإنسان من طلوع الشّمس إلى ارتفاعها لأنّ الضّحوة : هي ارتفاع النّهار بعد طلوع الشّمس.
(9) زيادة للتّوضيح.(10)في الأصل : لأنّ.(11)أي أنّ الغالب من أحبار اليهود مدفونون في هذا الجبل.
(12) زيادة للرّبط.(13)تعرّض : أي اعترض.(14)زيادة للتّوضيح.(15) 11ك. هود، الآية 76.
(16)زيادة للرّبط والتّوضيح.(17)في الأصل : تونس.(18)في الأصل : جبال.(19)أي يُجرونه.
(20)يقصد تربية الحيوانات.(21)في الأصل : يكرموا.(22)في الأصل : قدماء.(23) زيادة للرّبط.

وأهلها قد تعَوّدوا(1) عليها، [وهي](2) طيّبة الهوى ، صحيحة الماء كثيرة البرد والشّتاء(3)، ولكن هواءها لا يضرّ ولا يفسد ولا ينزل فيها حجارة ولا برد مثل غيرها من البلاد. بينها وبين بيت المقدس من ضحوة إلى نصف النّهار كلّها عمارة وقرى من النّصارى الذّمّيين تحت [نفوذ](4) المسلمين يُطعمون الخطّار(5) اللّيل والنّهار. وهذا عليهم وعلى الشّام مشروط من الخليفة عمر بن الخطاب(6)، ولا يتقلّدون(7) سيفا ولا يركبون سرجا ولا يلبسون عمامة بيضاء.

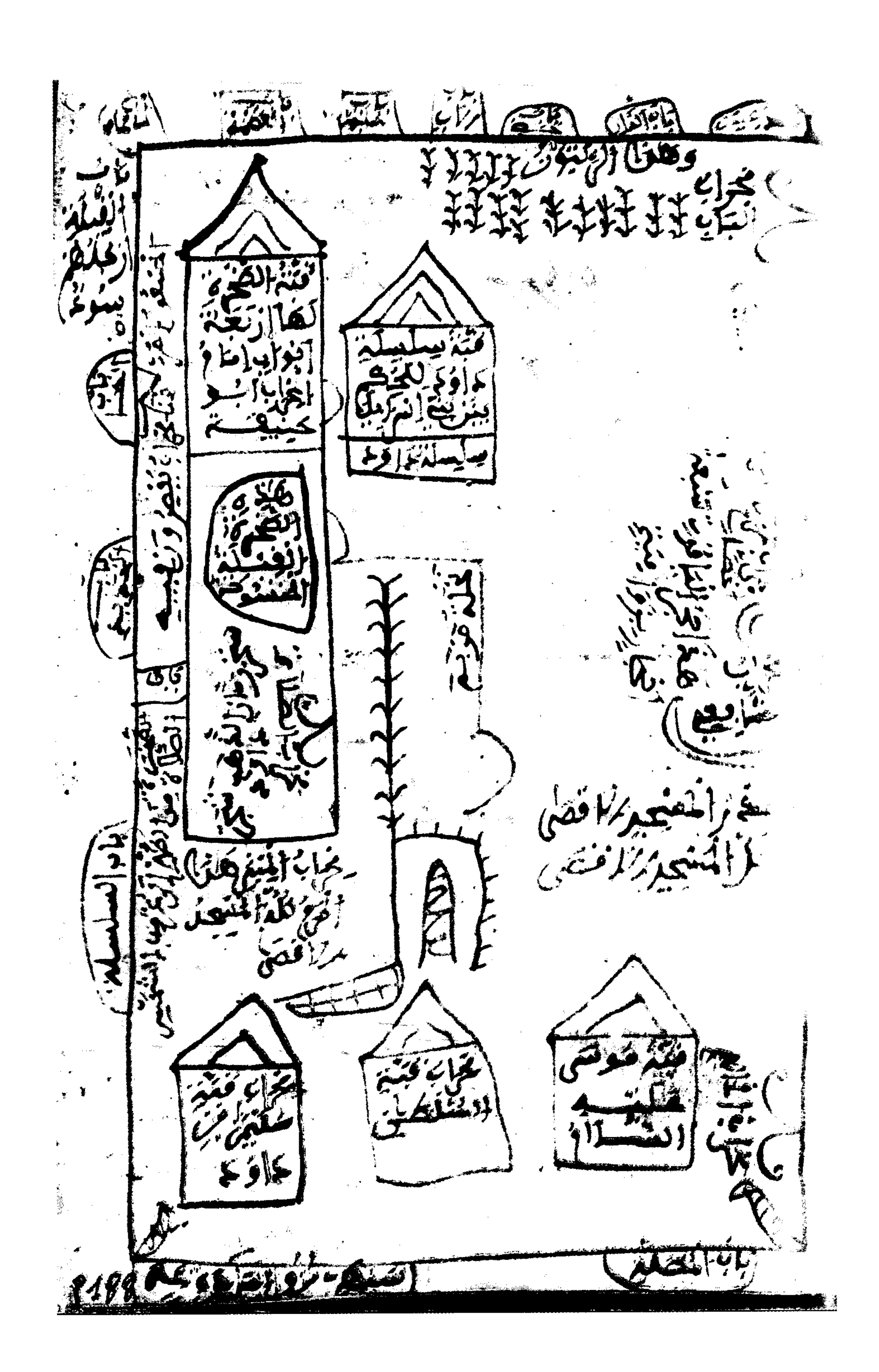
وننصرف [الآن](8)إلى وصف بيت المقدس إن شاء الله تعالى وحسبنا الله ونعم الوكيل **[202ظ]**.

(انظر رسم بيت المقدس في الصفحة الموالية)

(1) في الأصل : ولكن كلّ أرض لها خصائصها قد أدْمعوا عليها.(2)زيادة للرّبط.
(3)كلمة في الدّارجة المغاربية للدّلالة على المطر.(4) زيادة للتّوضيح.
(5)أي القادمون والرّائحون من المسافرين.(6)هذا ممّا يُروّج من أخبار لا أساس لها من الصحّة.
(7)في الأصل: ولا يقلّدون.(8)زيادة للتّوضيح.



*المسجد الأقصى كما رسمه ابن الصبّاح [202 ظ]


قبة الصخرة لها اربعة ابواب
قبة سلسلة داود
باب السلسلة
محراب
المسجد الاقصى
قبة موسى
باب المطهرة

[203و] قال المؤلّف رحمه الله : وصفنا بيت المقدس المطهّر(1) مجمع الناس فيها(2) يوم المحشر، [والآن](3) يجب(4) علينا كما صوّرناه ووصفناه أن نصف(5) فضله وبركاته وخصائصه المباركة وعجائبه المشهورة، وكفى بها(6) من خصائص : أوّلاً أمر الله جبريل أن يأمر نبيّ الله داود عليه السّلام أن يبنيه وأمر جبريل أن يبيّن(7) له مكان البيت المقدّس ويبيّن له حدّ البناء إذ هو(8) موضع وعر وخنادق وأمْسِلة(9) وحجارة متفرّقة وكهوف عميقة وغيران مظلمة وشقوق(10) واسعة ووعرة لا توصف(11) بين جبلين، وتحته واد يسمّى وادي النّار تحت أرض السّامرة(12) اللّصيقة(13) **[203ظ]** بالحرم المقدّس. ووادي النّار لاصق بالسّامرة تحتها ممّا يلي المشرق فيما بين الطّور ورفوع(14) عيسى عليه السّلام. [و](15) أمّه مريم الصدّيقة، قبرها وقبور ذرّية زكرياء معها في وادي أرض السّامرة، عليها كنيسة من زمان الرّوم بيّضها(16) المسلمون وغسلوها(17) ، وجعلوا عليها رجالا يفتحون(18) ويغلقون أبواب(19) مزارها يوم الإربعاء، وقبرها وقبور ذريّة زكرياء كانت قبل البناء. عليها مغارة إذا دخلت [إليها](20)لا ترى شيئا إلاّ أنّه يُوقد فيها(21) يوم المزار شموع(22) على قبرها. وأرض السّامرة(23) والبيت المقدّس فيها التّراب بالتّرب(24). واليوم [و](25) إلى يوم **[204و]** القيامة ذلك الموضع أي أرض السّامرة يُشترى القبر بأغلى(26) ثمن. وفيه كرم عنب مقدار مرجع(27) من

---

(1)في الأصل : المطّهرة.(2)في الأصل : إليها.(3)زيادة للرّبط.(4)في الأصل : وجب.
(5)في الأصل : نُوصف.(6)في الأصل : به.(7)في الأصل : يبني.(8)في الأصل : هي.
(9)في الأصل : وأمسول، والأمْسلة ج مسيل : موضع جريان الماء.
(10)في الأصل : شقاق.(11)في الأصل : لا يُوصف.
(12)في الأصل : السّاهرة، والسامرة عاصمة مملكة إسرائيل القديمة، وعلى أنقاضها بنيت مدينة نابلس (منجد في اللّغة والأعلام ص 258. ط. بيروت 1969).
(13)في الأصل : اللّصقة.(14)أي مكان رفع عيسى إلى السّماء.(15)زيادة للرّبط.(16)في الأصل : بيّضتها.
(17)في الأصل : غسلتها.(18)في الأصل : يفتخرون.(19)في الأصل : أبوابها.(20) زيادة للرّبط.
(21)في الأصل : عليها.(22)في الأصل : شماع.(23)في الأصل : السّاهرة.
(24) التراب بالتبر إشارة إلى قيمة الأرض وغلاء ثمنها.(25)زيادة للرّبط.(26)في الأصل : بأغلا.
(27)المرجع بالدّارجة يساوي 900 م2.

الأرض. يُعطى لصاحبه لكلّ(1) سبعة أشبار(2) لقبر(3) ، دينار(4) عن(5) كلّ شبر ولا يرضى(6) . يبتغون بذلك(7) الفضل بأرض السّامرة(8) لتحقّقهم من(9) أنّها موضع الحشر، [و](10) هي [في](11) شرقيّ الحرم المقدّس ملاصقة له(12) ، [في أرض](13) وعرة(14) من أساس الحرم إلى وادي النّار هبوط بمقدار مرمى القوس.

قال المؤلّف رحمه الله : كان هذا العدد في المسايف(15)، ولكن لمّا ولد سيّد الأوّلين والآخرين محمّد ﷺ أعطى هذه الأمّة العدول(16) الأوسط إلى آخر الزّمان وختم الله به **[204ظ]** الرّسالة وفضّله بالجهاد والكرم والصّلاة والزّكاة. ولمّا كان في علم الله المكنون ما كان وما يكون، قصّر الله تعالى تلك المسايف وردّ عددها إلى أربعين يوما ببركة محمّد ﷺ.

[قال المؤلّف](17) والله إنّ في تقصيرها معجزة وعلامة على التخفيف(18) على هذه الأمّة. إنّ مسيرة أربعين سنة [جعلها الله مسيرة أربعين يوما](19) ، وأكبر من هذا(20) [أن](21) تعلم : أنّ الله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السّماء. [إذ](22) كيف [يكون ذلك] (23) وهو خالقها، وأن تعلم أنّ(24) المعجزة الفاخرة [و](25) المعلومة الباهرة والسرّ المكنون والعجب المختوم إن لم يزل(26) ذلك البعد و[تلك](27) المسافات وتلك(28) الصّحاري(29) وذلك(30) العطش وذلك(31) الجهد العظيم والسّفر **[205و]** الطويل والسّير باللّيل والنّهار. لكن(32) نجوز ذلك [المفروض قطعه في](33) الأربعين سنة، في أربعين يوما، لا نرى إلى أن نخرج منها يومَ بأس. هذه أكبر المعجزات [التي من الله بها](34) على هذه الأمّة.

(1)في الأصل : لكلّ.(2)في الأصل : أشبر، جمع شبر بالدّارجة.(3)في الأصل : عن قبر.
(4)في الأصل : دينارًا.(5)في الأصل : في.(6)في الأصل : لا يرضا.(7)في الأصل : ذلك.
(8)في الأصل : السّاهرة.(9)في الأصل : بها.(10)زيادة للرّبط.(11)زيادة للتّوضيح.(12)في الأصل : به.
(13) زيادة للتّوضيح.(14)في الأصل : واعرة.
(15)جمع مسافة بالدّارجة.وكما يفهم من السّياق فيما بعد هي مسيرة أربعين سنة.
(16) أي العدول من أربعين سنة إلى أربعين يوما.(17)زيادة للرّبط.(18)في الأصل : في التّخفيف.
(19)زيادة للتّوضيح.(20)في الأصل : ولكن أكبر من هذا.(21)زيادة للرّبط.(22)زيادة للرّبط.
(23)زيادة للتّوضيح.(24)في الأصل : ولاكنّ.(25)زيادة للرّبط.(26)في الأصل : لم تزل.(27)زيادة للتّوضيح.
(28)في الأصل : ولا.(29)في الأصل : لاكن بل.(30)في الأصل : ولا.(31)في الأصل ولا.
(32)في الأصل : لاكن بل. (33)زيادة للتّوضيح.(34)زيادة للتّوضيح.

قال المؤلّف : سألني كثير من أحبار اليهود ورهبان النّصارى في الشام والعراق عن الكعبة هل نصلها[1] أوْ لا؟ فقلت : نَصلها[2] في أربعين يوما. فقال لي البعض منهم : يا حاج صِفْها[3] لي حتّى أسمع منك كيف تصلون [إلى][4] البيت، فوصفت له بالتّمام مثل رؤية العين وكأنّه شهد[5] بعينيه، فقال لي : والله يا حاج : لقد وصفت بالحقّ، ما هذا إلاّ عجب [في][6] هذه [الأمّة من][7] المسلمين. أما والله **[205ظ]** أعلم، إنّهم يطيرون[8]. فقلت له أغرب ممّا وصفتُ لك أنهم [يسافرون][9] على أرجلهم ويصلون صحاحا شدادًا ويرجعون كذلك إلى أقصى المغرب وأقصى المشرق فخرّ مغشيّا عليه، ثمّ أفاق فقال : يا حاج، امش معي إلى داري أطعمك من طعامي[10] وأسقيك وأعطيك شيئا من الزّاد، فقلت له : جُزيت خيرا يا راهب، فقال لي : ادع لي يا حاج دعوة، فبقيت متحيّرا لا أدري ما أدعو[11] له [به][12] إلى أن ألهمني الله وقلت : اللّهم أمته على خير الأديان يا الله[13]، فجرّ يده على وجهه وقال : آمين. وانصرفت عنه. قال المؤلّف : وهكذا جرى لي وقت خروجنا من البرّيّة **[206و]** ووصلنا إلى قرى الشّام ببلاد السّراة[14] وهي بلاد وقعت [فيها معركة مؤتة التي استشهد فيها][15] جعفر [بن أبي طالب][16] بن عبد المطلب[17] وسوف تأتي قصّتها في موضعها إن شاء الله. وصلنا قرية من قرى النّصارى، وكان وقت الحرور[18] فبات[19] أصحابي يطلبون الخبر، وآوينا إلى حائط من حيطان القرية حتى يأتي أصحابي بالخبر، وإذا أنا بدار مليح البنيان على باب الدّار مصطبة[20] مبيضّة مليحة[21] التّبييض نقيّة فأويت إلى تلك[22] المصطبة[23]. وإذا بإمرأة حسنة مكتسية[24] بكسوة الإسلام، ومحلاّة بحلية....[25] لكحول[26] في عينيها، وإذا هي تعجن طينا تعمل به شيئا من أواني البيت، فقالت لي : اقعد يا حاج

---

(1)في الأصل : نُوصلها.(2)في الأصل : نوصلها.(3)في الأصل : أوصفها.(4)زيادة يقتضيها التّركيب.
(5)في الأصل : شاهد.(6)زيادة للتّوضيح. (7)زيادة للتّوضيح.(8)في الأصل : أيّهم.(9)زيادة للتّوضيح.
(10)في الأصل : وطمعتي لطعامك.(11)في الأصل : ادعوا.(12)زيادة للتّوضيح.(13)في الأصل يالله.
(14)في الأصل: الشّارة، والسّراة :جبل في برّيّة الشّام .(15)زيادة للتّوضيح.(16)زيادة للتّصحيح.
(17)قتل في 629/8 (الأعلام 125/2). (18)الحرور: حرّ الشّمس.(19)في الأصل : فباتوا.
(20)في الأصل : منصبة.(21)في الأصل : مليح.(22)في الأصل : ذلك.(23)في الأصل : المنصَبة.
(24) في الأصل: كنسيّة.(25)فراغ بحوالي ثلاث كلمات.
(26)أي لكحل. أطال في حركة الحاء على عادة أهل الأندلس.

على تلك **[206ظ]** المصطبة(1) في الظلّ(2) حتى يأتوك أصحابك فَحَلّيتْ(3) عن ثيابي ورقدت على المصطبة نَاخِذْ راحة(4).

قال المؤلّف : فلمّا فرغت المرأة من عجين الطّين غسلت يديها ودخلت بيتها وأخرجت خبزا سخونا(5) ولبنا حليبا وقالت : كلْ يا حاج فأثرت(6) الخبز في اللّبن وأكلت حتّى شبعت وإذا بأصحابي قد أتوني وقالوا : الرّواح(7) يا حاج عبد الله. فلمّا أردت القيام من عندِ المرأة قالت لي : يا حاج ، أدع(8) لي ولهؤلاء الأولاد مَتَاعِي(9) واعطني من هذا العُقد متاع ثيابك نجعلها في شاشية أولادي على وجه البركة لأنكم جايين من البيت المبارك. فاقْتلعت(10) أربعة عقد **[207و]** من شاشيتي وقالت : ادع(11) لي، فمددت يدي لأدعو لها وأيقنت أنها مُسلمة. ثمّ دَخلني شكٌّ لمّا كانت القرية للنّصارى، ولم أعرف(12) مَا أَدْعو [به لها](13). فلمّا رأتني ابْطِيتْ(14)عن الدّعاء قالت يا حاج وهي تبتسم حتّى(15) الضّحك : أنا نصرانيّة فاحمرّ وجهي فقلت : سبحان الله. كم أودعك(16) الله من الفصاحة في اللّسان بالعربيّة، وكم زينك بزينة الإسلام(17)، لأيّ شيء لا تسلمين، قالت : يا حاج أنا وأولادي وآباؤنا نصارى، وأُناسنا نصارى فكيف العمل؟ وكنت ذلك الوقت أَنَا شباب(18) بكسوة ملف أشقرلاط(19) أتيت بها من الأندلس وجاورتُ بها حتى وليت إلى الشام، فحنّ **[207ظ]** قلبي إليها وسكتّ وقلت: لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله، يخلق الله ما يشاء، خلق النار وخلق لها أهلا ورفعت عيني إليها وهي تبكي وأولادها بيدها وهي واقفة تنتظر منّي الدّعاء، فقلتُ اللّهمّ ربّي أمتها على خير الأديان، فقالت : آمين وجرّت يديها على وجهها.

---

(1)في الأصل : المنصبة.(2)في الأصل : للظلّ.(3)بمعنى خلعت.(4)أي لأستريح.
(5)كلمة دارجة وفي الفصحى نقول : سَخِنا.(6)دارجة وفي الفصحى نقول :غمست .
(7)دارجة بمعنى : الرّحيل.(8)في الأصل : ادعوا.(9)دارجة بمعنى أولادي.(10)في الأصل : أقلعت.
(11)في الأصل : إدعوا.(12)في الأصل : نعرف.(13)زيادة للتّوضيح.(14)أي تأخرت.(15) في الأصل : إلى.
(16) في الأصل : ماذا أودعك.(17)كان زيّ المرأة كزيّ المسلمات، وقد أشار المؤلّف إلى ذلك سابقا .
(18)تأثر المؤلّف باللّغة الإسبانية واضح من تركيب الجملة.
(19) أشقرلاط وتنطق أشكرلاط : نوع من الملف الرّفيع.

قال المؤلّف : كان البيت المقدّس قبل موسى وقبل آدم أرضا مختصّة بالتّقديس والبركة مثل الكعبة، فهي مخصوصة بخاصّيتها وما خصّها الله به من العناية من وقت دحيه الأرض، ولكن الخلاف في البناء مَن سبق؟ الله أخبرنا على لسان نبيّه محمّد المختار ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ [208و] لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ**﴾[1].

قال المؤلّف رحمه الله : بين [بناء][2]البيت المقدّس وبين [بناء][3] الكعبة التي[4] ببكّة [زمان][5] لا يعلمه إلاّ الله سبحانه. وأمّا بيت المقدس – والله أعلم- [فهو][6] من زمان داود عليه السّلام.

قال [المؤلّف][7]: نذكر صفة البيت المقدّس وفضله في الأرض المقدّسة وهو المسجد الأقصى : بنيانه بنيان العفارتة[8] عفارتة[9] سليمان المسخّرة له من بعض معجزاته، بناه بحجارة [وهو][10] عظيم البناء، وزيّنه أعظم التّزيين بالذّهب والفضّة حتى جاء بخت نصر فخرّبه[11] ورمى حجارته[12]في الوادي[13]، [و][14]إلى اليوم هي مرمية : كلّ حجر منها من مائة ذراع وأكثر، والله لقد كان[15] في ركن البيت **[208ظ]** المقدّس حجر[16] في الرّكن الشرقي[17]، يأخذ الرّكن على وجهين[18]: فيه ستّون ذراعا بقي في الأساس لأنّ كثيرًا من حجارة الأساس باقية من حجر العفاريت والجنّ، والأكثر [من هذه الحجارة][19] في وادي النّار، [وفي][20] وادي عين سلوان قبلة البيت أيضا حجارة يسيرة[21] مرميّة من زمان بخت نصر بن شراخي المجوسي البابلي[22]، كان ملكه ببابل وهي [من][23] مدائن العراق و[هناك][24] غيرها من مدائن العراق.

(1) 3م. آل عمران، الآية 96.(2)زيادة للتّوضيح.(3)زيادة للتّوضيح.(4)في الأصل : الذي. (5)زيادة للتّوضيح.
(6)زيادة للرّبط.(7)زيادة للتّوضيح.(8)جمع عفريت بالدّارجة.(9)في الأصل : عفارت.(10)زيادة للرّبط.
(11)في الأصل : خرّبه.(12)في الأصل : وأرمي حجارة.(13)في الأصل: في وادي.(14)زيادة للرّبط.
(15)في الأصل : كملت.(16)في الأصل : حجرًا.(17)في الأصل : الرّكن الشرق.
(18)أي أنّ هذا الحجر من كبره يملأ وجهي الرّكن أي جهتيه.(19)زيادة للتّوضيح.(20)زيادة للرّبط.
(21)أي كثيرة.(22)في الأصل : البابولي.(23)زيادة للرّبط.(24)زيادة للرّبط.

قال المؤلّف : طول البيت المقدّس سبعمائة خطوة من الخطوات (1) الطّوال، وعرضه ثلاثمائة وخمسون(2) خطوة، وفي داخله ما ترى(3) ممّا وصفت (4) لك من المقامات [و](5)من المحاريب، محاريب وقباب، وقبّة الصّخرة **[209و]** القبلة المنسوخة(6)وما أدراك صلّى إليها جميع النبيئين حتّى نبيّنا محمّد ﷺ. والمسجد الأقصى دنيا وآخرة(7) جنة من جنّات الأرض تحت السّماء، [فيه](8) الماء والهواء وكثرة الطعام والخضرة والعمارة الياسرة(9)، عليه من قبالة شرقه وشماله ثلاثة آلاف قرية عامرة كلّها جبال حرث ونسل وأشجار وزيتون وشجر عنب وعمارة عظيمة. مدينة القدس مدينة منيعة(10)مثل(11)مدينة شاطبة في كبرها ومدينة وهران بالعدوة(12)، ولكن الفرق بينها [أنّ](13)مدينة القدس مطهّرة وأرض المحشر وبلاد البركة وأرضها **[209ظ]** وجبالها خضراء مثل الزّمرّد، [فيها](14) الماء الطيّب والهواء الطيّب والخصب والرّخاء والفاكهة، والضّياء عليها من النّور، مؤانسة للمجاور كثيرة الفلوس.

قال [المؤلّف](15): منظرها(16) بين الشرق والجنوب، وجبل الطور قبالة منظرها، فيها(17) [المكان](18) المرفوع(19) [منه](20) عيسى بن مريم وقبر رابعة العدويّة، ووراءه(21)قبر العزيز بن شراج(22)[و](23)فيه(24) نزل [قوله تعالى](25) : ﴿**أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ**(26) **[وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا]**﴾(27).

قال المؤلّف : جاورت هذا البيت المقدّس أربعة أعوام في طيبة عظيمة وعبادة حسنة، وصمت فيه رمضانات بالفتوح الياسرة(28) والكسوة والنّفقة الواسعة مع معرفة المشائخ الكرام والسّادات العظام والفقهاء **[210و]** والعلماء والقرّاء وكثرة الإنعام من فضل الله وبركة البيت المقدّس المطهّر المشرف(29) : أربع سنين لا نعرف متى راحت

(1)في الأصل: خطوات.(2)في الأصل : خمسين.(3)في الأصل: من ما ترى.
(4)يستعمل المؤلّف فعل وصفت بمعنى رسمت.(5)زيادة للرّبط.(6)أي المعوّضة بالكعبة في مكّة.
(7)في الأصل : أخرى.(8)زيادة للرّبط.(9)كلمة دارجة بمعنى كثيرة.(10)في الأصل مانعة.
(11)في الأصل : على مثل.(12)يقصد العدوة الإفريقية.(13)زيادة للرّبط.(14)زيادة للرّبط.(15)زيادة للتّوضيح.
(16)أي موقعها.(17)أي مدينة القدس.(18)زيادة للتّوضيح.(19)في الأصل : مرفوع.(20)زيادة للرّبط.
(21)الضمير يعود على المكان.(22) انظر ص 263/ت1. (23)زيادة للرّبط.(24)الضمير يعود على المكان.
(25)زيادة للتّوضيح.(26)م. البقرة، الآية 259.(27)زيادة لإتمام الآية.(28)المقصود بالنعم الكثيرة.
(29)في الأصل : المسرف.

عليّ(1)من طيبها. دخلت على باب حطة(2)سبع(3)مرّات على طهر ووضوء. وأدعو(4) الله أن يقبضني فيه إليه قبل خروجي منه. ولم يبلغ الأجل المعلوم ولا الوقت المختوم، نسأل الله ربّنا أن يردّنا إلى مكّة ومدينة يثرب وبيت المقدس، ويجعل قبورنا وإيّاكم فيها آمين يا ربّ العالمين.

قال المؤلّف : أيّها القارئ والمستمع اسمع : فضائل أهل بيت المقدس وبيوت الله في أرضه المشهورة المذكورة بالفضل العميم **[210ظ]** والخطر الجسيم [كثيرة](5)وكفى بها من مواطن قوله عليه السّلام فيها : «لا يُشدّ الرّحال(6) إلاّ لثلاث : إلى مسجد الله البيت الحرام وإلى مسجدي هذا وإلى المسجد الأقصى»(7) وعند قوله : مسجدي هذا ضرب بكفّه على الأرض وقال : الصّلاة فيه بألف صلاة [مفضّلا إياه](8) على ما سواه(9)من المساجد دون المسجد الحرام. وكفى(10)بها هذا اللّفظ [فخرا](11) إذْ اختارها على بقاع الأرض كلّها.

قال المؤلّف : أجمع علماء الشام على أنّ الصّلاة في المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة و[في](12) مسجد الرّسول بألف صلاة و[في](13)المسجد الحرام بثلاثمائة ألف صلاة. والله يضاعف [الأجر](14) لمن يشاء ، كما فضّل الآدميّين **[211و]** بعضهم على بعض كذلك فضّل بقاع الأرض بعضها على بعض [و](15)في هذا حكمة وتدبير.

ثمّ نرجع نذكر ونجدّد ونكرّر وننشر فضل هذه البقاع ونفتخر بالمسجد الأقصى الذي بارك الله حوله(16). قال المؤلّف : هذا البيت المقدّس – بارك الله في حرم البركة– على ثلاثة أيام مسيرة جدّيّة (17). تأوّل أهل التأويل الثلاثة أحرف [في](18) قوله

---

(1)عبارة من اللّغة الدّارجة ومعناها : كيف مرّت بسرعة، للهناء الذي عاشه فيها.

(2) في الأصل: حاطة، وهو باب من أبواب المسجد الأقصى.(3)في الأصل : سبعة.

(4)في الأصل : ندعوا.(5)زيادة للتّوضيح.(6)في الأصل : لا تشدّ الرّحائل.

(7)قدّم المؤلّف وأخّر في حديث الرّسول، فآثرنا ذكره كما جاء في الصّحاح.(8)زيادة للتّوضيح.

(9)في الأصل : فيما سواه.(10)في الأصل : كفا.(11)زيادة للتّوضيح.(12)زيادة للرّبط.(13)زيادة للرّبط.

(14)زيادة للتّوضيح.(15)زيادة للرّبط.

(16) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾(17ك. الإسراء، الآية 1).

(17)في الأصل : جديدة.(18)زيادة للتّوضيح.

تعالى «حوله» : فالهاء(1)ضمير(2) للبيت والحروف في [كلمة حول](3) أوّلُوهَا(4) بمسيرة ثلاثة أيّام : أوّلها وادي موسى(5) في قوله تعالى : ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى(6)﴾(7) أي المطهّر الطيّب، ثمّ وادي العريش على طريق مصر **[211ظ]** إلى ساحل البحر بحر الرّوم إلى دمشق الشام إلى معّان(8) أوّل الحشر. هذا حدّ الأرض المقدّسة، وهي التي (9) تُبَدلّ من أرض تراب(10) إلى [أرض](11) فضّة لم يُعْصَ الله عليها قط. يحشر فيها النّاس [لا في بطنها](12)ولكن يكون [الحشر](13)على وجه الأرض المقدّسة المقدّرة بهذه(14) الحدود المذكورة. عليها يكون الحشر والقضاء يوم القيامة يقول الله تعالى لها : امتدّي فتمتدّ بإذن الله، وتتّسع وتسع كلّ من في السّماوات والأرض، ونعم البقعة في الدّنيا والآخرة.

قال المؤلّف : كفى بهذا البيت المقدس [شرفا](15) أن(16) تسلّم عليه كلّ ليلة اثنان وسبعون ريحا(17). فإذا كانت أخيرتها(18) الرّيح الطيّبة تصبح(19) السّقوف متاع(20) قباب **[212و]** الحرم كلّها تقطر ماء حتّى (21) وقت الظّهر. [عندئذ](22)يكحّل النّاس بها أعين المرضى فتُشفى(23) بإذن الله.

قال المؤلّف : والله لقد كنت في رمضان نتوضّأ ونتسحّر من قطر الماء الذي يقطر من سقف الحرم في مجاورتي هذا البيت الشّريف. وفيه اثنان وسبعون شجرة من أشجار الزّيتون يعصرونها. وزيتها يُشْفى به(24) المرضى. وكفى به [قدسيّة أنّ لَهُ](25) سبعة عشر محرابا : مصلّى الأنبياء كلّهم.

(1)في الأصل : والهاء.(2)في الأصل : ظمير.(3)زيادة للتّوضيح.(4)في الأصل تأوّلوها.

(5)قرية في الأردن عند مدخل الشقّ الذي يقود إلى مدينة البتراء الأثريّة تبعد نحو 182 كلم من عمّان (منجد الأعلام ص 551).

(6)اسم من أسماء الوادي المقدّس الموجود بجانب الطور، والطور : بلدة في سيناء، جنوب غربيّ جبل موسى على خليج السويس تمرّ منه الوفود إلى دير الكنيسة كترينة (منجد الأعلام ص 324).

(7) 20ك.طه، الآية 12.

(8)بلدة في الأردن في آخر الخطّ الحجازي تبعد عن دمشق 460 كلم (المنجد في اللّغة الأعلام ص 494).

(9)في الأصل : الذي.(10)في الأصل : بأرض.(11)زيادة للتّوضيح.(12)زيادة للتّوضيح.(13)زيادة للتّوضيح.

(14)في الأصل : بهذا.(15)زيادة للتّوضيح.(16)في الأصل : الذي.(17)في الأصل : اثنين وسبعين ريح.

(18)في الأصل : إذا كان آخرها.(19)في الأصل : تصح.(20)دارجة وبالفصحى نقول : سقوف قباب الحرم.

(21)في الأصل : حتّى إلى.(22)زيادة للرّبط.(23)في الأصل : فيشفون.(24)في الأصل : بها.(25)زيادة للتّوضيح.

قال المؤلّف : أوّل محراب [للمذهب](1) المالكي، ومحراب بني أميّة [للمذهب](2) الشافعي(3)، ومحراب عمر بن الخطاب، ومحراب زكريا، ومحراب يحيى بن زكريّا، ومحراب إلياس، ومحراب داود ومحراب مهد عيسى، ومحراب باب الرّحمة ومحراب باب **[212ظ]** أسباط، ومحراب باب حِطّة الذي قيل [فيه](4) لبني إسرائيل : ﴿**وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ** (5)﴾، فأَبَوْا.

قال المؤلّف : أهل بيت المقدس يقنتون(6) في كلّ صلاة إذا كان الخوف من قحط أو من عدوّ أو من نزول عدوى الطاعون بالبلد، ويزيد الإمام الشافعي : اللّهمّ اهدنا في مَنْ هديت وقنا شرّ ما قضيت إنّك تقضي بالحقّ ولا يقضى عليك ولا ينفع ذَا الجِدّ منك الجَدُّ (7) ويصلّي على النبيء ﷺ، وقنوته(8) بعد الرّكعة.

قال [المؤلّف](9) رحمه الله : ولقد دخلت من(10) هذا الباب مرارًا على وضوء وطهر، ودعوت(11) الله تعالى أن يغفر لي ولوالديّ ولكافّة المسلمين. وعسى يقبضني في هذا الحرم الشريف والبيت **[213و]** المقدّس، و[لكن](12) لم يبلغ الكتاب أجله.

[وهناك](13) محراب سليمان بن داود لحكم الإنس والجنّ، وقبّة داود، وقبّة السّلْسلة للحكم بين النّاس: كان فيها سلسلة من فضّة وقيل من ذهب من صنع داود. وهذا يدلّ على أنّ السلسلة من حديد لأنّ الله تعالى ألان له الحديد. متى مسّه بيده لان الحديد وذاب، وهذا(14) كان معجزته لأنّ لكلّ نبيّ معجزة وداود كانت معجزته لين الحديد.

قال [المؤلّف](15) : كانت معجزة داود لينة الحديد وتسبيح الجبال والطّير. قال(16) أهل التّأويل: تسبيح الجبال لصوته، والطير تَترنّن تَرْنينا لصوته(17). وإذا سمعت

---

(1)زيادة للتّوضيح.(2)زيادة للتّوضيح.(3)في الأصل : للشافعي. (4)إضافة للتّوضيح.

(5) 7ك. الأعراف، الآية 161.(6)من القنوت : وهو الطاعة لله والخضوع له.

(7) الجِدّ (بالكسر) : الاجتهاد، والجَدُّ (بالفتح) : الحظّ.

(8)الضمير يعود على الإمام الشافعي.(9)زيادة للتّوضيح.(10)في الأصل : على.(11)في الأصل : وندعوا.

(12)زيادة للتّوضيح.(13)زيادة للرّبط.(14) في الأصل :هو.(15)زيادة للتّوضيح.(16)في الأصل : قالت.

(17)أي تحدث أصواتا تجاوبا لندائه لها.

الطير صوته تنحشر وتجتمع إليه. تَطنّ[1] الجبال حتى كاد **[213ظ]** يفهم طنينها وترنّ[2] الطّير حتى كان يفهم من ترنينها كلاما من لسان زبور داود عليه السّلام. وكان في تلك السّلسلة سرّ أودعه الله فيها، كانت مغروزة في وسط القبّة. فإذا جيء[3] بالخصمين وذكر كلّ واحد قصّته وحجّته، فمن كان بالبيّنة أجاز الحكمَ داودُ عليه[4]، ومن كان بدون[5] بيّنة سيّرهم الله إلى السلسلة صاحبة السرّ المستودع فيها: فمن كان له الحقّ قربت له ولحقها ومن كان يخاصم خصام الفجور والباطل لم يلحقها وقصرت يداه عنها بإذن الله[6]. فهي اليوم تلك القبّة [و][7]فيها محراب وإمام براتب[8] [وهي][9] شرقي الصخرة الشّرقيّة، ومحراب قبّة المعراج **[214و]** من أين عُرج برسول الله ﷺ إلى السّماء، ومحراب الجماعة أمامه [محراب][10] أبي حنيفة، ومحراب مصلّى يوم العيد، لأنّ مصلّى أهل مدينة القدس في وسط الحرم، ومحراب مريم بنت عمران مع نخلتها، ومحراب قبّة موسى. قيل فيها[11] عصاه والتّوراة مدفونة [معها، وهي][12] توراة الألواح الذي جاء به موسى من عند الله. نزلت عليه بجبل الطور الذي على بحر التّيه، فيه اليوم الرّهبان يسكنونه[13]. وهو بحر أهل القرية الذين اعتدوا في يوم السبت فجعلهم الله قردة، ومحراب قبّة السّلطان، وهذه المحاريب كلّها مرتّبة بإمام[14] يؤمّ [النّاس][15] فيه غير سبعة منها هي بغير راتب مثل محراب المرهقين **[214ظ]**.

قال ابن الصبّاح رحمه الله : صلّيت في هذا المحراب بأربعة جموع[16] في وقت واحد : أسلّم من صلاة بجماعة وإذا بأخرى قد جاءت، يقولون[17] : صلّ بنا يا حاج فأصلّي[18] بهم وأسلّم، وإذا بجماعة أخرى فيقولون[19] : صَلّ بنا يا حاج فأصلّي[20] بهم وأسلّم فإذا بجماعة أخرى فيقولون[21] : صلّ بنا يا حاج فأصلّي.

---

(1) نقول طنّت الذّبابة، وطنين الذّباب: صوتها.(2)في الأصل : ترانَ.(3)في الأصل : جاء.
(4)أي إذا قدّم المدّعي من الخصمين بينة حكم له القاضي على خصمه.(5)في الأصل : عدم .
(6)كانت السلسلة في القبّة فمن استطاع لمسها بيده فهو صاحب الحقّ وحُكِم له. ويُقصّر الله يد من كان على باطل فلا يستطيع لمسها بقدرة الله عزّ وجلّ.
(7)زيادة للرّبط.(8)في الأصل : راتب.(9)زيادة للرّبط.(10)زيادة للتّوضيح.(11)في الأصل : هي.
(12)زيادة للرّبط والتّوضيح.(13)في الأصل : يسكنوه.(14) المقصود أنّ الإمام فيها له راتب.(15)زيادة للتّوضيح.
(16)مفرده جَمْع.(17)في الأصل يقولوا.(18)في الأصل : فنصلّى.(19)في الأصل : فيقول.
(20)في الأصل : فنصلّي.(21)في الأصل : فيقول.

هكذا إلى أن صلّيت بأربعة جموع. وجاء غيري وصلّى مثلي بجموع إلى أن تغرب الشمس. يُسمّى هذا [المحراب](1) محراب المرهقين(2) من [كثرة](3) شغلهم. وهذا مِن بركة هذا البيت المقدّس لا تنقطع منه صلاة من بعد الظّهر إلى أن تغرب الشمس. وأوّل من يبدأ بالوقت(4) بالصّلاة الإمام [على المذهب]المالكي(5) **[215و]** ، ثمّ الإمام على [المذهب](6) الشافعي، ثمّ الإمام على [مذهب](7) أبي(8) حنيفة ثمّ الإمام على [مذهب](9) أحمد بن حنبل الشيباني رحمهم الله جميعا [فهم](10) الأئمّة المجتهدون(11) الذين أوضحوا السنّة وأوضحوا للنّاس طريق(12) الحقّ إلى آخر الزّمان : صحّحوا وحقّقوا منهاج السبيل، جزاهم الله عنّا خيرا، اجتهدوا ونصحوا(13) في دين الله وشدّوا أنفسهم في بيان شريعة رسول الله ﷺ. وبهم يُقتدى(14) ويُهتدى(15) إلى يوم القيامة رغم أنف الخوارج(16). هم الأيمّة الأربعة(17). أثبتوا أربعة(18) مذاهب من مذهب واحد(19). فما كان من خلاف (20) بينهم [فهو](21) توسعة ورحمة من الله على(22) هذه الأمّة الضّعيفة عن العلوم في آخر الزّمان(23).**[215ظ]** رحمهم الله رحمة متّصلة إلى يوم الحشر، حتى يدخلوا(24) الجنان، جنان النّعيم الذي لا يوصف بمثل(25) وصفه مكان.

قال المؤلّف : في هذا الحرم المقدّس كان الماء يأتيه(26) من جبال الخليل ولكن ضَعُفَ الملوك وخُرِبت السّاقية بعد أن كان يجري في جميع الحرم المقدس. وفيه اليوم(27) أجباب كثيرة من ماء الثّلج والمطر ما يكفي مدينة بيت المقدس خمسة أعوام.[و](28) مدينة بيت المقدس عليها من المدائن الكبيرة(29) : مدينة الرّملة ومدينة غزّة ومدينة عسقلان ومدينة الخليل ومدينة تبلوش ومدينة جلجوليّة، ومدينة قاقون

(1)زيادة للتّوضيح.(2) في الأصل: المراهقين.(3)زيادة للتّوضيح.(4)بالوقت (دارجة) أي على التوّ.
(5)زيادة للتّوضيح.(6)زيادة للتّوضيح.(7)زيادة للتّوضيح.(8)في الأصل : أبو.(9)زيادة للتّوضيح.
(10)زيادة للرّبط.(11)في الأصل : المجتهدين.(12)في الأصل : طريقة.(13)في الأصل : وأنصحوا.
(14)في الأصل : يقتدوا.(15)في الأصل : يهتدوا.(16)في الأصل : رغما على أنف الخوارج.
(17)في الأصل : الأربع.(18)في الأصل : أربع.(19)أي مذهب أهل السنّة.
(20)في الأصل : فما كان في خلافهم.(21)زيادة للرّبط.(22)في الأصل : إلى.
(23)إشارة هامّة إلى انتشار الجهل وقلة التعليم في تلك الرّبوع وفي ذلك الزّمن.(24)في الأصل : يدخلون.
(25)في الأصل : مثل.(26)في الأصل : كان يِجيه الماء.(27)في الأصل : وكان اليوم فيه.(28)زيادة للرّبط.
(29)في الأصل : الكبار.

ومدينة عكّة **[216و]** ومدينة أريحة(1)، ومدينة حسبان ومدينة الكرك ومدينة الشّويك ومدينة رَيْنَة ومدينة الكهف والرّقيم، كلّها(2) في طاعة بيت المقدس الشّريف.

قال المؤلّف رحمه الله : سُحت في جبال البيت المقدّس أربعة أعوام، نعود إليه(3) في كلّ رمضان نصوم فيه، وأهل مصر وأهل دمشق وأهل العراق وأهل بلاد الفرس وأهل بلاد الشمال وكلّ من لا يقدر على حجّ مكّة يأتي يصوم رمضان في البيت المقدّس ويجاور حتّى(4)يوم الوقوف على عرفة(5) يجتمع أهل بيت القدس والمجاورون(6) [فيه](7) ويقفون عند قبّة الصّخرة : القبلة المنسوخة يعملوها بين أيديهم(8) متوجّهين إلى الكعبة ويدعون **[216ظ]** ويبتهلون بالدّعاء والتّضرّع مثل [الواقفين](9) على جبل عرفة، وقد قال جماعة من علماء أهل(10) الشام وعلماء بيت المقدس : إنّه حجّ الضعفاء والمساكين [الذين](11) لا يستطيعون [تحمّل](12) الزّاد والرّحلة والطريق السّابلة(13). إنّ حجّ [هؤلاء](14) لبيت المقدس(15) للضرورة وعدم [القدرة على تحمّل](16) الطريق إلى مكّة فهو حجّ الضعفاء، ومجاورة بيت المقدس(17) وصيام رمضان فيه هو حجّ الضعفاء. ودليلهم حديث عمر بن الخطاب: شهود الجمعة في جماعة أحبّ إلينا من حجّ تطوّع(18) وعمرة . فإذا كان قول عمر رضي الله عنه على عموم بقاع الأرض من [أنّ] شهود الجمعة أحبّ إليه **[217و]** من حَجّ تطوّع، فأولى وأحرى أن يَكون الحجّ إلى بيت المقدس(19) المطهّر –[وهو](20) حجّ(21) مجاورة – [أفضل](22) من سائر البقاع كلّها.

قال [المؤلّف](23) رحمه الله : جاورت بيت المقدس أربع سنين، نجاور فيه من جميع الآفاق المحمّديّة(24). ويوم النّصف من رمضان تفتح أبواب الحرم للمجاورين،

---

(1) في الأصل : ريحة.(2) في الأصل: كلّهم.(3)في الأصل : ونعاود إليه.(4)في الأصل : حتّى إلى.
(5)في الأصل : يوم وقفة حجّ عرفة.(6)في الأصل : المجاورين.(7)زيادة للتّوضيح.
(8)أي تكون قبّة الصّخرة أمامهم.(9)زيادة للتّوضيح.(10)في الأصل : أهل علماء.(11)زيادة للرّبط.
(12)زيادة للتّوضيح.(13)أي الطريق المسلوكة.(14)زيادة للتّوضيح.(15)في الأصل : ببيت المقدس.
(16)زيادة للتّوضيح.(17)في الأصل : مجاورته.(18)في الأصل : من طوع حجّة.
(19)في الأصل : حجّ بيت المقدس.(20)زيادة للرّبط.(21)في الأصل : حجّة.(22)زيادة للتّوضيح.
(23)زيادة للتّوضيح.(24)أي دار الإسلام.

يدخلون(1) بأولادهم ونسائهم، يصومون(2) بقيّة رمضان تحت الزّيتون إلى يوم الفطر. وليلة العيد توقد في بيت المقدس والحرم كلّه ألف مصباح(3)، ويوم العيد يُصلّون صلاة العيد في صحن قبّة الصّخرة . الرّجال قدّام والنساء **[217ظ]** من ورائهم، وكذلك [صلاة](4) الجمعة والخطبة: في صدر المسجد الأقصى [الرّجال](5)، والنّساء من وراء الرّجال، بينهم ستور من كتّان مصبوغ بالأخضر والخدّام واقفون(6) حتى تنقضي الصّلاة. وعلى كلّ باب من أبواب الأقصى وأبواب قبّة الصّخرة طساس(7) من نحاس مبيضّة بالقزدير(8) يقولون إنّها(9) من فضّة لضعفها(10)، مملوءة بماء من ماء السّماء بارد والزّلايف(11) على وجه الماء مرشوشة بماء الورد إذا شربت [بها شَمَمْت](12) رائحة كالمسك الأذفر(13). و[هناك](14) صدقات وإيثار على الفقراء والمساكين، لا يَحْصِي صدقات يوم العيد وطول رمضان إلاّ الله سبحانه، [ولقد](15) أيقنّا أنّ صدقات يوم العيد في بيت المقدس **[218و]** تَعدل صدقات أهل الأرض المحمّديّة كلّها.

قال [المؤلّف](16) رحمه الله : فإذا فَرغ الإمام من خطبة العيد نفر الناس المجاورون(17) لأوطانهم. والعرب تنتظر المجاورين بالجمال للكرى : كلّ جمل إلى أرض مصر بأربعين درهما نقرةً(18) قيمتها ديناران(19) ذهبا بصرف مصر والشام. وصرفهم في الدّينار عشرون نُقرَة. ورطل البيت المقدّس خمسة أرطال من الرّطل البغدادي والمصري، [و] رطلا(20) المصري والبغدادي إثنتا عشرة أوقيّة، واحتساب مدينة القدس وطاعتها احتساب عمر بن الخطاب : ينادي المنادي لا إله إلاّ الله يأمر عمر بن الخطاب أمير المؤمنين: التّسعير(21). كذا **[218ظ]** وكذا من أي شيء كان ممّا(22) يوزن أو يكال.

---

(1)في الأصل : يدخلوا.(2)يصوموا.(3)في الأصل : ألاف مصباح.(4)زيادة للتّوضيح.(5)زيادة للتّوضيح.
(6)في الأصل : واقفين.(7) جمع طاسة : إناء صغير لشرب الماء، من الإسبانية Taza.
(8)هو القصدير : معدن أبيض فضّي طريّ تطلى به بعض المعادن لحفظها من الصّدأ.(9)في الأصل : هم.
(10)في الأصل : لظعها، والمقصود لطراوتها.
(11)جمع زلفة وفي الفصحى نقول : زُلَف لا زلايف، وتسمّى بالدّارجة التّونسيّة : الرّكوة.
(12)إضافة للتّوضيح.(13)الأذفر يطلق على الرّائحة الطيّبة وغير الطيبة.(14)زيادة للرّبط.
(15)زيادة للرّبط.(16)زيادة للتّوضيح.(17)في الأصل: مجاورين.(18)النُّقرة القطعة المذابة من الذّهب والفضّة.
(19)في الأصل : دينارين.(20)في الأصل : رطلي.(21)في الأصل : الشعير.(22)في الأصل : ما.

قال المؤلّف رحمه الله : وينصرف المجاورون لأوطانهم : إلى دمشق وإلى العراق وإلى الشمال: بلاد حلب وديار بكر وملك ابن عثمان(1) بأرض القسطنطينيّة(2) الكبرى إلى أقصى المشرق، يجاورون هذا البيت المقدّس من شهر رجب إلى شهر رمضان المعظم. وقال : وعلى هذا البيت المقدّس من قبور الأنبياء المشهورة [و](3)غير المشهورة : قبور إبراهيم وذريّته وقبر يعقوب وذريّته وقبر موسى بن عمران بالكثيب الأحمر بمدينة أريحة وقبر النبيء شمويل وقبر النحّاس بن هارون أخي موسى، وقبر عُزير بن شراخي (4) الذي أشركت به اليهود **[219و]** .

ومن قبور الصّحابة قبر عبد الله بن الجرّاح وقبر معاذ بن جبل، وقبر جعفر بن عبد المطلب، وقبر زيد بن حارثة وقبر زيد بن أرقم، وقبور أهل الكهف في فجوة بمدينة الرّقيم ببلاد البلقاء(5). وداخل مدينة القدس قبر بجّانة أمّ مريم. وحرمة هذا البيت أنّ كلّ من دخله من اليهود أو النّصارى يسلّم(6) رغم أنفه(7). وداخل هذه المدينة رباطات(8) وزوايا(9) وأوقاف وأحباس على هذا الحرم المقدّس يطعمون بها المجاور له : في رباط(10) ربض الأعمى خبزتين، ورباط السّلطان خبزة كلّ يوم، ورباط العجم دشيش بالصّبح(11) مطبوخ بالقدّيد، ورباط خازن السّلطان الطاهر **[219ظ]** ثلاث خبزات(12) وزاوية القرندلية(13)طعام يوم الخميس. والصّدقات والإطعام في غير [ما](14) موضع واحد كثير، لذا تُدار(15) أرحيتهم(16) بالجمال والخيل والبغال. ﴿ **بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ** ﴾(17).

إذا قعدت في ذلك(18) الحرم الشّريف زال عنك همّ الدّنيا [فهناك](19) الماء الطيّب والهواء والخضرة : بلدة خصيبة [فيها](20) من كلّ شي، كثيرة الفواكه، كثيرة ألوان الطعام. البيت المقدس لو [بقيت](21)تصفه(22) وتصف خصائصه(23) ألف عام لم

(1)يقصد : الأتراك العثمانيّين.(2)في الأصل : قسطنطينيّة.(3)زيادة للرّبط.(4) انظر ص 263 ت 1.
(5) في الأصل : البلقة.(6)يمكن قراءتها يَسلم أي يدخل في الدّين الإسلامي.(7)في الأصل رغما على أنفه.
(8)في الأصل : ربوطات.(9)في الأصل : وزوايات.(10) في الأصل: ربض.(11)أي في الصّباح.
(12)في الأصل : ثلاثة أخباز.(13)قد تكون نسبة إلى الكرادلة Cardinal .(14)زيادة للتّركيب.
(15) في الأصل: ممّا يوصف.(16)جمع رحى.(17) 34ك. سبأ، الآية 15.(18)في الأصل : تلك.
(19)زيادة للرّبط.(20)زيادة للرّبط.(21)زيادة للتّوضيح.(22)في الأصل : تصف فيه.
(23)في الأصل : وفي خصائصه.

تبلغ [ذِكر كلّ][1] خصائصه وفضائله. وكفى به من فضل [أن][2]لم يبق ملك من ملوك الدّنيا إلاّ قاتل عليه[3] وطمع في امتلاكه[4] لحرمته[5] وعزّة شأنه ورفعته عند الملوك من عرب وعجم. وكفى به [أنّه][6] قبالة **[220و]** باب من أبواب السماء عرج[7] منه نبيّنا محمّد ﷺ ليلة المعراج، ولم يبق نبيّ ولا رسول إلاّ صلّى[8] فيه «إمّا بالعناية وإمّا بالغير، ولكن على أكثر البعد»[9]. مدينة القدس مستكفية[10] عن غيرها من كلّ شيء، لها قيسريّة مبنيّة من زمان الرّوم، لا يُرى فيها[11] في زمن الشّتاء لا طين ولا وحل. وفي كلّ عيد تزيّن الأسواق والحوانيت بحُلل الحرير ثلاثة أيّام في عيد الفطر وثمانية أيّام في عيد النّحر، تبقى الحوانيت مفتوحة اللّيل والنّهار موقودة[12] تشعل[13] إلى الصّباح، ويكون فيها بيع وشراء وأخذ وعطاء، وأموال لا تحصى[14] وقوّة شديدة في دين الإسلام وشريعة محمّد ودين **[220ظ]** الحنيفيّة[15]، ولله الحمد على دين الإسلام.

بيت المقدش الشّريف عند جميع أهل الأرض كلّها وجميع أهل الملل السّتّة يعزّونه ويشرّفونه، ولكن ما صحّ[16] عزّه وشرفه لأحد من الملل إلاّ للملّة الحنيفيّة المحمّديّة ملّة الإسلام وشريعة نبيّ الله محمّد ﷺ.

قال المؤلّف رحمه الله : إنّ للخمسة[17] ملل من هذا البيت المقدّس حسرة في قلوبهم، وله ضياء[18] يحرقهم نارًا ويزيدهم[19]خسارًا إلى يوم القيامة: أولى تلك الملل[20] اليهود، حرّموا على أنفسهم لباس الأحمر فأورثهم[21] همّا وحزنا وحسرة [في الدّنيا و][22]أورثهم عذاب النّار [يوم القيامة][23]. ثمّ النّصارى أحلق قسّيسوهم لحاءَهم[24] ورهبانهم، وكذلك من **[221و]** علماء اليهود وأكثر الأحبار حلّقوا لحاءهم ونتّفوها لمّا ملكَ[25] المسلمون بيت المقدس الذي جُمع[26] [داخل][27] الأسوار.

---

[1] زيادة للتوضيح.[2] زيادة للتركيب.[3] أي قاتل من أجله.[4] في الأصل : إملاكه.
[5] في الأصل : وحرمته.[6] زيادة للتّركيب.[7] في الأصل : الذي عرج.[8] في الأصل : صلاّ.
[9] جملة غامضة.[10] في الأصل : كافية.[11] في الأصل : لا يُرَا.[12] أي مضاءة.[13] أي تُضَاء.
[14] في الأصل : تحصا.[15] في الأصل : حنيفيّة.[16] أي ثبت وتدعّم.
[17] سيذكر المؤلّف اثنتين فقط وهي ملّة النّصارى وملّة اليهود.[18] في الأصل : ضاء.
[19] في الأصل : تزدادهم.[20] في الأصل : أول ذلك.[21] في الأصل : وأورثهم.[22] زيادة للتّوضيح.
[23] زيادة للتّوضيح.[24] في الأصل : أحلقوا قسّيسهم.[25] في الأصل : ملكها.[26] في الأصل : جمعت.
[27] زيادة للتّوضيح.

ومازالوا يحلقون عليه(1) لحاءهم ويصبغون ثيابهم ليوم الحشر. وكيف لا وذلّتهم بأداء الجزية وأداء الخراج حتى على قمامتهم وحجّهم أيضا، يؤدّونه(2) بالقهر، وأمّا اليهود فمالهم في بلاد القدس مكان ولا أثار سوى قبر عزيز بن شراج وقبر النبيء شمويل وقبر النّحاس بن هارون. وهو لهم على(3) أن يعطوا(4) إلى أهله من المسلمين الهدايا من الذّهب والفضّة والدّراهم الكثيرة(5).

جميع اليهود والنّصارى ينظرون إلى هذا البيت المقدّس **[221ظ]** نظرة الحسرة(6) كمثل حسرة أهل النّار الذين يئسوا(7) من الرّحمة ورضاء الرّب وجنّة الخلد، وأيْقنوا بسخط الجبّار. جميع طوائف الكفر ينظرون إليه بحسرة وندامة ، وتفيض أعينهم دمعا يطفِئُ(8) جميع ما يُوقد في آفاق الأرض من نار. أخرجهم الله منه ملعونين ﴿**أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ**﴾(9)، أخرجهم الله منه على أيدي صحابة الهدى وقدوة الأشدّاء [وذوي](10) القلوبٍ(11) الرّحماء. وأذاق اليهود والنصارى بما فعلت أيديهم(12) العذاب الأدنى(13). وأورث الله بيت المقدس عبادَهُ(14) الصّالحين المطيعين من هذه الأمّة ببركة النبيء الشّريف سيد العرب والعجم. تقوم كلمة الله(15) ودينه [هو](16)المرتضى **[222و]** إن شاء الله إلى يوم الحشر والقضاء، بالقوّة والكرم العميم والفضل الجسيم إلى آخر المنتهى.

---

(1)في الأصل : عليها.(2)في الأصل : يؤدّوه.(3)في الأصل : من.(4)في الأصل : يعطون.
(5)في الأصل : الكثار.(6) في الأصل: نظر الحسرات.(7)في الأصل : أيْأسوا.(8)في الأصل : تطفئ.
(9) 3م. آل عمران، الآية 112.(10)زيادة للرّبط.(11)في الأصل : قلوب الرّحمة.
(12)في الأصل : بأيديهم.(13)لعلّه يقصد العذاب القريب.
(14)في الأصل : عبادة.(15)أي يوم القيامة.(16)زيادة للتّوضيح.

[الخروج إلى دمشق]

وننصرف من وصف بيت المقدس إلى مدينة دمشق الشام لوصفها(1)و[ذكر](2) خصائصها ومدائنها وبركة بقعتها. بين مصر والبيت المقدس خمسة عشر يوما وبين دمشق والقدس ستّة أيّام، كلّها عمائر كثيرة.

قال المؤلّف : لم يبق للنّصارى مزار إلاّ القمامة(3) وبيت لحم الذي ولد فيه عيسى بن مريم، [و](4)هو بين القدس والخَليل، يعظمه النصارى ويعطون(5)عليه الخراج، وكنيسة صهيون(6) موضع نزول المائدة التي **[222ظ]** نزلت على عيسى فامتنع اليهود(7) عن أكلها فمسخهم الله خنازير.

قال المؤلّف رحمه الله ورضي عنه: دمشق دار ابن عامر، قال الإمام الشيخ الشاطبي ابن فيرُّة(8) أبو القاسم بن خلف الرّعيني(9).(طويل):

وأمَّا دمشقُ الشّام دارُ ابنِ عامرٍ فَتِلك بعَيدِ اللهِ طابتْ مُحلّلاَ

قال ابن الصبّاح : قرأتَ الشاطبيّـة(12)الكبرى اللاّمية القافية(13)، وقرأت الشاطبيّة الصّغرى الرّائية القافية(14) فوجدت لهما بركة [من](15) نظم هذا الشيخ المبارك. و[قد](16) فتح عليّ من عنده فقها وفطانة وتعبيرا وتدبيرًا في كلامه ومحبته في تأويل القرآن ومعاناة لا أكاد أنام من تفكر أمور الحكمة **[223و]** وتدبير القرآن. وزادني محبّة وتفكّرا وتدبيرا(17) قوله تعالى : ﴿**كتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَتَّدَبَّرُوا آيَاته وَلِيَتَذَكَّر أُولُو**

---

(1)في الأصل : ووصفها.(2)زيادة للتّوضيح.(3)لعلّه يقصد كنيسة القيامة.(4)زيادة للرّبط.
(5)في الأصل : يُعطوا.(6)في الأصل : سهيون.(7) زيادة للتّوضيح.(8)في الأصل : فِيْرَة.
(9)في الأعلام للزركلي 180/5 هو القاسم بن فيرُّه بن خلف (ت 1194/590).
(10) عبد الله بن عامر: قاضي دمشق وأحد القرّاء السبعة (ت 736/118). الأعلام 95/4.
(11) المكان المحلّل : هو الذي يكثر الحلول فيه.(12)قصيدة في القراءات مطلعها :

بدأت بسم الله في النّظم أوّلا تبارك رحمانا رحيما مؤئّلا

(13)في الأصل : اللّيات القافية .(14)في الأصل : الرّائيات القافية.(15)زيادة للتّوضيح.(16)زيادة للرّبط.
(17)في الأصل : تدبير.

الأَلْبَابِ﴾(1). وقال تعالى : ﴿يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾(2). فجاهدت نفسي في طلبها وبذلت جسمي في بحثها، لعلّ الله يؤتيني الحكمة، نريد بذلك طريق الهدى(3) والخروج عن طريق الرّدى(4)، وتبصرة ومعرفة بالوحدانيّة والصّفة الدّالة على وجود الباري سبحانه ، يغنيني ذلك عن خيالات(5) النّفس الأمّارة بالسّوء، وينقذني من مذاهب المعطلة(6) ومذاعب المجسّمة(7) ومذاهب المعتزلة والخوارج وجميع مذاهب **[223ظ]** الرّدى. أعِذْنا اللّهم منها بجودك وكرمك وحلمك، وكفى ببركة محمّد وآله [لنا حفظا](8).

قال المؤلّف : دخلت مدينة دمشق الشّام بعد صلاة العصر وبتُّ قي جامع بني أمّية، صفح عَنّي القوم [وبقيت](9) إلى(10) الصّبح. وصلّيت الصبح [وسألت](11) عن(12) مقام عبد الله بن الجرّاح(13) وعن زاوية أهل المغرب حتّى وجدتها وعرّفوني [على](14) بعض الأندلسيّين كانوا فيها مجاورين متعايشين يخدمون(15) بالنّهار ويأتون(16) إليها باللّيل. وصوت أسرح(17) في مدينة دمشق الشام أيّامًا، ما شاء الله. وسافرت منها إلى مدينة حلب وأنطاكية . ثمّ عدت إلى دمشق الشّام ثانية فرأيت مدينة عجيبة البنيان عظيمة **[224و]** الشأن، وفيها عمارة عظيمة وأنهار جارية وبساتين خضراء وعيون باردة وقصور عالية مثل قوله تعالى : ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾(18) أي كثيرة متلاصقة بعضها ببعض كما يقول العامّة : غيضة أو غابة من كثرة الشّجر والأنهار والظلال والخضرة والماء، تورث للميّت الحياة(19)، من حسن ترتيب أزقتها و قيسريّاتها وأسواقها كأنّها في المثال جنّة إرَمَ ذات العماد تدخلها في عزّ النّهار(20). عليها قرى وأمصار ومدائن وحرث ونسل [و](21)عمائر عجيبة.

---

(1) 38 ك. سورة «ص» الآية 29. (2) 2م.البقرة، الآية 269.(3)في الأصل : نريد بذلك الهدى إلى طريق.
(4)في الأصل : الرّدا.(5)مفرده الخيالة والخيالة هي الخيال جمع أخيلة.
(6)المعطلة : أصحاب مذهب التعطيل وهم الذين ينكرون صفات الله تعالى.
(7)المجسّمة : أصحاب مذهب التّجسيم وهو إعطاء الذّات الإلاهيّة بعدًا مادّيا كالطول والعرض والعمق.
(8) زيادة للتوضيح.(9)زيادة للتّوضيح.(10)في الأصل : حتّى إلى.(11)زيادة للتّوضيح.(12)في الأصل : على.
(13) هو عامر بن عبد الله بن الجرّاح أبو عبيدة فاتح الدّيار الشّامية ت 639/18 (الأعلام 252/3).
(14)زيادة للتّوضيح.(15)في الأصل : يخدموا.(16)في الأصل : يأتوا.(17)في الأصل : نسرح.
(18) 78ك. النّبأ، الآية 16.(19) أي تردّ للميّت الحياة كما في قول عامّة أهل المغرب «تردّ الرّوح».
(20) في الأصل : أو دخول الجنّة في.(21)زيادة للرّبط.

وقال [المؤلّف][1] : مدينة دمشق دار دولة بني أميّة والمروانيّة و[مؤسسها][2] معاوية بن أبي سفيان كاتب الوحي ورديف يركب خلف رسول الله **[224ظ]** ﷺ. ملكوا من[3]مدينة دمشق الشام مشارق الأرض ومغاربها [مدّة][4] ألف شهر[5] تداولها منهم أربعة عشر رجلا[6]: أوّلهم معاوية [و][7] صالحهم عمر بن عبد العزيز وآخرهم مروان الملقب بالحمار خليفتهم[8] في القرن الثاني[9]، إلى أن أخرجهم منها بنو العبّاس. دولة بني أميّة دولة سعيدة، بنوا المساجد وفتحوا البلاد وطوّعوا العباد وأحبّوا السنّة وأقاموها بعد رسول الله ﷺ وملكوا الدّنيا مدّة ألف شهر مقدار ثلاثة وثمانين عاما وثلاثة أشهر[10].

بنوا[11] فيها[12] جامع قرطبة المزّين المشهور وفتحوا **[225و]** من جزيرة إسبانيا[13] مسيرة ثلاثة أشهر من جبل الفتح[14] إلى مدائن البرتقال[15] وإفرنجة مدينة الإفرنج وبها سمّوا الإفرنج المذكورين، إلى مدينة ترّكونة كما جاء في تاريخ الفتوحات[16] المشهورة.

قال المؤلّف : دخلت مدينة دمشق من أعلى الجبل جبل الصّالحيّة وقبّة النّصر وهذا بعد العصر. والمدينة هي تحت الجبل، منظرها بين الغرب والجنوب ممّا يلي الشمال في الوطا[17] وقبة النّصر في رأس الجبل. ثمّ أشرفت على دمشق من العُلو، وعددت أربعمائة منارة يُؤذن[18] [من أعلاها][19] أي صوامع، هذا في الجوامع الكبار غير المساجد التي[20] مالها منارة[21]. مدينة كأنّها إقليم **[225ظ]**. اللّهم عمّرها بالإسلام أبدًا.

---

[1]زيادة للتّوضيح.[2]زيادة للتّوضيح.[3] انطلاقا منها.[4]زيادة للتّوضيح.

[5]حكم الأمويّون في دمشق 92 سنة قمريّة أي 89 سنة شمسيّة وبذلك يكون عدد الأشهر القمرية 1104، والشّمسيّة 1068.

[6]فعلا خلفاء بني أميّة في دمشق 14.[7]زيادة للرّبط.[8]في الأصل : أحمد الحمارة ملّكهم.

[9]حكم مروان الثاني ما بيْن 126/477 – 132/750.[10]انظر التعليق ع5.

[11]الضمير يعود على بني أميّة حكام الأندلس.[12]الضّمير يعود على الأندلس.[13] في الأصل : إصبانيا.

[14] أي جبل طارق.[15]أي البرتغال.[16]في الأصل : في التّاريخ الفتوح.

[17]أي في الأسفل. والوطا في الدّارجة هي الأرض.[18] في الأصل : مؤذن. [19] زيادة للتّوضيح.

[20]في الأصل : المسجد الذي. [21]أي مئذنة.

قال الرّاوي : مدينة دمشق أوّل [من][1] بناها[2] استاكولوس ملك اليونان الحكيم وأخرجهم[3] منها بنو[4] الأصفر[5]، أخرجوهم من ملك الشّام وملك جزيرة إسبانيا[6] حتّى ملّكها الله ملوك الإسلام على خلافة أبي بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما[7]. ودامت الخلافة بعد موت رسول الله ﷺ ثلاثين سنة : أبوبكر عامين وعمر اثنتي عشرة سنة وعثمان عشر سنين وعلي ست سنين رضي الله عنهم أجمعين. وبعد ذلك صارت [الخلافة][8] ملكا [و][9] أوّل من صيّرها [ملكا][10] معاوية بن أبي سفيان وبعده صارت الأرض ملكا لله **[226و]** ومن قبل الله ومَن غلب إلى يوم القيامة.

مدينة دمشق مدينة جنّة في الأرض. مدينة دورها[11] دورة رجل يوما كاملا[12] : دُورٌ وبناء مشيّد عجيب في وسط الوطا[13] الواسع بين بساتين وقصور ورياض[14]وأنهار وسواق[15]و أشجار وضياء وأنوار وعمارة وأخذ وعطاء وبيع وشراء وطوائف شتّى[16]، لا تعرف اللّيل من النهار[17] من كثرة الضّجيج والحركات والحسّ ، يكاد يكون ليلها نهارًا.

مدينة دمشق بها جامع بني أميّة في الوسط[18]، وهو[19] جامع فيه عشرة آلاف مصباح تُوقَد خمسة وعشرون منها[بـ][20]ربع[21]زيت في الشّهر. مبنيّ بالمرمر الملوّن بأنواع الألوان، فيه خصوص[22] الماء تُزرف[23] **[226ظ]** الماء في الهواء مقدار طول المزراق[24] الطويل : «مثل ثلاثين ذراعا وشبرًا[25] وخمسة عشر من كيل وسط الأشبار»[26].

---

[1] زيادة للتّوضيح.[2] في الأصل : بناها أوّل.[3] في الأصل : أخرجوهم.[4] في الأصل : بنوا.

[5] بنو الأصفر أي الرّوم.[6] في الأصل إصبانية.

[7] في الأصل : عنه. وتاريخيا فتحت الأندلس في عهد الخلافة الأمويّة.[8] زيادة للتّوضيح.

[9] زيادة للرّبط. [10] زيادة للتّوضيح. [11] أي محيطها.[12] أي أنّ محيطها مسيرة يوم واحد.

[13] أي الأرض مقابل السّماء.[14] في الأصل : رياضات.[15] في الأصل : سواقي.[16] في الأصل : شتّا.

[17] في الأصل: اللّيل والنّهار.[18] أي في وسط المدينة.[19] في الأصل : فيها.[20] زيادة للرّبط.

[21] أي واحد على أربع من مكيال للزّيت.[22] الخصوص جمع خصّة وهي النّافورة في دارجة أهل المغرب.

[23] أي تقذف في الهواء، وإلى اليوم في الدّارجة نقول : إنْزَرْفو بالفاء أي نقذفه. وفي المخطوط جعله بالقاف.

[24] المزراق في الفصحى : الرّمح القصير.

[25] لم يحسن المؤلّف التّعبير لأنّه لا يمكن أن يكون طول المزراق ثلاثون ذراعا.

[26] سوء التعبير لا يمنعنا من القول إنّ ارتفاع الماء المقذوف هو ما بين خمسة عشر شبرا وثلاثين شبرا من الأشبار المتوسّطة.

قال ابن الصبّاح رحمه الله ورضي عنه : من السّبعة أقاليم المعمورة من بني آدم [إقليم](1) حدوده من العراق إلى مدينة يثرب إلى [الـ](2)قسطنطينيّة الكبرى إلى إسكندريّة إلى إفرنجة وهي اليوم اسمها أفلنده، وجزيرة أصبانية وهي الأندلس إلى بحر العرب مغرب الشمس في الصّيف. مدينة أفلندة اسمها إفرنجة وبها سمّي الإفرنج إفرنجا(3).

نرجع إلى وصف مسجد بني أميّة المذكور: له من الرّاتب خمسة وأربعون دينارًا في كلّ شهر من أحباس الصالحين الأخيار. و[فيه](4) قرّاء وعلماء وفقهاء **[227و]**، ودين ودنيا وآخرة، وعلم ودين، وانضباط(5) وترتيب، وأمان واطمئنان(6). اشتري الثور والخروف وأطلقه في مدينة دمشق الشّام. وإذا كان المشترى [خروفا](7) في رأس العام تجده كبشا والعجل ثورًا، لا يتعدّى أحد على ما ليس له فيه حقّ ولا يمسّه(8).

مدينة حاضرة(9)ظريفة مليحة البناء والتّرتيب، فيها أربعون قيسريّة(10): لكلّ صنعة قيسريّة(11) بأمين وأبواب، ومصنع من ماء في وسط كلّ قيسريّة يخرج من فم صورة(12) الأسد مصوّر(13) من نحاس مذهّب بماء الذّهب. فيها تجار [من جميع](14) الطّوائف من عرب وعجم وروم ويونان وإفرنج ونصارى وحبش(15) وفرس وترك وأكراد وهنود وسنود(16)وأهل الصّين الأقصى(17)، تجّار برّ وبحر.

[227ظ] وفيها صدقات وإيثار وصلوات وصالحون وقواعد وعمارات ومنارات(18) وخيرات ومعايش(19)ونعمات(20)وجنات ورياض وماء وأنهار، وضياء وأقمار(21) وشفقة وحنان(22) وسماحة من رجال ونساء، وطيب عيش ونعيم، وهواؤها رطب منعّم(23)، ومدارس للعلماء بلا عدد، ورواتب وأخباز(24)للقراء والحفّاظ(25)،

---

(1)زيادة للتّوضيح.(2)زيادة للرّبط.(3)معلومات جغرافيّة لا يمكن الاطمئنان إليها.
(4)زيادة ، والضمير يعود على المسجد.(5)في الأصل : إضباط.(6)في الأصل : إطمان.
(7)زيادة للتّوضيح.(8)مثال ذكره المؤلّف للتّدليل على الأمان المطلق في دمشق.(9)أي عاصمة.
(10)في الأصل : كيسريّة.(11)في الأصل : كيسريّة.(12) أي تمثال .(13)أي مصنوع.(14) زيادة للتّوضيح.
(15)في الأصل : حُبْس.(16)أي من السّند.(17)في الأصل : الأقصا.(18)في الأصل : منارة.
(19)أي مصادر للرّزق.(20)أي نِعَم جمع نعمة.(21)يقصد الجمع بين جمال المناخ والوجوه.
(22)في الأصل : جنّة : وهي كلمة لا علاقة لها بما سبق وبما لحق.(23)أي ينعم به الناس. (4)جمع خبز.
(25)في الأصل : الحفّاز.يبدو أنّ المؤلّف تأثر بدارجة أهل الشام فهم ينطقون الظّاد والضّاء كالزّاي.

وصدقات للفقراء والعجائز ومرسطانات(1) للمُرْضى والعمِي(2)ولجميع الأمراض(3). لهم رواتب، وعليها حفّاظ للإنجاز(4).

قال الرّاوي : في شرق مدينة دمشق كنيسة مريم فيها الماء الذي يُعمَّد فيه النّصارى بالتغطيس، وهو ماء(5) يرشح في مغارة، ينكري(6)ذلك الماء من السّلطان في كلّ عام بألف دينار ذهب في كلّ شهر(7)**[228و]**، عليه نظّار من السلطان وشهود وحُفّاظ(8). وضبط. مدينة دمشق الشام إذا إتْمَشّيْت(9) فيها تقُول : هذه جنّة في الدّنيا: كثيرة الأسواق وكثيرة ألوان الفواكه، فواكهها تدوم من العام إلى العام من أيّ فاكهة كانت. وفواكه دمشق تسافر لكلّ البلاد. مدينة قائمة بنفسها وقائمة بالتجارة مع كلّ الأرض [ومع](10) جميع الرّوم كلّها بأجناسها وتجارها وغربها وشرقها.مدينة دمشق تأخذ جميع بضائع التّجارات من جميع الطّوائف، تأخذ منهم الدّاخل وتعطيهم منها الخارج. وهذا دليل على أنّ دمشق الشّام تعدل بجميع مدائن الأرض كلّها من عرب وعجم وروم وترك. **[228ظ]** ومغول(11) وديلم.

قال المؤلّف رحمه الله: مدينة دمشق الشام تعدل في العافية(12)والمال والبضائع من الحرير والخزّ والفضّة والذّهب جميع(13) ذخائر الأرض من الحرير والخزّ والفضّة، وجميع ذخائر الأرض تعدلها دمشق الشام: عليها من المدائن طاعتها وعمّالها(14). أوّل مدائن الأرض حَوْران(15)، وأوّل مدائن حوران مدينة الصّلدُ(16) ومدينة عجلُون(17)

---

(1)في الأصل : مرصطانات.(2)كلمتان بالدّارجة أي المرضى والعميان.(3)في الأصل : الأعراض.

(4)حفّاظ الإنجاز : هم الذين ينجزون تحفيظ جزء معيّن من القرآن كلّ يوم لغيرهم.

(5) في الأصل : الذي للنصارى المعموديّة للضّغطيس.(6)أي يُكْتَرَى.

(7)أي أنّ العقد يدوم سنة والمعلوم ألف دينار في الشّهر.(8) في الأصل: حفّاز.(9)أي مشيت أو جُلت.

(10)زيادة للرّبط.(11) في الأصل : أمغال.(12)أي الأمن.(13)في الأصل : وجميع.

(14)أي مدن خاضعة لدمشق وعمّال هذه المدن يعيّنون من دمشق .

(15)حَوران : هضبة جنوبي دمشق نربتها حصبة، ويُطلق اسم حَوْران على محافظة في سوريا ومركزها درعا.

(16)لعلّها صلخَد : في محافظة السّويداء بسوريا.(17)غرب جرش وجنوب إربد في شمال الأردن.

ومدينة درعة(1) ومدينة بَصرة(2)ومدينة زُرّاع(3)ومدينة توّه(4). ثمّ مدائن السّاحل، عمّال لها:(5)أول مدينة [منها] صفا(6)ومدينة صيدا(7)ومدينة بيروت ومدينة كرك نوح ومدينة بلعبكّة ومدينة **[229و]** قارة ومدينة حمص(8) ومدينة حما(9)ومدينة اللاّذقيّة ومدينة إبراهيم بن أدهم(10) ومدينة أنطاكية ومدينة طرسوس(11) ومدينة سيس(12) الأرمانيّة ومدينة المصيصة دار خلافة [بني] العبّاس(13)، وهي التي فيها نهر جيحون(14)، ومدينة حلب وتدمر(15)ومدينة أعزار(16) ومدينة قلعة الرّوم ومدينة قرقر(17) ومدينة الرها(18)، فيها ألقى إبراهيم الخليل بالمنجنيق(هكذا)، ومدينة سُروج(19) ومدينة ألبيرة عليها نهر الفرات الشام يجري إلى بغداد، ومدينة كحت(20)ومدينة ملاطية(21).

قال الرّاوي : كل ما ذكرنا من المدائن(22)مدائن كبار بالأمير والحكام والقيسريّات والأسواق، وقدر ذلك مدائن [أخرى](23) تسمّى المراكز أي **[229ظ]** المدن الصغيرة(24). قال : وفي مزارع حرثِ مدينةِ صفاد(25) عين بحيرة طبريّة وحمّام

---

(1)جنوب سوريا وتكتب على الشكل التّالي : دِرعا.(2)جنوب سوريا شرق درعا، وتكتب : بُصْرَى.
(3)لعلّها مدينة أزرع بسوريا.(4)هي مدينة نُوَى : جنوب سوريا شرق طبريّة.(5)أي تابعون لدمشق إداريّا.
(6)هناك الصّفا : مرتفعات بحوران (سوريا).(7) في الأصل: صلدا.(8) في الأصل : خيميس.
(9) في الأصل حماة.
(10)زاهد مشهور ، كان أبوه غنيا، لكنّ الابن لم يهتمّ بماله بعد وفاته. جال في العراق والشام والحجاز توفّي على الرّاجح في سوفنن (حصن ببلاد الرّوم) سنة 161:778 (الاعلام 1/ 31).
(11) في الأصل : كرسوس. تقع طرسوس بجنوب تركيا. وهناك طرطوس : مرفأ في الجنوب الغربي لسوريا.
(12) بجنوب تركيا.
(13)مدينة على شاطئ نهر جيحان قرب طرسوس، وهذا من أخطاء المؤلّف التاريخيّة لأنّ المصيصة لم تكن لها علاقة بخلافة بني العباس في العراق.
(14)نهر جيحون بالهند والمقصود هو نهر جيحان يصبّ في البحر المتوسط (سوريا).
(15)في الأصل : تدمور : أطال المؤلّف حركة الميم على عادة الأندلسيين في لهجتهم.
(16)مدينة تابعة لمحافظة حلب (سوريا).(17)تقع شمالي حماه (سوريا).(18)في الأصل : البرها.
(19)جنوب تركيا.(20)لم نتمكن من معرفتها.(21)جنوب تركيا.(22)يجمع المؤلّف مدينة على مدائن.
(23)زيادة للتّوضيح.(24) في الأصل : الصّغارة.
(25) هي مدينة بفلسطين «صفد» وأطال المؤلّف حركة الفاء على عادة الأندلسيين في لهجتهم.

طبريّة [و](1) قصر يعقوب، وبيت الأحزان وجبُّ يوسف عليه السّلام [و](2)مسجد. والحبّ فيه(3)ماء عذب يتطهر(4) النّاس منه(5) ويتوضّؤون(6)ويصلون(7) للتبرّك.

قال الرّاوي : تطهرنا فيه وشربنا منه(8)، ووجدنا له بركة وبجواره جبل الطور(9)وجبل بردة(10) الذي دعاه إبراهيم فأتى له سعيا، وقلعة النّمرود، هذا كلّه في وادي كنعان.

قال الرّاوي : مدينة حلب عليها طاعة ومدائن، وعليها مدينة المعرّة وسرمين(11) مدينة الفستطق، شجرته مثل ورق الدّردار(12) وثمرته مثل اللّوز، ومدينة الفرخ الأبيض(13). مدينة سرمين كثيرة الزّيتون تراب أرضها **[230و]** أحمر. ومدينة حلب وبلادها، حطبهم شجرة عروق السّوس.

قال الرّاوي: وصفنا المدائن والقرى لا توصف(14). ولكن نصف مزارات بلاد(15) الشام تربة الأنبياء والصحابة والأولياء مخصوصة بها تربتها وأرضها. أوّل [مزار](16) في مدينة دمشق قبر بلال بن حمامة مؤذّن رسول ﷺ، وقبر معاوية [بن أبي سفيان](17) وقبر ضرار بن الأزور(18) وأخته خولة، وقبر عمر بن عبد العزيز في جامع بني أميّة، وقبر تميم الدّاري(19) بأرض حوران وقبر عكاشة بن محصن(20)بحوران، وقبر أيّوب وقبر سام بن نوح، وقبر نوح طوله ستّون خطوة، وقبر شيت طوله وعرضه عشرون

---

(1)زيادة للرّبط. (2)زيادة للرّبط.(3)في الأصل : من.(4)في الأصل : يطهر.(5)في الأصل : فيه.

(6) في الأصل : يتوضوا.(7)في الأصل : يصلوا.

(8) في الأصل : أطهرنا فيه وشربنا فيه، فماؤه كما يقول الفقهاء صالح للعادة والعبادة.

(9)جبل الطور أو الطابور : جبل في فلسطين يكرمون فيه ذكرى تجلي المسيح، وهذا الجبل هو غير الجبل الموجود في سناء.

(10) المشهور نهر بردى ويمرّ بدمشق.(11)قرية في سوريا فيها المسجد الكبير ذو القباب.

(12) الدّردار أو المرّان : شجر عظيم من فصيلة الزّيتونيّات.(13)شجر عظيم، خشبه أبيض.

(14)أي يعجز اللّسان أو القلم عن وصفها. (15) في الأصل: تلك. (16) زيادة للتّوضيح.(17)زيادة للتّوضيح.

(18)أحد الأبطال في الجاهلية والإسلام كان شاعرا، توفي 11/ 633 (الأعلام 3/ 215).

(19)في الأصل تميم الدّار : وهو تميم بن أوس بن خارجة الدّاري : صحابي أقطعه الرّسول قرية حبرون (الخليل) بفلسطين. ت 660/40 (الأعلام 87/2).

(20) صحابي قتل في حرب الرّدّة في 12 /336 (الاعلام 241/4).

خطوة [230ظ] ببلقاء العزيز، وقبر إلياس وقبر حام بن نوح وقبر خالد بن الوليد بحمص، وقبر حبيب النّجّار بأنطاكية الذي ذكره الله في سورة يس(1)، وقبر إبراهيم بن أدهم وقبر يعقوب المنصور سلطان مرّاكش(2)، ومقام إدريس النبيء المرفوع، وقبور الشّهداء يوم التّعويرة(3) باليرموك بأرض حوران بالشّام.

قال الرّاوي : كلّ أنبياء(4) بني إسرائيل في الشام : وبلاد الشام مخصوصة بقبور الأنبياء والأولياء، والعراق مخصوصة بالأولياء خاصّة. ملك الشام مسيرة شهر بالطول كلّه على ساحل(5) بحر الرّوم وعرضه عشرة أيّام، وبينه وبين العراق شهرًا ولكن بالعمارة المتّصلة على [231و] ديار بكر(6) بن وائل صاحب التّاج. وملك العراق ممّا يلي الشّام بين الشرق والشمال، وملك مدينة القسطنطينيّة(7) بأرض الشمال، وقسطنطينيّة فيها(8) بين الشمال ومغرب الشمس.

قال الرّاوي : والله لقد زرت قبر يعقوب في وادي كنعان بالغرب من دمشق، [و](9) في وادي كنعان [زرت](10) قلعة النّمرود وأخذني فيها اللّيل. فلمّا غابت الشّمس خرجت علينا ذرّية البعوض التي قتلت النّمرود وكادت تأكل لحومنا، فيها بعوض على قدر النّحل لولا ما تغطّينا بالثّياب إلاّ أكلتنا(11)، وتأكل التّين وسبق القمح(12) حتى إلى النّهار [فـ](13) تختفي.

مدينة دمشق صرّة البلاد(14) وجنّة المتفرّجين من العُبّاد(15). وفرجتهم يوم السّبت [231ظ] يخرج(16) الرّجال والنّساء إلى الرّبوة مجمع الماء الذي يأتيها ممّا

---

(1) ذكره تعالى في قوله : ﴿وَجَاءَ من أقصا المدينة رجلٌ يَسْعَى. قَالَ : يَا قَوْمُ اتَّبِعُوا المُرْسَلِين﴾ (36ك. يس، الآية 20). قال المفسّرون : رجل : هو حبيب النّجار كان يخفي إيمانه، ولمّا سمع بالرّسل جاء ليساعدهم ويدفع عنهم ظلم قومه.

(2) مات المنصور الموحّدي في المغرب. وهذا الخبر من الأساطير التي ردّدها ابن الصّباح في رحلته.

(3) كلمة واضحة كتابة غامضة معنى. (4) في الأصل : الأنبياء. (5) في الأصل: سحال.

(6) تقع في الجنوب الغربي لتركيا. (7) في الأصل: فلسطين. (8) الضّمير يعود على أرض الشّمال.

(9) زيادة للرّبط. (10) زيادة للتّوضيح. (11) التركيب بالفصحى يكون كالتّالي: لولا أن تغطينا بالثياب لأكلتنا.

(12) لعلّه يقصد السّنابل في أوّل طلوعها. (13) زيادة للرّبط. (14) المقصود : مركز.

(15) لم نعرف لماذا خصّ العُبّاد بالفرجة ولعلّه قصد : العِباد. (16) في الأصل : يخرجون.

يلي الشّمال من جبل بردى(1) . موضع الرّبوة موضع فرحة دمشق يوم السّبت. تفترق من الرّبوة سواقي دمشق أربعة سواق(2) ترحى منها أرحيتهم(3) . في وسط المدينة أرحية لا تنحصر، بين البساتين وبين الأجنّة والقصور والمنازه. وتقع هذه المياه كلّها في البطحاء شرقي دمشق تسمّى الغوطة : قرى وقصور وأبراج وحرث ونسل وأغنام وأبقار وجمال وعربان سكان في الجدار(4) وسكّان في بيوت الشّعر، وقرى الجدار [فيها](5) قصور وأبراج وعمائر وزروع بأنواع(6) الغراسات، والشّجر على أنواع من **[232و]** جميع زراريع(7) الأرض كلّها، وصنائع الأرض كلّها من أي فنّ تطلب من الصّنائع تجد(8) . وهناك(9) قباب ومزارات أنبياء وصحابة ومشائخ وأولياء وفقراء(10). يخرج من مدينة دمشق خمسة وعشرون زنبيلا للصّدقات كلّ يوم خميس ويوم الإثنين. للعجم خمسة(11) وعشرون- الزّنبيل [هو](12) الشيروز(13)- وللعرب خمسة(14) وعشرون، أعني بالزّنبيل [عندهم](15) خَرْج يجمع فيه الخبز للصّدقات، وكلّ زنبيل يطعم خمسين فقيرًا بمشائخهم. وأمّا الذين يطلبون متاع الله(16) [ف](17) لا ينحصرون. والكل يُعطى متاع الله.

قال الرّاوي : لو نصف ملك(18) الشام [ونبقى](19) ألف عام ما نبلغ حدّ الوصف. ولكن الأحسن لأهل الفهم والعقول الذي اختصرناه [و]فيه **[232ظ]**، الكفاية للقرّاء(20) والمستمعين.

---

(1)في الأصل : بردي.(2)في الأصل : سواقي.(3)جمع رحى.
(4)أي يسكنون بيوتا من الحجارة (الحضر) عكس من يسكنون بيوتا من الشعر (المدر).
(5)زيادة للتّوضيح والرّبط.(6)في الأصل : على أنواع.(7)بالفصحى : زراعات.
(8)يشير المؤلّف بلغة عاميّة إلى ازدهار الفلاحة والصّناعة بالشام وخاصّة مدينة دمشق.
(9)زيادة للرّبط.(10)نرجح أنّه يقصد بالفقراء المتصوّفة أو مريدي الشيخ.(11)في الأصل : خمس.
(12)زيادة للتّوضيح.(13)تسمية أعجميّة للزّنبيل.(14)في الأصل : خمس.(15) إضافة للتّوضيح.
(16)متَاع الله : عبارة يردّدها الفقراء في المغرب ومعناه «أعطني صدقة».(17)زيادة للرّبط.
(18)في الأصل : في تلك.(19) زيادة للتّوضيح.(20) في الأصل: الفقراء.

[الخروج إلى ديار بكر]

ثمّ ننزل إلى ديار بكر بن وائل صاحب التّاج(1) ملك جبال الشام والعراق ولكن من طاعة بغداد(2) . ديار بكر بلاد الخصب والرّخاء كثيرة الحرث والقرى. ولقد رأيت السّعاة(3) يسعون [في جمع](4) الخبز متاع الكعك، متاع سميد القمح يحملونه وَقْرًا(5) [على ظهر](6) حمار. يسعون على القرى بالحمار والزّنبيل – وهو الشيروز - يملؤونه(7) على الحمار وييبّسونه في الشّمس(8) ويدّخرونه لفصل الشّتاء لأنّ بلادهم بلاد الثّلج.

ديار بكر بلاد القمح ولحوم حمر الوحش، [وهي](9) عندهم مثل الغنم، يصطادونها بالحُفَار(10) والخيل ويملؤون بيوتهم**[233و]** بالقدّيد [منها](11) و[من](12) قدّيد الغزال. هذان [النّوعان من](13) اللّحوم [هي](14) لحوم تلك البلاد : لحم الغزال ولحم حمر الوحش. تلتقي منها دَوَالٍ دَوَال(15) من خمسين حمارًا ومائة حمار، ومدوال(16) من ألف حمار. إذا رأت ابن آدم تفرّ مثل ما ذكر الله تعالى ﴿كَأَنَّهُم حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ(17) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ(18)﴾(19) صدق الله [العظيم](20)، فيها من المدن ماردين(21)قلعة في طرف جبل، لا يقدر عليها فارس ولا حارس، فيها جبل الجود(22)

---

(1)هذه الجملة ردّدها الناسخ مرّتين.(2)أي تابعة لسلطة حاكم بغداد.

(3)في الأصل : السّعات، جمع ساع وهو العامل أو الوالي في أي مكان. وأكثر ما يقال ذلك في ولاة الصّدقة وجُباتها.

(4)زياد للتّوضيح.(5)الوقر جمع أوقار : الحمل الثّقيل.(6)زيادة للتّوضيح.(7)في الأصل : يملؤه.

(8) في الأصل : للشمس. (9) زيادة للرّبط.(10) المقصود هو الحُفَر جمع حُفْرة.(11)زيادة للتّوضيح.

(12)زيادة للتّوضيح.(13)زيادة للتّوضيح.(14)زيادة للرّبط.(15) أي مجموعات مجموعات.

(16)على صيغة مفعال للمبالغة.(17)من نفرت أي شردت.(18)قسورة : الأسد.

(19) 74ك. المدثّر، الآية 50-51.(20)زيادة لإتمام العبارة.

(21) في الأصل : مريدين. وماردين تقع جنوب تركيا.(22)تحريف والمقصود : الجودي.

الذي أرست عليه سفينة نوح عليه السّلام، وفيها بقعة آدم عليه السّلام، وفيها جامع نوح عليه السّلام، وفيها نزل(1) من جبل الجودي : الذّكور والإناث الذين كانوا في السّفينة، من كلّ زوجين [إثنان](2). [233ظ] والله إنّ في جبل الجودي اليوم بركة ورائحة طيّبة. شاهدتها بنفسي، وفيها(3) مدينة الموصل مدينة كثيرة الخير(4) والحرث ، عمارتها بالترك(5) مسلمين أجواد مشفقين على الغريب، مدينة إربيل(6) مدينة الخصب والرّخاء والعلماء والقرّاء، وفيها جبل يَنزل فيه(7) المنَ الذي كان ينزل على بني إسرائيل، ينزل على ورق الشجر ويلقطه(8) الرّعاة، يعملون منه خبزا يبيعونه بالأسواق رائحة طيّبة، و[منه أنواع](9) أربعة، لا تشبه رائحة طعام الدّنيا نحتار(10) في طيبه ورائحته، أحلى من العسل. من(11) هذه البلاد تنزل الدّجلة [على](12) بغداد : نهر من ماء عذب عظيم [234و] يسافرون(13) على ظهره بالظّروف(14) المنفوخة بالرّيح، ينفخون(15) الأزقاق(16) ويربطون(17) عليها الخشب ويحملون(18) عليها الأثقال، يسافرون إلى بغداد بحبّ الرّمان. لكلّ رجل منهم ألف شجرة رمّان، يجنونه(19) في شهر أكتوبر وينشرونه(20) للشمس حتّى ييبس: هو صفتهم وحرثهم وزرعهم وغلّتهم لأنّ بلادهم باردة، وهي أرض وجبال، كلّها فواكه بالعنب والرّمان والجوز، والقمح والشّعير قليل. ومنهم أهل الجبال يأكلون خبز البلّوط، وهي جبال مانعة يعيش فيها من الضأن الغنم والمعز(21) .

قال المؤلّف : فيها معز وبرها مثل الحرير على ثلاثة [234ظ] ألوان : أبيض وأصفر وأكحل وفحلها كبش الغنم . هي بلاد بني شيبان قبيلة أحمد بن حنبل إمام(22)

(1)في الأصل : نزلوا.(2)زيادة للتّوضيح.(3)الضمير يعود على ديار بكر.(4) في الأصل: الأخيار.
(5) لا يفرّق المؤلّف بين الأتراك والأكراد.(6) في الأصل : إرتال.(7)في الأصل : تنزل فيها.
(8)في الأصل يلتقطونه.(9)زياد للتّوضيح والرّبط.(10) في الأصل ننحيار.
(11)في الأصل : على.(12)زياد للتّوضيح.(13)في الأصل : يسافروا.
(14) في الأصل : ضروف (بالضّاد). والظروف: جمع ظرف : عند العامّة وعاء من جلد للسّمن والعسل ونحوهما، ونرجّح أنّه يقصد بالظّروف : الأشرعةَ التي تَسير بها السفن عند ما ينفخ فيها الرّيح.
(15)في الأصل : ينفخوا.(16)جمع زقّ. وهو مرادف للظّرف.(17)في الأصل : يربطوا.
(18)في الأصل : يحملوا.(19) في الأصل : يخربونه.(20)في الأصل ينشروه.
(21)في الأصل: فيها الغنم والمعز الضّأن.(22)في الأصل : الإمام.

المذهب، فيها من الملوك ملك العماديّة[1] ملك عين فون،[و][2] ملك الجزيرة: جزيرة ابن عمر[3] في وسط دجلة، وملك حصن كيفا[4] ملك أرض الرّوم، وملك ماردين، ومدينة آمد[5] : مدينة كلّها بالحجر الأسود العيساوي، وفي مدينة آمد يقرؤون القرآن في مصحف ورقُه رقّ غزال : كلّ ورقة من ذراع[6] وكلّ حرف من عرض أصبع[7]، وحرف الكاف والصّاد من شبر[8]، فيه ثلاث مائة وستّون[9] ورقة، يقرؤون فيه[10] عاما كاملا كلّ يوم ورقة بعد **[235و]** صلاة الصّبح قراءة مرتّلة بالتّفسير مفسّرة بالوعد والوعيد والوعظ، يجلسون لقراءتها جميع من يحضر صلاة الصّبح. [وهم][11] قوم يسمّون الأكراد من ولد يافث بن نوح.

قال ابن الصبّاح رحمه الله : جاورت قرى الجودي عاما في قرية الشّمامين[12] وجامع نوح عليه السّلام. وطلعتُ جبل الجودي، على رأسه مزار وقبّة من بناء يزيديّة العبّاسيّة : محاريب[13] وقباب وأجباب[14] للماء. وكنت مريضا[15] من الحمّى، وصلّيتُ ركعتين على رأس الجبل وأشفاني الله، وفيه رائحة عجيبة كأنّها بخلاف طيب روائح الدّنيا[16]. وجبل الجودي جبل عال**[235ظ]** تُكشف منه أرض العراق والشّام. وفيه وفي عمارته يوجد شجر السُّمّاق[17] ، وله حبّ مثل القطنيّة الحمراء، لكن حبّه غليظ بقدر الجلبّان، حبّ أحمر حامض يركل به الخبز في الصّيف ويشرب مرقه المحرور[18]، نافع بارد[19] للجسم. وتمامها وصف البلاد[20] .

(1) نسبة إلى عماد الدّين زنكي : وهو من كبار الشجعان الذين قاوموا الإفرنج في الشام. ت 1146/541 (الأعلام 50/3).

(2)زيادة للرّبط.(3)جنوب تركيا على نهر دجلة.(4) في الأصل : كيفيّة. (5) في الأصل : أميد.

(6)أي في حجم ذراع.(7)أي في حجم إصبع.(8)أي في حجم شبر.(9)في الأصل : ستّين.

(10)في الأصل : فيه.(11)زيادة للرّبط.(12) في الأصل: الثّمانين.(13)جمع محْراب.

(14)جمع جبّ.(15)في الأصل : مريض .(16)يشير المؤلّف إلى تفرّد الجبل بهذه الرّائحة الطيّبة.

(17)جنس أشجار من فصيلة البُطْميّات، مهده الأصلي منطقة المتوسّط تستعمل بذوره تابلا وأوراقه دباغا. وقد يعالج بثماره.

(18)أي من يشعر بالحرارة.(19)أي مبرّد.(20)أي بتمام هذا الكلام ينتهي وصف بلاد ديار بكر.

[في بلاد الترك]

ثمّ نذكر ملك الشمال، ملك مدينة قسطنطينيّة الشمال مدينة وَلَد نوح [هو](1) يافث بن نوح عليه السّلام، ملوكها الترك [و](2) فلاحوها(3) اليونان وهم الأفرقة(4) تحت ذمّة المسلمين من ملوك التّرك، ملوك بني عثمان(5) ، أمّهم من نساء خلفاء [بني](6) العباس : [هناك](7) رجل من خلفاء [بني العباس](8) تزوّج **[236و]** امرأة من التّرك اسمها مرادة، وملوك بني عثمان ينسبون إليها. ولذلك سمّوا هذا الملك في هذا الزّمان السلطان مراد [وهو](9) ملك عظيم يركبه في مائة ألف فارس، قهر ملوك اليونان وأخذ منهم ملك القسطنطينيّة(10) العظمى(11) ، وبلادها كلّها أخذها بالسّيف والقوّة والقهر حتى دخل(12) تحت الذمّة ملوكهم ورعيّتهم، جميع قسطنطينيّة وطاعتها كلّها في حكم الإسلام، يعطون(13) الجزية عن يد وهم صاغرون.

قال ابن الصبّاح: جاورت بلاد مُلك بني عثمان ومُلك القسطنطينيّة أربع سنين في مدرسة السلطان مراد، نأكل لحم الكبْش كلّ يوم مرّتين، وكسبت فيها **[236ظ]** ثيابا وكتبا ودراهم حتّى عييت. اعلم أنّ الإنسان يَعْيا من الخير كما يعيا من الشرّ. فقعدت في هذه المدرسة أربع سنين، وجزت إلى بلاد قسطنطينيّة العظمى(14) وقعدت فيها خمسة عشر يوما : سكانها يونان إفريف(15) وملكها من ذريّة الملك قسطنطين بن

(1)زيادة للرّبط.(2)زيادة للرّبط.(3)في الأصل : فلاّحيها.(4)تعريب لكلمة Grec.

(5)في الأصل : الملك بن عثمان.(6)زيادة للتّوضيح .(7)زيادة للرّبط والتّوضيح.(8)زيادة للتّوضيح .

(9)زيادة للرّبط والتّوضيح .(10)في الأصل : قسطنطينيّة.

(11)ليس المقصود الاستيلاء على مدينة القسطنطينيّة أي اسطنبول لأن الأتراك استولوا على القسطنطينية 1453/857، ومراد هذا هو مراد الأوّل حكم إلى سنة 1389/792. وفاتح القسطنطينيّة هو محمد II الفاتح (حكم من 855/ 1451 إلى 1481/886).

(12)في الأصل : دخلوا.(13)في الأصل : يعطوا.(14) في الأصل : الغزّى.(15)تعريب لكلمة ڤريف Grec

الملك هرقل قيصر الشّام(1) . أعطى أخته إلى الملك الغازي أورخان(2) والد السلطان مراد(3). واشترك مع هذه الهرقليّة في إنجاب السّلطان مراد وإبراهيم وسليمان وخليل(4) أولاد أخت (5) ملك القسطنطينيّة من ذريّة قسطنطين بن الملك هرقل.

وذريّة السلطان مراد(6) هم اليوم ملوك [237و] البلاد، وخَلُّوا ذلك الملك التّكفور الهرقلي يحكم على مدينة قسطنطينيّة لكونه دخل تحت حرمة أولاد أخته ولكن يؤدّي الجزية إلى أولاد أخته هو وبلاده(7) .

مدينة قسطنطينيّة مدينة دورها على ثلاثة وجوه، مثلّثة البناء. «مدينة قسطنطينيّة على آخر واسع بحر الرّوم هذا منها خليج إلى ملك شروان. ويقطع هذا البحر ويقوم أمامه البحر، هي الدّورة ترجع تلك البلاد تسقي هذا البحر»(8) . القسطنطينيّة دورة سورها ثمانية عشر ميلا. لكن اليوم الغالب عليها خراب، إلاّ بقيّة بساتين وكرم وعنب ورمّان «ماء فيها مشرب إلاّ [237ظ] من الأمان»(9).

ولا يشرب المسافر الماء حتّى يشتري من أهل الحوانيت الذين يبعيون(10) في الأسواق شيئا من الخبز والفواكه وحينئذ يعطونه(11) الماء. سخط الله عليها بالكفر(12). جعل فيها السّلطان مراد قاضيا مسلما(13) يفصل بين اليونان وتجّار المسلمين لأنها مدينة للتّجارة كبيرة(14) «من البريز ومخطر إلى البريز»(15) . فيها ألف تاجر من جميع

(1)قبل الفتح الإسلامي .

(2)في الأصل : ورخان : وهو ابن عثمان مؤسس دولة العثمانيّين الأتراك حكم (727 / 1326/- 761 / 1359).

(3)المقصود مراد الأوّل ثالث سلاطين بني عثمان (حكم 761/ 1359 - 1389/792.)

(4)هذه أسامي سلاطين بني عثمان في أزمنة مختلفة إلا خليل إذ لا نجد في سلالة بني عثمان – وهم 36 سلطانا – هذا الإسم.

(5) في الأصل : أولاد خالة.(6)المقصود هو مراد الأوّل.

(7)يقصد أن ملك القسطنطينيّة الذي أعطى أخته إلى السلطان العثماني أورخان كان يعطي الجزية لأبناء أورخان أي إلى أبناء أخته.

(8)محاولة المؤلّف وصف القسطنطينيّة لم تؤدِّ إلاّ إلى غموض. والمقصود أنّ هذه المدينة مقسومة بمضيق الدّردنيل: جزؤها الشمالي في أروبا وجزؤها الجنوبي في آسيا وهي مفتوحة على البحر الأسود من الشرق وعلى بحر مرمرة من الغرب، وهو بحر متصل بالبحر الأبيض المتوسّط.

(9) جملة لا تخلو من غموض رغم وضوح الخطّ.(10)في الأصل : يبيعوا.(11)في الأصل : يعطيه.

(12)أي من سخط الله عليهم أن جعلهم كفارًا.(13)في الأصل : قاضي مسلم.

(14)في الأصل : مدينة تجّار كبير.(15) انظر ت 9.

الطّوائف عرب وعجم، وفيها قبر أبي أيّوب الأنصاري[1] وفتحها عبد الملك بن مروان بالغزو[2].

قال المؤلّف رحمه الله : قصدت مدينة قسطنطينيّة بعد أن ذُكرت لي أثواب النّبوءة [على][3] أنّها في كنيسة[4] من كنائس قسطنطينيّة، **[238و]** فأتيت قاصدًا لذلك حتّى أرى أحقّ هو أم لا؟ فأتيت من الشام مع قوافل التجار حتّى دخلت في بحر رأس الخليج إذ هي على رأس الخليج[5] : مدينة كبيرة دَوْرُها[6] ثمانية عشر ميلا، مثلّثة: وجهان في البحر، ووجه في برّ الأندلس[7] فسألْت عن الحَوائج نصارى الشام فقال لي رجل مستعرب[8] هي في آيا صوفيا[9] الكنيسة الكبيرة ولكن ما يُعْطُوا مسلما يدخل[10] ، فقلت يا عيسى إذ[11] كان اسمه كذلك : ادخلني أنت يا عيسى ، فقال لا أقدر يدْرُوا خَبَري[12] النّصارى ويمنعوني من الدّخول، فتحيّلت أنا ودخلت في صفة سريان أهل الشّام **[238ظ]** حتّى توسطتُ في الكنيسة، وإذا بالحوائج معلّقة في سمك القبّة في سلسلة من حديد. وحقّقت فيها النّظر وإذا أثواب بيض وعصى مقدار ذراعين في الطّول وآنية مثل كشكول من نحاس أو هو خشب[13] ، وعليها ثوب حرير أحمر. وإذا بالنّصراني قد جاء، فقلت له : يا عيسى : آش هذه الأثواب البيض فقال : ذلك قميص يوسف ورداء مريم وثوب هارون، فقلت والعصى والآنية؟ فقال : العصا: عكّاز عيسى وآنيته التي كان يأكل فيها البسيس[14] في السّياحة[15] ، ثمّ عاودتُ مرّة أخرى تحقيق[16] النّظر حتّى فطن بي صاحب الكنيسة، وقال لهم : اخرجوا **[239و]** هذا إنّه

---

(1)هو خالد بن زيد صحابي، شارك في غزو القسطنطينيّة في خلافة معاوية، دفن في أصل حصن القسطنطينيّة سنة 52/ 672 (الأعلام 2 ص 295).

(2) فتح القسطنطينيّة تمّ في عهد الأتراك كما ذكرنا ولكن هناك عديد المحاولات لفتحها قبل ذلك.

(3)زيادة للتّوضيح. (4) المقصود كنيسة «آيا صوفيا».

(5)يقصد مضيق الدّردنال وعلى ضفّتيه توجد اسطنبول أي القسطنطينيّة.(6)أي محيطها.

(7)أي تفتح على البحر من جهتين ومن الجهة الثالثة متصلة بأروبا وهي القارة التي تنتمي إليها الأندلس.

(8)في الأصل : مستعربي.(9)في الأصل : أصوفيه.(10)أي لا يسمحون بدخول المسلم.

(11)في الأصل : إن.(12)أي يعرف النصارى الحقيقة.(13) في الأصل : خشاب.(14)هي البسيسة.

(15)أي عند تجواله مبشّرا بالدّين الجديد.(16)في الأصل : تحقق.

سَرَزِينْ يعني(1) [أنّه](2) مسلم، فقالوا له : ما الذي أعلمك به أنّه سَرَزِينْ قال : رأيته مشتغلا ينظر الأثواب والحوائج النبويّة ومشتغلا بصور الأصنام، فعلمت أنّه سَرَزِينْ يعني [أنّه](3) مسلم، فقاموا إليّ يبحثوني(4) في الدّين بلسان الإفرنج وكان [هناك](5) أناس إفرنج جنويّين فكلّموني، فقلت لهم : آمنت بعيسى وبما أنزل الله عليه من كتاب، وأنّ عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأنّ مريم عذراء من قبل حمل عيسى ومن بعد ولادته، ودارت على أناس اليونان فحموها ، فقال لهم النصراني الجنوي : هذا رحل من أرض القطلان **[239ظ]** ولسانه قطلاني(6)، وقال في عيسى: كيت وكيت، وفي أمّه كذلك، وإنّما نظره في الحوائج محبّة في الأنبياء وحوائج البركة. فقال الرّاهب : وحقِّ دين النّصرانيّة إنّ هذا الرّجل سَرَزِينْ، هو مسلم أُخرجوه. فلما رأيتهم كثر بينهم الكلام خرجت إلى ناحية فيها(7) قسطنطين بن الملك هرقل مجعول في صورة من نحاس هو وفرسه. مرفوع في رأس عمود من أحجار الرّخام حجر على حجر، وفي وسطها خشبة(8) من حديد. ورفعوه هو وفرسه في قالب تلك الصّورة: صورة على مثله وقدر جسده وصورة على مثل فرسه وجعلوهما(9) في قالب صورة من النّحاس الصّيني وهو راكب على **[240و]** فرسه في الهوى وعلى رأسه تاج من نحاس، قد اخضرّ من طول الزّمان ويده الشمال ممدودة واليمين مرفوعة، ووجهه إلى طلوع الشّمس، فقلت لبعض نصارى(10) الشام ما به حتّى كانت يده الشمال ممدودة واليمين مرفوعة، قالوا : إنّه ملك الأرض في كفّه كذا(11) ، وخرج منها كذا(12)، [كأنّه يقول](13) ما أخذت من متاع الدّنيا شيئا.

قال المؤلّف رحمه الله : مدينة قسطنطينيّة اليوم تحت ذمّة الملك العثماني، عسكره مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ويعطونه الجزية(14) وله خمسون ألف سلاح، وله خمسة آلاف كلب يطلقها على العدوّ إذا التفوا بالعدوّ فتهزمهم(15) . **[240ظ]** قبل وصول جيش الإسلام إلى العدوّ.

(1)في الأصل : شرّبيّن.(2)زيادة للتّوضيح والرّبط.(3)زيادة للتّوضيح والرّبط.(4)أي يحاورونني.
(5)زيادة للتّوضيح.(6) في الأصل: الفضلاني ولسانه فضلاني.(7)في الأصل : هو فيها.(8)يقصد قضيبا.
(9)في الأصل : وجعلوهم.(10)في الأصل : نصارة.(11)أي رُمز إلى ذلك بيده الشمال الممدودة.
(12)أي رمز إلى ذلك بيده اليمنى المرفوعة.(13)زيادة للتّوضيح.(14)يقصد سكّان القسطنطينيّة قبل سقوطها.
(15)هذا يدلّ على أنّ استعمال الكلاب لمواجهة العدوّ عادة من عادات الأتراك.

ملك بنو عثمان ملكا عظيما قائما بنفسه كثير الخصب والرّخاء كثير الفواكه والجبال والوديان(1) ، والسّهل والوعر : كلّه أشجار تفّاح وهلاليح(2) أكحل وأبيض وأحمر، وقسطل وجلّوز(3) . أهل الجبال يجمعون الكمثري والتفّاح والهلاليج وينشرونه للشّمس حتّى ييبس، ويخزنونه(4) للشتاء. تدخل بيت التركي الفلاّح وهو يِسَكّر(5) من رائحة التفّاح.

علامة (6) الترك واليونان: الترك بعلامة الإسلام طرطور(7) أحمر(8) واليونان بطوطور أبيض علامة أنّه ذِمّي. بلاد بني(9) عثمان كثيرة الزّوايا(10) والطّعام كلّ حضري(11) بزاوية في داره يرغب [في](12) من يأكل الطعام [عنده](13) **[241و]**. وزاوية السّلطان تطعم غدوّا وعشيّة باللّحم الغنمي. كذلك بلاد الترك كلّها أقوام كرام أهل السنة على مذهب الإمام أبي حنيفة : علماء وقرّاء وفقهاء على خير مُعْربين. كلّ عام حصّة(14) تدخل كلّ عام [مقدارها](15) خمسون(16) ألف فارس بأمين(17) عليها من السّلطان [يختاره](18) من أصحابه، [تدخل](19) بنيّة الجهاد(20) ، في [سبيل](21) الإسلام يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم. [هم](22) أهل صدقات وإيثار وكرم عميم(23) لا ينقطع. وشاهدت في بلادهم حمّامات بالماء السّخون ربّاني(24) يجري على جبال الكبريت : يكون ماء بارد [تارة](25) وماء سخون [تارة أخرى](26) وفناء سخون وآخر بارد(27) ، باللّيل ترى شعاع النّار على جبال الكبريت وبالنّهار الدّخان. ملك بني عثمان **[241ظ]** مسيرة شهرين كلّه عمارة : ترك، ويونان فلاّحون تحت الذّمة يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون. أربع وعشرون تكفوري من أمراء

(1)في الأصل : الويدان جمع واد بالدّارجة.
(2)قد تكون تسمية بالدّارجة للتين لأنه يكون أكحل وأبيض وأحمر.(3)نطق بالدّارجة للّوز.
(4)في الأصل يخزنوه.(5)أي أنّ رائحة المنزل لكثرة خزن التفّاح فيه تنعش.(6)في الأصل : عمارة.
(7)أي القلنسوّة.(8)في الأصل: من اليد الأحمر. ولعلّها من : الجلد الأحمر.(9)في الأصل : ابن.
10)في الأصل : الزّوايات.(11)مقابل لكلمة بدوي.(12)زيادة للتركيب.(13)زيادة للتّوضيح.
(14)أي فرقة من الجيش.(15)إضافة للتّوضيح.(16)في الأصل : خمسين.(17)بمعنى قائد.
(18) زيادة للتّوضيح. (19)زيادة للتّوضيح والرّبط.(20)في الأصل : نيّة المجتهدين.(21)زيادة للرّبط والتّوضيح.
(22)زيادة للرّبط.(23)في الأصل : كم.(24)في الأصل : زيّاني.(25)زيادة للتّوضيح.(26)زيادة للتّوضيح.
(27)عادة ما يكون في الحمّام غرفة سخنة وأخرى باردة.

اليونان الإڤريف يعطون الجزية كلّ عام : [يقدّمون](1) كلّ عام أربعة وعشرين ألفا فارس للملك ابن عثمان، وقسطنطينيّة تعطي أربعمائة فارس [وهي مدينة](2) خال السلطان مراد(3)، وبيزا(4) مدينة الجنويّين تعطى مائة فارس للسلطان مراد العثماني، [و](5) تحكم في برّ الأندلس(6) [وهو](7) مسيرة شهرين، وفي برّ الشام [وهو](8) مسيرة شهر.

قال المؤلّف رحمه الله : مدينة فلسطين(9) إلى سدّ ذي القرنين إلى تحت خطّ القطب إلى القسطنطينيّة الكبرى إلى الشّام. هي إقليم وهو الصّقع الصغير من الأقاليم لأنّ ياجوج وماجوج **[242و]** أخذوا منه ثمانين مدينة وهو الإقليم الرّابع(10).

قال المؤلّف : مِنْ مُلك بني عثمان إلى ملك شروان(11) إلى بلاد العزيز(12) وبلاد السّرا(13) وبلاد ملك خاقان بن طغطامس(14) ، وهو يركب(15) في مائة ألف فارس كلّهم من التّرك على مذهب أبي حنيفة، وملك بلاد خطّ القطب تسمّى بلاد الخطا(16) .. أقوام ترك وجوههم وجميع أجسامهم بيض مثل الكاغذ من قلّة الشمس لا تصل لهم إلاّ في وقت العنصرة(17) على خطّ الاستواء، أقوام مِلاح الأجسام، غالب صناعتهم الرّقم بالحرير للصّنائع المرقومة، ومن ورائهم مدائن بالق(18) ، في مدينة واحدة، فيها سبع سلاطين من رجل واحد، تسمّى **[242ظ]** أرض بالق ممّا يلي سدّ

(1)زيادة للرّبط والتّوضيح.(2)زيادة للرّبط والتّوضيح.

(3)لأنّ أورخان والد مراد تزوّج أخت ملك القسطنطينيّة.(4)في الأصل : بزه.(5)زيادة للرّبط.

(6) ما جاء في هذه الجملة وقبلها يعكس المستوى الثّقافي للمؤلّف.(7)زيادة للرّبط.(8)زيادة للرّبط.

(9)هناك بلاد اسمها فلسطين ولا نعرف مدينة بهذا الإسم.

(10)يخلط المؤلّف بين حقائق جغرافيّة وأساطير شعبيّة.(11)نرجّح أنّ المقصود بلاد فارس.

(12)نرجّح أن المقصود مصر.

(13)في الأصل : بلاد السّراية وفي خريطة تركيا هناك مدينة سراي تقع في القسم الأوروبّي لتركيا في شمال غربيّ اسطنبول. أما بلاد السّرا فقد ذكرها ابن لطوطة في رحلته وقصد بها أواسط قارة آسيا شمال الصّين.

(14)لم نتمكّن من معرفته ولعلّه أحد الملوك في آسيا الوسطى من المسلمين وذكر المؤلّف اسمه محرّفا.

(15)أي يقود.(16) في الأصل: الخلطي. وقد ذكرها ابن بطوطة في رحلته مع بلاد السّرا.

(17) يوم عيد لليهود والنّصارى.

(18)هناك : خان بالق أي مدينة الخان وهو اسم أطلقه المغول وغيرهم على مدينة بكين (المنجد في اللّغة والأعلام ص 202).

ذي القرنين الذي على آخر هذا البحر بحر الرّوم. تقوم الأرض عليه عالية وتأكله(1)، ويفرغ(2) في ملك [أنو]شروان. وجبال خراسان آخرها جبل أزرق في ملك خوارزم(3)، وهي مدينة العلماء منها الفقيه الخوارزمي(4) ، ومن ملك خوارزم ملك مدائن بلخ(5)، وسيحون هو النّهر المسماة(6) بلاده [بلاد ما](7) وراء النّهر. على سيحون مدينة بلخ ومدائن سمرقند(8) وبخارى. وملك السّند كلّه من وادي النّهر المذكور هو مُلك السّلطان محمود بن طاوس مَلِك سمرقند وبخارى(9) ، يركب(10) ثمانية عساكر(11) : كلّ عسكر من مائة ألف فارس. الجملة ثمانمائة ألف فارس دون ما يتبع(12) الجيوش من **[243و]** السّياس(13) والخدّام، وخدّام آلات العساكر.

الملك محمود بن طاوس ملك عظيم(14) ، هو وقومه على السّنّة ومذهب أبي حنيفة الإمام [هو](15) أبو حنيفة السّمعاني الكوفي. بلاد سمرقند وبخاري بلاد العلم. الغالب على علمائهم علم التّوحيد والحقيقة(16) لا يطيق معهم(17) أحد في علم الحقيقة. شيوخ مُفتون(18) على أربع مذاهب. ملك هذا السلطان محود بن طاوس في السّند. [من ما](19) وراء النّهر إلى ملوك الفرس إلى ملك الهند إلى ما يلي الصّين الأقصى، مسيرة ثمانية أشهر، وفيها جميع المجوس من عباد النّار وعبّاد الشّمس وعباد القمر وعبّاد الظلمة وعباد فلق **[243ظ]** الصبح وعباد الحيّة وعبّاد الرّيح وعباد الدّراري السّبعة(20) وعباد البروج الاثني عشر وعبّاد طرق السّماء والبيض أسباب السّماء: سمّيت الأسباب، لأنها أبواب السّماء منها تطلع الأسباب ومنها تنزل الأسباب وعبّاد السّماء وكلّ المجوسيّة على كلّ ملّة وعلى أيّ ملّة كانوا كلّهم تحت ذمّة السلطان

(1)تدخل فيه.(2)أي ينتهي.(3)في الأصل خرزام.
(4)لعلّه أبو عبد الله محمد الخوارزمي مؤلّف «مفاتيح العلوم».
(5)مدينة ذات شأن في القرون الوسطى تقع في أفغانستان وكانت عاصمة لمقاطعة خراسان (المنجد في اللّغة والأعلام ص 100).
(6)في الأصل : المسمّى.(7)زيادة للتّوضيح.(8)مدينة في جنوب روسيا قريبة من الحدود الأفغانية.
(9)مدينة في جنوب روسيا في أوزباكستان.(10)أي يقود.(11)أي فرقة.(12)عبارة من الدّارجة أي وما يتبعها.
(13)من ساس الدّواب : راضها، وتجمع على سوّاس لا على سيّاس.(14)في الأصل : ملكا عظيما.
(15)زيادة للرّبط.(16)ومنها : الحقّ وهو الله.(17)أي لا يضاهيهم. (من العاميّة).(18)في الأصل مفتين.
(19)زيادة للتّوضيح.(20) الدّراري : الكواكب المضيئة ومنها الكوكب الدّرّي أي المضيء.

محمود يُعطون الجزية عن يد وهم صاغرون. وكلّ واحد منهم يُدعى عند المناداة باسم الملّة التي هو عليها أو ياسم ما يعبد من شمس أو قمر أو نجوم[1] .

قال المؤلّف رحمه الله : سئل ابن عبّاس عن **[244و]** الملل فقال: الذين آمنوا والذين هادوا والصّابئة[2] والنّصارى والمجوس. والذين أشركوا [و]كلّ الملل تحت القهر والمذلّة. ينادون أهل الإسلام : يا محمّدي [أو] بالمحمّديّة إذا نادوا بالجمع. وهم ينادون بعضهم بعضا بما يَعْبد كَمَا ذكرنا. وعند هذا السّلطان محمود بن طاوس من جميع الطّوائف يخدمون[3] في الحصّة[4] مادام يدور في البلاد بغير راتب. ورواتبهم من أسباب تأتي وراءهم حيث كانوا في خدمة السّلطان[5].

هذا السّلطان محمد بن طاوس[6][من مدنه][7] سمرقند وبخاري. إذا سافر بالشتاء[8]عنده لكلّ عسكر[9] أربعين جامعًا بالخشب ملبّسة كالشقّة**[244ظ]** المشمّعة[10]. مذهبهم حنفي يؤذّن لكلّ ساعة من ليل أو نهار: يؤذّن[11] أربعا ويقيم[12] مرّتين. هذا مذهبهم أين ما كانوا من البلاد [وهو] مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان[13] الكوفي، ولا تجد في طائفة التّرك خارجيًّا أبدًا، فكلّهم[14] سنّيون حيثما كانوا من أرض الله تعالى ويسمّون الله «أثْغَرِي» بلغتهم : وبالعربيّة مع همزة استفهام يعني : الله يرى. وإذا فعل به [أحدهم] ما لا يطيقه يقول أيضا : أثْغَرِي[15] .

---

(1) في الأصل : جملة مضطربة، حاولنا تقويمها بالعربيّة الفصحى. (2)في الأصل : الصّابئين.

(3)في الأصل : يخدموا. (4)الحصّة أي الفرقة من العسكر.

(5) الجملة لا تخلو من غموض، ولعلّه يقصد أن رَواتبهم تأتي بعد رجوع السّلطان إلى البلاد باعتبارهم جنودًا قارّين.

(6) كرّر هذا الاسم عدّة مرّات ونرجّح أنّه يقصد محمود الغزنوي.(7)زيادة للتّوضيح.

(8)أي في الشتاء.(9)أي فرقة.(10)من شدّة البرد يغلّفون بيوتهم ومساجدهم بالخشب.

(11)في الأصل : يُأذّن.(12)المقصود إقامة الصّلاة.(13)في الأصل : النّعماني.(14)في الأصل : ألا كلّهم.

(15) أي أنّ التركي يقول لمن يظلمه: «أثْغِري» أي أنّ الله يرى ظلمك لي.

[في بلاد الفرس]

قال المؤلّف رحمه الله: فرعنا من ملوك الترك وبلادهم : نذكر ملوك الفرس وبلادهم عراق العجم. أوّل مدائن ملكهم[1] شيراز، [و][2] مدينة **[245و]** شيراز مدينة فيها اثنا عشر ألف حانوت تغرم للسلطان بالكراء[3]. [هي][4] مدينة[5] على شاطئ البحر : بحر الهند إلى عراق العرب[6] ، مدينة[7] كلّهم يتكلّمون بالفارسيّة : ملوكهم خمسة ملوك : ملك شيراز وملك خراسان وملك كيلان وملك إصفهان وملك شروان. بلاد الفرس كلّها جبال باردة تيبّس الأنف وتقرض اليدين والرّجلين. إذا أخذ الثلج الرّجل في غير البلد بغير مأوى يبطله الثلج والبرد[8] . [هي][9] بلاد زمهرير بالشتاء واعرة للسّكنى[10] . وأمّا في الصّيف [ف][11] طيبة الهواء. [وهم][12] أقوام أصحاب فراسة وعلم وفطانة وحفظ وصناعة وغِنًى[13] وعافية وأموال لا تنحصر، وبلاد فرجة وأعواد وأوتار **[245ظ]** ودنيا[14] وكَسوات[15] وأثواب وخزّ وحرير ويسجدون بعضهم لبعض ، وهو عندهم رفعة وعادة حسنة[16] ، ولكن فيهم البدع كثيرة ، غير أنّهم يزعمون أنّهم على مذهب الإمام الشّافعي، العلماء منهم والفقهاء كلّهم شوافع وجميع الفرس أين ما كانوا شوافع بلا خلاف ولكن فيهم الرّفض[17] كثير لرفضهم للصحابة

---

(1)في الأصل : ملك مدائن.(2)إضافة للرّبط.(3)في الأصل : الكرا.(4)زيادة للرّبط.

(5)كلمة «مدينة» يستعملها بمعنى «بلاد».

(6)يشير إلى سواحل بلاد فارس من الجنوب : البحر الهندي إلى شط العرب في الشّمال.

(7)أي بلاد.(8)إذا نزل الثّلج وكان المرء خارج البلد ولم يجد مأوى شلّت أطرافه ومات من شدّة البرد.

(9)زيادة للرّبط.(10)أي السّكنى فيها أمر صعب.(11)زيادة للرّبط.(12)زيادة للرّبط.(13)في الأصل : غنا.

(14)صاحب دنيا : أي ممتلكات.(15)جمع كسوة أي بُدلة.

(16)عادة الانحناء للتّسليم موجودة في آسيا وخاصّة في الهند، لكن في بلاد فارس غير معروفة إلاّ إذا كان المؤلّف يقصد ببلاد فارس إيران والبلدان المجاورة لها شمالا وشرقا.

(17) في الأصل : الرفظ بالظاء ويقصد الشيعة (الرّوافض).

والبغض لهم. ولا تجد قط من هذه الأمّة رافضيا ولا صاحب بدعة إلاّ في أقوام الفرس وفي عرب جبال الشام(1) وأهل كوفة العراق، وفي غير هؤلاء لا(2).

قال المؤلّف رحمه الله : تأوّلت جماعة من أهل التأويل والتّفسير في قوله تعالى : ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(3)، قال ابن عبّاس: [246و] ما من مخلوق في الكائنات إلاّ ويعلم أن له خالقا(4) خلقه حتّى الجوامد(5) تقول بلسان حالها : لنا خالق خلقنا وزيّننا، خالق أوجدنا ويعدمنا ويوجدنا، لا إله إلاّ هو، الأوّل والآخر والظّاهر والباطن وهو بكلّ شيء عليم، يعلم جميع اللّغات من جميع المخلوقات، وكيف لا؟ وهي بأمره وفي علمه. ألا يعلم من خلق وهو اللّطيف الخبير؟ سبحانه ما أعظم شأنه!

قال المؤلّف رحمه الله : اعتبرت لغات الطّوائف(6) من عرب وعجم فرأيت كلّ واحد يدعو(7) الله بأي لغة كانت، لا يدعو إلاّ الله سبحانه حتّى المجوس كلّهم حيث كانوا من أرض الله يدعون [246ظ] الله تعالى بلغاتهم باللّسان(8) السّرياني واللّسان(9) العبراني. ولسان [اللّغة](10) الفارسيّة ولسان [اللّغة](11) العربيّة. هذه الأربعة ألسن(12) منها تفرّعت جميع اللّغات : أوّل من تكلّم باللّسان(13) العبراني، أجراه جبريل على لسان(14)عربيل بن سادوم بن شالخ بن نزار بن فخشد بن سام بن نوح عليه السّلام. والذي أجرى السّريانية(15) جبريل عليه السّلام على لسان شاخور بن باخور بن يانوش ابن سام بن نوح عليه السّلام. وقيل السّريانيّة هي الفارسيّة ومنها تفرّعت البربريّة وقد قيل من العبرانيّة. وأمّا الذي أجرى جبريل الحبشيّة على لسانه وهي «الجناويّة» فهو(16) لسان فحلش بن داود بن بهاش بن فرعان بن كوش بن حام [247و] بن نوح عليه السّلام . وقد قيل : إنّ القناويّة والحبشيّة والجناويّة ممزوجة بعضها من بعض، أصلها

(1)يشير إلى جبل لبنان وفيه الدّروز من الشيعة المتطرّفة.
(2)أي في غير هذه المواضع لا يوجد الرّوافض ولا أهل البدع.
(3)أضاف المؤلّف خطأ كلمة «اثنين» وهي غير موجودة في الآية.51 ك. الذّاريات، الآية 49.
(4)في الأصل : خالق.(5)أي الجماد.(6)أي الأمم.(7)في الأصل يدْعُ.(8)في الأصل : بلسان.
(9)في الأصل : بلسان.(10)زيادة للتّوضيح.(11)زيادة للتّوضيح.(12)في الأصل : الأربعة السّتة.
(13)في الأصل : لسان.(14)في الأصل : لسان.(15)في الأصل : للسّريانيّة.(16)في الأصل : أي.

لسان الحبشيّة ، فمن هذه الأربعة ألسن تفرّعت جميع اللّغات التي هي الأصول(1) التي أنزل الله بها(2) الكتب(3) . والعربيّة سيّدة الكلام لقوله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾(4) .

قال المؤلّف رحمه الله : أقوام اليونان يدعون الله ويقولون «أَغْيوث» أي غائث المستغيثين، وطائفة الأرْمن يدعون ويقولون «أشفاس» أي ما أراد يفعَل، وطائفة اليهود يدعون فيقولون «أضوناي» أي نور النّور، وطائفة الروم **[247ظ]** الإفرنج يقولون أدوش، أي مؤيّد، والترك يدعون ويقولون «أتَرْغري»(5) أي الله يرَى، والفرس يدعون ويقولون : «أخْذ» أي يأخذ الظّالم. والله تعالى يقول : ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾(6) ، والبرابر يدعون ويقولون : « أجْليدَ» أي جيّد(7) وجواد، وسلطان السّلاطين(8) .

قال المؤلّف رحمه الله : أقوام الفرس قوْم سلمان الفارسي رضي الله عنه، جعله عُمر خليفةً في بلاد الفرس لمّا كان على لسانهم جعله نائبا عنه في عراق العجم. والحبشة والسّودان يدعون [الله](9) «ماسكا» أي هو ممسك كلّ شيء : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولاَ﴾ (10).

قال المؤلّف رحمه الله : قبر سلمان في مدائن **[248و]** كسرى ممّا يلي الإيوان، وإيوان كسرى هو الذي انشقّ ليلة مولد رسول الله صلى الله علين وسلم، وانطفأت نار فارس بعد أن كانت توقد [منذ](11) ألف عام.

قال المؤلّف : كان ملوك الفرس من عباد النّار، وملوك كسرى أنو شروان عباد النّار والشمس، قال المؤلّف رحمه الله : اختصرنا [الكلام عن](12) بلاد فارس، لقلّة(13) محبّتهم في الغريب، ومع رفضهم للصحابة. بلادهم كثيرة الأموال، قليلة الصّدقات والمعروف، يعرفون بهذه القسوة(14) لأنّ المسافرين الغالب [يأتون] من

(1)في الأصل : أصول.(2)في الأصل : في.(3)أي الكتب المقدّسة.(4) 30 ك. الرّوم، الآية 22.
(5) نسي المؤلّف (أنّه ضبطها سابقا بالكيفيّة التّالية «أَتْغَري» (انظر ص225 . (6) 11 ك. هود، الآية 102.
(7) في الأصل : أجيد.(8)في الأصل : السلطان.(9) زيادة للتّوضيح.(10) 35 ك. فاطر، الآية 41.
(11)زيادة للتّوضيح.(12)زيادة للتّوضيح.(13)في الأصل : مع قلّة.(14) في الأصل : يدعون لهذه القسوة.

بلاد يحبّون الصحابة(1) ، وهم يحبّون بعضا ويبغضون بعضا، ولذلك قست قلوبهم على الغريب والمسافرين، إذْ هم على غير مذهبهم. البدع(2) [عندهم](3) **[248ظ]** كثيرة : منهم طائفة يحلقون لحاهم وحواجبهم ويتركون شواربهم، ومنهم [مَن](4) يحلقون الجميع مثل طائفة القرندل(5) وطائفة الحيدرية(6) ، وطوائف شتّى مبتدعون(7) من أقوام الفرس، وطائفة لا يقصّون شواربهم إذا شرب الماء أو الطعام الجاري يشربونه بقنوط(8) . وأهل ملك كيلان وأهل إصبهان يأكلون قدّيد الحيّة [و](9) هي عندهم كالسّلباخ(10) [التي](11) نزلت إلى أرضهم كرامة في قصّة الحيّة التي نزلت من الجنّة. وعبّاد النّار يعبدون النّار لمّا نجا منها إبراهيم الخليل محبّة في الخليل. وعبّاد الشّمس [يعبدونها](12) محبّة أقوى لأنّها أشدّ ضوءا وأعظم سلطان في **[249و]** السّماء وبها تصلح الأشياء. وأهل عبّاد الظّلمة [يعبدونها](13) لأنّها حجاب من جميع الفحشاء ويسكن فيها جميع الأشياء، وأهل عبّاد النجوم [يعبدونها](14) لأنّها يَقتدي بها أهل الأرض في البرّ والبحر، وعبّاد السّماء [يعبدونها](15) لأنّ منها ينزل الماء(16) . وكلّ ﴿زَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾(17) . ولهم عقول وأيُّ عقول ! ولكن أضلّهم الله بعدله، وكذلك طائفة الصّابئة في بلاد الحُويزة(18) ممّا يلي بلاد الفرَس يحرقون الميّت قبل دخوله القبر ويقولون : هذا أشدّ من عذاب النّار. وكانوا قبل أن يُحْكَمُوا بشريعة الإسلام(19) يدفنون المرأة مع الرّجل إذا مات، [و](20) يقولون: [إنّها](21) امرأته في الدّنيا والآخرة **[249ظ]**، وهؤلاء [هم](22) طائفة الصابئين(23) الذين ذكرهم(24) الله في كتابه، الصابئة(25) والصَّابئون(26) هم طائفة واحدة. والله

---

(1)المقصود :أهل السّنة.(2)في الأصل : البدائع.(3)زيادة للتّوضيح.(4)زيادة للتّركيب.

(5)القرندليّة : أتباع الصوفي جمال الدّين السّاوي : (انظر رحلة ابن بطوطة I / 18-17).

(6)في الأصل:الخيذريّة : وهم طائفة ، قيل إنهم لا يتأثرون بالنّار (انظر رحلة ابن بطوطة I/ 115).

(7)من ابتدع أي أحدث بدعة.(8)عود أجوف يشرب به.(9)زيادة للرّبط.

(10)في الأصل : لما نزلت السلباح، والسلباخ : الأنفليس : حنش البحر وبالفرنسيّة Anguille.

(11)زيادة للتّركيب.(12)زيادة للتّوضيح.(13)زيادة للتّوضيح.(14)زيادة للتّوضيح.(15)زيادة للتّوضيح.

(16)في الأصل : أنّها ينزل منها الماء.(17) 27 ك. النّمل، الآية 24.(18) مركز الصّابئة بجنوب العراق.

(19)في الأصل : قبل أن حكمت عليهم الإسلام.(20)زيادة للرّبط.(21)زيادة للتّركيب.(22)زيادة للتركيب.

(23)في الأصل : الصّابون.(24)في الأصل : ذكر.(25)في الأصل : الصّابين والصّابون.(26)زيادة للتّوضيح.

عزّ وجلّ بفضله هدى أهل التّوحيد والحمد لله على دين الإسلام وعقيدة التّوحيد والإيمان. يقول : [تعالى] ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾(1).

قال المؤلّف : ما كان لنا أن نذكر(2) هذه الطّوائف، ولكن حملنا على ذلك احتراق القلب وغيرة على الدّين حتّى لا يلتبس(3) [أمرهم](4) على أهل السنّة وأهل المذاهب الأربعة. ذكرتهم حتّى يُعْرَفوا(5) [وتعرف](6) أفعالهم وبدعهم(7) وخروجهم(8) عن طريق الشّريعة ودين الإسلام اللّهم اهدنا ولا تضلّنا آمين يا ربّ العالمين.

---

(1) 112 ك. الاخلاص، الآيات من 1 إلى 4.(2)في الأصل : نذكروا.(3)في الأصل : لا يلتبسون.
(4)زيادة للتّوضيح.(5)في الأصل : يعرفهم.(6) زيادة للرّبط.(7)في الأصل: بدائعهم.
(8)في الأصل :خوارجهم.

[في بلاد العراق]

[250و] ثمّ ننصرف إلى عراق العرب : بغداد وواسط والبصرة، عراق أهل السّنة والمذهب، قال الرّاوي : [من](1) مدائن عراق العرب مدينة بغداد : دار خلفاء العبّاسيّين، وهم الأئيمة المهتدون، وبنو العمّ الشرفاء(2) رضي الله عنهم أجميعن.

قال المؤلّف رحمه الله : دار العباسيّين ودار خلافتهم تسمّى دار السّلام لمّا طالت فيها الخلافة و[شملت](3) مشارق الأرض ومغاربها [وكانت](4) محتجّة لها بالسّلام على الخلفاء(5) وفصل حوائج النّاس فيها(6). قال المؤلّف : بغداد منظرها(7) بين الشرق والشمال، تكشف على عشرة أيّام(8) لا تجد في أرضها حجرًا بَاشْ تِسْتَنْجَى(9) إلاّ الأجرّ المطبوخ(10) . مسيرة شهر يمين **[251ظ]** وشمال كلّه وَطَا(11) سهل، والجبال بعيدة، دورة سهلها مسيرة شهر .

قال المؤلّف : مُلك العراق، نذكر لك مدائنه المشهورة: الكوفة والبصرة ومدينة واسط [وهي](12) مدينة الحجّاج بن يوسف الثّقفي. ثمّ أحدث بنو العبّاس مدينة بغداد على خلافتهم، أوّل من(13) بنى(14) فيها قصرا عبد الله الصبّاح بناه في جنان دار رجلٍ فارسي اسمه داد، وقيل داود ولكن(15) بلسان فارسي(16) على زمان الجاهليّة، [وهكذا](17) يكون داود [بالفارسيّة](18) دادْ، فبنى القصرَ في جنان الرّجل داد والجنان باللّسان(19) الفارسي بغ فصار تقدير الإسم بغداد أي جنان داد.

(1) زيادة للرّبط.(2) في الأصل : الشريف.(3) زيادة للتّوضيح.(4) زيادة للرّبط.

(5) إشارة إلى دعاء الأئمّة فِي كلّ الأقطار للخليفة العبّاسي.

(6) أي هي المكان الذي تُقْضى فيه حوائج النّاس وخاصّة في القضايا الكبرى الدّينيّة والسّياسيّة.

(7) أي موقعها.(8) أي تُرَى على بعد مسيرة عشرة أيّام منها.

(9) أي للاستنجاء، واستعمل المؤلّف هنا اللّهجة الدّارجة.فبَاشْ تعني : بأيّ شيء.

(10) هنا إشارة إلى صناعة الأجرّ واستعمال النّار في ذلك.(11) وطا (دارجة) : معناها منبسط من الأرض.

(12) زيادة للرّبط.(13) في الأصل : ما.(14) في الأصل : بنا.(15) في الأصل : لاكن.

(16) في الأصل الفارسي.(17) زيادة للرّبط.(18) زيادة للتّوضيح.(19) في الأصل : بلسان.

لمّا جاءت خلافة [بني](1)العباس، [وأرادوا](2) سكنى(3) دمشق **[252و]** الشام، فما طابت(4) بهم قومها من أجل بني أميّة، فجاؤوا الكوفة ليسكنوها فما(5) طابت بهم أهل الكوفة، فنزلوا على شاطئ دجلة نهر الماء، وبنوا على شفير دجلة(6) قصرًا عظيما، وانكبّت(7) عليهم النّاس من كلّ جانب ومكان حتّى كان البنيان من العمائر مسيرة الدّورة ثلاثة أيّام، وبنوها مدينتين اثنتين(8) على حاشية الماء وصنعوا لها جسرين عظيمين بين المدينتين، كلّ جسر منها على ثلاثين قارب(9)، وربطوا القوارب من جهتين بسلاسل من الحديد مغروزة في خشبتين من كلّ ناحية. وركبوا على القوارب، والقارب من خشب النّخل، جعلوا من فَوقها جريد(10) **[252ظ]** النّخل وفوقها التّراب يجوز عليها أربعة فوارس مقرونة(11).

قال المؤلّف : وعلى حواشي هذه الجسور – وأعني القناطر على نهر دجلة – البيّاعون(12) الذين يبيعون الفواكه صفّا من كلّ جهة : ينادون(13) ويعيّطون(14) على كل(15) فاكهة باسمها ومن أيّ موضع هي إن كانت من بغداد، وإلاّ(16) ينادي [المنادي](17) ويقول : حيّا الله الشام. وعلى هذه الجسور موضع يسمّى الرّقة موضع العصريّة، وأعني بالعصريّة موضع الفرجة ترى فيها من جميع ألوان الطعام حتّى اللّحم المشوي على أنواع، والأخباز على أنواع والفواكه على أنواع وعلى حاشية دجلة على شفير الماء عند هذه الفرجة ألف حوض من الحبق **[253و]** على ألوان، والرّيحان، يسقونها بماء دجلة، ترى(18) رجلا عنده عشرة أحواض، شباك القصب عليها، وبين الأحواض مواضع بمقدار(19)أين يرقد رجل(20)، وصاحب الأحواض يحرس(21) ويحفظ حوائج الرّاقد حتّى إلى الصّبح أو ثلث اللّيل أو العتمة [أو](22) أيّ وقت

---

(1)زيادة للتّوضيح.(2)زيادة للتّوضيح.(3)في الأصل : يسكنون.(4)في الأصل : صابت.
(5)في الأصل : ما.(6)في الأصل : الدّجلة.(7)في الأصل : ونكبت.(8)في الأصل : اثنين.
(9)في الأصل : رقاب.(10)في الأصل : جريدًا.(11)انظر وصف هذه الجسور رحلة ابن جبير ص 189.
(12)في الأصل : البيّاعين.(13)في الأصل : ينادوا.(14)في الأصل : يعيطون، وعيّط (دارجة) بمعنى : صاح.
(15)في الأصل : بكلّ.(16) أداة الاستثناء وضعها النّاسخ بعد «كانت».(17)زيادة للتّوضيح.
(18)في الأصل : ترا.(19)في الأصل: قدر.(20)في الأصل : الرّجل.(21) في الأصل : يحرز.(22)زيادة للرّبط.

يِحِبْ حتّى يأخذ راحته، ويعطي لصاحب أحواض الحبق[1] والرّيحان فلسين نحاسًا[2] ويمشي إلى بيته . هذا في أيّام الصّيف والحرور، بعد صلاة العصر كلّ يوم. وفي الرّقّة، موضع الفرجة[3]وهذه الأحواض، و[ألوان][4] الريحيان، والجسر وماء دجلة[5] [هي][6] موضع واحد.

قال المؤلّف رحمه الله : من السّعة حدوده [هكذا] من قلزم بحر الصّين إلى فرات الشّام **[253ظ]** إلى [ما][7] وراء نهر سيحون إلى فلسطين الشمال مدن[8] يافث ولد نوح عليه السّلام[9].

قال المؤلّف : دخلت بغداد أوّل ليلة من رمضان المهظّم وجاورتها وأحوازها ثلاثة أعوام مثل من جاور في الجنة وأهلها. [والآن][10] نصف مدينة بغداد وأهلها: مدينة بغداد ألف محلّة أعني بالمحلّة ألف حارة أو ألف ربط[11]، في كلّ حارة عشرة أرباط بالأسواق فيها دون[12] أسواق المدينة، [وهي][13] بدروب وأبواب لكلّ محلّة. وفي كلّ محلّة مسجد في وجه المحلّة وأخرى في وسطها مسمّاة [بأسماء][14] الرّجال: [مسجد][15] بني فلان وبني فلان كما تقول : بني الصبّاح أو ربض بني الصبّاح أو ربض بني النّجار أو الصبّاغ. كلّ واحد **[254و]** يكسي مسجده وينفق عليه ممّا يحتاج[16]. ومتى صلّى[17] فيه الغريب : إن كان صلاة العشاء فعلى صاحب المسجد وأهل تلك المحلّة عشاؤه[18]، وإن كان في صلاة الصّبح ، على صاحب المسجد فطوره، وإن كان [في][19] صلاة الظهر عليهم غذاء[20] الغريب.

قال المؤلّف : وكذلك في طول شهر رمضان في كلّ مسجد ممّا ذكرناه سماط[21] الطعام. كلّ مسجد يطعم على قدر من [22] يكون في قربه من المحتاجين من فقراء

(1)في الأصل : الحباق.(2)في الأصل : نحاسٌ(3)في الأصل : وإحدى. (4)زيادة للتّوضيح.
(5)في الأصل : والماء الدّجلة.(6)زيادة للرّبط.(7)زيادة للتّوضيح.(8)في الأصل : مدينة.
(9)هذه الفقرة تبدو مقحمة في هذا السّياق.(10)زيادة للرّبط.
(11)يستعمل المؤلّف كلمة « ربط» (دارجة) وكلمة «ربض» (فصيحة).
(12)دون (دارجة) وتعني زيادة على.(13)زيادة للرّبط.(14)زيادة للتّوضيح.(15)زيادة للرّبط.
(16)أي ممّا يحتاجه المسجد.(17)في الأصل : صلاّ.(18)في الأصل : عشاه، وهي من الدّارجة.
(19)زيادة للتّوضيح.(20)في الأصل : غدات.
(21) السّماط ج سُمُط : الشّيء المصطفّ، ما يُبسط ليوضع عليه الطعام.(22)في الأصل : ما.

المساكين الأحرار(1). وأمّا الغريب فما عليه حساب يأكل حيث صلّى المغرب و[له أن يفطر](2) في موضعين وثلاثة إن أراد. قال المؤلّف: وبعد هذا إذا كانت ليلة سبعة وعشرين يعمل صاحب كلّ **[254ظ]** مسجد كواغذ(3) لكلّ من انطعم(4) في مسجده، وينظر [خاصّة إلى](5) أصحاب الحاجة و[كثرة الأولاد](6) من المساكين. ويعمل في كلّ كاغذ من عشرة دراهم إلى مائة درهم على قدر من(7) يُطعم في مسجده ويقف بالباب ويقول: خذ فتوح عيدك يا فلان، هكذا في جميع مساجد بغداد جميع شهر رمضان. وأمّا في سائر الأيّام كلّ يوم اثنين ويوم خميس لا يَقْعُدُ التّاجر في حانوته حتى يجعل تحت بساطه الذي يقعد عليه، حتى يجعل إمّا دراهم(8) وإما فلوس(9) على قدر طاقته، وإمّا صاع من تمر لكلّ من جاء [و](10) طلبه متاع الله(11) يعطيه ولا يردّ السّائل أبدًا إمّا بالقليل وإمّا بالكثير. و[قبل](12) [عيد](13) الفطر ترى زكاة الفطر ألوفَ **[255و]** أقفزة من التّمر للفقراء والمساكين وصدقات وإيثار آناء اللّيل وأطراف النّهار، [إنّهم](14) أهل الدّنيا وهم [أيضا](15) أهل الآخرة. [نعم](16) أهل بغداد أهل الدّنيا والآخرة [معا](17).

قال المؤلّف: والله لقد رأيت في البلاد [التي زرتها](18) أكثر منهم أموالا ولكنّ الخير عادة والبخل عادة. [و](19) أهل بغداد لتّخذوا الصّدقات والإطعام عادة. ولقد سألت النّقيب متاع(20)مدرسة السّلطان(21) عن هذه الصّدقات والإطعام هل هي وقف أو(22)من أملاكهم، فقال: والله يا حاج [إن هي](23) إلاّ من أملاكنا ومن غلالنا نؤثرهم بها(24) على أنفسنا وأولادنا. وهكذا وجدنا هذا المعروف يفعله [من سبقنا](25) و[فعل

(1)لأنّ العبيد واجب إطعامهم على مالكهم.(2)زيادة للتّوضيح.

(3)نطق في الدّارجة بالمغرب وتعني القرطاس.(4)نطق في الدّارجة بمعنى أطعم.(5)زيادة للتّوضيح.

(6)زيادة للتّوضيح.(7)في الأصل: ما.(8)من الفضّة.(9)من النّحاس.(10)زيادة للرّبط.

(11) «متاع الله» من الدّارجة ومعناه «صدقة».(12)زيادة للتّوضيح.(13)زيادة للتّوضيح.(14)زيادة للرّبط.

(15)زيادة للتّوضيح.(16)زيادة للرّبط.(17)زيادة للتّوضيح.(18)زيادة للتّوضيح.(19)زيادة للرّبط.

(20)عبارة من الدّارجة تعوّض الإضافة في الفصحى.(21) في الأصل: السلطان الخلافة.

(22)في الأصل: أم.(23)زيادة للتّركيب.(24)في الأصل: تؤثروها.

(25)زيادة للتّوضيح.

الخير في](1) الدّنيا واحد ونحن عليه إن شاء الله إلى أن **[255ظ]** تقوم السّاعة، فقلت جزاكم الله خيرًا .

مدينة بغداد: هي(2) اليوم [حاضرة](3) العراق وكرسيّه، وفيها السلطان، ومنها حكم(4) الخلفاء العبّاسيّون(5) [ممالك](6) الخلافة حتّى بلغوا أربعين خليفة، أوّل دولة العبّاسيّين(7) كانت مملكتهم من بغداد، حكموا المشارق والمغارب من جميع الأرض ستمائة عام(8) حتّى كان بعض خلفائهم يقول : يا هذه السّحابة حيث أرسلك الله تمطر، ومطرك يأتينا ببغداد(9) . وهذا لِما(10) طاعت لهم الأرض والبلاد، واستقام لهم الملك، وكانوا يتوارثونه(11) واحدًا بعد واحد حتى كان آخرهم عبيد الله(12) قتله سلطان التتار هولاكو المجوسي وقتل من [أهل](13) خلفاء العباسيّين وأهل كبرائهم**[256و]** ثمانين رجلا. ونُفي(14) بقيّة الخلفاء إلى مصر، [و](15) هم اليوم فيها: أبو بكر وعمر وحمزة[من](16) بقيّة ذرّيّة العبّاسيين الذين تخطب باسمهم(17) خطب الأرض المحمّديّة.

قال الرّاوي : مدينة بغداد فيها ألفا(18) مسجد وخمس وعشرون خطبة للجمعة وخمس(19) وعشرون مدرسة للعلم والدّرس للعلماء والقرّاء. وفيها مدرسة الخلفاء العبّاسيّين بناها المستنصر بالله وأخوه(20) المعتصم بالله لأنّ جميع ذريّة العباس أسماؤهم كلّهم المؤمن بالله والمتوكّل على الله والمكتفي بالله والمنصور بالله، وعلى هذه الصّفات كانت أسماؤهم : يجعلون اسم الله فوق أسمائهم ويجعلون **[256ظ]** أسماءهم تحت الله.

---

(1)زيادة للتّوضيح.(2)في الأصل : وهي.(3)زيادة للتّوضيح.(4)في الأصل : حكمت.
(5)في الأصل : الخلفاء العبّاسيّة الخلافة.(6)زيادة للتّوضيح.(7)في الأصل : العباسيون.
(8)الحقيقة هو أنهم حكموا من سنة 132 /749 إلى 656/ 1258 .
(9)القوله تنسب إلى الرّشيد ونصّها قوله يخاطب السّحابة : شّرقي أو غرّبي لابدّ أن يأتيني خراجك.
(10)في الأصل : ممّا.(11)في الأصل : كانوا لها.
(12) تاريخيا هوالمستعصم رقم 37 [حكم 640/ 1242 - 656 / 1258] (EI 2 / I ص 22).(13)زيادة للتّوضيح.
(14) في الأصل : تنفّيت.(15)زيادة للرّبط.(16)زيادة للتّوضيح.(17)في الأصل : عليهم.
(18) في الأصل : ألفين.(19) في الأصل : خمسة.(20) في الأصل : أخاه.

قال الرّاوي : مدرسة الخلفاء «المستنصريّة» تسمّى باسم الذي بناها من خلفاء [بني](1) العبّاس، وفيها قامت الأربعة مذاهب على خلافة «هؤلاء» الخلفاء : المستنصر والمعتصم بالله، جرت (3) في انعقادها(4) على زمان هؤلاء (2) الخلفاء قصّة يطول حديثها ولكن نختصر منها [ما يلي](5): ادّعت كلّ طائفة بأنها على الدّين النبوي(6) من جميع الطوائف (7) : الخوارج والرّوافض والشيعة، فنادى(8) خلفاء : [بني](9) العبّاس، المستنصر بالله وأخوه(10) المعتصم بالله في جميع أقطار الأرض بأمرائها وعلمائها(11)، ونوّابهما (12) في البلاد، أن يأمروا جميع من في طاعتهم **[257و]**من العلماء والفقهاء والقرّاء وكلّ من ادّعى بكتب [كتبها](13)، ونسب نفسه إلى علم من علوم الدّين والشريعة أن يأتوا إلى مدينة بغداد بأمر(14)من الخلفاء الرّاشدين العبّاسين، وقالوا : من يخلف علينا(15) فما(16) جزاؤه عندنا إلاّ ضرب الرّقاب، فأتى (17) إليهم جميع علماء الدّين والشريعة المحمّديّة إلى بغداد يختصمون بين يدي الخلفاء في المدرسة المستنصريّة ببغداد. قال : فأتى(18) الناس من كلّ فجّ عميق وأتى(19)كلّ واحد بما صنّفه في(20) طريقة السنّة والمذهب. فاختصمت الشّيع مع أهل السنّة فأظهر الله حقّه ونصر عباده [من](21)أهل السنّة وعجّز الله الشيعة والخوارج **[257ظ]** ومن طال خصامه منهم وجادل وتمارى بالباطل أمر الخلفاء العبّاسيون : المستنصر والمعتصم(22) بقطع رؤوسهم وتمزيق كتبهم وتصانيفهم وألقيت في دجلة [أي] في الماء (23).

---

(1)زيادة للتّوضيح.
(2) تحت تأثير اللّغة الرّومنثيّة التي يعرفها المؤلّف يعتبر المثنّى جمعا، لذا قال: «هؤلاء» عوض هذان.
(3)في الأصل : جرى.(4)في الأصل: انعقادها، والمعنى جرت في إلزام النّاس بهذه المذاهب قصّة.
(5)زيادة للتّوضيح.(6)في الأصل : النّبويّة.(7)في الأصل : طوائف.(8)في الأصل : فنادوا.
(9)زيادة للتّوضيح.(10)في الأصل : أخاه.(11)في الأصل : أمرائهم وعلمائهم.(12)في الأصل : ونوّابهم.
(13) زيادة للتّوضيح. (14) في الأصل : من أمر.(15)أي من يخالف أمرنا.(16)في الأصل : ما.
(17)في الأصل : فأتت.(18)في الأصل : فأتا.(19)في الأصل : أتا.(20)في الأصل : من.
(21)زيادة للتّوضيح. (22) ابن الصّباح يعتبر المثنّى كالجمع كما في اللّغات الأروبيّة.
(23) أضاف هذا الشرح لأنه يكتب لأناس بعضهم لا يعرف أنّ دجلة هو نهر.

قال الحاج ابن الصبّاح: ولقد حدّثني[1] أيمّة المدرسة أنّه حدّثهم آباؤهم بأنّ الذي رُمي في دجلة ألفُ حمل من تصنيف كتب الشيعة، وألف رأس من علمائهم : قطعت رؤوسهم ومُزّقت كتبهم ورُميت في وسط دجلة. ونادى المنادي بأمر الخُلفاء الرّاشدين العبّاسيّين: من اتبع غير مذهب مالك الأصبحي وتصنيفه ومذهب الشافعي ومذهب أبي حنيفة وتصنيفه ومذهب**[258و]** الإمام أحمد بن حنبل وتصنيفه فهو خارجي لا يُتّبع [مذهبه][2] ولا يحكم به أبدًا، فأثبت الله الأربعة[3] مذاهب ونصرها ببركة ما كان فيها من الحقّ الواضح والبيان الصّريح واللّفظ الفصيح، فللّه الحمد كثيرا.

[وهكذا فإنّ][4] المدرسة المستنصريّة المباركة، فيها انعقدت المذاهب التي هي[5] الآن تُتّبع. وأمّا قبلُ فكانت السنّة متفرّقة، مثل سنان بن جريح في اليمن وغيره من فقهاء السنّة ، فلمّا أُنشئت[6] هذه [المذاهب على يد][7] الأيمّة المباركين[8] المجتهدين في آخر الزّمان وكانت دولتهم وزمانهم على خلافة العبّاسيّين الأيمّة الرّاشدين المهتدين، انعقدت هذه المذاهب الأربعة على لسان **[258ظ]** مالك الأصبحي اليماني والشافعي القرشي[9] وأبي [10] حنيفة النعماني الكوفي وأحمد بم حنبل الشيباني رضي الله عنهم ورحمهم و[رحم][11] من يَقتدي بما اجتهدوا فيه ويَتّبع المذاهب الصادقة في الأقوال الغالبة الظنّ فيها[12] ، [و][13] في الأفعال كلّها، [فما][14] قالوا وما فعلوا [هو][15] من فعل رسول الله ﷺ. وما قاله الرّسول ومات على ذلك الحديث[16]. وما[17] فعله ومات على ذلك[18] الفعل من فرض وسنّة فتسمّى السنن الواجبة المؤكّدة. وما[19] قاله من حديث ولم ينسخه بغيره أو فعل فعلا[20] ثمّ تركه ولم يداوم عليه تسمّى سنّة غير واجبة ولا مؤكّدة مثل الوتر وشبهه [فقد][21] مات على **[259و]** فعله ﷺ [فهو من السّنن الواجبة المؤكّدة][22] .

---

(1)في الأصل : حدّثوني.(2)زيادة للتّوضيح.(3)في الأصل : الأربع.(4)زيادة للرّبط.
(5)في الأصل : هي تذهب.(6)في الأصل : أنشأت.(7)زيادة للتّوضيح.(8)في الأصل : المباركة.
(9)في الأصل : العراشي.(10)في الأصل : أبو.(11)زيادة للتّوضيح.(12)في الأصل : عليها.
(13)زيادة للرّبط.(14)زيادة للتّوضيح.(15)زيادة للرّبط.(16)الحديث : أي القول.(17)في الأصل : ما.
(18)في الأصل : تلك.(19)في الأصل : والذي.(20)في الأصل : فعله.(21)زيادة للرّبط.(22)زيادة للتّوضيح.

قال الحاج ابن الصبّاح : المدرسة المستنصريّة مبنيّة على حاشية دجلة من شرقها، فيها مائة وعشرون مسكنا فوقي وسفلي كلّها بشباك الحديد وطيقان تنظر على الجسرين والماء. والقوارب تسري طالعين وهابطين: البعض(1) للمتفرّجين والبعض تسوق الأرزاق إلى بغداد من جميع البلاد. وعلى المدرسة المذكورة سبعة(2) خدّام فرّاشين ونقباء و[لها](3) باب من حديد، والصّومعة على الباب، والمُوقِّت(4) قبالة الباب،[و](5) على السّور(6) وزّ كلّما جاءت ساعة خرج من فم الوزّ كرة من نحاس تقع في طاس من نحاس **[259ظ]** تفرقع، الضربة مثل الرّعد القاصف [ف](7) يعلم بها الماشي والجاي كم من ساعة مضت من النّهار، وهذه المدرسة لا يدخلها خارجي ولا رافضي غير أهل السنّة وأهل المذاهب الأربعة : وتجوز(8) عليها الشيعة ويدعون عليها لما في قلوبهم من قهر. مدينة بغداد قيسريّاتها لا تكون في جميع الأرض(9)، يمشي الفارس بمزراقه واقفا من كثرة علوّها، و[فيها](10) أسواق وبَيْع وشراء وأخذ وعطاء.

قال الحاج عبد الله : كفى(11) ببعداد من مدينة مباركة، ما فيها من قبور الأولياء والصّالحين. و[يدرس](12) حديث رسول الله ﷺ كلّ يوم خميس ويوم اثنين : يعمل في ناحية المدينة الشرقيّة **[260و]** دولة(13) للحديث يوم الخميس، وفي المدينة(14) الغربية دولة يوم الإثنين(15) حتّى ترى الرّحال والأولاد والنّساء والبنات فقهاء من التّلقين بالسّمع وكثرة العودة والتردّد. وكذلك في شهر رمضان بعد صلاة الظهر إلى صلاة العصر يقرؤون البخاري ومسلم ويجتهد(16) المشائخ المؤرّخون في تصحيحها(17) في [مسائل](18) الدّين والسّنة وكذلك [الأمر](19) في مكّة شرّفها الله.

قال الحاج عبد الله بن الصبّاح : أوّل ما نذكر من المزارات [و](20) من قبور الأولياء والصّالحين ببغداد : [قبر](21) الإمام أبي(22)حنيفة، قبره في الرّصافة. وقبور

(1)في الأصل : والبعض.(2)في الأصل: سبع.(3)زيادة للرّبط.(4)آلة لضبط الوقت (السّاعة).
(5)زيادة للرّبط.(6)في الأصل : سور. (7)زيادة للرّبط.(8)تجوز أي تمرّ بجوارها.
(9)أي لا يوجد لها مثيل.(10)زيادة للرّبط.(11)في الأصل : كفا.(12)زيادة للتّوضيح.(13)دولة أي درس.
(14)في الأصل : المدرسة.(15)في الأصل : الثّقلين.(16)في الأصل : اجتهد.(17)في الأصل : في تصحيحهم.
(18)زيادة للتّوضيح.(19)زيادة للتّوضيح.(20)زيادة للرّبط.(21)زيادة للرّبط.(22)في الأصل : أبو .

الخلفاء العبّاسيّين أربعون قبرًا في الرّصافة[1] ، وقبر البرمكي في باب الرّصافة[2]، وقبر الشيخ الشبلي[3] في الرصافة[4] **[260ظ]** وقبر عبد القادر الجيلاني[5] في باب الأزج، عليه خطبة وسماط طعام، وكذلك قبر الإمام أبي حنيفة عليه خطبة جمعة وطعام، «وقبر عبد الله الجرّاح آخر خلفاء العبّاسيّين خارج بغداد، هو وابنه شهيدا[6] سلطان المجوس»[7]، وفي المدينة الغربيّة: [المزار][8] الأوّل لأحمد بن حنبل الإمام، عليه بناء [و][9] مزاره يوم الإربعاء، وقبر بشر الحافي[10] وقبر موسى الكاظم[11]والجواد[12] من ذرّية الحسين بن علي بن أبي طالب، وقبر الجنيد[13] وخاله السرّي السّقطي[14]، وقبر مصعب بن الزّبير[15]، وقبر الحسين بن منصور الحلاّج[16] : قبور هؤلاء في مدينة بغداد. وفي مدائن كسرى [قبر][17] سلمان الفارسي، وقبر حذيفة **[261و]** بن اليماني من الصحابة رضي الله عنهم، وقبر سلمان الفارسي عند إيوان كسرى الذي انشقّ ليلة مولد النبيء ﷺ وانطفأت نار فارس.

قال المؤلّف رَحمه الله : ضربت[18] إيوان كسرى وإذا هو في الطول ستّون[19] خطوة وعرضه ثلاثون[20]، وشقّ في وسطه على العرض شقًا يدخل عليه منه الشّمس، ووجهه إلى طلوع الشّمس، بينه وبين بغداد مشي ضحوة شرقيّ بغداد على طريق البصرة، وعلوّ الإيوان مائة ذراع مسنّى بالحجر والجصّ والجير جمار[21]، كان موضع

---

(1)في الأصل : رصافة.(2)في الأصل : رصافة.

(3) في الأصل : الإشبيلي. والشّبلي هو أبوبكر دلف بن جحدر كان واليا على دنباود من نواحي الرّيّ، وتولّى الحجابة للموفّق العبّاسي، ترك الولاية والحجابة وعكف على العبادة. توفي ببغداد 946/334 (الأعلام 341/2). (4)في الأصل : رصافة.(5)في الأصل : الكيلاني.(6)في الأصل : شهداء.

(7)ملك المغول. ما بين معكّفتين يدلّ على المستوى المتردّي لمعلومات ابن الصبّاح التّاريخيّة.

(8)زيادة للتّوضيح.(9)زيادة للرّبط.

(10) من رجال الحديث وكبار الصّالحين، أصله من مرو وتوفّي ببغداد 841/227. (الأعلام 2/ 54). (11)زيادة للرّبط. (12)زيادة للرّبط.

(13) الجنيْد البغدادي : صوفي عالم ببغداد 910/297 (الأعلام 141/2).(14) السّريّ السّقطي : من كبار المتصوّفة، بغدادي المولد والوفاة ت 867/253 (الأعلام 82/3).

(15) في الأصل : مصعب بن الزّبير نورالدّين.(16)زيادة للرّبط.(17)زيادة للرّبط.(18)ضَربت : قست (دارجة).

(19)في الأصل : ستّين.(20)في الأصل : ثلاثون.(21)يقصد على درجة كبيرة من الحرارة.

أخذ الرأي والمشاورة مع الثلاثمائة وزير الذين كانوا للملك كسرى أنو شروان(1) بالعراق. [261ظ] وليلة مولد(2) النبيء عليه السّلام انشقّ، والشقّ اليوم يتبرّك به الذين يزورونه من الخطّار(3)، وانطفأت(4) نار فارس التي كانت توقد [منذ](5) ألف عام بحيلة طلاسم من الجان(6). وكانوا يسجدون لها.

وشرقي مدينة بغداد مدينة واسط فيها قبر سعيد بن جبير على شاطئ دجلة. مدينة واسط مدينة الحجّاج الذي أجرى النّفقة والكسوة على أهل واسط الذكور والإناث سبع سنين حتّى حفظوا القرآن عن ظهر قلب(7)، ثمّ نفاهم(8) للبلاد يعلّمون جميع النّاس بالحفظ وعفا(9) عنهم من طلب النّفقة والكسوة، ابتغى بذلك أجر حفظ القرآن. [وهي](10) مدينة كثيرة النّخل والعمارة [262و] [و](11) كلّهم يقرؤون القرآن الرّجال والنّساء. وبينها وبين مدينة بغداد خمسة أيّام في الشرق.

ثمّ نذكر مدينة البصرة : بينها وبين بغداد عشرة أيّام شرق ما يلي بحر الهند. مدينة البصرة كانت دار خلافة مولانا علي رضي الله عنه فيها جامعه ومنبره، ومنبره اليوم لم يزل(12)، تقول أنّه جديد(13) وهو لا يخطب عليه أحد حرمة له.

مدينة البصرة نخلها وحرثها وقراها(14) وعمارتها مسيرة عشرة أيّام تُسقى من فيض الفرات وماء دجلة وهما: نهران(15) يلتقيان(16) بالبصرة ويدخلان(17) في بحر الهند الذي يتنفّس عليها بحر الهند، ومياههما تِمْلَى وترجع على هذه الأرض والحرث [262ظ] والنّخل وتسقيها(18) . إذا أردت كلّ يوم، تسقي جنانك لأنّ الفيض كلّ يوم وقت الضّحى ووقت العصر، وتسري في الفيض القوارب إلى البلاد، وعند الجزر(19) تجلس القوارب

---

(1)في الأصل : ابن شروان.(2)في الأصل : مولود.

(3)في الفصحى نقول : خطر ببال، وهنا خطر بالمكان أي حلّ به للزّيارة.(4)في الأصل : انطفت.

(5)زيادة للتّركيب.(6)مثال آخر على العقليّة الأسطوريّة للمؤلّف.(7)في الأصل : عن ظهور قلوبهم.

(8)نفاهم أي بعثهم.(9)عفا عنهم بمعنى أعفاهم أي وفّر لهم كلّ ذلك حتّى يتفرّقوا لتحفيظ النّاس القرآن.

(10)زيادة للرّبط. (11)زيادة للرّبط.(12)أي لم يزل موجودًا.(13)تقول أي تظنّ.(14)في الأصل : قرّاوها.

(15)في الأصل : النّهرين.(16)في الأصل : تلتقي.(17)في الأصل : وتدخل.

(18)يشير إلى حركة المدّ والجزر في شط العرب ملتقى النّهرين بالخليج.

(19)في الأصل : فإذا بجزور.

في الطين ويخرج أهل القرى ويُولِفون(1) الحوت كبيرًا وصغيرا بالقفاف، بلاد كثيرة زرعها، روز وقمح وشعير، وتمر النخل كثير يجمعونه مثل الجبال(2). يُسافر من مدينة البصرة إلى جميع بلاد العجم والشام. وتمر(3) البصرة له حلاوة مثل العسل يموت القلب من شدّة [شوقه إلى](4)حلاوته، يخزنون منه بيوتا مملوءة إلى السّمك(5).

مدينة البصرة جنّة في الأرض لا تحتاج إلى [أيّ](6) مصر(7) ، [هي](8) أحسن من مصر لأنّ **[263و]** مصر فيضها من عام إلى عام، وفيض البصرة كلّ يوم إلى يوم القيامة ، يسقي زرعا ونخلا وحرثا مسيرة عشرة أيام.

قال المؤلّف : مدينة البصرة ، كانت دورة بنائها على خلافة علي رضي الله عنه أربعة عشر فرسخا، كلّ فرسخ ثلاثة أميال ، ثمّ هي اليوم صفيفة على شاطئ الفيض، مقدار دورتها خمسة عشر ميلا. فيها(9) قبور الصّحابة والتّابعين والأولياء والصّالحين : أوّل قبر [قبر](10) طلحة الجود(11) صاحب رسول الله صلى الله عليهم، وقبر الزّبير بن العوّام(12) قتل شهيدًا، وكذلك طلحة(13) قتل شهيدًا، وفيها قبر أنس بن مالك(14) خادم رسول الله صلى الله**[263ظ]** عليه وسلّم، وفيها قبر ابن هارون الرّشيد العبّاسي(15)، وفيها قبر محمد بن الحنفيّة في سباخ بحر بجوار هرمز(16) وبحر الاحساء من بحر الهند(17)، عليه قبّة بيضاء تظهر على مسيرة يومين ، هذا من سهل(18) الأرض وكثرة الوطى(19) (ومحمّد بن علي من بيت الملك هرقل ملك بني الأصفر)(20) . ومن غرب(21)هذا الموضع مدينة الحُويزة(22)يسكنها(23) الصابئون المذكورون(24) في القرآن، يَدْعون بصحف شيث بن آدم عليه السّلام.

(1)أي يجمعون.(2)الأكوام عند المبالغة يشبّهونها بالجبال.(3) في الأصل : تزر.(4)زيادة للتّوضيح.
(5)أي إلى السقف.(6)زيادة للتّوضيح.(7)أي: بلد.(8)زيادة للرّبط.(9)في الأصل : فيها من.(10)زيادة للتّوضيح.
(11) في الأصل : الزّهري. وطلحة صحابي جليل. قتل في موقعة الجمل 656/36 (الأعلام 3/ 229).
(12)زيادة للتّوضيح.(13)زيادة للتّوضيح.(14)زيادة للتّوضيح. (15) خلط في معلومات المؤلّف التاريخيّة.
(16)في الأصل هرمور.(17) خلط في معلومات المؤلّف التّاريخيّة والجغرافيّة.
(18)أي بسبب.(19)دارجة تفيد الأرض وخاصّة الأرض المنبسطة.(20)جملة مقحمة وغريبة المحتوى.
(21)في الأصل : الغروب : على عادة أهل الأندلس في تطويل بعض الحركات.(22) في الأصل: الحويرة.
(23)في الأصل : سكنوها.(24)في الأصل : الصّابئين المذكورين.

مدينة البصرة فيها جامع عليّ رضي الله عنه، وقومها عرب [من](1) أهل السنّة والنّحو والعربيّة والتّصريف الفصيح المستقيم(2) على لسان القرآن ولغته. [وهم](3) أصحاب معروف **[264و]** وصلاة واجتهاد في الدّين. وإلى مدينة البصرة تأتي مراكب البهارات من ملك الهند . ثمّ تسافر منها إلى جميع البلاد: مصر والشّام والعجم وجزر الرّوم. أعني بالبهار الفلفل والزّنجبيل والقرفة والقرنفل. والنّوار وجوز الهند(4) وغيرها من الأطياب(5). تخرج قوارب البصرة إلى بحر الهند المتّصل بشطوط ماء البصرة على [مسافة](6) يوم وتختلط فيه. ويأخذون السّلع ويأتون بها إلى البصرة فيعطيها(7) تجار الشام للعجم فيأخذونها(8) ويسافرون(9) إلى جميع البلاد. ترى البصرة مملوءة فنادقها من الفلفل والقرفة والزّنجبيل ومن جميع الأطياب(10) تخرج رائحة تعطّس الإنسان، أهلها لونهم **[264ظ]** الحمرة بين السّمرة والبياض.

قال الحاج عبد الله : مُلْكُ الهند جزر(11) في البحر. ما كان فيه مزار غير جبل سرنديب أين هبط آدم من الجنّة. وعلى رأس الجبل قبّة ومزار ويعمل(12) عليه أهل الهند موسما في عاشوراء وصدقات وإطعام. جبل سرنديب جزيرة فيها جميع شجر الفلفل وشجرة القرفة ونوّار الفرنفل. شجر الفلفل وثماره مثل الرّمان.

قال النّاظم(13) رحمه الله : ومن البصرة إلى بلاد هاروت مسيرة شهر وفيها(14) مدينة تسمّي كشمير(15) من بلاد السّند، وفيها(16) قرية على(17) بئر، لا يرون شيئا محجوبين عن(18) هذا البئر(19)، يسمع لهم صوت لا يفهم. وعلى البئر رجل مجوسي حارز(20)[نفسه](21) بالتحيّل من **[265و]** جميع علوم(22) هاروت وماروت. وعلى البئر قفل من حديد وهو بيد المجوسي.

---

(1)زيادة للتّوضيح.(2) في الأصل : المستقبل.(3)زيادة للتّوضيح.(4)في الأصل : الهندي.
(5)في الأصل : الأطبات.(6)زيادة للتّوضيح .(7)في الأصل : وتعطي.(8)في الأصل : تأخذها.
(9)في الأصل : وتسافر.(10)في الأصل : الأطبّات.(11)في الأصل : جزور.(12)في الأصل : يعملوا.
(13)لأوّل مرّة نجد : قال النّاظم عوض قال المؤلّف.(14)في الأصل : هي.(15)في الأصل : قشمير.
(16)في الأصل : في.(17)في الأصل : في.(18)في الأصل : في.(19) في الأصل : للبئر.
(20)أي حمَى نفسه بحرز.(21)زيادة للتّوضيح .(22)أي من هاروت وماروت.

قال المؤلّف : وقبلة البصرة مغرب الشمس، دارت من مكّة ، لأنّ البصرة هي ممّا تُوالي(1) إقليم الهند، وبحرها(2) من شرقيّ البصرة. أقوام البصرة عرب : قبائل هذيل وقبائل ربيعة وعرب مضر، فيها مشائخ للعلم ومشائخ النّجوم(3) وعلم العربيّة والتّصريف العجيب، وفيها قبور الشّهداء. بلاد لا يقدر عليها فارس ولا حارس من كثرة الفيوض(4)بالغداة والعشي، بنيانها حجر المرمر، إذا رقد الرّجل عليه في زمان الصّيف يقوم بالوجع من شدّة برده.

ومدينة تبريز(5) مدينة علم **[265ظ]** وصدقات وإيثار ونعمة وخصب، سكّانها عجم فرس. ولكن أهل السنّة فيها يضيّفون(6)، السلطان من أولاد أويس(7) تركي. وعلى تبريز مدائن طوائف المجوس يسمّون الكرج(8) ويوشمون(9) وجوههم بالنّار. ومن يريد منهم المرأة من أيّ طائفة كانوا يعطونه(10) ولكن يوشمونه(11) بالنّار في جبهته.

مدينة تبريز ومدينة السلطانيّة(12) كلهما(13) جبال باردة في الصّيف والشّتاء. يصيّفون(14)في مدينة تبريز ويشتّون(15) في مدينة بغداد.

ومدينة بغداد شامخة قليلة المطر يسقون من الزّيادة من ماء دجلة. مدينة بغداد خير البلاد وسكّانها خير العباد. كفى بها تربة [أنها] تربة **[266و]** الصّالحين والصحابة والتّابعين، عليها مشائخ الفقراء(16) والمرابطين وجميع باديّتها كلّهم يقرؤون : يحرثون بالنّهار ويقرؤون باللّيل مجتهدين بالجدّ واليقين رضي الله عنهم أجمعين. هم أهل السّنة والمذهب. أهل العقول والألباب أهل بغداد،[و](17) أفصح العرب لسان بغداد. أهل مكّة والحجاز كلّهم كلامهم الغالب بالإمالة يُميلون النّهار والأشجار والجبال والنّاس(18) وكلامهم فصيح ما فيه بأس. وختم الله لنا ولكم بخاتمة الإسلام عند

(1)دارجة بمعنى : تلي.(2)الضمير يعود على : الهند.(3)يقصد علم الفلك.(4)أي الفيضان.

(5) في الأصل : طورين. وتبريز تقع شمال إيران.(6)أي محترمون.

(7)هو أوس القرني من التّابعين. سكن الكوفة. من المرجّح أنّه قتل في وقعة صفّين مع عليّ سنة 657/37 (الأعلام 32/2).

(8) في الأصل : القرج.(9)في الأصل : يرشمون.(10)في الأصل : يعطوه.(11)في الأصل : يرشمونه.

(12) تقع غرب إيران. (13) في الأصل : كلّها.(14)في الأصل : يصيّفوا.(15)في الأصل : يُشتّوا.

(16)يقصد الصّوفيّة.(17)زيادة للرّبط.(18)الإمالة موجودة كذلك في دارجة أهل الأندلس.

الموت ونزع الرّوح من الأجسام والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا محمّد خاتم النبيئين **[266ظ]**وسلّم تسليما.

قال ابن الصبّاح رحمه الله : اعلم أيّها القارئ أنّ كلّ ما وصفت لك من الأقاليم وملوكها وسلاطينها من الأمّة المحمّديّة كلّهم على عقيدة الإسلام وسورة الإخلاص اعتقادا بالقلب ونطقا باللّسان، يشهدون أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأنّ محمّدا عبده ورسوله، مع إقامة الصّلوات وإيتاء الزّكاة وصوم شهر رمضان وحجّ بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا، معهم سورة الإخلاص أي خالصة في وجود الله ووحدانيّته ودوامه وصفة كماله والنّفي عن الشّريك وإثبات الوحدة بانفراد **[267و]** الكمال وصفة النّفي عنه إذْ ﴿**لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾. قال [المؤلّف](1) : سمّيت صورة الإخلاص لأنّها خالصةٌ وصفها لوحدانيّة الله. ولم يكن فيها وعد ولا وعيد: إنها(2) كلّها في صفات الباري سبحانه، وإنها في عدد الآيات وترا والله لا يوصف إلاّ بالوتريّة الدّائمة.

قال الرّاوي : المشهور من علوم معرفة الله [أنها](3) فرض بغير تقليد(4). إذا اعتقد الرّجل [الوصف](5) الذي وصف الله به نفسه(6) في سورة الإخلاص اعتقادا بقلبه غير مقلّد لغيره متحقّقا متيقّنا عنده بعقيدة العقل الضّروري الذي لا ينطرد(7) بالشكّ، فقد اجتمعت الأمّة أنّه موحّد حقّا وإن كان بمعرفة النّظر**[267ظ]** والاستدلال والمعجزة والبرهان فقد انتهى المؤمن إلى المعرفة التامّة وهذا هو المشهور. وعلوم التّوحيد مستغرقة للعقول(8) ولكن كفَى العلم بما وصفنا من عقيدة صورة الإخلاص.

وبعد اعلم أيها القارئ والمستمع أنّ جميع ما وصفت لك من الأمم المحمّديّة هم(9) أهل المذاهب الأربعة: أهل إقليم(10) إفريقيّة – وهو الإقليم [الأوّل](11) من السبعة أقاليم – كلّهم عرب وعجم، إلى الإسكندريّة إلى بلاد السّودان على مذهب مالك إمام دار الهجرة [وهو](12) مالك الأصبحي رضي الله عنه. ثمّ [أهل](13)إقليم

(1)زيادة للتوضيح .(2)في الأصل : إلاّ (3)زيادة للتّوضيح .(4)في الأصل : تقلّب.(5)زيادة للتّوضيح .
(6)في الأصل : في نفسه.(7)أي لا يذهب.(8)في الأصل : العقول.(9)في الأصل : أنّ.
(10)في الأصل : أوّل أهل إقليم.(11)زيادة للتّوضيح .(12)زيادة للرّبط.(13)زيادة للتّوضيح .

مكّة واليمن – وهو الإقليم السّابع- فإنّهم **[268و]** على مذهب الإمام محمد بن إدْريس الشّافعي. ثمّ [أهل](1) الإقليم الخامس- وهو إقليم الشّام – أيضا على مذهب الشافعي، ثمّ [أهل](2) الإقليم الرّابع – إقليم فلسطين والشمال- على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان(3) إلى عمارة [ما](4) تحت القطب إلى سدّ ذي القرنين إلى سمرقند إلى الصّين الأقصى(5) عمارتها ترك وتاتار(6)وسند وهند. كلّهم على مذهب أبي حنيفة. ثمّ الإقليم الثالث- وهو إقليم العراق- وأهله من العجم والعرب : فما كان من عجم الفرس، فإنّهم جميعا حيث ماكانوا من البلاد على مذهب الشافعي، ومَن(7) كان من العرب منهم فعلى(8) مذهب أبي حنفية **[268ظ]**، ومنهم على مذهب الإمام أحمد ابن حنبل الشّيباني، ثمّ إقليم الهند – عمارته جزر(9) في البحر الشّرقيّ من العراق ويسمّى بحر الهند، وفيها(10) أربعة ملوك [دينهم](11) الإسلام، [و](12) كلّ من كان عندهم من مجوس [فهم](13) تحت الذّمّة والجزية – على مذهب الشافعي هم وأهل البصرة، يصلّون الشفع والوتر بإمام طوال(14) الأيام في رمضان وغيره. ويقنتون في كلّ صلاة فريضة من الصّلوات الخمس اللّيلَ والنّهارَ، والإمام أبو حنيفة يؤذّن مربّعا ويقيم شتاء(15) وبِقُنُوت في الوتر، والإمام أحمد بِقُنُوتٍ في الرّكعة الأخيرة من المغرب ويصلّى الصّبح بالحمد والعصر بالاصفرار(16) . واعلم أنّ المذاهب الأربعة **[269و]** والمشائخ الأربعة المُجتهدين - [حسب](17) المؤرّخين - أثبتوا أحاديثهم ودليل قولهم من محكم حديث رسول الله ﷺ، ودليل الحديث من كتاب الله عزّ وجلّ من محكم الآيات [غير](18) منسوخاته، وكذلك من حديث رسول الله ﷺ من محكم

---

(1)زيادة للتّوضيح.(2)زيادة للتّوضيح .

(3)في الأصل : النعماني، على عادة أهل الأندلس في مدّ بعض الحركات.(4)زيادة للتّوضيح .

(5)في الأصل : الأقصا.(6)في الأصل : تكاثر.(7)في الأصل : ما.(8)في الأصل : على.

(9)في الأصل : جزور، على عادة أهل الأندلس في إطالة بعض الحركات.

(10)الضّمير يعود على عمارة إقليم الهند.(11)زيادة للتّوضيح .(12)زيادة للرّبط.(13)زيادة للرّبط.

(14)في الأصل : طول.(15)في الأصل : يأذن مربع ويقيم شتاء : ولم نتمكّن من فهم هده الجملة.

(16)كلمة واضحة في الكتابة غامضة في المعنى.(17)زيادة للتّوضيح .(18)زيادة للتّوضيح .

حديثه غير منسوخ لأنّه كما في القرآن ناسخ ومنسوخ، كذلك في حديث رسول الله ناسخ ومنسوخ. فكلّ ما بيّنه الأئمّة الأربعة(1) من محكم القرآن، ومحكم الحديث، وكلّهم رضي الله عنهم، قولهم وفعلهم من قول(2) رسول الله ﷺ وفعله [أي](3) من(4) سنته المؤكّدة **[269ظ]** في الفعل والقول. أعني بالمؤكّدة ما كان [من فعله](5) وداوم عليه(6) حتّى مات ولم يتركه. وكذلك استعمل حديثه ولم ينسخه بغيره حتّى قبض ﷺ.

قال الرّاوي : ثمّ اعلم أنّ قراءة السبعة مشائخ : نافع(7) وابن كثير(8) وأبي عمرو البصري(9) وابن عامر الدّمشقي(10) وعاصم الكوفي(11) وحمزة الكوفي(12) وعلي الكسائي(13)، ورجالهم الرّواة(14) أربع عشرة قراءة. أهل المغرب قراءتهم لنافع ورجاله. ولأهل(15) مصر واليمن أبو عمرو البصري ورجاله، ولأهل(16) الشام قراءة ابن عامر الدّمشقي ورجاله، ولأهل(17) العراق وأهل الشمال وأهل الصّين الأقصى قراءة أهل الكوفة **[270و]** [المنسوبة لـ](18) عاصم وحمزة والكسائي ورجالهم، ولأهل مكّة قراءة ابن كثير. هؤلاء مشائخ القراءات السّبع المشهورة من لغات العرب. و[لغة](19) قريش غالب استعمالهم وتصريفهم في مواطن نزول القرآن : وهو اختيار المشائخ مثل الإمام الشاطبي وغيره من القرّاء. قال الإمام الشاطبي قدّس الله روحه ونوّر ضريحه (الكامل):

(1)في الأصل : الأربع.(2)في الأصل: من قول وفعل.(3)زيادة للرّبط.(4)في الأصل : و.
(5)زيادة للتّوضيح .(6)في الأصل : عليه بجعله.
(7)نافع بن عبد الرّحمان (القارئ) : أحد القرّاء السّبعة المشهورين. توفّي بالمدينة 785/169 (الأعلام 5/8)..
(8) عبد الله بن كثير أحد القرّاء السّبعة. توفّي بمكّة سنة 738/121. (المنجد في اللّغة والأعلام ص 430).
(9) زبان بن عمار البصري، أبو عمرو بن العلاء : من أئمّة اللّغة والأدب وأحد القرّاء السّبعة توفّي بالكوفة 154/ 771 (الأعلام 41/3).
(10)ابن عامر الدّمشقي : هو عبد الله أبو عمران، أحد القرّاء السّبعة، توفّي بدمشق 736/118 (الأعلام 95/4).
(11)عاصم الكوفي هو عاصم بن أبي النّجود، تابعي أحد القرّاء السّبعة توفّي بالكوفة 745/127 (الأعلام 3/ 248). (12) حمزة بن حبيب الكوفي (القارئ) : أحد القرّاء السّبعة توفّي بحلوان 773/156. (الأعلام 2/ 277).
(13) علي بن حمزة أبو الحسن الكوفي الكسائي إمام في اللّغة والنّحو والقراءات. توفّي بالرّيّ 805/189 (الأعلام 283/4).(14)في الأصل : الرّوات.(15)في الأصل : أهل.(16)في الأصل : أهل.(17)في الأصل : أهل.(18)زيادة للتّوضيح .(19) زيادة للتّوضيح .

وَمَا لِلْقِيَاسِ فِي الْقِرَاءَةِ مَدْخَلٌ
فَدُونَكَ مَا فِيهِ الرِّضَى مُتَقَبَّلاَ(1)

وبعد، اعلم أنّ القراءات السّبع والنّحو والعربيّة موقوفة على المعنى لأنّ كلّ لفظ [له](2) معنى [غير] عربي ولا فصيح ولا مستعمل عند فصحاء العرب إنما يكون شاذّا ضعيفا في استعمال العرب **[270ظ]** وتصريفهم.

وبعد اعلم أنّ القراءات السّبع [و](3) استعمال المذاهب الأربعة الغالب على اختلافهم [يكون](4) بالدّليل الواضح كما ذكرناه أوّلا. [و](5) نذكر لك [الآن](6) البعض من استعمال مذهبهم مثل مالك الأصبحي : الإفراد بالحجّ أحبّ إليه، والتمتّع للشافعي أحب إليه من الإفراد، وأبو حنيفة : القران أحبّ إليه. وكلّ ما أحبّه(7) واحد منهم هو عنده أفضل في غالب ظنّه على مذهبه وقوّة معرفته به، فكان كلّ واحد على ما غلب على ظنّه ويقينه بالدّليل والبرهان من كتاب الله وسنّة رسوله باجتهاد منهم ونيّة وإخلاص رضي الله عنهم أجمعين. إنّ في اختلافهم **[271و]** الرّحمة للمسلمين. والحديث يطول في شرح ما لا أتيت به في كتابي من أنواع التّوحيد والمذاهب والتّواريخ وشرح القرآن وشرح المعاني، ولكن اختصرنا ما فيه الكفاية للفهم وعبرة من عبر(8) الأوّلين والآخرين.

وامدد يدك وادع(9) وقل : الحمد لله الذي أورثنا الكتاب والحمد لله الذي لم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له وليّ من الذل(10) وكبّره تكبيرًا : الله أكبر كبيرًا والحمد لله كثيرًا وسبحان الله بكرة وأصيلا وغفر الله لنا ولكم ولكافة المسلمين أجمعين. والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا ومولانا محمّد وعلى آله **[271ظ]**وصحبه وسلّم تسليما.

---

(1)في الأصل : يكفيلا.(2)زيادة للتّوضيح .(3)زيادة للرّبط.(4)زيادة للتّوضيح .(5)زيادة للرّبط.
(6)زيادة للتّوضيح .(7)في الأصل : حبّ.(8)في الأصل : عبارات من عبارات.(9)في الأصل : وادْعوا.
(10)لأنّ الاحتياج إلى وليّ هو من باب الضعف والله قويّ عزيز.

اعلم أيّها القارئ أن [الهدف][1] ممّا[2] وصفت لك من عقيدة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [هو][3] ألاّ[4] تقلّدها[5] من عالم ولا فقيه ولا من أحد من خلق الله تعالى [ولا تعتقدها][6] إلاّ اعتقادًا من نفسك وقلبك وجميع جوارحك اعتقادا تامّا من قلبك خاصّة، لأن علم التّوحيد لا يفيد فيه التّقليد و[هو] [7] علم لا يُقلَّد[8] بل إنّ التّقليد فيه كفر محض لأنّ المرء من غيره ليس بمؤمن[9] ، بل هو والله مثل مَن قال وجاء في كتابه العزيز :﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[10] ، وكمثل من قال وجاء في القرآن الكريم : ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴾ [11]، فكذلك من يقلّد معرفة الله من مخلوق، وأعوذ بالله من هذا. كيف ؟ ! والله **[272و]** تعالى [يقول][12] : ﴿ونفس ومَا سَوّاهَا فَأَلْهَمهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[13] . ألاَ[14] يفكّر في صنعة نفسه وماذا خلق الله في السّماوات والأرض من الأشياء كلّها حتّى يلحق[15] بالتفكّر معرفة صفات خالقه [و][16] يَعلم عددها[17] أراك تعلم العدد والحساب وتعرف البيع والشراء والأخذ والعطاء. وهذا منك هو الجهل، فمعرفة خالقك أولى.

ثمّ نرجع إلى صاحب الكتاب العبد الفقير إلى رحمة مولاه، والرّاجي منه المغفرة والرّحمة بقوله عليه السّلام : «المجتهد من أمّتي إذا أصاب له أجران وإذا أخطأ فله أجر واحد»، فلم يزل المخطئ والمصيب شريكين[18] في الأجر بحمد الله تعالى. [و] اعلم أيّها **[272ظ]**القارئ والمستمع إنّني نقول [19] : رحم الله من قرأ كتابنا ووجد فيه خللا فأصلحه أو وجد نقصانا فأكمله، فلا يدّعي مخلوق الكمال إلاّ جاهل، بل المخلوق في جميع أحواله [ناقص][20] إلاّ من هدى الله سبحانه.

---

(1)زيادة للتّوضيح .(2)في الأصل : الذي.(3)زيادة للرّبط.(4)في الأصل : أنّه لا.(5)في الأصل : يتقلّدها.
(6)زيادة للرّبط والتّوضيح.(7)زيادة للرّبط.(8)أي لا يؤخذ عن الشيوخ بالتّقليد.
(9)أي أنّ المرء بدون توحيد ليس بمؤمن.(10) 43ك. الزّخرف، الآية 23 .(11) 2م. البقرة، الآية 170
(12)زيادة للّوضيح .(13) 91ك. الشّمس، الآية 7، 8.(14)في الأصل : وأمّا لا.(15)أي يضيف.
(16)زيادة للرّبط.(17)في الأصل : تعلم العدد.(18)زيادة للّوضيح .
(19) عادة ما يجمع المؤلّف بين ياء المتكلّم ونون الجمع في نفس الجملة.(20)زيادة للّوضيح .

واعلم أنَ كاتب هذا الكتاب الحاج المذكور وهو شيخ كبير من أعمار الستّين إلى السبعين(1) كتبته بالأمريّة(2) من(3) ضعف البصر، ولكن حملنا على كتبه طلب الثّواب، ونرجوا ما عند الله الوهّاب و[لابدّ](4) أن تعرف [أنّ](5) بلادنا المدجّلة(6) من عمائر الأندلس لا فيهم شيخ تعلّم من شيخ إلاّ من النّسَخ والكتب وهي صمّ بكْمٌ وكما قال الشاعر (الطويل):

فَلاَبُـدَّ مِنْ شَيْخٍ يُريكَ شُخُوصَهَا وَإلاّ [273و]فنصفُ العِلْم عِنْدَكَ ضَائِعُ

واعلم أنّي منهم سافرت (7) في طلب العلم، فاختصرنا هذه الرّحلة في هذا الكتاب عبارًا وإخبارًا لهم بما في أرض الله من البلاد والعمائر والإسلام من أمّة محمد ﷺ وعلى جميع النبيئين والحمد لله ربّ العالمين.

---

(1)أي عمره ما بين الستّين والسّبعين.
(2)هي آلة تكبّر الأشياء ، وهي مستعملة اليوم في تونس لصيد الإسفنج في الأعماق. ويقال لها المرايا.
(3)أي بسبب.(4)زيادة للرّبط.(5)زيادة للرّبط.(6)نطق أندلسي لكلمة «المدجّن». (7) في الأصل : سافر.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الحديث [1]

---

(1) مرتّبة ألفبائيا حسب الحرف الأوّل.

فهــرس الأعــلام

---

(1) جاء ذكره في القرآن باسم عزيز : ولعلّه عزرا المذكور في التّوراه (المنجد في اللّغة والأعلام ص 350).
(2) انظر التعليق 1.

ن

هـ

و

ي

فهرس القبائل والأمم والجماعات

ب

ت

فهرس الأماكن والبلدان

أ

ب

ج

ح

ز

س

ش

ص

(1) انظر ص 263 ت (1).

ل

ك

م

فهرس الشّعر[1]

المطلع	القافية	الشاعر	البحر	الصفحة
لنا	مُ	الجرهمي	الطويل	21
وأمّا دمشق	لاَ	أبو القاسم بن خلف الزّعيني	الطويل	205
وما بالقياس	لاَ	الشّاطبي	الكامل	247
فَلابدَّ	عُ		الطويل	249

(1) مرتّبة حسب ورودها في الرّحلة.

فهرس الكتب[1]

الكتاب	المؤلّف	الصفحة
الإنجيل		184
تاريخ الفتوحات		207
التّوراة		148 - 120 - 107 - 184 - 198
تيجان الملوك	ابن هشام/وهب بن منبّه	39 - 22
الزّبور		198 - 184
الشاطبيّة (صغرى وكبرى)	خلف بن فيُّرة الرّعيني	205
شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني	عبد الرّحمان الجزولي	48
شرح الشاطبيّة الصّغرى	»	48
شرح الشاطبيّة الكبرى	أبو عبد الله محمّد الفاسي	48
عقيدة الأربعين (الإعلام بحدود قواعد الإسلام)	القاضي عياض	41
الفرقان		184
كتاب جعرفيّات هارون الرّشيد		63
المدوّنة	سحنون	148
الموطّأ	مالك	148

(1) مرتّبة ألفبائيا حسب الحرف الأوّل.

الفهرس العام

Preámbulo

El texto que editamos en nuestra revista Estudios Andalusíes es una relación de viaje del morisco Ibn Assabah al-Andalusi y representa casi un texto único en su género y curioso a la vez. Sus características consisten esencialmente en sus defectos. Tratar con este texto y transformarlo del árabe dialectal al árabe clásico, corrigiendo sus errores lingüísticos, de sintaxis y de gramática sin señalarlos al margen del texto, es el caso de la edición de este texto por Ben Cherifa, esto representa una agresión inaceptable. También podemos decir que el hecho de trasladar algunos párrafos históricos, algunos cuadros relativos a la Cava y a la Meca, a la mezquita donde se encuentra la tumba de Mahoma, a la Medina, la mezquita santa de Jerusalén y el cementerio de la familia de Abraham a Al Khalil y meterlos al final del texto, esto significa una transformación inaceptable del método elegido por el autor. Por todos estos motivos hemos creído en la necesidad de reeditar este texto adoptando un verdadero método científico, respetando el estilo del autor y el contenido del texto.

Preface

This text is unique and strange at the same –time: its specificity resides in its flaws and its mistakes make its importance.

Therefore, altering this text-as did Dr. Ben Cherifa –by making additions and deletions without any footnotes and by correcting its lexical and grammatical mistakes as when replacing its vernacular expressions by standard ones is a kind of aggression towards this text since its basic importance resides in the fact that researchers are interested in the evolution of language and mentalities which reflect the cultural level of Andalusian thought until its degeneration by Moors after centuries of Andalusian excellence.

For this reason, we have decided to undertake another approach to this text according to the scientific method, our aim being to enrich the field of research concerned with the decadence of Andalusian Arabic – from a prestigious language to a poor vernacular and also that concerned with the decadence of Andalusian thought illustrated by Ibn Assabaḥ's travel.

Préface

Le texte que nous éditons dans notre Revue Etude Andalouses est une relation de voyage du Maurisque Ibn Assabaḥ al-Andalousi et représente un texte quasiunique dans son genre et curieux à la fois. Ses caractéristiques consistent essentiellement en ses défauts. Ainsi à traiter ce texte en le transformant de l'arabe dialectal à l'arabe classique, en corrigeant les fautes de langue, de syntaxe et de grammaire sans les signaler, en marge du texte, c'est le cas de l'édition de ce texte par Ben Chérifa, représente une agression inacceptable contre ce texte. L'on peut dire aussi que déplacer certains paragraphes historiques, certains tableaux relatifs à la Ka'aba à la Mecque, à la mosquée où se trouve le tambeau de Mohamed à Médine, la Mosquée Sainte de Jérusalem et le cimetière de la famille d'Abraham à Al-Khalil et les reléguer à la fin de l'ouvrage, tout cela signifie une transformation inacceptable de la méthode choisie par l'auteur. Pour tout cela nous avons cru devoir rééditer ce texte en adoptant une véritable méthode scientifique, et en respectant le style de l'auteur et le contenu du texte.

Revue D'etudes Andalouses

N° 45- 46

Décembre 2011 –Muḥarram 1433

Tunis
2012

Revue d'Etudes Andalouses

Revue scientifique spécialisée dans les études concernant L'Espagne Musulmane.

***

Fondateur et Directeur

Djomaâ CHEIKHA(1987)

* 2 numéros par an qui paraîtront :

-1er numéro entre Janvier-Juin .

-2e numéro entre Juillet-Décembre .

Le montant de l'abonnement peut être réglé.

-au nom de : Cheikha Djomaâ, R.Etudes Andalouses.

-Soit directement au C.C.P. N° :17001000000000543-94-63 Tunis – Tunisie.

* IBAN : International : TN59- 17001000000005439463.

* Code BIC/Sxift : LPNTNTT.

-Soit par chèque bancaire .au C.C.B(B .I.A.T =Banque Internationale Arabe de Tunisie au nom de: Cheikha Djomaâ, R.Etudes Andalouses N° : 7720077978- Agence Bardo-Tunis-Tunisie).

-Tunisie : Tél : 00 216 71 585 616 - 002216718995396

-Email : Cheikha.andalous@fr

-Fax :00216.71.224.007

Adresse : BP : 511008- Tunis . Bab-Manara Tunisie.